الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة أبي بكر بلقايد - تلمسان -
كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإجتماعية
قسم العلوم الإسلامية

أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه علوم في العلوم الإسلامية

تخصص: التفسير وعلوم القرآن

بعنوان

منهج القرآن الكريم في إدارة مختلف الأزمات

دراسة موضوعية.

إعداد الطالب:
محمد بولقصاع

إشراف الأستاذ الدكتور:
خير الدين سيب

لجنة المناقشة:

د/ عثمان بلخير	أستاذ محاضر "أ"	جامعة تلمسان	رئيسا
أ.د/ خير الدين سيب	أستاذ التعليم العالي	جامعة تلمسان	مشرفا مقررا
أ.د/ عبد القادر سليماني	أستاذ التعليم العالي	جامعة وهران 1	عضوا مناقشا
أ.د/ عبد الله بن منصور	أستاذ التعليم العالي	جامعة تلمسان	عضوا مناقشا
د/ محمد مالك	أستاذ محاضر "أ"	جامعة وهران 1	عضوا مناقشا
د/ ميلود ربيعي	أستاذ محاضر "أ"	المركز الجامعي بالنعامة	عضوا مناقشا

الموسم الجامعي: 1436 . 1437هـ / 2015 . 2016م

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

إلى أولئك الذين أحبّوا النّبي ﷺ فنبضت قلوبهم بحبِّه، ولهجت ألسنتهم بالصَّلاة عليه، وامتلأت عقولهم بفكره، واقتدوا به في إدارتهم للأزمات، وشغلتهم سيرته عن كلِّ سيرة، فآمنوا به وعزَّروه ونصروه واتَّبعوا النُّور الذي أنزل معه.

إلى من أرشداني إلى حبِّ هذا النَّبي العظيم ﷺ والتَّأسي به، وسمَّياني باسمه، فكانا لي نعم المربِّيان، فربِّ ارحمهما كما ربَّياني صغيرا.

إلى زوجي الكريمة التي أعانتني بصبرها وجهدها على طلب العلم، وإلى قرَّة عيني أولادي البررة: مريم، وعبد الرحمن، وإبراهيم الخليل، وعمران.

إلى كلِّ الذين يديرون أزماتهم وفق منهج القرآن الكريم، منهج الشِّفاء والنُّور والهدى...

إلى كلِّ من أعانني في هذا البحث بكلمة، أو رأي، أو دعاء على ظهر الغيب...

إلى كلِّ من يشكو من أزمة، أو كربة سائلا الله ﷻ أن ينفِّس عنه أزمته، وكربته.

إلى هؤلاء جميعًا أهدي لهم ثمرة هذا البحث.

شكر وتقدير

الحمد لله والشُّكر له ما خاب عبد قصد مولاه، والصَّلاة والسَّلام على محمَّد النَّبيِّ الأوَّاه، وعلى آله وأصحابه ومن والاه، أمَّا بعد:

فمن باب قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنسَوُا۟ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾ [البقرة: 237].

وانطلاقًا من قوله ﷺ: «مَنْ لَا يَشْكُرُ النَّاسَ لَا يَشْكُرُ اللَّهَ»[1].

فإنِّي أتوجَّه بالشُّكر الخالص إلى الأستاذ الدُّكتور: خير الدين سيب المحترم، الذي تكرّم بالإشراف على هذه الأطروحة، أسأل الله ﷻ أن يشرِّفه بشُرُفات في جنَّاته يوم القيامة، فمدَّ إلي يد العون، وأفادني بعلمه وأخلاقه وتجربته، ولم يضن عليَّ شيئا مما آتاه الله، فكان له الأثر الكبير في إثراء هذا البحث حتَّى استوى على ما هو عليه، فجزاه الله عنِّي خير الجزاء.

وأشكر الأساتذة الفضلاء الذين تكرَّموا بقبول مناقشة هذه الرِّسالة، فبذلوا الجهد والوقت لتقييمه وتحكيمه ليعمَّ نفعه وتكثر فائدته.

كما أشكر كلَّ القائمين على جامعة أبي بكر بلقايد بتلمسان عاصمة الثَّقافة العربية، وأخصُّ بالذِّكر الأساتذة الأفاضل في قسم العلوم الإسلامية، والعاملين في مكتبة الجامعة على ما يبذلونه من جهد من أجل راحة طلاَّب العلم.

كما أتوجَّه بالشُّكر والامتنان إلى كلِّ المشايخ والأساتذة الذين علَّموني سواء داخل الوطن أو خارجه، سائلاً المولى ﷻ أن يجزي هؤلاء أجر ما علَّمونا خير ما جازى به عباده الصَّالحين.

وإلى كلِّ من أسهم من قريب أو بعيد لإنجاح هذا البحث.

فهذا جهد المقلِّ، وأسأل الله الغفران، وعليه التُّكلان.

---

[1] ــ الترمذي محمد بن عيسى، سنن الترمذي، تح: أحمد محمد شاكر وآخرون، د.ط، دار إحياء التراث، بيروت، د.ت، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في الشكر لمن أحسن إليك، ج4، ص339، رقم الحديث: 1954، قال أبو عيسى الترمذي: حديث حسن صحيح.

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة:

الحمد لله الذي أنزل الفرقان على عبده ليخرج به النَّاس من ظلمات الأزمات إلى نور الهدايات، وأفضل الصَّلاة وأتمُّ التَّسليم على أفضل معلِّم ومدير للأزمات في زمانه، وعلى آله وأصحابه أجمعين، أمَّا بعد:

فإنَّ النَّاظر إلى العالم اليوم برمَّته، وإلى الأمَّة الإسلامية خاصَّة ليتقطَّع قلبه ألمًا وحسرةً، وعيناه تذْرِفان دمعًا ودمًا، نظرًا لما آلت إليه أحواله، وتأزَّمت فيه أوضاعه، حتى غدا حاله ضائقاً، ومستقبله غامضاً، ففي كل يوم نرى ونسمع نكبات ونكسات بل في كل ساعة، وهو يتشوَّف ويتشوَّق إلى من يخلِّصه من الأزمات الغارق فيها.

فالحديث عن تفشي الأزمات وتفاقمها في عصرنا الحاضر لا يخصُّ مجتمعًا بعينه، أو دولة بذاتها؛ بل الجميع غارق فيها، وعلى كافَّة الأصعدة إنْ على المستوى الاجتماعي أو الاقتصادي أو السِّياسي أو العسكري أو.....

ومن جهة أخرى فإنَّ الله أكرم الإنسانية جمعاء بكتاب لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنـــزيل من حكيم حميد، فيه الهدى والشِّفاء، والرَّحمة والبيان، والموعظة الحسنة والتِّبيان لكلِّ شيء ﴿ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾ ﴾ [المائدة: 16]، كما جعله الله دستورًا لهذه الأمَّة ومنهاجًا لها، فمن تمسَّك به نجا، ومن تنكَّب عنه ضلَّ وغوى.

ونحن على يقين بأنَّ القرآن الكريم هو شفاءٌ وعلاجٌ لكلِّ الأزمات، ونورٌ نستنير به في أحلك الشَّدائد، وهدًى نستهدي به لصلاح أمور ديننَا ودنيانَا ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾ ﴾ [الإسراء: 82].

كما أنَّ القرآن هو الكتاب الذي لا تفنى عجائبه لما احتواه من أنواع مختلفة من العلوم والمعارف فمنها التي قد أدركها البشر، ومنها التي في الآفاق، ومنها العلوم المدركة

حاليا كعلم "إدارة الأزمات" إذ أصبح مفهومه واسع الانتشار في المجتمع المعاصر، وصارت الشعوب المتقدِّمة تتغنَّى به، وتعتبره من أهمِّ أسباب نهوضها وتقدُّمها، رغم أنَّ في القرآن عبارات وإشارات واضحة لأسس هذا العلم ومبادئه ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾ ﴾ [النحل: 89]، وهي تـــنـــتظر من الباحثين في مجال القرآن الكريم أن يستنطقوا الآيات، ويتفاعلوا معها حتى يُبرزوا حقيقة هذا العلم "إدارة الأزمات"من المصدر القرآني بحلول يقينيَّة، وطرق علاج ربَّانيَّة لكثير من الأزمات التي يغرق فيها المجتمع الكبير والصَّغير؛ لأنَّها مسَّت بشكل أو بآخر كل جوانب الحياة بدءًا من الأزمات التي تواجه الفرد، مرورا بالأزمات التي تمرُّ بها الجماعات والمؤسَّسات والحكومات وانتهاء بالأزمات الدُّولية.

فالبحث في هذا المجال متعيَّن على الباحث نظرًا للواقع الذي نعيشه حيث استفحلت فيه الأزمات على جميع الأصعدة، وتفاقمت فصارت بذلك تهدِّد واقعنا ومستقبلنا.

فمن هذا المنطلق؛ فإنَّ النَّاس عامَّة والمتأزِّمين منهم خاصَّة برجوعهم إلى القرآن الكريم سيجدون ضالَّتهم نظرًا لما يحويه من أسس علمية لعلم "إدارة الأزمات"، وأسس عملية تطبيقية لعلاج مختلف الأزمات.

وقد جاءت هذه الدِّراسة الموسومة بـــ: "**منهج القرآن الكريم في إدارة مختلف الأزمات**" لتحقيق ذلك.

أسباب اختيار الموضوع:

ترجع أسباب اختيار الموضوع إلى أهمِّ النقاط الآتية:

1- الرَّغبة القويَّة في بيان وإظهار تميُّز منهج القرآن في علم إدارة الأزمات.

2- اغفال الباحثين عن دراسة هذا الموضوع من جانب التَّفسير الموضوعي، وهو يعدُّ أهمَّ لون من ألوان تفسير القرآن الكريم، نظراً لما يلبِّيه من حاجيات العصر، ولدَّقة نتائجه وحلوله.

3- الرَّغبة في دراسة العلوم المعاصرة، وربطها بالقرآن الكريم، وخاصَّة إدارة الأزمات لما لها من أهمِّية في واقعنا الحاضر.

4-إبراز دور القرآن في علاج القضايا المعاصرة والمستجدَّة، وإيجاد الحلول المناسبة لها.

5- دافع الخروج عن المألوف؛ والسَّعي بدفع عجلة التَّقدم في مجال التَّفسير من خلال تناول مواضيع حديثة تواكب العصر وتلبِّي حاجيات الإنسان؛ لأنَّ الباحث يرى أنَّ غالبية البحوث المُقدَّمة في مجال الدِّراسات القرآنية فيها طابع التَّقليد والاجترار كبيان منهج مفسِّر مَّا، أو الكتابة في مبحث من مباحث علوم القرآن ـــ رغم أهمِّيتها ـــ وقد قتلت بحثًا من العلماء السَّابقين.

6- الإسهام في خدمة كتاب الله ﷻ، لنيل الرِّضا والمثوبة، وذلك بالبحث في موضوع من موضوعات القرآن الكريم.

إشكالية الدِّراسة:

تنبعث هذه الدِّراسة من الواقع المرير الذي يعيشه العالم اليوم؛ وبالأخصِّ العالم العربي، إذ أصبحت الأزمات تهدِّده من كلِّ جانب، فتعيَّن على بعض الباحثين أن يتصدّوا لها بتقديم أطروحات علمية، ومن هنا جاءت هذه الدِّراسة الموسومة بـــ: **منهج القرآن الكريم في إدارة مختلف الأزمات** لتُسهم في تقديم حلول ربَّانية للإنسانية لأجل التَّخفيف من حدّة انتشار الأزمات، ولتقديم حلول ناجعة لها، ولتحقيق ذلك فقد تمَّ تحديد الإشكالية الرَّئيسة من خلال السُّؤال المطروح:

ما منهج القرآن الكريم في إدارة مختلف الأزمات؟

ومنه تندرج الأسئلة الفرعية الآتية:

1- ما مفهوم إدارة الأزمات؟

2- ما هي المفردات القرآنية المرادفة لمصطلح الأزمات؟ وما مدى حضور هذا العلم في القرآن الكريم؟

3- ما الحلول التي قدَّمها القرآن الكريم لعلاج مختلف الأزمات المعاصرة التي تعاني منها البشرية سواء منها الاجتماعية، أو الاقتصادية، أو السِّياسية، أو العسكرية؟

أهمِّية الموضوع:

تكمن أهمِّية البحث في النِّقاط الآتية:

1- استجابته للواقع الأليم الذي يعيشه العالم عامَّة، والأمَّة الإسلامية خاصَّة ممَّا يستوجب البحث في هذا الموضوع لتقديم حلول ناجعة ودقيقة، للخروج من الأزمات التي يغرق فيها.

2- إبرازه دور القرآن الكريم في علاج القضايا المختلفة للأمَّة، وقدرته على التَّغيير والإصلاح، والنُّهوض بالأمَّة نحو النَّصر والتَّمكين.

إظهار السَّبق لكتاب الله تعالى في بيان المنهج الرَّبَّاني القويم في إدارة الأزمات مع تقديم الحلول لها.

3- اكتشافه وجهًا من وجوه الإعجاز القرآني وهو: الإعجاز الإداري في القرآن الكريم، والذي يتناسب مع متطلبات هذا العصر الحديث، وبالأخصِّ في مجال إدارة الأزمات.

4- تأكيده على أنَّ العلوم القرآنية متجدِّدة، ومواكبة لكلِّ العصور والأزمنة، وأنَّه صالح لكل زمان ومكان.

5- إظهاره عناية القرآن الكريم بصلاح الفرد والجماعة.

أهداف الدِّراسة:

تهدف هذه الدِّراسة إلى تحقيق ما يأتي:

1- تأصيل علم إدارة الأزمات من خلال القرآن الكريم.

2- بيان منهج القرآن الكريم في إدارته لمختلف الأزمات.

3- تقديم مادَّة علمية جديدة تُبرز عظمة هذا القرآن الكريم، ومدى علاجه للأزمات الإنسانية على مختلف الأزمنة والأمكنة.

الدِّراسات السابقة:

بعد البحث والتَّقصِّي فإنِّي لم أقف ـــ في حدود علمي القاصر ـــ على رسالة علمية تناولت هذا الموضوع كدراسة قرآنية موضوعية محكَّمة؛ لكن غاية ما وجدت أنّ هناك رسائل وأبحاث كُتبت في هذا الموضوع من زوايا مختلفة منها:

1- رسالة ماجستير للطالبة: صدِّيقة محمد سليمان الجمل، بعنوان: "الهدي النَّبوي في إدارة الأزمات الاجتماعية العامَّة ـــ دراسة حديثية موضوعية ـــ"، بإشراف الأستاذ: محمد عيد محمود الصاحب، نوقشت في الجامعة الأردنية، سنة 2008م.

وبمجرَّد النَّظر إلى العنوان يتبيَّن أنَّ هذه الدِّراسة حديثية، وليست قرآنية، كما أنَّ الباحثة اقتصرت على الأزمات الاجتماعية دون غيرها، فذكرت على سبيل المثال: أزمة الفقر، والتَّعذيب، والهجرة، والرِّق...

2- رسالة دكتوراه للطالب: عمر نايل محمد العزَّام، بعنوان: منهج التَّربية الإسلامية في إدارة الأزمات، بإشراف الأستاذين: محمد أمين بني عامر وماجد زكي الجلاد، نوقشت بجامعة اليرموك سنة 2010م.

وقد كان بحث الطالب في مجال التَّربية الإسلامية حيث كان يهدف إلى إبراز دور المؤسَّسات التَّربوية التَّعليمية في إدارة الأزمات، فتطرَّق إلى دور الأسرة في التربية على إدارة الأزمات، ثم دور المسجد، والمدرسة، والجامعات، ووسائل الإعلام...

3-رسالة ماجستير للطالب: نايف شعبان عبد الله قرموط، بعنوان: "الإدارة في سورة يوسف عليه السلام ـــ دراسة موضوعية ـــ" بإشراف الأستاذ: عصام العبد محمد زهد، نوقشت في الجامعة الإسلامية بغزة، سنة 2009م.

وبحث الطالب يتقاطع مع بحثي في الفصل الأخير حيث تناول فيه أداتين من أدوات الإدارة شرحًا وتفصيلاً وذكر العلاقة بينهما، وهما:

أ- إتِّخاذ القرار: وذكر ستَّة عشر قرارًا في سورة يوسف مع التَّحليل.

ب- إدارة الأزمات في العلوم الحديثة من حيث المفاهيم والأسس وأهمِّية القائد المتدرِّب، والفريق المتدرِّب في إدارة الأزمة، ثم ذكر الخطَّة التي عالج فيها يوسف عليه السلام رؤيا الملك من حيث التخطيط للإنتاج والاستهلاك والادِّخار.

ومما يلاحظ على هذه الرِّسالة أنَّ موضوع "إدارة الأزمات" لم يذكره الطَّالب إلَّا في الفصل الأخير وفي المبحث الأخير، ولم يكن مقتصرًا على إدارة يوسف عليه السلام للأزمة الاقتصادية بل أورد نماذج من علاج الأزمات في حياة الرَّسول ﷺ وحياة بعض خلفائه الرَّاشدين.

4-بحث منشور، للأستاذ: صبحي رشيد اليازجي، بعنوان: "إدارة الأزمات من وحي القرآن الكريم ــ دراسة موضوعية"، مجلة الجامعة الإسلامية، المجلد 19، العدد 2، ص ص 321 ــ 377، يونيو 2011م.

حيث تناول الباحث في المبحث الأول: مفهوم الأزمة، خصائصها، أسبابها، وأنواعها.

بينما كان الحديث في المبحث الثاني عن إدارة الأزمة، مراحلها، سبل الوقاية، وعلاجها.

أمَّا في المبحث الثالث: فقد تناول فيه الباحث مفهوم الإدارة بالأزمات.

أمَّا في المبحث الرابع والأخير فقد ضرب الباحث نماذج عملية لإدارة الأزمات من خلال القرآن الكريم.

إذا فإدارة الأزمات من خلال القرآن الكريم لم يتناوله الباحث إلا في المبحث الرابع والأخير وقد كان مختصرًا جدًّا.

5- كتاب لــ: محسن أحمد الخضيري، بعنوان "إدارة الأزمات: علم امتلاك كامل القوة في أشدِّ لحظات الضعف، ط1، مجموعة النيل العربية، القاهرة، 2003م.

حيث بيَّن الكاتب في الفصل التمهيدي كل ما يتعلَّق بعلم إدارة الأزمات، من توضيح للمفاهيم والمصطلحات، أما في الفصل الأول: فقد ذكر الأسس النَّظرية العامَّة لعلم إدارة الأزمات، أمَّا في الفصل الثاني فذكر احتياجات التَّعامل مع الأزمة، أمَّا في الثالث: فقد تناول الحديث فيه عن كيفية التَّعامل مع الأزمات...

وهو كتاب قيِّم استفدت منه كثيرًا، وقد كان مرجع غالبية الكتَّاب في علم إدارة الأزمات، وله مؤلفات أقدم من هذا المؤلف مثل: "إدارة الأزمات: منهج اقتصادي إداري متكامل لحل الأزمات"صدر في جامعة عين شمس، سنة 1990م.

الإضافة العلمية التي ننشدها بإذا الله تتمثَّل فيما يأتي:

1- كونها دراسة قرآنية موضوعية.

2- تشمل شتَّى أنواع الأزمات مفعّلة بنماذج من القرآن مع تناول جميع مراحل الأزمة، وسبل علاجها، وما يمكن أن نتعلَّمه منها.

أهمُّ المصادر:

تعتمد هذه الدِّراسة أساسًا على المصادر الآتية:

ـــ التَّفاسير القديمة والحديثة.

ـــ الكتب الحديثة في إدارة الأزمات.

صعوبات الدِّراسة:

واجه الباحث بعضًا من العقبات أهمّها:

1- ندرة المصادر في مجال علم إدارة الأمات.

2- قلَّة المصادر في مجال الدِّراسات القرآنية المتعلِّقة بهذا الموضوع.

3- وعورة المزج بين عِلمَين مهمَّين حديثين، هما: الدِّراسة القرآنية الموضوعية، وعلم "إدارة الأزمات".

منهجية الدِّراسة:

تعتمد هذه الدِّراسة الموضوعية على المنهج الوصفي القائم على:

1- الاستقراء الكلِّي: وذلك بجمع الآيات القرآنية المتعلِّقة بهذا الموضوع.

2- الاعتماد على الأسلوب التَّحليلي لفهم الآيات، والوقوف على معانيها ودقائقها من خلال الرُّجوع إلى أمَّهات كتب التَّفسير القديمة والحديثة، ثمَّ المصادر الحديثة ذات الصِّلة بعلم إدارة الأزمات.

3- التَّركيز على الاستنباط وإيضاح وجه الرَّبط بين موضوعات هذه الآيات، وإثرائها بذكر الحِكَم والفوائد بما يجعلها تلبِّي غرض الدِّراسة.

4- الاستشهاد بما صحَّ من حديث رسول الله ﷺ مما له علاقة مباشرة بالموضوع، مع ذكر شواهد من سيرته العطرة لإدارته ﷺ لبعض الأزمات في زمانه.

5- الرُّجوع إلى الكتب الحديثة في علم إدارة الأزمات.

حدود الدِّراسة:

تقتصر هذه الدِّراسة على تناول الأزمات الآتية: الاجتماعية، الاقتصادية، السِّياسية، العسكرية؛ وكلٌّ منها في فصل مستقلٍّ، وسبب الاقتصار على هذه الأنواع الأربعة من الأزمات؛ لأنَّها المنتشرة في واقع النَّاس، وهي أساس غيرها.

خطَّة الدِّراسة:

تشتمل هذه الدِّراسة على مقدِّمة وخمسة فصول وخاتمة موزَّعة على النَّحو الآتي:

في **الفصل الأول** تناول الباحث فيه الجوانب النَّظرية لعلم إدارة الأزمات، حيث اشتمل على تعريفات وشروحات لها صلة وثيقة بالبحث؛ لأنها بمثابة مفاتيح للولوج في هذا الموضوع، فقد قام الباحث بتوضيح مفردات عنوان الأطروحة، ثم توضيح مفهوم الأزمة، وأسباب نشوئها، وخصائصها، وأنواعها، ومراحلها، وآثارها، والهدف من إدارتها مع ربط كلٍّ ذلك بأمثلة من القرآن الكريم.

أمَّا في **الفصل الثاني** فقد تناول الباحث منهج القرآن الكريم في إدارته للأزمة الاجتماعية، وتمَّ اختيار أزمة حادثة الإفك المذكورة قصَّتها في سورة النُّور نموذجا لذلك.

فبيَّن الباحث في المبحث الأول مفهوم الأزمات الاجتماعية، وعن سبب اختيار أزمة حادثة الإفك دون غيرها من الأزمات الاجتماعية المذكورة في القرآن، ثم ذكر القصَّة الكاملة

للحادثة، أمّا في المبحث الثاني فقد كان الحديث فيه عن أسباب حادثة الإفك، وأهدافها، ومراحلها، أمَّا المبحث الأخير فقد تناول مراحل إدارة أزمة حادثة الإفك، وبيان منهج القرآن الكريم في التَّعامل مع أمثال هذا النَّوع من الأزمات.

بينما **الفصل الثالث** انصبَّ البحث فيه على بيان منهج القرآن الكريم في إدارته للأزمة الاقتصادية، وكانت قصَّة يوسف عليه السلام نموذجًا لها.

وقد كان المبحث الأول عبارة عن مدخل تعريفي بسورة يوسف عليه السلام، وبيان الوضع الاقتصادي في زمنه عليه السلام، ثمَّ التَّعريف بالأزمة الاقتصادية، وبيان سبب اختيار قصَّة يوسف عليه السلام كنموذج لإدارة هذه الأزمة، بينما المبحث الثاني تمَّ فيه تناول الأزمة الاقتصادية التي حلَّت زمن يوسف عليه السلام مع تبيان مراحلها، وكيفية إدارة كلِّ مرحلة، أما المبحث الثالث فقد كشف الباحث فيه عن السِّمات الشَّخصية اللَّازمة لقائد الأزمة، ومقوِّمات نجاح إدارة الأزمة.

أمَّا في **الفصل الرابع** فقد اختُصَّ ببيان منهج القرآن الكريم في إدارته للأزمة السِّياسية، وقد كانت قصَّة سليمان عليه السلام مع ملكة سبأ نموذجًا لها، وقد ذُكرت تفاصيل القصَّة في سورة النَّمل.

فجاء في المبحث الأول التَّعريف بالمملكتين، ثم بيان سبب اختيار القصَّة كنموذج لإدارة الأزمة السِّياسية، ثمَّ أسباب نشوء الأزمة السِّياسية بينهما، وخصائصها، أمَّا في المبحث الثاني فقد كان منصبًّا على بيان مراحل الأزمة السِّياسية بين المملكتين، وبيان خطوات إدارة كلِّ مرحلة، وفي المبحث الثالث فقد تمّ فيه إبراز معالم القيادة الرَّاشدة في إدارتها للأزمة السِّياسية، وبيان أسس نجاحها.

أمَّا **الفصل الخامس** والأخير: فقد كان الحديث فيه عن منهج القرآن الكريم في إدارته للأزمة العسكرية، وكانت غزوة الأحزاب المذكورة في سورة الأحزاب نموذجًا لذلك.

فالمبحث الأول كان التَّعريف فيه بأزمة غزوة الأحزاب، وبيان سببها، أمَّا في الثاني فقد كان عن خصائص هذه الأزمة، ومراحلها، أما في الثالث فقد استعرض الباحث فيه خطوات إدارة أزمة الأحزاب، وبيان صفات القيادة العسكرية.

أما الخاتمة فقد جاءت تبرز أهمَّ نتائج البحث.

ولا يسعني في ختام هذه المقدِّمة إلَّا أن أتقدَّم بالشُّكر والعرفان للأستاذ المشرف **الأستاذ الدكتور: خير الدين سيب** على ما قدَّمه خلال إشرافه على رسالتي هذه من العناية البالغة، والجهود العظيمة من علمٍ، ونصحٍ، وإرشادٍ، وتوجيهٍ... فجزاه الله خيرًا، وأجزل له العطاء في الدنيا والآخرة.

وأتوجَّه بالشُّكر الجزيل إلى كلِّ أساتذتي ومن مدَّ لي يد المساعدة، كما أقدِّم عظيم الشُّكر والامتنان لمن سيقرأ هذا البحث ويناقشه، ويقوِّمه ليصل إلى الغاية المنشودة.

وأسأل الله التوفيق والسَّداد، وهو يهدي إلى سواء السبيل، وصلَّى الله على سيِّدنا محمد وآله وأصحابه أجمعين.

غرداية في: 05 ذو الحجة 1436هـ

الموافق لـ: 18 سبتمبر 2015م.

الاسم واللقب: محمد بولقصاع.

الفصل الأول: إدارة الأزمات: مفهومها، أسبابها، خصائصها، مراحلها، أهدافها، أنواعها، آثارها.

المبحث الأول: التعريف بمفردات عنوان الأطروحة، وبيان المصطلحات ذات الصلة بالأزمة.

المبحث الثاني: الأزمات: "أسباب نشوئها، وخصائصها، ومراحلها" من منظور القرآن الكريم.

المبحث الثالث: الأزمات: "أنواعها، وآثارها، والهدف من إدارتها" من خلال القرآن الكريم.

الفصل الأول: إدارة الأزمات: مفهومها، أسبابها، خصائصها، مراحلها، أهدافها، أنواعها، آثارها.

يعدُّ مفهوم الأزمة من المفاهيم الواسعة الانتشار في المجتمع المعاصر، حيث أصبح يمسُّ بشكل أو بآخر كلّ جوانب الحياة إنْ على المستوى الاقتصادي، أو الاجتماعي، أو السياسي، أو الأخلاقي، أو الفكري... بدءاً من الأزمات التي تواجه الفرد مروراً بالأزمات التي تمرُّ بها المجتمعات والحكومات والمؤسَّسات وانتهاءً بالأزمات الدُّولية، حتى صار يطلق على هذا العصر بـــ "عصر الأزمات".

وعالم الأزمات عالم حيٌّ ومتفاعل، عالمٌ له أطواره، وله خصائصه، وأسبابه، تتأثَّر به الدَّولة أو الحكومة فيتأثَّر به أصغر فرد موجود في المجتمع البشري.

ولِما للأزمات وإدارتها من أهمية كبيرة تتطلب حلولًا دقيقة والتَّعامل معها بشكل فعَّال يؤدِّي إلى الحدِّ من النَّتائج السَّلبية لها، والاستفادة ما أمكن من نتائجها الإيجابية... من هذا المنطلق فإنَّ على الباحث أن يقوم أوَّلًا بتوضيح مفهوم إدارة الأزمات، وأسباب نشوئها، وبيان أنواعها.

وقبل كل ذلك فإنَّ المسلم يتميَّز عن غيره بمنهج قويم ينير له الطَّريق المستقيم ويخرجه من واقع ظلمات الأزمات إلى نور السَّعادة والحياة الطيبة؛ ذلك هو منهج القرآن الكريم الذي جعل الله فيه هدايات ومنارات ليعيش حقيقتها الإنسان ويتذوَّق منها حلاوة طعم الحياة، ولذا كان لزامًا علينا قبل كلِّ شيء أن نبيِّن مفهوم منهج القرآن الكريم.

المبحث الأول: التعريف بمفردات عنوان الأطروحة، وبيان نظائر الأزمة في القرآن الكريم.

المطلب الأول: التعريف بمفردات عنوان الأطروحة.

الفرع الأول: مفهوم "منهج القرآن الكريم".

أوَّلا: مفهوم المنهج لغة واصطلاحا.

أ- المنهج لغة:

يقول الرَّاغب الأصفهاني: "النَّهْجُ: الطريقُ الوَاضِحُ، ونَهَجَ الأمْرُ وأَنْهَجَ: وَضَحَ،... ومنه قولهم: نَهَجَ الثَّوْبُ وأَنْهَجَ: بَانَ فِيهِ أَثَرُ البِلَى"[1]، ومنه قوله تعالى: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة: 48]، أي: "طريقا واضحا في الدين تَجــْرُون عليه"[2].

ويقول ابن منظور: "وأَنْهَجَ الطريقُ: وضَحَ واسْتَبانَ وَصَارَ نَهْجاً واضِحاً بَيِّناً، والمِنهاجُ: الطريقُ الواضِحُ. واسْتَنْهَجَ الطريقُ: صَارَ نَهْجاً"[3]، ومن جملة ما قاله العباس ﷺ عمُّ الرسول ﷺ لما توفي ﷺ: «وَتَرَكَكُمْ عَنْ حُجَّةٍ بَيِّنَةٍ، وَطَرِيقٍ نَاهِجَةٍ»[4]، "والنَّاهجة الواضحة البيِّنة، وقد نَهَجَ الأمْر وأَنْهَج لغتان إذا وَضُح، وطريق نهج أي: بيِّن"[5]

ومن هذا يتبيَّن لنا أنَّ المنهج أو المنهاج هو: الطَّريق الواضح المستقيم الذي يسير فيه السَّالك.

---

1 ــ الأصفهاني الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، تح: صفوان عدنان الداودي، ط1، دار القلم، دمشق، 1412 هــ، ص825.

2 ــ الزمخشري محمود بن عمرو بن أحمد، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، ط3، دار الكتاب العربي، بيروت، 1407 هــ، ج1، ص936.

3 ــ ابن منظور محمد بن مكرم بن على، لسان العرب، ط3، دار صادر، بيروت، 1414 هــ، ج2، ص383، مادة: نهج.

4 ــ الصنعاني عبد الرزاق بن همام، مصنف الصنعاني، تح: حبيب الرحمن الأعظمي، ط2، المكتب الإسلامي، بيروت، 1403 هــ، كتاب المغازي، باب بدء مرض رسول الله ﷺ، ج5، ص433، رقم الحديث: 9755. يقول البوصيري: "رَوَاهُ إِسْحَاقُ وَرِجَالُهُ ثِقَاتٌ إِلَّا أَنَّهُ مُنْقَطِعٌ، وَرَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ مِنْ طَرِيقِ ابْنِ عُيَيْنَةَ، عَنْ أَيُّوبَ، عَنْ عِكْرِمَةَ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، عَنِ الْعَبَّاسِ، فَهُوَ مُتَّصِلٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ". [البوصيري أحمد بن أبي بكر بن إسماعيل، إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة، تح: دار المشكاة للبحث العلمي بإشراف أبو تميم ياسر بن إبراهيم، ط1، دار الوطن، الرياض، 1999م، ج2، ص527، رقم الحديث: 2038].

5 ــ الخطابي حمد بن محمد بن إبراهيم، غريب الحديث، تح: عبد الكريم إبراهيم الغرباوي، د.ط، دار الفكر، بيروت، 1982م، ج2، ص241.

ب ــ المنهج اصطلاحا:

المنهج هو الطريق المؤدِّي إلى التَّعرف على الحقيقة في العلوم، بواسطة طائفة من القواعد العامَّة والتي تهيمن على سير العقل وتحدِّد عملياته حتَّى يصل إلى نتيجة معلومة [1].

وعلى هذا المعنى الاصطلاحي تجتمع تعريفات المفسِّرين فعلى سبيل المثال:

يقول الطبري في تأويل قوله تعالى: ﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾ [المائدة: 48]، أمَّا المنهاج فإنّ أصله: الطَّريقُ البيِّن الواضح، يقال: طريق نَهْجٌ، وَمنهْجٌ بيِّنٌ، فمعنى الكلام: لكلِّ قوم منكم جعلنا طريقًا إلى الحقِّ يؤمُّه، وسبيلًا واضحًا يعمل به [2].

أمَّا الماتريدي فيقول: "المنهاج: السَّبيل، ويعني: الطَّريق الواضح الذي يتَّضح لكلِّ سَالك فيه إلَّا المعاند والمكابر؛ فإنَّه يترك السُّلوك فيه مكابرة"[3].

ويقول محمد رضا: "وأما المنهاج، فإنَّ أصله الطَّريق البيِّن الواضح، يقال منه: هو طريق نهج ومنهج بيِّن"[4].

فبناء على هذه الأقوال من أهل العلم يتَّضح لنا أنَّ المنهج في الاصطلاح هو الطَّريق المستقيم الواضح المعالم، والذي يُسلك على أسس علمية قصد التَّوصل إلى نتائج وأهداف معلومة.

ومن الملاحظ أن مصطلح "منهج" كثيرًا ما يرد مضافًا إلى كلمة أخرى، أو ما يعبَّر عنه بالمركَّب الإضافي على شاكلة ما ورد في عنوان الأطروحة: "منهج القرآن الكريم في

---

1 ــ ينظر: موسى جلال محمد عبد الحميد، منهج البحث العلمي عند العرب، دار الكتاب المصري، د.ت، ص273.

2 ــ ينظر: الطبري محمد بن جرير، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، دار الفكر، بيروت، 1405هـ، ج10، ص384.

3 ــ الماتريدي محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور، تأويلات أهل السنة، تح: مجدي باسلوم، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2005 م، ج3، ص535.

4 ــ محمد رشيد رضا، تفسير القرآن الحكيم [المشهور بتفسير المنار]، دار الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1990م، ج6، ص342.

إدارة مختلف الأزمات" وأعني به: طريقة القرآن الكريم في إدارته لمختلف الأزمات، ونفس الشَّيء إذا قلنا منهج المفسِّر فلان، فالمقصود بيان طريقته في التَّفسير.

أما إضافة المنهج إلى القرآن الكريم فلأن المناهج مختلفة ومتنوِّعة فمنها منهج الفقهاء، ومنهج المحدِّثين، ومنهج الفلاسفة، ومنهج التَّربويِّين....وهي على قسمين: مناهج صحيحة ومناهج فاسدة، أمَّا منهج القرآن الكريم فهو منهج ربَّاني متميِّز ومتفرِّد في وسائله وفي أهدافه بشكلٍ ظاهرٍ يُلفِت النَّظر، ويدعو إلى التَّفكُّر... وحيث إنَّ البشرية لم تعرف في تاريخها كلِّه نظامًا بهذه السَّعة وهذا الشُّمول وهذه الإحاطة، بحيث لا يندُّ عنه شيء في حياة الإنسان، ولا لحظة من حياته، لا تقع في محيط منهاجه الشَّامل الدَّقيق. وتظل له مزيَّة أخرى فوق ذلك: هي أن هذه السعة وهذه الإحاطة لا تخرجان به عن وحدة الهدف ووحدة الطريق. فهو ليس طرائق قددًا كلٌّ منها يؤدِّي إلى غاية منفصلة، ويجذب النَّفس في اتِّجاه، فتتمزَّق بين الشَّدِّ والجذب، وإنَّما هو طريقٌ واحدٌ وغايةٌ واحدةٌ، تجمع كلَّ شتات النَّفس وتوحِّدها. فتستقيم على النَّهج، وتتجمَّع على الغاية. فتلتقي النَّفس من داخلها في سلام بعضها مع بعض، وفي سلام من خارجها مع الكون والنَّاس والحياة [1].

ثانيا: مفهوم القرآن لغة واصطلاحا.

أ- لغة:

لقد ذهب العلماء في أصل كلمة "القرآن" مذاهب فمنهم من رأى بأنَّه علم، وممن قال بذلك الإمام الشافعي ﷺ حيث يقول: "القرآن اسم وليس بمهموز، ولم يُؤخذ من «قرأت»، ولو أُخذ من «قرأت» لكان كل ما قُرئ قرآنًا، ولكنَّه اسم للقرآن، مثل: التَّوراة والإنجيل"[2].

---

[1] ــ ينظر: محمد قطب، منهج التربية الإسلامية، ط 16، دار الشروق، 1414هـ، ج1، ص12.

[2] ــ ينظر: الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، تح: بشار عواد معروف، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2002 م، ج2، ص392.

ومنهم من يرى بأنَّه مشتق؛ لكنَّهم اختلفوا في اشتقاقه أهو من "قَرَنَ" أم من "قَرَأَ"، ومن قال بأنَّه من: قَرَنَ، فالخلاف بين معنيين: الضَّمُّ والقرائن، ومن قال بأنَّه من: قَرَأَ فالخلاف كذلك بين معنيين هما: قرأ بمعنى: جمع أو بمعنى تَلَا [1].

لكنَّ الأصحَّ أن لفظة "القرآن" مشتقَّة، وهي بمعنى: تَلَا، حيث يؤيِّد القرآن نفسه هذا المعنى اللُّغوي، وذلك في قوله تعالى: ﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ﴾ [القيامة: 16 - 18]، فقد ذكر الله ﷻ القراءة في الآية وهي بمعنى التِّلاوة، ثم أتبعها بذكر المصدر [2].

ب- اصطلاحا:

القرآن الكريم في الاصطلاح هو: "كلام الله، المعجز، المنـــزَّل على محمد ﷺ، المتعبَّد بتلاوته، المنقول بالتَّواتر، المكتوب في المصاحف"[3].

ثالثا: مفهوم "منهج القرآن الكريم" كمركب إضافي.

أعني به [4]: الطَّريق القويم الذي وضعه الله ﷻ في كتابه وارتضاه للنَّاس من أجل أن يسلكوه حتَّى يأْمَنوا من الوقوع في الأزمات التي تحدق بهم، أو ليعرفوا كيفيَّة التَّعامل معها أثناء حدوثها للخروج منها بأسرع وقت وبأقل الخسائر، وفي حال الإعراض عن هذا المنهج القرآني كاستبداله بمناهج بشريَّة؛ فإنَّ ذلك إيذانٌ بحلول الأزمات والوقوع في الضَّنك،

---

[1] ــ ينظر: الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، مصدر سابق، ص ص: 668 ــ 669. وقد نقل هذا الاختلاف في اشتقاق لفظة "القرآن" الإمام السيوطي في إتقانه [ينظر: السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1974م، ج1، ص182].

[2] ــ ينظر: الزرقاني محمد عبد العظيم، مناهل العرفان في علوم القرآن، ط3، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ج1، ص14. وينظر: المجالي محمد خازر، الوجيز في علوم الكتاب العزيز، ط5، جمعية المحافظة على القرآن الكريم، 2010م، ص12.

[3] ــ ينظر: دراز محمد بن عبد الله، النبأ العظيم، اعتنى به: أحمد مصطفى فضلية، دار القلم للنشر والتوزيع، 2005م، ص ص43 ــ 44. وينظر: صبحي الصالح، مباحث في علوم القرآن، ط24، دار العلم للملايين، 2000م، ص21.

[4] ــ حسب اطلاع الباحث على الكتب المتخصصة في إدارة الأزمات لم أجد تعريفا ولو من قريب لمنهج القرآن الكريم في إدارته للأزمات، فاجتهدت في اقتراح هذا التعريف وغيره مما سيأتي لاحقا، ذلك لأنَّ هذا العلم تعد نظرياته حديثة ولمَّا تمزج بعد مع الدراسات القرآنية المتخصصة.

قال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ ﴾ [طه: 124].

ويمكن اختصاره أكثر، وأقترح بأنَّه: مجموعة من القواعد البيِّنة، والأساليب الواضحة التي انتهجها القرآن في تناوله ومعالجته لمختلف الأزمات التي يمرُّ بها الإنسان على وجه المعمورة لأجل إسعاده.

رابعا: سمات تطبيق منهج القرآن الكريم في إدارة مختلف الأزمات.

إنَّ المنهج القرآني هو المنهج الوحيد الذي ظهر على الأرض يخاطب البشر في كلِّ زمان ومكان وعلى اختلاف ألسنتهم وألوانهم، وظهر أثره في إصلاح الأفراد والمجتمعات، وفي علاج مختلف الأزمات التي تعاني منها البشريَّة بمنهج قويم وفعَّال، فأدَّى دوره ومهمَّته على أكمل وجه وأفضله، وقد بيَّن الله ﷻ مدى صلاحيَّة منهجه بقوله: ﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾ ﴾ [فصلت: 53].

يقول سيد قطب: "إنَّه وعد الله لعباده- بني الإنسان- أن يطلعهم على شيء من خفايَا هذا الكون، ومن خفايَا أنفسهم على السَّواء. وَعَدَهم أن يريهم آياته في الآفاق وفي أنفسهم، حتى يتبيَّن لهم أنَّه الحق. هذا الدِّين. وهذا الكتاب. وهذا المنهج. وهذا القول الذي يقوله لهم" [1].

وبالتَّطبيق الفعلي لمنهج القرآن الكريم ستسعد الأمَّة حتمًا وتعيش حياة الأمن والاستقرار، وتخرج من أزماتها التي فتكت بها ردحًا من الزَّمان، ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾ ﴾ [يونس: 57 – 58].

---

[1] ــ سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي، في ظلال القرآن، ط17، دار الشروق، القاهرة، 1412هـ، ج5، ص3130.

ومن هنا فإنَّ تفعيل منهج القرآن الكريم في إدارة مختلف الأزمات ليتَّسم بخصائص متميِّزة أهمُّها ما يأتي:

1- أنَّه منهج متكامل، إذ يعالج الأزمات روحيًّا وواقعيًّا وعلى كافَّة الأصعدة.

2- أنَّه منهج متنوِّع الأساليب والوسائل، وذلك من أجل إصلاح الإنسان وسعادته في الدَّارين.

3- أنَّه منهج ربَّاني، فهو يعالج الأزمات من خالقها مع تقديمها للمتأزمين بجرعات محدَّدة ومركَّزة، ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾ ﴾ [الملك: 14].

4-أنَّه منهج شمولي، حيث إنَّ علاجه لمختلف الأزمات تستفيد منها البشرية جمعاء على مدار الزَّمان واختلاف المكان ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٤﴾ ﴾ [يوسف: 104] [1].

5- تعلُّم إدارة الأزمات وفق منهج القرآن الكريم يَقِي صاحبه من الوقوع في الأزمات؛ ويُكسبه الحصانة أيضًا؛ لأنَّه منهج عادل يتعامل وفق السُّنن الإلهية في الكون فلا يظلم ولا يحابي ولا يجور، ﴿ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلْأَوَّلِينَ ۚ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا ﴿٤٣﴾ ﴾ [فاطر: 43].

6- منهج القرآن الكريم في معالجته للأزمات مقاصدي، إذ يهدف أساسًا إلى إصلاح النُّفوس، وتربيتها، وإرجاعها إلى جادة الصَّواب بدل الانتقام والتشفي، ﴿ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ [السجدة: 21].

---

[1] ــ ينظر: رمضان يوسف الصيفي، رسالة ماجستير بعنوان: منهج القرآن الكريم في التعامل مع جرائم اليهود، إشراف: زكريا بن إبراهيم الزميلي، جامعة غزة، فلسطين، 2009م، ص: 4.

7- منهج القرآن الكريم في إدارته للأزمات منهج يجمع بين التَّأصيل والتَّطبيق، فيؤصل للأزمة من الجانب النَّظري، كما يقدِّم تطبيقات عملية واقعية لها من خلال قصصه.

8- منهج القرآن الكريم يهتمُّ بإعداد الأداة الفعَّالة لمعالجة الأزمات، وهم: القادة والكوادر إذ يكوِّنهم تكوينًا شموليًّا سواء في الجانب المادِّي، أو الرُّوحي، أو النَّفسي.

9- منهج القرآن الكريم في إدارته للأزمات منهج يعتمد على التَّحلية والتَّخلية، والأمر والنَّهي، فيؤصِّل لقيمٍ ومبادئ، ويجتثُّ لعللٍ ومساوئ، تحقيقًا لمصلحة الإنسان وهي سعادته في الدُّنيا والأخرى.

10- المنهج القرآني منهج هيبة وهيمنة على النُّفوس، له قُدْسيته وعصمته؛ لذا فهو السَّبيل الأمْثل والأوْحد في علاج مختلف الأزمات، إذ يجمع بين الرُّوح والمادَّة، وبين السُّنن والواقع.

الفرع الثاني: تعريف الإدارة في اللُّغة والاصطلاح.

أ- الإدارة في اللغة:

الإدارة في جذرها اللُّغوي تعني جَعْل الشَّيء يدور، تقول: دَارَ الشيءُ يَدُورُ دَوْراً ودَوَرَاناً ومنه دوران العمامة [1]، ومن استعمالها بهذا المعنى ما جاء في قوله تعالى: ﴿**إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ**﴾ [البقرة: 282]، أي: "تَتَداولونها وتَتَعاطونها"[2]، وفيه معنى الدَّوران لأنَّ المال يدور بين هؤلاء التُّجَّار.

وقد بوَّب لهذا المعنى الإمام مسلم في صحيحه حيث قال: "بَاب اسْتِحْبَابِ إِدَارَةِ الْمَاءِ وَاللَّبَنِ وَنَحْوِهِمَا عن يَمِينِ الْمُبْتَدِئِ"[3]. واللَّفظة بهذا المعنى متداولة منذ القديم في كتب

---

[1] ــ ينظر: ابن منظور محمد بن مكرم، لسان العرب، مصدر سابق، ج4، ص295، باب: دَوَرَ.

[2] ــ الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، مصدر سابق، ص322.

[3] ــ مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، صحيح مسلم، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث، بيروت، كتاب الأشربة، بَاب اسْتِحْبَابِ إِدَارَةِ الْمَاءِ وَاللَّبَنِ وَنَحْوِهِمَا عن يَمِينِ الْمُبْتَدِئِ، ج3، ص1603.

الفقهاء، فهذا الإمام الشافعي في كتابه الأمِّ يقول: "وَيُعْطَى أَعْوَانُ إدَارَةِ والي الصَّدَقَةِ بِقَدْرِ مَعُونَاتِهِمْ عليها وَمَنْفَعَتِهِمْ فيها"[1].

وبرجوعنا إلى القرآن الكريم نجده خاليًا من كلمة "الإدارة" إلا ما جاء عن مشتقٍّ لها في موضع واحد "تديرونها بينكم"، ومع أهمِّية هذه الكلمة في واقع النَّاس ومعاشهم؛ إلَّا أنَّنا نجد أنَّ القرآن الكريم قد حوى على معاني الإدارة ومضامينها في آيات عدَّة فمن ذلك على سبيل المثال لا الحصر:

- ✓ ــ الأمَّة: كقوله تعالى: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ﴾ [آل عمران: 110]، فكلُّ أمَّة أو جماعة زكَّاها الله في كتابه إنَّما ينبعث ذلك ضمنًا من حسن إدارتهم لأمورهم وتدبيرهم لها أحسن تدبير.
- ✓ ــ الشُّورى: ﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ﴾ [آل عمران: 159]، والشُّورى وسيلة مهمَّة تخدم المفهوم الإداري، حيث يستفاد من أصحاب الرَّأي السَّديد، ولا يكون القرار حِكرًا على فئة دون أخرى، ويساعد ذلك في احترام القرارات الصَّادرة؛ لأنَّها ليست من شخص بل من أشخاص متعدِّدين ولا يكون ذلك إلا في مصلحة الجميع [2].
- ✓ ــ أولو الأمر: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ ﴾ [النساء: 59]، وأولو الأمر هم أهل الحلِّ والعقد من الأمَّة سواء كانوا من العلماء أو الأمراء [3]، وهم الذين يديرون شؤون البلاد ويرعون مصالحها.

وكالبيعة، والخلافة، والفئة، والرَّهط، والطَّائفة... وغير ذلك من المفردات التي وردت في القرآن والتي لا تقوم مصالحهم إلا على الإدارة المثلى.

---

[1] ــ الشافعي أبو عبد الله محمد بن إدريس، الأم، ط2، دار المعرفة، بيروت، 1393هـ، ج2، ص72.

[2] ــ ينظر: الفهداوي فهمي خليفة، الإدارة في الإسلام ــ المنهجية والتطبيق والقواعد، ط1، دار المسيرة، عمّان، 2001م، ص217.

[3] ــ ينظر: الرازي محمد بن عمر، مفاتيح الغيب، ط1، دار الكتب العلمية بيروت، 1421هـ، ج10، ص116.

ب- الإدارة في الاصطلاح:

عرَّفها ماجد الحلو بقوله: "الإدارة استخدام جهد مشترك لتحقيق هدف موحَّد"[1].

ويعرِّفها جميل أبو العينين بقوله: "إنَّ الإدارة التي تستند إلى نصوص القرآن الكريم وتوجيهات السُّنَّة النَّبوية الشَّريفة، وهما مصدرا التَّشريع الأساسيان لا ريب أنَّها إدارة عقيدة في مقامها الأوَّل... فالإسلام لم يقتصر على العبادات فقط بل هو نظام شامل وكامل للحياة"[2].

حقًّا فإدارةٌ بمنهج القرآن الكريم إدارة تمزج بين الرُّوح والمادَّة بخلاف الإدارة الغربية المقتصرة على الجانب المادِّي البحت الذي يفتقد إلى الجانب الأخلاقي والرُّوحي فهي إدارة نفعية آنية.

فالإدارة الإسلامية إدارة ذاتُ رسالة سماوية تستمدُّ منهجها من وحي السَّماء فتجمع بذلك بين العلم والإيمان والكفاءة في الأداء مع الاحتفاظ بالقيم والأخلاق [3].

نخلص مما سبق أنَّ مفهوم الإدارة لا بدَّ أن يكون شاملًا على ما يأتي:

- ✓ ـــ توفُّر جهد مشترك، فالجهد الفردي لا يوصف بالإدارة.
- ✓ ـــ الإدارة تتطلَّب كفاءة تجمع بين العلم والرُّوح.
- ✓ ـــ العملية الإدارية لها هدف معيَّن من خلالها يتمُّ تحديد نوع الأعمال اللَّازمة لتنفيذها.

الفرع الثالث: تعريف الأزمة في اللُّغة والاصطلاح.

أ- الأزمة لغة:

الأَزْمةُ في اللُّغة هي: الشِّدة والقحط، وأزَم عن الشَّيء أمسك عنه، و المَأْزِمُ المضِيقُ وكلُّ طريق ضيِّق بين جبلين مأزِم، وموضع الحرب أيضًا مأزم، ومنه سمِّي الموضع الذي بين

---

[1] ـــ ماجد راغب الحلو، علم الإدارة العامة ومبادئ الشريعة الإسلامية، دار الجامعة الجديدة، الإسكندرية، 2007م، ص7.

[2] ـــ أبو العينين جميل جودت، أصول الإدارة في القرآن والسنة، ط1، دار ومكتبة الهلال، 2002م، ص56.

[3] ـــ المطيري حزام، الإدارة الإسلامية المنهج والممارسة، دار الفرزدق، الرياض، 1997م، ص 18.

المشعر وبين عرفة مأزمين [1]، والأَوازِمُ: "السِّنون الشَّدائِدَ كالبَوازِم. وأَزَمَ عليهم العامُ والدَّهرُ يَأْزِمُ أَزْماً وأَزُوم، والمُتَأَزِّمُ: المُتَأَلِّم لأَزْمَةِ الزَّمان وشِدَّته وأَزَمَتْهم السنة أَزْماً: استأْصَلَتهم، ويقال: أَصابتنا أَزْمَة وآزمة أَي: شدّة" [2].

وهناك لفظ مرادف للأزمة وهو لزبة أو أزبة، يقال: "أَصابَتْهم أَزْبَةٌ ولَزْبَةٌ أَي: جَدْبٌ ومَحْلٌ" [3].

ولا ينحصر معنى الأزمة في الشِّدَّة والجدب بل يتعدَّى إلى المصائب والابتلاءات ومن ذلك ما روي في الأثر عن علي بن أبي طالب ﷺ قال: كان رسول الله ﷺ يقول: «اشْتَدِّي أَزْمَة تَنْفَرِجِي»[4]، "والمراد: ابلغي في الشِّدَّة النِّهاية، حتى تنفرجي، وذلك أنَّ العرب كانت تقول: إنَّ الشِّدة إذا تناهت انفرجت"[5].

ب- الأزمة اصطلاحا:

تعدَّدت التَّعاريف التي تناولت مفهوم الأزمة تبعًا لاختلاف المجالات والمستويات التي يتناولها الباحثون أثناء دراستهم للأزمات، وكذلك لتعدُّد أنواع الأزمات وأسبابها وتصنيفاتها المختلفة وقد وردت مجموعة من التَّعاريف للأزمة وأهمُّها:

ـــ تهديد خطير يمكن أن يعصف بأهداف وقيم ومعتقدات وممتلكات الأفراد والمنظَّمات والدُّول، سواء كان الخطر متوقعًا أم غير متوقع... وأنَّها لحظة حرجة وحاسمة

---

1 ـــ ينظر: الرازي أبو عبد الله محمد بن أبي بكر، مختار الصحاح، تح: يوسف الشيخ محمد، ط 5، المكتبة العصرية، بيروت، 1999م، ج1، ص17.

2 ـــ ابن منظور، لسان العرب، مصدر سابق، ج12، ص ص16 ـــ 17.

3 ـــ ابن الأثير أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري، النهاية في غريب الحديث الأثر، تح: طاهر محمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت، 1399هـ، ج1، ص 44، بَابُ الْهَمْزَةِ مَعَ الزَّاي.

4 ـــ القضاعي محمد بن سلامة بن جعفر، مسند الشهاب، تح: حمدي عبد المجيد السلفي، ط2، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1986م، ج1، ص436. قال العجلوني: "رواه العسكري والديلمي والقضاعي بسند فيه كذاب عن علي، قال: كان رسول الله ﷺ يقوله، والأزمة: الشدة وسنة القحط والمجاعة"[العجلوني اسماعيل بن محمد، كشف الخفاء ومزيل الإلباس، تح: عبد الحميد هنداوي، ط1، المكتبة العصرية، 2000م، ج1، ص145].

5 ـــ السخاوي محمد بن عبد الرحمن، المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة، تح: محمد عثمان الخشت، ط1، دار الكتاب العربي، بيروت، 1985م، ص116.

تتعلَّق بمصير الكيان الإداري الذي أصيب بها، مشكِّلة بذلك صعوبة حادَّة أمام متَّخذ القرار تجعله في حيرة بالغة[1].

ـــ "هي تلك النُّقطة الحرجة واللَّحظة الحاسمة التي يتحدَّد عندها مصير تطوُّر ما، إمَّا إلى الأفضل وإمَّا إلى الأسوأ: الحياة أو الموت، الحرب أو السِّلم، لإيجاد حلٍّ لمشكلة ما أو انفجارها"[2].

ـــ "خللٌ مفاجئ نتيجة لأوضاع غير مستقرَّة، يترتَّب عليها تطوُّرات غير متوقَّعة نتيجة لعدم القدرة على احتوائها من قبل الأطراف المعنية"[3].

ـــ هي موقف قدَّره الله ﷻ وقضاه، ويتَّصف بالصُّعوبة والشِّدَّة، ومؤدِّيا إلى الحيرة والاضطراب وانقلاب الموازين، ومتسبِّبًا في سوء الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية..، وقد يكون بداية أمر يُرى خيرًا، يتَّسع مداه ليشمل كل ما يصيب الكيان كبر أم صغر هذا المصاب، ودرجة تأثيره متغيرة بحسب من تصيبه، وتأتي فجأة مباغتة، ممهّد لها بأحوال، ظاهرها انتعاش مسيرة الكيان ولا بد لهذا الموقف من أن ينتهي ويستبدل بالفرج ويبقى على من بقي مقيمًا على أسبابه [4].

وخلاصة هذه التَّعاريف السَّابقة مفادها أنَّ الأزمة تتَّسم بالخصائص الرَّئيسة الآتية:

- ـــ المفاجأة والصَّدمة وانتشار حالة من الذُّعر لدى الأوساط.
- ـــ غالبًا ما تتسبَّب الأزمة في وقوع خسائر سواء كانت بشرية أو مالية، وأحيانًا تخلِّف صدمات نفسية.
- ـــ تتطلَّب الأزمة للخروج منها كوادر مؤهَّلة، ومعلومات مقنَّنة للخروج منها بأقلِّ الخسائر.

---

1 ـــ ينظر: الخضيري محسن أحمد، إدارة الأزمات علم امتلاك كامل القوة في أشد لحظات الضعف، ط1، مجموعة النيل العربية، القاهرة، 2003م، ص ص: 113 ـــ 116.

2 ـــ العماري عباس، إدارة الأزمات في عالم متغير، ط1، مركز الأهرام، القاهرة، 1414هـ، ص25.

3 ـــ عثمان محمد مختار، مبادئ علم الإدارة العامة، بنغازي، جامعة قار، 1991، ص66.

4 ـــ ينظر: شقرة محمد عاصم، نحو أنموذج إسلامي لإدارة الأزمات، إشراف: ربحي الحسن محمد الذنيبات، رسالة ماجستير، عمّان، 1995م، ص ص53 ـــ 55.

من خلال هذه التَّعاريف وغيرها يمكن أن أقترح تعريفًا جامعًا مانعًا للأزمة وأقول: هي شدَّة تصيب الأفراد والجماعات مؤدِّية إلى اضطراب في الأوضاع وإخلالٍ بالموازين، متأتِّية على نواحٍ وجهات عدَّة من مجالات الحياة، مقتضية اتخاذ قرار فعّال وموقف حاسم لأجل الحدِّ من تفاقمها، والسَّعي من التَّقليل في الخسائر قدر المستطاع.

الفرع الرابع: تعريف إدارة الأزمات كمركب إضافي.

"إدارة الأزمة هي علم وفنُّ السَّيطرة على الموقف وتوجيهه بما يخدم أهدافًا مشروعةً من خلال أحداث الموقف، وتوجيهه بما يخدم أهداف مشروعة من خلال إدارة الأزمة ذاتها من أجل التَّحكم في ضغطها ومسارها واتجاهها"[1].

وعرِّفت بأنها "عملية إدارةٍ خاصَّة من شأنها إنتاج استجابةٍ استراتيجية، لمواقف الأزمات، من خلالِ مجموعةٍ من الإداريِّين المنـــتقين مسبقاً والمدرَّبين تدريباً، والذين يستخدمون مهاراتهم بالإضافة إلى إجراءاتٍ خاصة، من أجل تقليل الخسائر إلى الحدِّ الأدنى"[2].

إذا فالهدف من إدارة الأزمات يكمن في السَّعي بالإمكانات البشرية المؤهَّلة، والمادِّية المتوفِّرة إلى إدارة الموقف وفق منهج قرآني مؤدِّيًا بنا إلى النَّتائج الآتية:

- وقف التَّدهور والتَّقليل من الخسائر، (التَّحكُّم في الموقف).
- تأمين وحماية العناصر الأُخرى المكوِّنة للكيان الأزموي.
- السَّيطرة على حركة الأزمة والقضاء عليها.
- الاستفادة من الموقف النَّاتج عن الأزمة في الإصلاح والتَّطوير.
- دراسة الأسباب والعوامل التي أدَّت للأزمة، لاتِّخاذ إجراءات الوقاية لمنع تكرارها، أو حدوث أزمات مشابهة لها مستقبلاً.

---

[1] ــ الخضيري محسن أحمد، إدارة الأزمات: منهج اقتصادي إداري لحل الأزمات على مستوى الاقتصاد القومي والوحدة الاقتصادية، مكتبة مدبولي القاهرة، 1990، ص 17.

[2] ــ أحمد جلال عز الدين، إدارة الأزمة في الحدث الإرهابي، المركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب، الرياض، 1990م، ص 23.

المطلب الثاني: من نظائر الأزمة في القرآن الكريم.

إنَّ لفظة الأزمة لم ترد في القرآن الكريم وحتَّى مشتقاتها؛ لكنَّ الذي ورد بشكل كبير وواسع مرادفات تدلُّ على المعنى الاصطلاحي للأزمة، حيث نجد أنّ القرآن الكريم يعبِّر عن الأزمة بألفاظ متنوِّعة، وفي أماكن متفرِّقة كلُّها تدلُّ على المعنى الاصطلاحي للأزمة ومن ذلك:

أوَّلا: المصيبة.

"أصابته مصيبة فهو مصاب والصَّابة والمصيبة ما أصابك من الدَّهر.. والجمع مصاوِب ومصائب، ابتلاه بالمصائب ليثيبه عليها وهو الأمر المكروه ينزل بالإنسان" [1]، "والمصيبة أصلها في الرَّمية ثم اختُّصت بالنَّائبة" [2].

وقد عبَّر القرآن الكريم بلفظ المصيبة بدل الأزمة في مواطن عديدة منها قوله تعالى ﴿ أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةٞ قَدۡ أَصَبۡتُم مِّثۡلَيۡهَا قُلۡتُمۡ أَنَّىٰ هَٰذَاۖ قُلۡ هُوَ مِنۡ عِندِ أَنفُسِكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ١٦٥ ﴾ [آل عمران: 165]، فالله سمَّى الأزمة التي حلَّت بالمؤمنين يوم أحد بالمصيبة، كما دعاهم تعالى إلى تجاوز هذه المحنة بتذكيرهم إياهم بوقيعتهم بالكفَّار يوم بدر إذ كانت ضِعْفَي ما أصابهم، ثمَّ أرشدهم بالاعتراف بالأزمة وتقبُّلها مع صرف إلقاء اللَّوم على الآخرين؛ لأنَّها كانت صنيعة أنفسهم بسبب تنازعهم في الأمر وعصيانهم للإدارة الحكيمة التي خطَّها رسول الله ﷺ لهم بأن لَّا ينزلوا من الجبل[3]، يقول تعالى موضِّحًا ذلك: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلۡتُمۡ وَتَنَٰزَعۡتُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِ وَعَصَيۡتُم مِّنۢ بَعۡدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَۚ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنۡيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلۡأٓخِرَةَۚ ثُمَّ صَرَفَكُمۡ عَنۡهُمۡ لِيَبۡتَلِيَكُمۡۖ وَلَقَدۡ عَفَا عَنكُمۡۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١٥٢ ﴾ [آل عمران: 152].

---

[1] ــ ابن منظور، لسان العرب، مصدر سابق، ج1، ص ص: 535 ــ 536.

[2] ــ الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ص495.

[3] ــ ينظر: الألوسي أبو الفضل شهاب الدين محمود بن عبد الله، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1415هـ، ج2، ص327.

ومن استعمالات القرآن الكريم للفظة المصيبة والتي ترادف مصطلح الأزمة ما جاء في قوله تعالى: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ ۗ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾ [البقرة: 155 –157].

يقول القرطبي: جعل الله تعالى هذه الكلمات ملجأ لذوي المصائب وعصمة للممتحنين لِما جمعت من المعاني المباركة فإنَّ قوله: إنَّا لله توحيد وإقرار بالعبودية والملك وقوله: وإنَّا إليه راجعون إقرار بالهلاك على أنفسنا والبعث من قبورنا واليقين أنَّ رجوع الأمر كلُّه إليه... وقوله: أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة: فهذه نعم من الله ﷻ على الصَّابرين المسترجعين وصلاة الله على عبده عفوه ورحمته وبركته وتشريفه إيَّاه في الدُّنيا والآخرة، ولا يخفى ما فيه من تسهيل المصائب وتخفيف الحزن[1].

فهذا توجيه مهمٌّ لمواجهة الأزمة أثناء حدوثها وذلك بمقابلتها بذكر الله الذي تطمئن إليه القلوب حتى تُمتصَّ الأزمة، ويُسيطر عليها بالاطمئنان والسَّكينة بدل الحزن والاكتئاب، ثم ارتياحها بجزيل العطاء الذي رتَّبه الله على من تقبَّل هذه الأزمة ورضي بها وفوَّض أمره إلى الله، وذكّر نفسه بالمعاد إليه.

ثانيا: الفتنة.

يقول الراغب الأصفهاني: "أصل الفتن إدخال الذَّهب النَّار لتظهر جودته من رداءته"[2].

والقرآن يحذِّر من الفتنة ويعتبرها أشدَّ من القتل وأكبر، وخاصَّة إذا كانت في الدِّين، يقول تعالى: ﴿ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ ﴾ [البقرة: 191] "أي: المحنة والبلاء الذي ينـــزل

---

1 ــ ينظر: القرطبي أبو عبد الله محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن، تح: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، ط2، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1964م، ج2، ص ص: 176 ــ 177.

2 ــ الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، مصدر سابق، ص623.

بالإنسان يتعذَّب به أشدَّ عليه من القتل وقيل لبعض الحكماء: ما أشدّ من الموت؟ قال: الذي يُتمنّى فيه الموت، فجعل الإخراج من الوطن من الفتن والمحن التي يتمنَّى عندها الموت "[1].

وللفتنة أسبابٌ لظهورها تشترك مع الأزمة، وقد ذُكر بعضها في قوله تعالى: ﴿ وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةٗ لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةٗۖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴿٢٥﴾ ﴾ [الأنفال: 25]، "أي لا تختص إصابتها بمن يباشر الظُّلم منكم بل يعمُّه وغيره كإقرار المنكر بين أظهرهم، والمداهنة في الأمر والنَّهي عن المنكر، وافتراق الكلمة، وظهور البدع، والتَّكاسل في الجهاد"[2].

كما يشير القرآن الكريم في هذه الآية إلى بعض خصائص الأزمة، منها أنَّ الأزمة إذا حلَّت فإنَّها تعمُّ وتأتي على الأخضر واليابس، وهذا مقارب لما يعبِّر عنه علماء الإدارة أنَّ الأزمة تشكِّل تهديدًا لقيم المؤسَّسة وممتلكاتها، فالفتنة إذا نزلت أتت على الصَّالح والطَّالح [3]، ومنها أنَّ الأزمة تنشأ لوجود خلل في التَّعليمات والنُّظم، كذلك الفتنة تظهر لوجود خلل في الإعراض عن بعض التَّعليمات الرَّبَّانية المذكورة في سياق هذه الآية: كترك الاستجابة لله والرسول إذا دعانا لما يحيينا، ونقض العهود، وخيانة الله ورسوله وأمانات بعضنا البعض...

ثالثا: الابتلاء.

البليَّة والبلوى والبلاء واحد والجمع البلايا، وبلاه جرَّبه واختبره، وبلاه الله اختبره يبلوه بلاءً حسنًا وابتلاه أيضًا [4]، "وإذا قيل ابتلى فلان كذا وأبلاه فذلك يتضمَّن أمرين،

---

1 ــ الزمخشري أبو القاسم محمود بن عمر، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، ط3، دار الكتاب العربي، بيروت، 1407هـ، ج1، ص236.

2 ــ أبو السعود محمد بن محمد العمادي، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ج4، ص16.

3 ــ وهذا أيضا ما تشير إليه كتب الصحاح كقوله ﷺ لما سئل: «أَنَهْلِكُ وَفِينَا الصَّالِحُونَ قال نعم إذا كَثُرَ الْخَبَثُ» [البخاري محمد بن اسماعيل الجعفي، الجامع الصحيح المختصر المسند من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه، تح: محمد زهير بن ناصر الناصر، ط1، دار طوق النجاة، 1422هـ، كتاب الفتن، بَاب قَوْلِ النبي ﷺ وَيْلٌ لِلْعَرَبِ من شَرٍّ قد اقْتَرَبَ، ج9، ص 48، رقم الحديث: 7059].

4 ــ ينظر: الرازي، مختار الصحاح، مصدر سابق، ج1، 26.

أحدهما: تعرُّف حاله والوقوف على ما يجهل من أمره، والثَّاني: ظهور جودته ورداءته وربَّما قصد به الأمران" [1].

فكلُّ ما يصيب المرء من خير أو شرٍّ فهو ابتلاء، لذا فالأزمة جزء من الابتلاء؛ لأنَّها تتناول شقًّا من الابتلاء وهو الشَّرُّ، فكلُّ أزمة ابتلاء، وليس كلُّ ابتلاء أزمة، وهذا مصداق لقوله تعالى: ﴿ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [الأنبياء: 35]، "أي: نختبركم بما يجب فيه الصَّبر من البلايا، وبما يجب فيه الشُّكر من النِّعم وإلينا مرجعكم فنجازيكم على حسب ما يوجد منكم من الصَّبر أو الشُّكر، وإنَّما سمى ذلك ابتلاء وهو عالمٌ بما سيكون من أعمال العاملين قبل وجودهم لأنَّه في صورة الاختبار، و(فِتْنَةً) مصدر مؤكد لنبلوكم من غير لفظه [2].

يتبيَّن لنا مما ذكرناه أنَّ البلاء والابتلاء هو بمعنى الاختبار والامتحان، وأنَّ ما يبتلى به المرء يشمل الخير والشَّر على حدٍّ سواء، لكنَّ الذي شاع في نفوس النَّاس أنَّ البلاء يشمل جانب الشَّرِّ فقط، وهذا مناف لاستعمال القرآن الكريم لهذه اللفظة، وفي هذا يقول الأصفهاني: "وجعلت الفتنة كالبلاء في أنَّهما يستعملان فيما يدفع إليه الإنسان من شدَّة ورخاء وهما في الشِّدَّة أظهر معنًى وأكثر استعمالًا"[3].

رابعا: التَّمحيص.

قال تعالى: ﴿ وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ [آل عمران: 141]، والتَّمحيص يعني: التَّخليص. يقال: محَّصت الشَّيء أمحِّصه محصًا إذا أخلصْته. فعلى القول الأوَّل: التَّمحيص ابتلاء المؤمنين بما يجري عليهم. وعلى الثَّاني: هو تنقيتهم من الذُّنوب بذلك [4].

وقد ذكر الله جانبًا من تمحيص المؤمنين في غزوة أحد في سورة آل عمران حيث بيَّن سبحانه أنَّ ما حلَّ بالمؤمنين من أزمة في تلك الغزوة كان نتيجة عصيانهم لأوامر الرَّسول

---

1 ــ الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، مصدر سابق، ص146.

2 ــ الزمخشري، الكشاف، مصدر سابق، ج3، ص117.

3 ــ الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، مصدر سابق، ص 623.

4 ــ ينظر: الجوزي عبد الرحمن بن علي، زاد المسير في علم التفسير، تح: عبد الرزاق المهدي، ط1، دار الكتاب العربي، بيروت، 1422هـ، ج1، ص 329.

ﷺ حين نزلوا من جبل الرُّماة وكرَّ عليهم المشركون فلاذوا بالصُّعود إلى الجبل هاربين من أعدائهم غير ملتفتين إلى أَحَد، وذلك لما اعتراهم من الدَّهشة والخوف والرُّعب، ورسول الله ﷺ ثابت في الميدان يناديهم من خلفهم [1]، فهذا المشهد الأزموي عبَّر الله تعالى عنه بالتَّمحيص في قوله: ﴿ وَلِيَبْتَلِيَ ٱللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٥٤﴾ ﴾ [آل عمران: 154].

فالأزمة تسفر عما في القلوب وتكشفه حتَّى يتميَّز المؤمن عن المنافق، والصَّادق عن الكاذب.

يقول سيد قطب: "ولا بدَّ من البلاء كذلك ليصلب عود أصحاب العقيدة ويقوى. فالشَّدائد تستجيش مكنون القِوى ومذخور الطَّاقة، وتفتح في القلب منافذ ومسارب ما كان ليعلمها المؤمن في نفسه إلا تحت مطارق الشَّدائد، والقيم والموازين والتَّصورات ما كانت لتصحَّ وتدقّ وتستقيم إلا في جوِّ المحنة التي تزيل الغبش عن العيون، والرَّان عن القلوب"[2].

خامسا: المحنة.

المِحْنَةُ واحدة المِحَنِ التي يمتحن بها الإنسان من يليه، وامْتَحَنَهُ اختبره [3].

ومنه قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٍ فَٱمْتَحِنُوهُنَّ ۖ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِهِنَّ ﴾ [الممتحنة: 10] "معناه جرِّبوهن، واستخبروا حقيقة ما عندهنَّ"[4].

إذا فالمحن تأتي بمعنى الاختبار لتخلِّص قلوب المؤمنين وتصفِّيها، وتنقِّيها من الشَّوائب، وذلك بما أجرى الله عليها من الأزمات والابتلاءات التي رسخت في نفوسهم معاني الإيمان وأزالت منها كل شائبة حتى صارت نقيَّة صافية طاهرة.

---

1 ــ ينظر: السعدي عبد الرحمن بن الناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تح: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت، 2000م، ج1، ص152.

2 ــ سيد قطب، في ظلال القرآن، مصدر سابق، ج1، ص145.

3 ــ ينظر: الرازي، مختار الصحاح، مصدر سابق، ج1، ص257، باب مَحَنَ.

4 ــ ابن عطية أبو محمد عبد الحق بن غالب، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تح: عبد السلام عبد الشافي محمد، ط1، دار الكتب العلمية، لبنان، 1422هـ، ج5، ص297.

سادسا: الكرب.

الكرب الغمُّ الشَّديد، والكُربة كالغُمَّة [1]، والكربة والأزمة بمعنى الشِّدة ومنه قوله تعالى: ﴿ وَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ ﴾ [الصافات: 76]، "أي: من الشِّدَّة والتَّكذيب والأذى، فإنَّه لبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عامًا يدعوهم إلى الله ﷻ فلم يؤمن به منهم إلَّا القليل وكانوا يتصدَّون لأذاه ويتواصون قرنًا بعد قرن وجيلًا بعد جيل على خلافه"[2].

سابعا: الشِّدَّة.

"الشِّدَّة: المَجاعة. والشَّدائِدُ: الهَزاهِزُ. والشِّدَّة: صُعُوبَةُ الزَّمَنِ؛ وَقَدِ اشتدَّ عَلَيْهِمْ. والشِّدَّة والشَّدِيدَةُ مِنْ مَكَارِهِ الدَّهْرِ، وَجَمْعُهَا شَدائد" [3]. فشدَّة العيش وشظفه هو ما يعبَّر عنه حاليا بأزمة الفقر، وقد أشار القرآن الكريم إلى هذا المعنى في قوله: ﴿ ثُمَّ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾ [يوسف: 48]، "أي: سبع سنين مجدبات والشِّداد الصِّعاب التي تشتدُّ على النَّاس"[4].

ثامنا: العسر.

"العُسْر ضدُّ اليُسْر وهو الضّيقُ والشِّدة والصُّعُوبةُ"[5].

قال تعالى: ﴿ سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴿٧﴾ ﴾ [الطلاق: 7]، "أي: بعد الضّيق غنى وبعد الشِّدَّة سعة"[6]، ومنه قوله تعالى: ﴿ فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٥﴾ ﴾ [الشرح: 5]، فهذه سنَّة الله في الوجود أنَّ الأزمة مهما اشتدَّت فلا بدَّ أن يأتي يوم وتنجلي لتنقلب إلى يسر وسعة وغنى.

---

1 ــ ينظر: الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، مصدر سابق، ص706.

2 ــ ابن كثير إسماعيل بن عمر أبو الفداء، تفسير القرآن العظيم، تح: محمد حسين شمس الدين، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1419هـ، ج5، ص311.

3 ــ ابن منظور، لسان العرب، مصدر سابق، ج3، ص 234.

4 ــ الرازي، مفاتيح الغيب، مصدر سابق، ج18، ص120.

5 ــ الجزري، النهاية في غريب الحديث والأثر، مصدر سابق، ج3، ص235.

6 ــ القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، مصدر سابق، ج18، ص172.

تاسعا: الضُّرُّ.

" الضُّرُّ هو: القَحْطُ، والشِّدَّةُ، والضَّرَرُ، وسُوءُ الحالِ، والضَّرَّاءُ: الزَّمانَةُ، والشِّدَّةُ، والنَّقْصُ في الأَموالِ والأَنْفُسِ"[1].

والقرآن يقصُّ علينا خبر إخوة يوسف عليه السلام وهم يرفعون شكواهم إلى عزيز مصر بعدما أصابتهم أزمة اقتصادية خانقة قائلين له: ﴿ قَالُواْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا ٱلضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَـٰعَةٍ مُّزْجَىٰةٍ ﴾ [يوسف: 88]، "أي: أصابنا وأصاب أهلنا معنا الفقر والجدب والهزل من شدَّة الجوع، وجئنا معنا من بلادنا ببضاعة قليلة رديئة يردُّها وينصرف عنها كل من يراها من التُّجَّار، إهمالًا لها، واحتقارًا لشأنها"[2].

فهذه مرادفات الأزمة في القرآن الكريم وقد جاءت حافلة فيه، ومع ذلك فقد بقيت مرادفات للأزمة ذكرت في القرآن في أماكن معدودة منها:

عاشرا: السُّوء.

جاء في قوله تعالى: ﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ ﴾ [النمل: 62]. "ويكشف السُّوء: هو كل ما يسوء، وهو عام في كلِّ ضرٍّ انتقل من حالة المضطر، وهو خاصٌّ إلى أعمّ " [3].

إحدى عشر: الزِّلزال.

قال تعالى: ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُواْ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴿٢١٤﴾ ﴾ [البقرة: 214]، "وأمَّا الزِّلزال: فهو الاضطراب في الأمر يتكرَّر حتَّى يكاد يزلُّ صاحبه

---

[1] ــ الفيروزآبادي أبو طاهر محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، ط8، مؤسسة الرسالة، لبنان، 2005م، ج1، ص428.

[2] ــ طنطاوي محمد سيد، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، ط1، دار نهضة مصر، القاهرة، 1998م، ج7، ص411.

[3] ــ أبو حيان محمد بن يوسف الأندلسي، البحر المحيط في التفسير، تح: صدقي محمد جميل، د.ط، دار الفكر، لبنان، 1420هـ، ج8، ص259.

عنه"[1]، وفي قوله تعالى أيضا: ﴿ هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴿١١﴾ ﴾ [الأحزاب: 11].

إثنا عشر: السِّنين.

قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ بِٱلسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣٠﴾ ﴾ [الأعراف: 130]. "أسْنَت القومُ، إذا أصابهم الجدب والقحط، فالسِّنون في الآية مراد بها القحوط وجمعها باعتبار كثرة مواقعها أي: أصابهم القحط في جميع الأرضين والبلدان، فالمعنى: ولقد أخذناهم بالقحوط العامَّة في كلِّ أرض"[2].

ثلاثة عشر: الظَّمأ والنَّصَب والمَخْمَصة.

وقد جاء ذكر هذه الثَّلاثة مجتمعة في أواخر سورة التوبة، وذلك في معرض الحديث عن أزمة تبوك وما أصاب المسلمين فيها من مشقَّة وتعب، يقول تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُوا۟ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا۟ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَطَـُٔونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ ٱلْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٌ صَٰلِحٌ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢٠﴾ ﴾ [التوبة: 120].

يقول طنطاوي: "لا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ أي: عطش، وَلا نَصَبٌ أي: تعب ومشقَّة، وَلا مَخْمَصَةٌ أي: مجاعة شديدة تجعل البطون خامصة ضامرة فِي سَبِيلِ اللَّهِ" [3].

وباستعراض هذه المرادفات من خلال الشَّواهد القرآنية، ومع بيان مفهومها من الجانب اللُّغوي، يدرك القارئ حتمًا أنَّ هناك تقاطع بين هذه المرادفات مع مصطلح الأزمة حيث إنَّ الجميع يلقي بظلاله على معنى: الشِّدَّة، والضَّيق، والكَرب، والضُّرِّ...

---

[1] ــ محمد رشيد رضا، تفسير المنار، مصدر سابق، ج2، ص239.

2 ــ ابن عاشور محمد الطاهر بن محمد، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، 1984م، ج9، ص63.

3 ــ طنطاوي، التفسير الوسيط، مصدر سابق، ج6، ص425.

ومما تجدر الإشارة إليه ونحن ضمن مبحث مرادفات الأزمة، أن ننبِّه إلى وجود تداخل شائع في الأوساط بين مفهومي الأزمة والكارثة، ونودُّ طرحه على شكل سؤال: هل الأزمة هي الكارثة؟ وهل تسبق الأزمة وقوع الكارثة أم العكس؟

فبعد تعريفنا لمصطلح الأزمة نعرج على مفهوم مصطلح الكارثة ومنها يتبيَّن الفرق بينهما:

فالكارثة "حدث يسبب دماراً واسعاً ومعاناةً عميقةً، وهو سوء حظ عظيم"[1].

أما السيد عليوة، فقد قال بأنَّ الكارثة: "هي أحد أكثر المفاهيم التصاقاً بالأزمات، وقد ينجم عنها أزمة، ولكنَّها لا تكون هي أزمة بحدِّ ذاتها، وتعبِّر الكارثة عن حالة مدمِّرة حدثت فعلاً ونجم عنها ضرر في المادِّيات أو كليهما معاً"[2].

أما عبد الوهاب محمد كامل فقد عرَّف الكارثة بأنَّها: "حدث مروِّع يصيب قطاعاً من المجتمع أو المجتمع بأكمله بمخاطر شديدة وخسائر مادِّية وبشرية، ويؤدِّي إلى ارتباك وخلل وعجز في التَّنظيمات الاجتماعية في سرعة الإعداد للمواجهة، وتعمُّ الفوضى في الأداء وتضارب في الأدوار على مختلف المستويات"[3].

وبناء على ما سبق فإنَّه يتبيَّن لنا الفروق الجوهرية بين الأزمة والكارثة من حيث السِّمات المحدِّدة لكلٍّ منهما ويتَّضح لنا أكثر من خلال المقارنة بينهما من خلال الجدول الآتي [4]:

---

1 ــ الشعلان فهد أحمد، إدارة الأزمات (الأسس ــ المراحل ــ الآليات)، مطابع أكاديمية نايف للعلوم الأمنية، 1999م، ص28.

2 ــ عليوة السيد، إدارة الأزمات في المستشفيات، دار: إيتراك للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2001م، ص12.

3 ــ كامل عبد الوهاب محمد، سيكولوجية إدارة الأزمات، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، عمّان، 1424 هـ، ص21.

4 ــ الشعلان فهد أحمد، إدارة الأزمات (الأسس ــ المراحل ــ الآليات)، مرجع سابق، ص37.

وجه المقارنة	الأزمة	الكارثة
المفاجأة	تصاعدية	كاملة
الخسائر	معنوية وقد يصاحبها خسائر بشرية ومادية	خسائر بشرية ومادية كبيرة
أسبابها	بشرية	غالبا طبيعية وأحيانا بشرية
التنبؤ بها	إمكانية التنبؤ	صعوبة التنبؤ
الضغوط على متخذ القرار	ضغوط شديدة وتوتر عال	تفاوت في الضغوط تبعا لنوع الكارثة
المعوقات والدعم	أحيانا وبسرية	غالبة ومعلنة
أنظمة وتعليمات المواجهة	داخلية	محلية وإقليمية ودولية

أمَّا بخصوص السَّبق فإنَّ الكوارث أغلبها تكون أسبابًا لوقوع الأزمات ومثال ذلك إذا حدثت كارثة طبيعية مثل البراكين أو الزلازل أو الفيضانات فإنَّها تلحق أضرارًا بليغة في الجانب البشري والمادِّي، وتسبِّب في وقوع أزمات بعدها كأزمة المأوى والسَّكن [1]، بينما قد يحدث العكس وهذا نادر فينتج عن تفاقم الأزمة كارثة [2]، مثل أزمة تسرب غاز من إحدى الأنابيب النَّاقلة له في مصنع أو حي سكني فتؤدي إلى كارثة كانفجار المصنع أو حدوث حريق فيه، أو تهدُّم عمارات سكنية مما يؤدي إلى وقوع خسائر مادية وبشرية.

وقد تكون الكارثة لها أسباب طبيعية لا دخل للإنسان فيها [3].

فالكوارث تنقسم إلى قسمين:

---

[1] ــ وقد عايشنا حلول كارثة في ولايتنا (بغرداية) حيث ضرب فيضان كبير سنة 2008م، فخلف أضرارا مادية وبشرية معتبرة وأدى بعدها إلى ظهور أزمات حادة كأزمة الغذاء والسكن وانقطاع الكهرباء والغاز والمياه الصالحة للشرب.

[2] ــ ينظر: البزاز حسن، إدارة الأزمة بين نقطتي الغليان والتحول، ط1، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، 2001م، ص22.

[3] ــ ينظر: سليم بطرس جلدة، الإستراتيجية الحديثة لإدارة الأزمات، دار الراية، عمّان، 2011م، ص 21.

1- كوارث مادِّية بحتة: فالخسائر التي تخلفها تمسُّ الجانب المادِّي فقط دون غيره، ومثال ذلك في القرآن الكريم الكارثة التي حلَّت بأصحاب الجنَّة المذكورة قصَّتهم في سورة القلم، حيث يقول تعالى: ﴿ فَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿١٩﴾ فَأَصْبَحَتْ كَٱلصَّرِيمِ ﴿٢٠﴾ ﴾ [القلم: 19 – 20]، فلقد أحكم أصحاب الجنَّة الخطّة، وصمَّموا على صرام الزَّرع والثَّمر في الصَّباح الباكر قبل أن ينتشر المساكين في البساتين، وذهبوا جادِّين مسرعين، متسارّين، حتَّى لا يعلم بهم أحد من المساكين، ولئلَّا يدخلوا عليهم في ذلك اليوم إلى جنّتهم، وعزموا على حرمانهم، مع كونهم قادرين على نفعهم، وهم يظنُّون أنَّهم تمكَّنوا من مرادهم، ففوجئوا بتدمير الله وإحراقه الحرث وإتلافه الغلَّة والثمر[1].

إذا فقد أصاب أصحاب الجنَّة كارثة مادِّية حيث أحرقت حرثهم، وأتلفت غلَّتهم، مما تسبَّب ذلك في وقوعهم في أزمة اقتصادية تمثلت في: نقص الغذاء، وانعدام مصدر رزقهم.

2- كوارث مادية وبشرية: فهذا النَّوع يشمل اللِّحاق بالخسائر المادِّية والبشرية معًا وهو الأكثر حدوثًا من سابقه، ومثال ذلك الكوارث المتتالية التي أرسلها الله ﷻ على آل فرعون وقومه كما قال تعالى: ﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلْجَرَادَ وَٱلْقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ ءَايَٰتٍ مُّفَصَّلَٰتٍ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿١٣٣﴾ ﴾ [الأعراف: 133]، يقول ابن كثير: "فأرسلنا عليهم الطُّوفان اختلفوا في معناه فعن ابن عباس في رواية كثرة الأمطار المغرقة المتلفة للزُّروع والثِّمار وبه قال الضحاك بن مزاحم، وعن ابن عباس في رواية أخرى هو كثرة الموت وكذا قال عطاء"[2].

---

1 ــ ينظر: الزحيلي وهبة بن مصطفى، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، ط2، دار الفكر المعاصر، دمشق، 1418 هـ، ج29، ص60.

2 ــ ابن كثير إسماعيل بن عمر، تفسير القرآن العظيم، مصدر سابق، ج3، ص414.

فكارثة الطوفان: يتولَّد عنها: خسائر مادية (إتلاف الزُّروع والثِّمار، وتدمير البنى التَّحتية)، وخسائر بشرية (كثرة الموت).

ومثال آخر: كارثة انفجار سدِّ مأرب على مدينة سبأ حيث أوقعت بهم خسائر مادِّية وبشرية، وتولَّدت بعدها أزمات كثيرة كأزمة التَّمزُّق في البلاد، والهجرة الجماعية، وأزمة السَّكن وغير ذلك يقول تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾ فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُم بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ ﴿١٧﴾ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ ﴿١٨﴾ فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿١٩﴾﴾ [سبأ: 15 – 19].

المبحث الثاني: الأزمات: "أسباب نشوئها، وخصائصها، ومراحلها" من منظور القرآن الكريم.

المطلب الأول: أسباب نشوء الأزمات:

الأزمات ليست وليدة ذاتها بل هي نتيجة لمجموعة أسباب أدَّت إلى نشوئها، ومعالجتها لا تتمُّ دون معرفة لأسبابها، وإلَّا أصبحت عملية لأهدار الوقت، والجهد، والمال فتؤدِّي حينئذ إلى تفاقم الأزمة وامتدادها لفترة أطول؛ لذا فالمعرفة الحقيقية لأسباب نشوء الأزمة تساهم في تحقيق استجابة صحيحة وفعَّالة مع صرف أقلِّ جهد من المال والوقت، فمن عَلِم أسباب الأزمة ظفر بالنَّجاة منها.

والأمم المتقدمة حاليًّا إنَّما يقاس تقدمها بمدى سيطرتها ومعالجتها للأزمات، فالدولة إذا كان حجم أزماتها قليلا فهي الرَّائدة المتقدِّمة، وبالمقابل إذا كانت تغرق في الأزمات فيُحكم عليها بالتَّخلُّف.

هذا ومن جانب آخر نجد أنَّ القرآن الكريم يرشدنَا إلى اتِّخاذ الأسباب فقال منوِّها عن ذي القرنين: ﴿ فَأَتۡبَعَ سَبَبًا ﴿٨٥﴾ ﴾ [الكهف: 85]، كما أمرنا سبحانه بالسَّير في الأرض والنَّظر فيها نظر اعتبار وتدبُّر وأخذٍ للدروس ممَّن سلف من الأمم، حتَّى نتجنَّب أسباب هلاكهم، ونتعرَّف على أسباب أزماتهم التي حلَّت بهم لئلاَّ نقع في مثل ما وقعوا فيه، يقول تعالى: ﴿ أَفَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَتَكُونَ لَهُمۡ قُلُوبٞ يَعۡقِلُونَ بِهَآ أَوۡ ءَاذَانٞ يَسۡمَعُونَ بِهَاۖ فَإِنَّهَا لَا تَعۡمَى ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَلَٰكِن تَعۡمَى ٱلۡقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ ﴿٤٦﴾ ﴾ [الحج: 46].

يقول سيد قطب: "والسَّير في الأرض يُطلع النُّفوس على مُثُل وسِيَر وأحوال فيها عبرة، وفيها تفتيح لنوافذ مضيئة. وفيها لمسات للقلوب قد توقظها وتحييها، والقرآن يوجِّه النَّاس إلى البحث عن السُّنن المطَّردة، وتدبُّر خطواتها وحلقاتها، ليعيشوا حياة متَّصلة الأوشاج متَّسعة الآفاق، غير متحجِّرة ولا مغلقة ولا ضيِّقة ولا منقطعة"[1].

إذا فمعرفة أسباب الأزمات لتفاديها واجب على المؤمن معرفته؛ لأنَّ الأصل في المؤمن أن يحيا حياة طيِّبة، علاوةً على ذلك لا بدَّ للمؤمن أن يدرك سنن الله في كونه

[1] ــ سيد قطب، في ظلال القرآن، مصدر سابق، ج5، ص2663

﴿ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِي ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلُۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗا ٦٢ ﴾: [الأحزاب: 62]، وما سنَّة وقوع الأزمات ورجوعها إلا كسنَّة جريان الشَّمس والقمر في الكون، زيادة على ذلك أنَّ المؤمن مطالب بالاستخلاف والتَّمكن في الأرض وهذا لا يتأتَّى إلا بمعرفة أسباب نشوء الأزمات حتَّى يحقق هذا الوعد الإلهي، ومن أهمِّ أسباب نشوء الأزمات ما يأتي:

1- سوء الفهم:

يعدُّ سوء فهم المعلومات المتوفِّرة عن الأزمة عاملاً أساسيًّا في نشوء الأزمة ونشوبها، وهذا راجع إلى:

أ- سوء الفهم النَّاتج في الأغلب عن وجود خطأ في استقبال المعلومات بسبب تداخلها أو قلَّتها أو نقص فيها: فالقرآن الكريم شنَّع على كفَّار قريش الذين يصدرون قرارات قبل أن يحيطوا بالمسألة علمًا، فقال متعجِّبًا من حالهم: ﴿ بَلۡ كَذَّبُواْ بِمَا لَمۡ يُحِيطُواْ بِعِلۡمِهِۦ وَلَمَّا يَأۡتِهِمۡ تَأۡوِيلُهُۥۚ ﴾ [يونس: 39].

يقول ابن عاشور: "فهم قد كذَّبوا قبل أن يختبروا، وهذا من شأن الحماقة والجهالة"[1]. فعدم الإحاطة علمًا بالقضية يكون السَّبب في إعطاء مدخلات خاطئة مما ينتج عنه حتمًا مخرجات خاطئة.

وتعدُّ المعلومة الصَّحيحة من أهمِّ ما يعتمد عليه الإداري في اتِّخاذ القرارات، فنقصها سبب للأزمة، كما أنّ توفّرها بشكل تامٍّ وصحيح مهمٌّ لإدارة الأزمة والوقاية منها.

ولأهمية المعلومة الصَّحيحة فقد حثَّنا القرآن الكريم على العلم قائلا: ﴿ وَقُل رَّبِّ زِدۡنِي عِلۡمٗا ١١٤ ﴾ [طه: 114]، وفي قصَّة موسى عليه السلام مع الرَّجل الصَّالح لدليل على أهمِّية المعلومة الصَّحيحة في تجنُّب الوقوع في الأزمات ففي قصَّة السَّفينة يقول تعالى: ﴿ أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتۡ لِمَسَٰكِينَ يَعۡمَلُونَ فِي ٱلۡبَحۡرِ فَأَرَدتُّ أَنۡ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٞ يَأۡخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصۡبٗا ٧٩ ﴾ [الكهف: 79] "إن هذا الخرق الذي أحدثه العبد الصالح في السَّفينة، قد جعلها سفينة معطوبة، معيبة، لا تصلح للغرض الذي من أجله كان الملك يستولي على السُّفن، وينتزعها من يد

[1] ــ ابن عاشور، التحرير والتنوير، مصدر سابق، ج11، ص171.

أصحابها، قهرًا وقسرًا.. وبهذا تخطّت عين الملك هذه السَّفينة، حين رآها على تلك الحال، وبهذا أيضًا سلمت السَّفينة من هذا العدوان، وبقيت في أيدي أصحابها المساكين، الذين يعملون عليها، ويرزقون منها" [1]، وبفضل هذه المعلومة التي امتلكها العبد الصالح فقد جنّب أصحاب السَّفينة وقوعهم في أزمة وضائقة من عيشهم.

كما لنا في قصَّة الهدهد مع نبيِّ الله سليمان عليه السلام أبْين دليل على أهمِّية الإحاطة بالمعلومة من كل جوانبها حيث يقول تعالى: ﴿ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾ ﴾ [النمل: 22]، يقول الزمخشري: "ألهم الله الهدهد فكافح سليمان بهذا الكلام على ما أوتي من فضل النبوّة، والحكمة، والعلوم الجمَّة، والإحاطة بالمعلومات الكثيرة ابتلاء له في علمه وتنبيهاً على أنّ في أدنى خلقه وأضعفه من أحاط علماً بما لم يحط به لتتحاقر إليه نفسه ويتصاغر إليه علمه ويكون لطفاً له في ترك الإعجاب الذي هو فتنة العلماء وأعظم بها فتنة، والإحاطة بالشيء علمها أن يعلم من جميع جهاته لا يخفى منه معلوم"[2].

ب- التَّسرُّع والارتجال في إصدار قرارات تفتقر إلى الحقيقة، فهذا يؤدِّي بالطَّبع إلى تقديم حلول واستنتاجات مغلوطة، ومن هنا فإنَّ تحقُّقَ النَّجاح في إدارة الأزمات مرهون بالاعتماد أساسًا على معلومات صحيحة متيقَّن من ثبوتها، ومطابقتها للواقع، ولهذا نجد أنَّ القرآن الكريم ينهى عن الحسم في القضايا والأمور، والبتِّ فيها من دون سابق علم أو معرفة يقول تعالى: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾ ﴾ [الإسراء: 36]، يقول الرازي: "أي: ولا تتَّبع ولا تقتف ما لا علم لك به من قولٍ أو فعلٍ، وحاصله يرجع إلى النَّهي عن الحكم بما لا يكون معلوماً وهذه قضيَّة كليَّة يندرج تحتها أنواع كثيرة"[3].

---

[1] ــ الخطيب عبد الكريم يونس، التفسير القرآني للقرآن، دار الفكر العربي، القاهرة، ج8، ص659.

[2] ــ الزمخشري، الكشاف، مصدر سابق، ج3، ص364.

[3] ــ الرازي، مفاتيح الغيب، مصدر سابق، ج20، ص166.

كما أنَّ القرآن الكريم يأمرنا بعدم التَّسرُّع في إصدار الأحكام حتَّى نتبيَّن؛ لأنَّ في عدم التَّثبُّت والتَّبيُّن إفضاء إلى النَّدم والتَّحسُّر يقول تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ ٦ ﴾ [الحجرات: 6].ويقول أيضا: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبۡتُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ ﴾ [النساء: 94]، "أي: اطلبوا بالتأنِّي والتَّثبُّت بيان الأمور والثَّبات في تلبُّسها والتَّوقف الشَّديد عند منالها، وذلك بتميُّز بعضها من بعض وانكشاف لبسها غاية الانكشاف؛ ولا تُقْدموا إلا على ما بان لكم"[1].

2- سوء التَّقدير والتقويم:

يعدُّ سوء التَّقدير والتقويم من أكثر أسباب حدوث الأزمات في جميع المجالات وبالأخصِّ في المجالات العسكرية، إذ ينشأ سوء التَّقدير الأزموي من خلال جانبين أساسيين هما:

أ- المغالاة في تقدير القوَّة الذاتية، والثِّقة الزَّائدة في النَّفس إلى حدِّ الإفراط لأجل مواجهة الطَّرف الآخر والتَّغلب عليه.

ب- سوء تقدير قوَّة الطَّرف الآخر، أو الاستخفاف به والتَّقليل من شأنه ظنًّا أن خصمه على مأمن منه ولن يصله مَكْروه.

وبناء على هذا فإنَّ القرآن يأمر المؤمنين بأن يكونوا دومًا على أُهبة الاستعداد عدَّة وعتادًا ﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ ﴾ [الأنفال:60]، كما يأمرهم بالتَّيقُّظ والاحتراس من العدوِّ، لئلَّا يفضي بهم الأمر إلى وقوعهم في أزمة ومحنة، يقول تعالى: ﴿ وَإِذَا كُنتَ فِيهِمۡ فَأَقَمۡتَ لَهُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَلۡتَقُمۡ طَآئِفَةٞ مِّنۡهُم مَّعَكَ وَلۡيَأۡخُذُوٓاْ أَسۡلِحَتَهُمۡ فَإِذَا سَجَدُواْ فَلۡيَكُونُواْ مِن وَرَآئِكُمۡ وَلۡتَأۡتِ طَآئِفَةٌ أُخۡرَىٰ لَمۡ يُصَلُّواْ فَلۡيُصَلُّواْ مَعَكَ وَلۡيَأۡخُذُواْ حِذۡرَهُمۡ وَأَسۡلِحَتَهُمۡۗ وَدَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡ تَغۡفُلُونَ عَنۡ أَسۡلِحَتِكُمۡ وَأَمۡتِعَتِكُمۡ فَيَمِيلُونَ عَلَيۡكُم مَّيۡلَةٗ وَٰحِدَةٗۚ وَلَا جُنَاحَ

[1] ــ البقاعي ابراهيم بن عمر، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ج5، ص366.

عَلَيۡكُمۡ إِن كَانَ بِكُمۡ أَذٗى مِّن مَّطَرٍ أَوۡ كُنتُم مَّرۡضَىٰٓ أَن تَضَعُوٓاْ أَسۡلِحَتَكُمۡۖ وَخُذُواْ حِذۡرَكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٗا مُّهِينٗا ﴿١٠٢﴾ ﴾ [النساء: 102].

وأمثلة هذا البند في القرآن الكريم كثيرة وسأقف على حادثتين:

أ ــ ما حدث للمشركين في غزوة بدر:

لقد حملتهم قوَّتهم وكثرتهم بالاستخفاف والازدراء بالمؤمنين، فلم يخطِّطوا للمعركة خطَّتها اللَّازمة بل خرجوا بالفرح والبطر فأقاموا بدرًا ثلاثا ينحرون الجزور، ويشربون الخمور وتعزف عليهم القيان [1]، ظنًّا منهم أنَّ إدارتهم لأزمتهم هذه ستُمكِّنهم من أعدائهم، قال تعالى: ﴿ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بَطَرٗا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ بِمَا يَعۡمَلُونَ مُحِيطٞ ﴿٤٧﴾ ﴾ [الأنفال: 47]، لكن في مقابل ذلك استنفذت الفئة المؤمنة القليلة [2] جميع أسباب النَّصر وأعدُّوا لها عدَّتها اللَّازمة فكان النَّصر حليفهم[3].

إذا فالهزيمة التي لحقت بالمشركين يعود سببها إلى الاغترار بالقوَّة وهو سوء فهم لإدارة الأزمة، بخلاف النَّصر الذي كان حليف المؤمنين فيعود إلى حسن التَّدبير والتَّخطيط قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَرِّضِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ عَلَى ٱلۡقِتَالِۚ إِن يَكُن مِّنكُمۡ عِشۡرُونَ صَٰبِرُونَ يَغۡلِبُواْ مِاْئَتَيۡنِۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٞ يَغۡلِبُوٓاْ أَلۡفٗا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَفۡقَهُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾

---

[1] ــ الطبري محمد بن جرير، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، مصدر سابق، ج10، ص16.

[2] ــ ﴿ وَٱذۡكُرُوٓاْ إِذۡ أَنتُمۡ قَلِيلٞ مُّسۡتَضۡعَفُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ فَـَٔاوَىٰكُمۡ وَأَيَّدَكُم بِنَصۡرِهِۦ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾ [الأنفال: 26].

[3] ــ ومن بين أهم هذه الأسباب الأخذ بمبدأ الشورى، فقد استشار النبي ﷺ أصحابه في هذه الغزوة أكثر من مرة: استشارهم في الخروج للجهاد حتى سمع من الأنصار رأيهم، واستشارهم في قضية الأسرى، واستشارهم في المنزل حيث أن النبي ﷺ قال لأصحابه أشيروا علي في المنزل فقال الحباب بن المنذر لرسول الله ﷺ أرأيت هذا المنزل أمنزل أنزلكه الله فليس لنا أن نتقدمه ولا نتأخره أم هو الرأي والحرب والمكيدة فقال رسول الله ﷺ بل هو الرأي والحرب والمكيدة قال فإن هذا ليس بمنزل فانهض حتى نأتي أدنى قليب القوم فنزله ثم نغور ما سواه من القلب ثم نبنى حوضا فنملأه ثم نقاتل فنشرب ولا يشربون فقال رسول الله ﷺ قد أشرت بالرأي، [ينظر: ابن حبان محمد بن أحمد، الثقات، تح: شرف الدين أحمد، ط1، دار الفكر، 1975م، ج1، ص ص: 161 ــ 162].

[الأنفال: 65]، "أي: إنَّ هذا الغلب بسبب جهلهم وعدم فقههم، وأنَّهم يقاتلون على غير بصيرة، ومن كان هكذا فهو مغلوب في الغالب"[1].

ب ــ ما حدث للمؤمنين في غزوة حنين:

لقد ركب العجب أنفس غالبية المؤمنين يوم حنين لما آنسوا من أنفسهم الكثرة في العدد والعدَّة فلم ينفعهم ذلك كلّه فلاذوا بالفرار، ولكنّ لطف الله تداركهم فأنزل عليهم السَّكينة والملائكة فثبَّتهم ونصرهم على أعدائهم، قال تعالى: ﴿ لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِى مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ ۙ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ ۙ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٦﴾ ﴾ [التوبة: 25 – 26].

يقول صاحب المنار: "والهزيمة يوم حنين على عجبهم بكثرتهم ورضاهم عنها، ونصرهم من بعد ذلك بعناية خاصَّة من لدنه، ليتذكَّروا أنَّ عنايته تعالى وتأييده لرسوله وللمؤمنين بالقوى المعنوية، أعظم شأنًا وأدنى إلى النَّصر من القوَّة المادِّية، كالكثرة العددية وما يتعلَّق بها"[2].

3- الإشاعات (التَّضليل الإعلامي).

إنَّ نشوء الأزمات في أغلبها يكون نتيجة إشاعة أُطلقت بشكل معيَّن، وتمَّ توظيفها بشكل معيَّن، لتحقيق هدف معيَّن.

فالإعلام الهدَّام يلعب دورًا فعَّالًا في تنشئة الأزمات واختلاقها من العدم، حيث يعمد مفتعلو الأزمات إلى استخدام معلومات كاذبة معادية للكيان المراد استهدافه، فينشرونها في الأوساط الاجتماعية، وتتقبَّلها النُّفوس المريضة وتستسيغها، فيحدثون بذلك أزمة اجتماعية قويَّة.

---

[1] ــ الشوكاني محمد بن علي، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، ط1، دار ابن كثير، دمشق، 1414هـ، ج2، ص370.

[2] ــ محمد رشيد رضا، تفسير المنار، مصدر سابق، ج10، ص217.

ومثال ذلك هو ما ذكره الله تعالى في صدر سورة النور من إشاعة نُسجت لأمِّنا عائشة ﵂ انتُهك فيها عرضها الشَّريف، مما نتج عنه اضطرابٌ وإرباكٌ في صفوف المجتمع المدني، ولكنَّ الله ﷻ فنَّد هذه الإشاعة بإنزال آيات مبيَّنات برَّأت ساحة أم المؤمنين عائشة ﵂ مما أُلصق بها. ويصف لنا تعالى رواج هذه الإشاعة بقوله: ﴿ إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾ ﴾ [النور: 15 – 16].

وقد توعَّد الله أصحاب الإشاعات الباطلة المنسوجة، وأصحاب الأراجيف، والمذيعين لها بأنواع من الوعيد وذلك في قوله تعالى: ﴿ لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْمُرْجِفُونَ فِى ٱلْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٠﴾ مَّلْعُونِينَ ۖ أَيْنَمَا ثُقِفُوٓا۟ أُخِذُوا۟ وَقُتِّلُوا۟ تَقْتِيلًا ﴿٦١﴾ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٦٢﴾ ﴾ [الأحزاب: 60 – 62]، كما بيَّن تعالى أنَّ أهل النِّفاق هم الذين يطلقون الشَّائعات، فقال في معرض حديثه عن المنافقين: ﴿ وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُوا۟ بِهِۦ ۖ ﴾ [النساء: 83].

4- اليأس والقنوط.

يعدُّ اليأس بحدِّ ذاته أحد الأزمات النَّفسية والسُّلوكية والتِّي تشكِّل خطرًا داهمًا على متَّخذ القرار، لأنَّ اليأس يسبِّب الإحباط فيفقد صاحبها الرَّغبة والدَّافع على العمل، والتَّطوير والتَّنمية، ويستسلم لتيَّار العمل الرُّوتيني اليومي، وتتفاقم الأزمة لتصبح "حالة اغتراب" بين الفرد والكيان الذي يعمل فيه، وتبلغ الأزمة ذروتها عندما تحدث حالة انفصام وانفصال بين مصلحة العامل وبين مصلحة الكيان الإداري الذي يعمل فيه [1].

[1] ــ ينظر: الخضيري، إدارة الأزمات، مرجع السابق، ص: 79.

ومن يشاهد العالم اليوم بعين البصيرة يدرك حقًّا أنَّ اليأس هو منشأ لكثير من الأزمات من ذلك: أزمة القتل، وتعاطي المخدِّرات والكحول، والانتحار، والدُّخان والوقوع في الفواحش والمنكرات...

ولنا في قصَّة يوسف عليه السلام عبرة، فأبوه يعقوب عليه السلام لـــمَّا فقد ابنه يوسف لسنوات طويلة حتى صار شيخًا كبيرًا ضريرًا لم يفقد اليأس في العثور على ابنه، بل قال لبينه: ﴿ يَٰبَنِيَّ ٱذۡهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَاْيۡـَٔسُواْ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيۡـَٔسُ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ٨٧ ﴾ [يوسف: 87].

يقول سيد قطب: "فأمَّا المؤمنون الموصولة قلوبهم بالله، النَّدية أرواحهم بروحه، الشَّاعرون بنفحاته المحيية الرَّخية، فإنَّهم لا ييأسون من روح الله ولو أحاط بهم الكرب، واشتدَّ بهم الضَّيق، وإنَّ المؤمن لفي روح من ظلال إيمانه، وفي أنس من صلته بربه، وفي طمأنينة من ثقته بمولاه، وهو في مضايق الشِّدَّة ومخانق الكروب"[1].

ولنا في رسول الله أسوة حسنة، فيوم جاءهم خبر تآلب جموع الأحزاب عليهم واشتدَّت عليه الأزمة والكربة، بدءوا بحفر الخندق وكان ﷺ في قلب الخندق يبعث الأمل في نفوس أصحابه، ويبشِّرهم بنصر الله لهم وبفتوح الشَّام وفارس والمدائن [2].

5- الإدارة العشوائية:

ويطلق عليها مجازاً إدارة، ولكنَّها في الحقيقة ليست بإدارة؛ بل هي مجموعة من الأهواء والأمزجة التي تتنافى مع أيِّ مبادئ علمية، وتتَّصف بالصِّفات الآتية:

- عدم الاعتراف بالتَّخطيط وأهميته وضرورته للنَّشاط، كما أنَّه لا يستطيع أن يستخلص تجارب الماضي، ولا أن يستشرف آفاق المستقبل.
- عدم الاحترام للهيكل التَّنظيمي، وشيوع الفوضى، والصِّراع الدَّاخلي بين الأفراد والكيان الإداري.

---

[1] ــ سيد قطب، في ظلال القرآن، مصدر سابق، ج4، ص2026.

[2] ــ ينظر: السيوطي عبد الرحمن بن الكمال، الدر المنثور، دار الفكر، بيروت، 1993م، ج6، ص ص: 577 ــ 578.

- عدم التَّوافق مع روح العصر، والإبقاء على الأفكار الجامدة المتحجِّرة.
- قصور التَّوجيه للأوامر والبيانات والمعلومات وعدم وجود التَّنسيق.
- عدم وجود متابعة أو رقابة علمية وقائية وعلاجية، مما يشيع جوًّا من الإرهاب والخوف والتَّطاحن، والشَّكِّ بين الأفراد بعضهم البعض، وانتشار الرَّشاوي والمحسوبية...

ويعدُّ هذا النَّوع من الإدارة الأشدُّ خطراً لما يسبِّبه للكيان الإداري من تدمير لإمكانياته وقدراته، ولعلَّ هذا ما يفسِّر لنا أسباب أزمات الكيانات الإدارية في دول العالم الثَّالث؛ وخاصَّة العربية منها والتي صارت تتهاوى أنظمتها وحكوماتها الدكتاتورية نظرا لافتقارها إلى رؤية مستقبلية علمية [1].

ومن هنَّا فإنَّ القرآن الكريم أوْلى عنايةً كبيرةً للجانب الإداري والتَّنظيمي، وبيَّن الصِّفات الواجب توفُّرها في الإدارة الرّشيدة، كما ضرب لنا أمثلة حيَّة لشخصياتٍ إدارية ناجحة تجسَّدت في الشَّخصيَّة اليوسفية، والسُّليمانية عليهما السَّلام، وهذا ما سيطَّلع عليه قارئ هذا البحث في الفصول الآتية ـــ إن شاء الله ـــ.

6- تعارض الأهداف والمصالح.

عندما تتعارض الأهداف بين الأطراف المختلفة يكون ذلك مدعاة لحدوث أزمة بين تلك الأطراف خصوصاً إذا جمعهم عمل مشترك، فيسعى كل طرف من الأطراف المتعارضة إلى إيجاد وسيلة ضغط لتتوافق مع أهدافه، ومصالحه، وتتعارض في آن واحد مع الطَّرف الآخر، فمن هنا يقوى تيَّار الأزمة بينهما [2].

فالدُّول المتقدِّمة الحديثة وعلى رأسها أمريكا تتعامل مع بقيَّة الدُّول بمبدأ وجود المصلحة، والتَّوحد على أهداف معينة، فليست تجمعهم صداقة دائمة مع دولة، وإنَّما الذي

---

[1] ـــ ينظر: الخضيري، إدارة الأزمات، مرجع سابق، ص ص 73 ـــ 76.

2 ـــ ينظر: الشعلان، إدارة الأزمات، مرجع سابق، ص 49.

يجمعهم وجود مصلحة بينهما، فإذا تعارضت مصلحتها مع بلد ما، واختلفت أهدافهما؛ فإنَّ ذلك نذير بقيام أزمة بين هذين البلدين.

وقصص الأنبياء مع أقوامهم في القرآن الكريم يدخل ضمن هذا البند، حيث نجد أنَّ المعاندين لأنبيائهم وخاصَّة السَّادة والكبراء منهم يشنُّون حربًا عدائية ضدَّ أنبيائهم، وهذا بسبب خوفهم على مصالحهم، وفقدان مكاسبهم التي يجنونها وهم في حال إقامتهم على الكفر، فهذا فرعون الذي كان يستعبد بني إسرائيل، لـــمَّا جاءه موسى عليه السلام وأمره بتحرير بني إسرائيل ﴿ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ ﴿٤٧﴾ ﴾ [طه: 47]؛ ولكنَّ هذا يتعارض مع مصلحة فرعون، فتأزَّم الوضع بينهما.

ونفس الأمر كان بين سليمان عليه السلام وملكة سبأ، فقد كانت الأهداف والغايات متغايرة بينهما، فسليمان عليه السلام يعبد الخالق العظيم بينما ملكة سبأ تعبد مخلوقًا من دون الله، فهذا بطبيعة الحال أدَّى إلى نشوء أزمة سياسية دولية بينهما.

والحال نفسه زمن النَّبي ﷺ فقد عانده المشركون في مكة، واليهود في المدينة على اختلاف طوائفهم وكذا المنافقون، حتَّى أذاقوا النَّبي ﷺ ومن آمن معه ألوانًا من العذاب والسَّبب في ذلك راجع إلى تعارض أهداف الكفار ومصالحهم، وعدم انسجامها مع ما جاء به النَّبي ﷺ، يقول تعالى: ﴿ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ﴾ [البقرة: 120].

فمن هنا نجد أنَّ القرآن الكريم يحذِّر الجماعة المؤمنة من التَّنازع والتَّفرُّق كما في قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَنَٰزَعُوا۟ فَتَفْشَلُوا۟ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾ [الأنفال: 46]؛ كما أنَّه يصف المؤمنين بأنَّ أهدافهم، ومصالحهم، ومقاصدهم موحَّدة لا تعارض فيما بينهم، يقول تعالى: ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ ﴾ [التوبة: 71].

7- انتشار الظُّلم والفساد:

يمثِّل الظُّلم السَّبب المباشر في انهيار الكيانات الاجتماعية سواء على مستوى الأفراد أو الجماعات أو الدُّول وهي من السُّنن الرَّبَّانية التي لا تحابي أحدًا، فمتى بدأ الظُّلم يستشري في جماعة أو منظمة فاحكم عليها بتعاقب الأزمات، وبالخراب الذي سيُفنيها، والقرآن الكريم طافح بضرب الأمثلة على هلاك كثير من الأمم والجماعات بسبب الظُّلم والفساد، قال تعالى: ﴿ وَتِلْكَ ٱلْقُرَىٰٓ أَهْلَكْنَٰهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا۟ وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا ﴿٥٩﴾ ﴾ [الكهف: 59]، وقال أيضا: ﴿ فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَا وَهِىَ ظَالِمَةٌ ﴾ [الحج: 45]، وقال أيضا: ﴿ فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةًۢ بِمَا ظَلَمُوٓا۟ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾ [النمل: 52].

والمخطَّط الآتي يلخِّص أسباب نشوء الأزمات [1]:

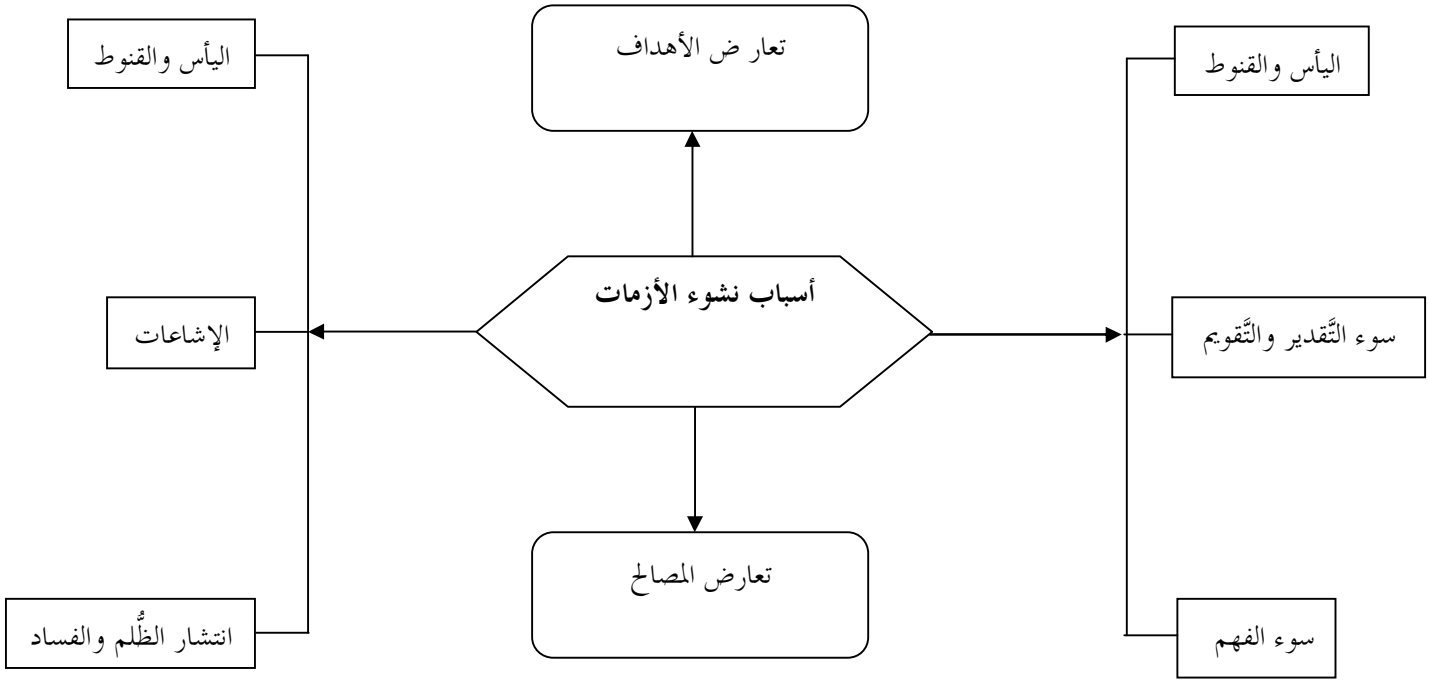

[1] ــ هذا المخطط قريب مما ذكره الخضيري في كتابه. ينظر: الخضيري، إدارة الأزمات، مرجع سابق، ص 66.

المطلب الثاني: من خصائص الأزمات في القرآن الكريم:

رغم تعدُّد وتنوُّع مفهوم مصطلح الأزمة عند أهل الاختصاص، إلَّا أنَّ خصائص الأزمة تكاد تكون محلَّ اتِّفاق بين الباحثين، وسنوجزها فيما يأتي:

1- المفاجأة: تتَّسم الأزمات بحدوثها بشكل مفاجئ، إمَّا لعدم توقُّع حدوثها من حيث المبدأ، أو إنَّه لم يتم توقُّع حجم الآثار النَّاجمة عن الأزمة، فكانت آثارها أكبر بكثير مما تم التَّنبُّؤ به، والاستعداد له، أو لم يتم توقع توقيت الأزمة وجاءت في وقت مخالف لتوقُّعه على نحو يؤثِّر على إجراءات العمل والحياة في المجتمع، فيثير القلق والاضطراب في حياة الأفراد [1]. قال تعالى: ﴿ فَيَأْتِيَهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٠٢﴾ ﴾ [الشعراء: 202].

2- ضيق الوقت المتاح لمواجهة الأزمة: فالأحداث تقع وتتصاعد بشكل متسارع وربما حادٍّ، وهو الأمر الذي يجعل أطراف الأزمة يفقدون أحيانا القدرة على السَّيطرة على الموقف واستيعابه جيِّدًا، حيث لا بدَّ من تركيز الجهود لاتِّخاذ قرارات حاسمة وسريعة في وقت يتَّسم بالضّيق والضّغط [2].

ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿ قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ ﴿٤٧﴾ ﴾ [يوسف: 47]. ونلاحظ في الآية أنَّ يوسف عليه السلام استعمل الفعل المضارع الذي يفيد الحال والمستقبل، وما ذلك إلا لضيق الوقت؛ لأنَّ السِّنين العجاف ستهجم عليهم، وتأْكُل كلَّ ما يقدم لها، ولذلك أرشدهم إلى تكثيف الزِّراعة لسبع سنين بنهارها وليلها حيث يكون العمل فيها دون انقطاع أو تكاسل.

---

[1] ــ ينظر: دره محمد، إدارة الأزمات، مجلة الفكر الشرطي، الإمارات العربية المتحدة، مجلد6، 1997م، ص17.

[2] ــ ينظر: الدليمي عبد الرزاق محمد، الإعلام وإدارة الأزمات، ط1، دار المسيرة، عمّان، 2012م، ص: 107.

3- ظهور أعراض سلوكية مرضية خطيرة لدى فئة عريضة من المجتمع مثل: القلق، والتَّوتر، والخوف، وفقدان الدَّافع على العمل، وتقطُّع النَّسيج الاجتماعي، وانهيار هيكل القيم والعادات والتَّقاليد، وشيوع اللامبالاة وعدم الانتماء [1].

ومثال ذلك وصْفُ القرآن الكريم للحالة النَّفسية التي ألـــمَّت بالمؤمنين في أزمة الأحزاب، حيث بلغ بهم الخوف والذعر مبلغًا كبيرًا، يقول تعالى: ﴿ إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا ۝١٠ هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا ۝١١ ﴾ [الأحزاب: 10 – 11].

4- الأزمة بطبيعتها معقَّدة، ومتشابكة، ومتداخلة فيما بينها، ومعطياتها غير واضحة المعالم، ومتعدِّدة الطُّرق [2]، وبتوصيف القرآن الكريم لها هي عبارة عن: ﴿ ظُلُمَٰتٌۢ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ ﴾ [النور: 40].

ولعلَّ المثال الذي نضربه لهذا البند هو أزمة حادثة الإفك حيث وصلت إلى درجة التَّعقيد حتَّى إنَّ النَّبي ﷺ نفسه لم يستطع أن يفعل شيئًا لضبابية الموقف، ومما زاد الأمر تشابكًا انتشار الإشاعة، والقِيلِ والقال على ألسن بعض الصَّحابة، كمسطح بن أثاثة، وحسَّان بن ثابت... وفوق ذلك كلِّه انقطاع الوحي لمدَّة طويلة، والتِّي كان يتمنَّى النَّبي ﷺ في أثناء فترة الانقطاع أن ينـــزل عليه شيئ من الوحي ليطلعه على حقائق الأمور.

5- تسود فيها ظروف عدم التَّأكد من صحَّة الأخبار، كما يتمُّ فيها نشر الإشاعات، وإثارة القلاقل في الأوساط، فتُحْدِث بذلك حالة من الارتباك

---

[1] ــ ينظر: الخضيري، إدارة الأزمات، مرجع سابق، ص133.

[2] ــ ينظر: الحريري محمد سرور، إدارة الأزمات السياسية واستراتيجيات القضاء على الأزمات السياسية الدولية، ط1، دار حامد للنشر والتوزيع، عمّان، 2012م، ص: 81.

في الأوساط نتيجة نقص المعلومات وعدم وضوح الرُّؤية بالنسبة للإجراءات التي ينبغي اتخاذها بشأن الأزمة [1].

ولهذا نرى في القرآن الكريم أنَّ سليمان عليه السلام في ظلِّ تعامله مع أزمة ملكة سبأ كان يتثبَّت من صحَّة الأخبار؛ ولو نقلها له أضعف جندي في مملكته، فالهدهد لما نقل لسليمان عليه السلام صورة عمَّا يحدث في مملكة سبأ، وأكدَّ ذلك الخبر بقوله: ﴿ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾ ﴾ [النمل: 22]، إلا أنَّ سليمان عليه السلام كان من منهجه التَّثبت عند سماع الأخبار، ولهذا ردَّ على الهدهد قائلا: ﴿ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾ [النمل: 27].

6- تداخل المعلومات، وتشتُّت الجهود، وتعقُّد الظُّروف، والتَّخبُّط العشوائي في اتِّخاذ القرارات، والدُّخول في دائرة المجاهيل المستقبلية وهو الأمر الذي يضاعف من خطورة اتِّخاذ القرار، ويجعل من أيِّ قرار ينطوي على قدر من المخاطرة [2].

ولعلَّ المثال الذي يوضح هذا البند، هو ما حدث للمؤمنين من أزمة في غزوة أحد وذلك حين كرَّ عليهم المشركون من وراء جبل الرُّماة بقيادة خالد بن الوليد، فتخبَّط المؤمنون فيها خبط عشواء حيث لاذ بالفرار أغلبهم إلى جبل أحد، وأصيب عدد كبير منهم في الميدان بإصابات بليغة حتى النبي ﷺ لم يسلم من ذلك، كما أشيع مقتله ﷺ، واستشهد من أصحابه الكثيرون، وعلى رأسهم عمّه حمزة بن عبد المطلب سيِّد الشُّهداء رضي الله عنه.

---

[1] ــ ينظر: الدليمي عبد الرزاق، الإعلام وإدارة الأزمات، مرجع سابق، ص: 107.

[2] ــ ينظر: حريز سامي محمد، المهارة في إدارة الأزمات وحل المشكلات (الأسس النظرية والتطبيقية)، دار البداية، عمّان، 2006م، ص 35.

فهذه الأزمة أذهلت المؤمنين وأدخلتهم في نفق غامض، حتَّى إنَّ البعض منهم لـــمَّا سمع بمقتل النَّبي ﷺ أصابهم الضَّعْف والوهن وفرُّوا من القتال، يقول تعالى: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ ﴾ [آل عمران:144].

7- تتسبَّب الأزمات في وقوع خسائر ماديِّة، أو بشرية، أو نفسية [1].

ومثال الخسائر المادية: الأزمة الاقتصادية زمن يوسف عليه السلام.

أما مثال الخسائر البشرية: فقد كان في أزمة غزوة أحد حيث استشهد من المؤمنين سبعون رجلا.

أما في الجانب النَّفسي، فمثاله أزمة الأحزاب حيث تركت أثرًا عميقًا في نفوس المؤمنين، وقد أشار القرآن الكريم إلى جانب من هذا في قوله تعالى: ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴿٢١٤﴾ ﴾ [البقرة: 214].

المطلب الثالث: مراحل إدارة الأزمة من خلال القرآن الكريم [2]:

تتَّحد الأزمات عبر الأزمنة في مراحلها فتبدأ بمرحلة الضُّعف، ثمَّ تليها القوَّة، ثم التَّلاشي والاندثار شأنها في ذلك شأن أيِّ كائن حيٍّ [3] مثل النَّبات إذ تنشأ سيقانها ضعيفة

---

[1] ــ ينظر: الدليمي عبد الرزاق، الإعلام وإدارة الأزمات، مرجع سابق، ص: 107.

[2] ــ رأيت أنه من الواجب علي أن أعرض ما ذكره أصحاب هذا الفن وأقارنه في نفس الوقت بما ذكر في القرآن الكريم بمثال واحد لكل مرحلة ولعل هذا سيفتح الباب أكثر للباحثين من بعدي ليطوروا هذا العلم من خلال الدراسات القرآنية.

[3] ــ الدليل في تسوية مراحل الأزمة بمراحل الكائنات الموجودة في الوجود قوله تعالى: ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ۚ مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾ [الأنعام: 38]، يقول سيد قطب: "ما من خلق حي في هذه الأرض كلها إلا وهو ينتظم في أمة، ذات خصائص واحدة، وذات طريقة

ثم تكبر وهيج ثم تكون بعد ذلك حطامًا، ونفس الشَّيء يُقال في مراحل وأطوار عمر الإنسان: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْقَدِيرُ ﴿٥٤﴾﴾ [الروم: 54].

يقول الهدمي: "تمرُّ الأزمة باعتبارها ظاهرة اجتماعية بدورة للحياة، مثلها في ذلك مثل أيِّ كائن حيّ، وهذه الدَّورة تمثِّل أهمِّية قصوى عند قيامنا بمتابعة الأزمة، ومحاولة الإطاحة بها"[1].

والرّسم الآتي يبين دورة حياة الأزمة:

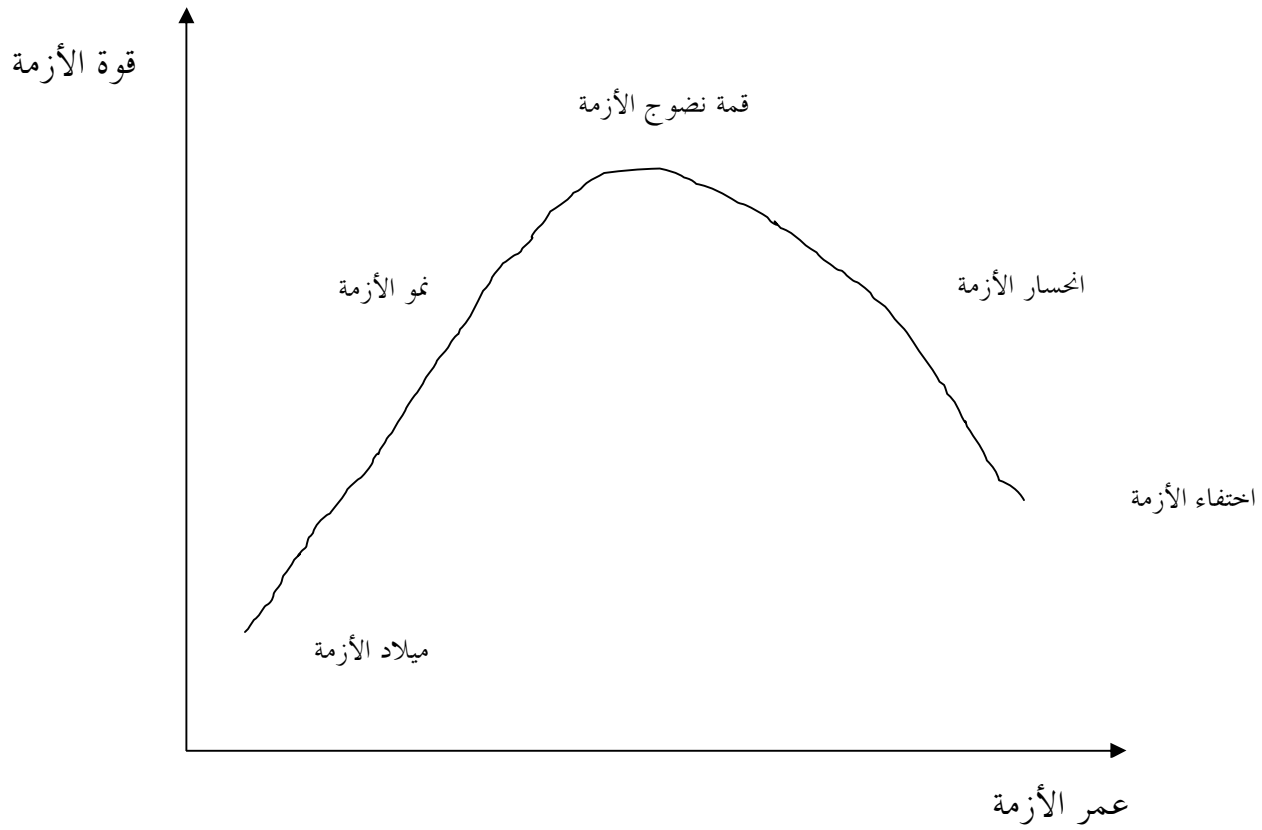

في الحياة واحدة كذلك.. شأنها في هذا شأن أمة الناس.. ما ترك الله شيئاً من خلقه بدون تدبير يشمله، وعلم يحصيه..". [سيد قطب، في ظلال القرآن، مصدر سابق، ج2، ص1080].

[1] ــ الهدمي ماجد سلامة، مبادئ إدارة الأزمات، دار زهران، القاهرة، د.ت. ص41.

ويكاد يتَّفق معظم الباحثين والكتَّاب في علم إدارة الأزمات على أنَّ إدارة الأزمة تمرُّ بخمس مراحل رئيسة كما هي مبيَّنة في الجدول الآتي:

مرحلة ما قبل الأزمة	1 ــ اكتشاف إشارات الإنذار 2 ــ الاستعداد والوقاية
مرحلة أثناء الأزمة	3 ــ تقدير واحتواء الأضرار
مرحلة ما بعد الأزمة	4 ــ استعادة النَّشاط 5 ــ التَّعلم والاستفادة

وسنجمل الحديث في بيان مراحل إدارة الأزمة فيما يأتي:

1- مرحلة ما قبل الأزمة: وهي تشمل مرحلتين:

أ- مرحلة اكتشاف إشارات الإنذار:

هذه المرحلة تبدأ عادةً بظهور أعراض، أو إشارات، أو إنذارات تُنبئ عن إمكانية ظهور أزمة، فإذا تفطَّن لها أصحاب الإدارة والمنظَّمات فإنَّهم سيحدُّون من انتشارها، أو يقلِّصون من حدَّتها، بخلاف ما إذا تجاهلوا هذه الإشارات المبكِّرة، أو فسَّروها تفسيرًا خاطئًا، فإنَّ ذلك سيؤدِّي إلى نشوء أزمة حقيقيَّة.

ومن الملاحظ أنَّ الإشارات التَّحذيرية تختلف باختلاف نوع الأزمة، فمثلا المطالب المالية للعمَّال قد تكون إشارة تحذيرية لوقوع اضطرابات، كذلك قد تكون زيادة أعطال بعض الأجهزة مؤشِّرا على فشل المعدَّات وإمكانية وقوع حوادث وكوارث [1].

ومن أمثلة هذه المرحلة في القرآن الكريم ما جاء عن الأمر ببعث حكمين لإصلاح أمر الزَّوجين، وذلك بمجرَّد استشعار وجود شقاق بينهما، وهذا درءًا لأزمة الطَّلاق المستفحلة في المجتمعات، يقول تعالى: ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَٱبْعَثُوا۟ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ

[1] ــ شريف منى صلاح الدين، إدارة الأزمات الوسيلة للبقاء، شريف منى صلاح الدين، إدارة الأزمات الوسيلة للبقاء، ط1، دار البيان للطباعة والنشر، القاهرة، 1998م، ص72.

﴿وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ إِن يُرِيدَآ إِصْلَٰحًا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا ﴿٣٥﴾﴾ [النساء: 35].

يقول محمد رشيد رضا: "فخوف الشِّقاق توقُّعه بظهور أسبابه... وهذا يدلُّ على نهاية العناية من الله تعالى في إحكام نظام البيوت الذي لا قيمة له عند المسلمين في هذا الزَّمان، وانظروا كيف لم يذكر مقابل التَّوفيق بينهما وهو التَّفريق عند تعينه، لم يذكره حتَّى لا يذكر به؛ لأنَّه يُبغضه، ولِيشعر النُّفوس أنَّه ليس من شأنه أن يقع"[1].

ب- مرحلة الاستعداد والوقاية:

تعتمد هذه المرحلة على وضع برنامج استعدادًا لمواجهة الأزمة قبل حدوثها، كرسم سيناريوهات، ووضع خطط، والقيام بتدريبات افتراضية من قِبَل مؤسسات، وعليه يجب أن يتوفَّر لدى المؤسسات استعدادات جاهزة، وأساليب كافية للوقاية من الأزمات.

ومثال ذلك في القرآن الكريم ما وقع في قصَّة أمِّ سيدنا موسى عليه السلام لما استعدَّت لمواجهة الأزمة المتأتِّية من فرعون حيث إنَّ هذا الأخير كان يُمعن في ذبح أبناء بني إسرائيل، فخافت أمُّ موسى من ابنها، فأوحى الله عزَّ وجلَّ لها خطَّة عمليَّة رسمت لها طريقة النَّجاة لها ولابنها، وهي تتضمَّن أوامر ونواهي وَوُعوداً صادقة؛ وفي هذا وقايةٌ وحفظٌ لها من أزمة القتل التي كان يمارسها فرعون ضدَّ أولادهم البُرآء، يقول تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾﴾ [القصص: 7].

يقول الشعراوي: "فالكلام هنا لإعداد الأمِّ وتهيئتها لحين الحادثة، وفَرْق بين الخطاب للإعداد قبل الحادثة والخطاب حين الحادثة، فسوف يكون للأمومة ترتيب ووسائل تساعد على النَّجاة، صنعتْ له صندوقاً جعلت فيه مَهْداً ليّناً واحتاطتْ للأمر، ثمَّ يُطَمْئنها الحقُّ سبحانه على ولدها: {وَلاَ تَخَافِي وَلاَ تحزني} فسوف نُنجيه؛ لأنَّ له مهمَّة عندي {إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ المرسلين}"[2].

---

[1] ــ محمد رشيد رضا، تفسير المنار، مصدر سابق، ج5، ص63.

2 ــ الشعراوي محمد متولي، الخواطر، مطابع أخبار اليوم، القاهرة، 1997م، ج15، ص9267.

وفي قصَّة نوح عليه السلام نموذج آخر يمثِّل هذه المرحلة، فبَعْد أنْ أوحى الله عز وجل إلى نوح عليه السلام أنَّه لن يؤمن من قومه إلا من قد آمن، أمره بصُنع الفلك لِيحمل فيها من آمن معه، ويحمل فيها أيضًا من كلِّ زوجين اثنين، وهذا استعدادًا ووقاية لهم من كارثة الغرق، يقول تعالى: ﴿ فَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ أَنِ ٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا فَإِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ فَٱسْلُكْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ مِنْهُمْ ۖ وَلَا تُخَٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ ۖ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾ [المؤمنون: 27].

2- مرحلة أثناء الأزمة: وهي تشمل:

مرحلة التَّقدير واحتواء الأضرار:

يعبِّر الباحثون عن هذه المرحلة بمرحلة انفجار الأزمة، أو بلوغها الذِّروة، وقد اتَّسعت نتيجة عدم معالجتها في المرحلة الأولى، وتتلَّخص هذه المرحلة أساسًا في إعداد وسائل للحدِّ من الأضرار ومنعها من الانتشار لتشمل الأجزاء الأخرى التي لم تتأثَّر بعد في المجتمع، بالإضافة إلى محاولة القضاء على الآلام والسَّيطرة على معاناة النَّاس من خلال الأساليب المتنوِّعة لاحتواء أضرار النَّاس، وهي بلا شك أصعب أوقات التَّعامل مع الأزمة إذ يدركها الجميع[1].

وأحسن مثال لذلك قصَّة يوسف عليه السلام في حسن إدارته للأزمة الاقتصادية، فقد تنبَّه عليه السلام بالمرحلة الأولى واستعدَّ لها، وأمر بتفعيل مخطَّط ليضمن لهم السَّلامة في المرحلة الثالثة من مراحل الأزمة (احتواء الأزمة)، فقال تعالى على لسان يوسف عليه السلام: ﴿ قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِى سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ ﴿٤٨﴾ ثُمَّ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾ [يوسف: 47 – 49]، فلما حلَّت الأزمة الشَّديدة بهم، وجد أهل مصر المَخرج من ذلك نتيجة ادِّخار القمح في سنابله، بينما الدُّول المجاورة كفلسطين وبلاد الشَّام فقد اشتدَّت أزمة

---

1 ــ ينظر: الخضيري، إدارة الأزمات، مرجع سابق، ص ص: 72 ــ 74. وينظر: الحملاوي محمد رشاد، إدارة الأزمات تجارب محلية وعالمية، ط2، مكتبة عين شمس، القاهرة، 1995م، ص ص: 63 ــ 64.

القحط والجوع فيهم نتيجةً لعدم التَّنبه للمرحلة الأولى من الأزمة، وعدم تمكُّنهم من احتوائها والتَّغلب عليها في المرحلة الثالثَّة، يقول تعالى: ﴿ فَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ قَالُوا۟ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا ٱلضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَٰعَةٍ مُّزْجَىٰةٍ فَأَوْفِ لَنَا ٱلْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَجْزِى ٱلْمُتَصَدِّقِينَ ﴿٨٨﴾ ﴾ [يوسف: 88].

يقول المراغي: "وعادوا إلى مصر ودخلوا على يوسف عليه السلام فقالوا له يا أيها العزيز: أصابنا الهزال، والضعف لما نحن فيه من المجاعة، وكثرة العيال، وقلة الطعام، وقد شكوا إليه رقَّة الحال وقلَّة المال وشدَّة الحاجة وغير ذلك مما يرقِّق القلب"[1].

كما نجد في قصَّة ذي القرنين المذكورة في سورة الكهف نموذجاً تطبيقيًّا لاحتواء أضرار أزمة أمنية ناتجة عن فساد يأجوج ومأجوج، حيث قام ذو القرنين بتعبئة النَّاس وتحريكهم لبناء سدٍّ يَحُول بينهم وبين هؤلاء المفسدين: ﴿ قَالُوا۟ يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٤﴾ قَالَ مَا مَكَّنِّى فِيهِ رَبِّى خَيْرٌ فَأَعِينُونِى بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٩٥﴾ ﴾ [الكهف: 94 ــ 95]، كما خطَّط ذو القرنين بأن يكون الجدار الفاصل متينًا لا يستطيع يأجوج ومأجوج نَقْبَه أو هَدْمه؛ وذلك أنَّه بنى السَّدَّ أوَّلا بقطع حديدية مثل القوالب، وبعدها أمر باستعمال المنافيخ كي يشتدّ اشتعال النَّار، وينصهر الحديد... فلمَّا تم له ذلك، دعا القوم إلى أن يأتوا بالقِطر وهو النُّحاس الـــمُذاب، فيفرغوه فوق هذا الحديد المنصهر، فيمسك بعضه ببعض [2]، يقول تعالى: ﴿ ءَاتُونِى زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ قَالَ ٱنفُخُوا۟ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا قَالَ ءَاتُونِىٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴿٩٦﴾ فَمَا ٱسْطَٰعُوٓا۟ أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ لَهُۥ نَقْبًا ﴿٩٧﴾ ﴾ [الكهف: 96 ــ 97].

---

1 ــ المراغي أحمد بن مصطفى، تفسير المراغي، ط1، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، 1946م، ج13، ص31.

2 ــ ينظر: الخطيب عبد الكريم، التفسير القرآني للقرآن، مصدر سابق، ج8، ص709. وينظر: أحمد علي الإمام، مفاتيح فهم القرآن، دار المنى للطباعة، دمشق، 2003م، ص: 303.

3- مرحلة ما بعد الأزمة: وتشمل مرحلتين:

أ- مرحلة استعادة النَّشاط:

وهي العمليات التي يقوم بها الجهاز التَّنفيذي لإدارة الأزمة لغرض استعادة توازنه ومَقْدرته على ممارسة أعماله وترميم آثار الضَّرر وإعادة الأمور إلى نصابها مثلما كانت قبل الأزمة [1].

ويمكن أنْ أمثِّل لهذه المرحلة بالأزمة العسكرية التي وقعت للمؤمنين إثر غزوة أحد فقد لحقت بهم خسائر بشرية ومادِّية معتبرة نتيجة مخالفتهم ـــ رضوان الله تعالى عليهم ـــ أمر الرَّسول ﷺ وذلك بنـــزول غالبيَّتهم من جبل الرُّماة، لكنَّ المنهج القرآني أراد أن يعيد النَّشاط فيهم، ويبعث الأمل في نفوسهم من جديد، وينسيهم مآسي الأزمة قائلا لهم: ﴿ وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٠﴾ ﴾ [آل عمران: 139 – 140].

يقول السعدي: "يقول تعالى مشجِّعا لعباده المؤمنين، ومقوِّيًا لعزائمهم ومنهضًا لهممهم: ﴿ وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ ﴾ أي: ولا تهنوا وتضعفوا في أبدانكم، ولا تحزنوا في قلوبكم، عندما أصابتكم المصيبة، وابتُليتم بهذه البلوى، فإنَّ الحزن في القلوب، والوهن على الأبدان، زيادة مصيبة عليكم، وعونٌ لعدوِّكم عليكم، بل شجِّعوا قلوبكم وصبِّروها، وادفعوا عنها الحزن وتصلَّبوا على قتال عدوِّكم، وذَكَر تعالى أنَّه لا ينبغي ولا يليق بهم الوهن والحزن، وهم الأعلون في الإيمان، ورجاء نصر الله وثوابه، فالمؤمن المتيقِّن ما وعده الله من الثَّواب الدُّنيوي والأخروي لا ينبغي منه ذلك، ولهذا قال تعالى: ﴿ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾"[2].

---

1 ـــ ينظر: الكيلاني عبد الله، إدارة الأزمة مقاربة التراث..والآخر، كتاب الأمة، العدد 131، عام 1430 هـــ، ص 91.

2 ـــ السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، مصدر سابق، ج1، ص149.

ومثال آخر نجده في قصَّة أبينا آدم عليه السلام، وذلك لـــمَّا نهاه الله عز وجل وزوجَه عن الاقتراب من شجرة من أشجار الجنَّة التي يسكنان فيها؛ ولكنَّ إبليس اللَّعين أغرى آدم بالأكل من الشَّجرة، فذاقا منها هو وزوجُه، فنَسِيَ بذلك نَهْي الله عز وجل له، فوقعا في أزمة وضائقة حيث كشفت عوراتهما، وطُرِدا من الجنَّة... بسبب معصية الخالق؛ ولكنَّ الله عز وجل لطيف بعباده أراد أن يجاوز آدم وزوجه الأزمة التي وقعا فيها، وأن يعيدهما إلى نشاطهما، وأن ينهضهما من عثرتهما، فأوحى الله إلى آدم بكلمات ليقولها حتَّى يتوب عليه ويغفر له زلَّته، يقول تعالى: ﴿ وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ۖ وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾ ﴾ [البقرة: 35 ــ 37]، "وأرجح ما قيل في تعيين هذه الكلمات، ما أشار إليه القرآن في سورة الأعراف بقوله: ﴿ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الأعراف: 23]"[1].

ب- **مرحلة التَّعلم والاستفادة:**

والمرحلة الأخيرة هي مرحلة التَّعلم المستمر، وإعادة التَّقييم لتحسين ما تمَّ إنجازه في الماضي، حيث إنَّ التَّعليم يعدُّ أمرًا حيوياً غير أنَّه مؤلم للغاية، ويثير ذكريات مؤلمة خلَّفتها الأزمة، وإنَّ استخلاص دروس مستفادة من كارثة أو أزمة يتوقَّف على توفُّر حسٍّ مرهف لدى الإنسان يجعله يقدر معاناة التَّغيُّر، كما أنَّ التَّعلم لا يعني تبادل الاتِّهامات، أو إلقاء اللَّوم على الغير وتحميله المسؤولية، أو البحث عن كبش فداء أو ادِّعاء بطولات كاذبة [2].

---

[1] ــ طنطاوي، التفسير الوسيط، مصدر سابق، ج1، ص102.

[2] ــ ينظر: الحملاوي، إدارة الأزمات، مرجع سابق، ص ص: 64 ــ 65.

فالتَّعلم والاستفادة من الدُّروس والأخطاء يعتبر أكبر مُعِين على تجنُّب الأزمات في المستقبل، فالمؤمن كَيِّسٌ فَطِنٌ، وقد وصفه النَّبيُّ ﷺ بقوله: «لاَ يُلْدَغُ الْمُؤْمِنُ مِنْ جُحْرٍ وَاحِدٍ مَرَّتَيْنِ»[1].

وأمَّا الحثُّ على الاعتبار والتَّذكُّر واستفادة التَّجارب من الأمم الماضية فكثير في القرآن الكريم؛ من ذلك سوق القصص لغرض الاعتبار، وأيضًا مجيء الحرف "إذ" بكثرة بعد التَّعقيب عن الحوادث والوقائع [2] وهو يفيد معنى: "اذكروا حين" لغرض التَّعلم والاعتبار كما جاء ذلك الحرف عقب الأزمة التي ألـــمَّت بالمؤمنين يوم حنين حيث يقول تعالى: ﴿ لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٦﴾ ﴾ [التوبة: 25 - 26].

---

[1] ــ متفق عليه، واللفظ للبخاري، البخاري، الجامع الصحيح، مصدر سابق، كتاب الآداب، باب لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين، ج8، ص81، رقم الحديث: 6133.

[2] ــ هذا الحرف "إذ" الذي يفيد التعلم والتذكر جاء في أعقاب الغزوات الآتية: بدر [واذكروا إذ أنتم قليل مستضعفون في الأرض]، وأحد [إذ تصعدون ولا تلوون على أحد]، والأحزاب [إذ جاءتكم جنود فأرسلنا عليهم ريحا]،... وغير ذلك.

المبحث الثالث: الأزمات: "أنواعها، وآثارها، والهدف من إدارتها" من خلال القرآن الكريم.

المطلب الأول: أنواع الأزمات في القرآن الكريم.

إنَّ الإدارة المثلى للأزمة تقتضي تصنيف الأزمة وذلك بتحديد طبيعة ونوع الأزمة، وهذا يفيدنا في التَّعامل مع كل نوع على حِدَة لتقديم أمثل إدارة لها؛ لكن تحديد نوع الأزمة ليس عملية سهلة، بحكم تعدُّد المعايير في تصنيف نوع الأزمة [1]، وتطلُّبها قدرات وكفاءة وخبرة عالية لبيان طبيعتها.

والقرآن الكريم يذكر لنا أنواعًا من الأزمات التي تصيب الإنسان لا محالة كقوله تعالى: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ ۗ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ﴾ [البقرة: 155]، فالآية الكريمة أكَّدت على وقوع الابتلاء بالأزمات وتكون مختلفة المقادير والمستويات ويدل على ذلك لفظة ﴿ بِشَيْءٍ ﴾ومقدار الشيء يختلف من شخص إلى آخر، ومن أزمة إلى أخرى، كما تدل الآية أيضًا على اختلاف أصناف الأزمات وأنواعها كالأزمات الأمنية، والعسكرية حيث يُفقد فيها الأمن ويدل عليه لفظ: ﴿ الْخَوْفِ ﴾، والأزمة الاقتصادية ويُنبئ عنها جميع هذه المفردات الآتية: ﴿ وَالْجُوعِ ﴾، ﴿ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ ﴾، ﴿ وَالْأَنفُسِ ﴾، ﴿ وَالثَّمَرَاتِ ﴾، وهي أساس جميع الأزمات ويتولَّد منها غيرها كالأزمات الاجتماعية، والعسكرية؛ لأنَّ المال والاقتصاد قِوام كلِّ شيء مصداقًا لقوله تعالى: ﴿ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا ﴾ [النساء: 5].

ومن خلال رجوعنا إلى القرآن الكريم يمكننا أن نصنِّف أنواع الأزمات حسب المعايير التي استخدمها القرآن الكريم، وهي:

---

[1] ــ صنف الخضيري أنواع الأزمات في كتابه "إدارة الأزمات"إلى أصناف عدة منها: تصنيف الأزمات من حيث مرحلة التكوين، تصنيف الأزمات من حيث معدل تكرارها، تصنيف الأزمات من حيث عمق الأزمة، تصنيف الأزمات من حيث شدتها، تصنيف الأزمات من حيث الشمول والتأثير، تصنيف الأزمات من حيث الموضوع أو محور الأزمة، تصنيف الأزمات من حيث المستوى. وقد ذكر تقسيمات لكل صنف من هذه الأصناف. [ينظر: الخضيري محسن أحمد، إدارة الأزمات، ص ص: 141 ــ 169].

1- تصنيف الأزمات وفقًا لمقدار عمق الأزمة: وينتج عنها نوعان أساسيان هما:

✓ ــ النَّوع الأول: أزمات سطحية: "وهي أزمات لا تشكِّل خطورة شديدة وتُحدث عادة طفرة وبشكل فجائي، وتنتهي بسرعة بالتَّعامل مع أسبابها غير العميقة، فهي أزمة بدون جذور، أي تحدث وتختفي دون أن تترك آثارا وراءها"[1].

ومثال ذلك الأزمة النَّفسية العارضة التي وقعت لمريم عليها السلام لـــمَّا حملت بعيسى عليه السلام فخافت من مقولة النَّاس في عِرضها الطَّاهر؛ لكنَّ الأزمة سرعان ما زالت بإرشاد الله لها بعدم ردِّ الجواب بسؤال قومها لها، والاكتفاء بما سينطقه ذلك الصَّبيُّ الرَّسول، قال تعالى: ﴿فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِيٓ إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴿٢٦﴾ فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ ۖ قَالُوا۟ يَٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا ﴿٢٧﴾ يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ﴿٢٨﴾ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ ۖ قَالُوا۟ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾﴾ [مريم: 26 ــ 33]

يقول السعدي: "فلما تعلَّت [2] مريم من نفاسها، أتت بعيسى قومها تحمله، وذلك لعلمها ببراءة نفسها وطهارتها، فأتت غير مبالية ولا مكترثة"[3].

✓ ــ النَّوع الثاني: أزمات عميقة متغلغلة: وهي أخطر أنواع الأزمات، ذات الطبيعة شديدة القسوة وهي تفرز اختلالات ذات تأثير على ضروريات واحتياجات الأفراد والجماعات، وأحسن مثال لذلك أزمة القحط التي وقعت زمن يوسف عليه السلام حيث اشتدَّت سبع سنوات تاركةً آثارًا عميقةً متغلغلة في النُّفوس كالمجاعة

---

[1] ــ المرجع ذاته، ص157.

[2] ــ تَعَلَّتِ الــمرأةُ: طهرت من نِفاسها [ابن منظور، لسان العرب، مصدر سابق، ج15، ص94]

[3] ــ السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، مصدر سابق، ج1، ص492.

والفقر، قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ قَالُوا۟ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا ٱلضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَٰعَةٍ مُّزْجَىٰةٍ فَأَوْفِ لَنَا ٱلْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَجْزِى ٱلْمُتَصَدِّقِينَ ﴿٨٨﴾ ﴾ [يوسف: 88].

يقول سيد قطب: "ويدخل إخوة يوسف مصر للمرَّة الثالثة، وقد أضرَّت بهم المجاعة، ونفدت منهم النُّقود، وجاءوا ببضاعة رديئة هي الباقية لديهم يشترون بها الزَّاد.. يدخلون، وفي حديثهم انكسار لم يُعهد في أحاديثهم من قبل، وشكوى من المجاعة تدلُّ على ما فعلت بهم الأيَّام"[1].

2- تصنيف الأزمات من حيث المستوى: ووفقًا لهذا الأساس يمكن لنا التَّفرقة بين نوعين من الأزمات:

✓ ــ النَّوع الأول: الأزمات على المستوى الجزئي: فهناك نوع من الأزمات يقتصر على بعض الأفراد، أو بعض الدوائر والمؤسَّسات ولا تتعدَّاه إلى غيرها، ومثال ذلك من القرآن الكريم الأزمة الفردية التي حلَّت بموسى عليه السلام في قضيَّة القتل الخطأ حيث دخل المدينة خِفية من أهلها فتعرَّض لخصومة واقعة بين اثنين، أحدُهما من قبيلته، والآخر من عدوِّه، فأراد موسى عليه السلام أن يفرِّق بينهما فوقعت منه وَكْزة نالَت الذي هو من عدوِّه فأرْدَاه قتيلاً، قال تعالى: ﴿ وَدَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِۦ ۖ فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ ۖ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۖ إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ ﴾ [القصص: 15]، فتأزَّم الوضع عند موسى عليه السلام فشَعَر من حينها بالقلق والخوف في المدينة ﴿ فَأَصْبَحَ فِى ٱلْمَدِينَةِ خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا ٱلَّذِى ٱسْتَنصَرَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُۥ ۚ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰٓ إِنَّكَ لَغَوِىٌّ مُّبِينٌ ﴿١٨﴾ ﴾ [القصص: 18]، وصَحِبَته الأزمة مع خروجه من المدينة ﴿ فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ ۖ قَالَ رَبِّ نَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢١﴾ ﴾ [القصص: 21]، لكنَّ أزمة الخوف من الملاحقة بسبب القتل لم تَطَل بسبب تطمين

[1] ــ سيد قطب، في ظلال القرآن، مصدر سابق، ج4، ص ص2026 ــ 2027.

الرَّجل الصَّالح من مدين لموسى عليه السلام ﴿فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٢٥﴾﴾ [القصص: 25].

✓ ــ النَّوع الثاني: الأزمات على المستوى الكلِّي: "وهذا النَّوع من الأزمات يصيب الدَّولة ككل، ويتأثَّر به المجتمع ككل لكونه متَّصلاً بالكامل بأدائه، وهي أزمات شاملة عامَّة سواء في أسبابها، أو في نتائجها التي أفرزتها، أو في متطلَّبات العلاج الخاصِّ بها"[1].

ومثال هذا النَّوع من القرآن الكريم ما حدث للمؤمنين من فزع، وكرب، وزلزال شديد جرَّاء أزمة الأحزاب التي نزلت بهم، وهُم بالمدينة إذ جاءوهم من كل مكان وحاصروا المدينة من أعاليها ومن أسفلها ووديانها... يقول تعالى وهو يخاطب المؤمنين ككل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٩﴾ إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا ﴿١٠﴾ هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴿١١﴾﴾ [الأحزاب: 9 –11]، ولقد شمل الكرب الجميع، واشتدَّ انشغالهم بعدوِّهم انشغالًا عظيمًا، حتَّى إنَّهم لم يستطيعوا أن يؤدُّوا بعض الصَّلوات المكتوبة في أوقاتها، وقال بعض الصَّحابة: يا رسول الله، ما صلَّينا، فقال لهم ﷺ: ولا أنا، والله ما صلَّيت ثم قال: «مَلَأَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ بُيُوتَهُمْ وَقُبُورَهُمْ نَارًا، كَمَا شَغَلُونَا عَنْ صَلاَةِ الوُسْطَى حَتَّى غَابَتِ الشَّمْسُ»[2].

3- تصنيف الأزمات من حيث علاقة الأزمة بالعالم الخارجي:

هذا التَّقسيم جغرافي أكثر منه واقعي، وهو يصلح قديمًا لا حديثًا لأنَّنا نعيش اليوم في عالم الأزمات، عالم الكيانات والتَّكتُّلات الكبرى حيث لا توجد فيه حدود، ولا فواصل حتَّى تُحمى الكيانات الصُّغرى من تأثير الكيانات الكبرى، وبالصَّعب جدًّا ونحن في عصر

---

[1] ــ الخضيري، إدارة الأزمات، مرجع سابق، ص162.

[2] ــ البخاري، الجامع الصحيح، مصدر سابق، كتاب المغازي، باب غزوة الخندق وهي الأحزاب، ج5، ص110، حديث رقم: 4111.

العولمة حيث العالم يُختزل في جهاز نقَّال أن نعزل كيانًا أو دولة عن بقيَّة الآخرين، وإنَّما ارتأيت أن أذكر هذا الصِّنف لأنَّ الأزمات تمرُّ بمراحل وأطوار فأيُّ أزمة قبل أن تكون دولية لا بد أن تُسبق بالمحلية؛ وإن لم أقل بالفردية ثم تفاقمت وصُدِّرت إلى الخارج، وأكبر مثال نعيشه اليوم هو أزمة الفكر الإرهابي التَّكفيري، فقد كان في بداياته مجرَّد أفكار متطرِّفة يحملها بعض الأشخاص، ثم تطوَّر الأمر إلى أن تبنَّته منظَّمات تحت اسم كتائب وفصائل، ثم تفاقم الوضع وصار فكرًا تتبنَّاه دول تحت مسمَّى: الدَّولة الإسلامية في العراق والشَّام، واختصارا: "داعش"، وزاد خطر اتِّساعه فكان إقليميًّا حيث صار يتربَّع في كثير من الدُّول كمالي، وليبيا، واليمن، وأفغانستان... ونسأل الله العافية لوطننا من هذا الفكر.

فمن هذا الجانب يأتي هذا التَّصنيف وهو على نوعين:

- ✓ ــ النَّوع الأول: أزمات محلية: وهذا النَّوع من الأزمات لا يتعدَّى حدود الدَّولة، على أنَّه كثيرا ما يقتصر تأثيره على جزء محدود من هذه الدَّولة، ولا يتعدَّاه إلى باقي الأجزاء الأخرى منها [1]، فعلى سبيل المثال أزمة حادثة الإفك المذكورة في سورة النُّور حيث هزَّت المجتمع المدني لكنَّها لم تتخطَّه إلى مجتمعات أخرى وإنَّما كانت محلِّية.
- ✓ ــ النَّوع الثَّاني: أزمات دولية: "هي الأزمات التي تحدث نتيجة لتهديد المصالح والمواثيق والأعراف الدّولية من قبل دولة ومحاولتها القيام باستخدام القوَّة العسكرية، أو عدم الاعتراف بالشَّرعية الدّولية بقصد فرض سيطرتها وتعرُّض الأمن والسِّلم العالميين للخطر"[2].

ومثال هذا النَّوع من الأزمات الدولية أزمة ملكة سبأ مع سيدنا سليمان عليه السلام المذكورة في سورة النَّمل، فقد كادت تستخدم القوَّة العسكرية فيما بين الدولتين، فمستشارو ملكة سبأ لوَّحوا باستخدام القوَّة قائلين: ﴿ قَالُوا نَحْنُ أُولُو قُوَّةٍ وَأُولُو بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانْظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [النمل: 33]، وفي المقابل كذلك نجد سليمان عليه السلام همَّ بالتَّدخُّل

---

[1] ــ مرجع سابق، ص 166.

[2] ــ قطيش نواف حامد، إدارة الأزمات، دار الراية، عمّان، 2009م، ص32.

العسكري وفرْض القوَّة قائلًا: ﴿ ٱرۡجِعۡ إِلَيۡهِمۡ فَلَنَأۡتِيَنَّهُمۡ بِجُنُودٖ لَّا قِبَلَ لَهُمۡ بِهَا وَلَنُخۡرِجَنَّهُم مِّنۡهَآ أَذِلَّةٗ وَهُمۡ صَٰغِرُونَ ٣٧ ﴾ [النمل: 37]، لكن الأزمة بينهما سرعان ما انحسرت بإذعان الملكة ودخولها في الإسلام؛ وتركها لما كانت تعبده من دون الله: ﴿ قَالَتۡ رَبِّ إِنِّي ظَلَمۡتُ نَفۡسِي وَأَسۡلَمۡتُ مَعَ سُلَيۡمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٤٤ ﴾ [النمل: 44].

4- التَّصنيف على أساس المصدر: وهو على نوعين:

- ✓ ــ النَّوع الأوَّل: أزمات مصدرها طبيعية: "وهي أسباب خارجة عن طبيعة الإنسان، ومن الصَّعب التَّحكم فيها أو إيقافها، وليس هناك قدرة على التَّنبُّؤ بها"[1]. وهذا النَّوع تسبَّب في أزمات كثيرة مذكورة في القرآن الكريم منها على سبيل المثال: أزمة القحط زمن يوسف عليه السلام، وكارثة انفجار سدِّ مأرب وما خلفه من أزمات لدى أهل سبأ، وكارثة إرسال الجراد والقمل والضفادع على قوم فرعون وما خلَّفه من أزمات...
- ✓ النوع الثاني: أزمات مصدرها بشرية: وهي تكون بفعل الإنسان وله الدَّور البارز في افتعالها، وأمثلة هذا النَّوع في القرآن كثيرة منها: أزمة حادثة الإفك حيث كان مفتعلُها عبد الله بن أبيِّ بن سلول ــ رأس المنافقين ــ الذي قال الله عزَّ وجلَّ فيه في أعقاب الحادثة ﴿ وَٱلَّذِي تَوَلَّىٰ كِبۡرَهُۥ مِنۡهُمۡ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٞ ١١ ﴾ [النور: 11]، ونفس الشَّيء في الأزمة التي حلَّت بالمؤمنين يوم أحد، حيث كان السَّبب فيها بشريًا محضًا، تمثَّل في نزول غالبية الرُّماة من الجبل وعصوا بذلك أوامر الرَّسول ﷺ رغم توصيته ﷺ لهم بقوله: «إِنْ رَأَيْتُمُ الْعَدُوَّ وَرَأَيْتُمُ الطَّيْرَ تَخْطَفُنَا، فَلَا تَبْرَحُوا، فَلَمَّا رَأَوْا الْغَنَائِمَ قَالُوا: عَلَيْكُمُ الْغَنَائِمَ، فَقَالَ عَبْدُ اللهِ: أَلَمْ يَقُلْ رَسُولُ اللهِ ﷺ: لَا تَبْرَحُوا؟»[2]، فنـــزلت فيهم: ﴿ وَعَصَيۡتُم مِّنۢ بَعۡدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَۚ

---

[1] ــ سامي حريز، المهارة في إدارة الأزمات وحل المشكلات، مرجع سابق، ص 25.

[2] ــ أحمد بن حنبل، مسند الإمام أحمد، تح: شعيب الأرناؤوط وآخرون، ط1، مؤسسة الرسالة، 2001 م، مسند الكوفيين، حديث البراء بن عازب، ج30، ص562، رقم الحديث: 18600. يقول الألباني: أخرجه أحمد، ورجاله

﴿ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنۡيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلۡأٓخِرَةَۚ ثُمَّ صَرَفَكُمۡ عَنۡهُمۡ لِيَبۡتَلِيَكُمۡۖ وَلَقَدۡ عَفَا عَنكُمۡۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١٥٢ ﴾ [آل عمران: 152]، ويُرجع القرآن الكريم مرَّة أخرى مصدر أزمة أحد إلى أنَّها كانت نتيجة أخطاء بشرية حيث يقول تعالى: ﴿ أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةٞ قَدۡ أَصَبۡتُم مِّثۡلَيۡهَا قُلۡتُمۡ أَنَّىٰ هَٰذَاۖ قُلۡ هُوَ مِنۡ عِندِ أَنفُسِكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ١٦٥ ﴾ [آل عمران: 165].

ونفس الأمر يقال في أزمة بنو إسرائيل حيث إنَّ فرعون الطَّاغية ولّد أزمات كثيرة تجاه بني إسرائيل منها: أزمة التَّقتيل والتَّذبيح، وأزمة الطَّبقية، وأزمة الاستعباد، وأزمة مصادرة الفكر....

5- التَّصنيف على أساس المضمون والموضوع:

من الصَّعب جدًّا أن نحدِّد موضوع أزمة معيَّنة نظرًا لمضمونها، لأنَّ الأزمات متشابكة فأيُّ أزمة لا يمكن لها بحالٍ أن تكون صِرفة في مجال محدَّد، بل لا بدَّ أن يعتريها شيء من التَّداخل مع المجالات الأخرى، ومن هنا فإنَّ الأساس في تصنيف الأزمة باعتبار المضمون يكون بالنَّظر إلى المجموع، والأغلب، والسَّائد، والظَّاهر بصرف النَّظر عن الجزئيات، والفرعيات، فمثلا أزمة حادثة الإفك هي أزمة غلب عليها الطَّابع الاجتماعي، لذلك نصنِّفها ضمن الأزمات الاجتماعية، لكنَّها لا تخلو من أبعادٍ سياسية كسعي ابن سلول إلى كسر القيادة النَّبوية والطَّمع في ترأُّس المدينة، ونفس الشيء إذا قلنا في الأزمة السياسية بين ملكة سبأ وسليمان عليه السلام فالأغلب فيها سياسي ودبلوماسي، لكنَّها تضمُّ أزمات فكرية وعَقَدِية من خلال عبادة الملكة للشَّمس من دون الله.

إذا فالضَّابط في تحديد أنواع الأزمات باعتبار مضامينها وموضوعاتها راجع إلى الطابع الأغلب الكلِّي إذ لا اعتبار للأقلِّ الجزئي؛ وإلَّا فالأزمات في الحقيقة لا تخلو من بعض التَّداخل فيما بينها، وبهذا الاعتبار يمكن تصنيفها على حسب مضامينها الكلِّية إلى:

ثقات [الألباني محمد ناصر الدين، صحيح أبي داود، ط1، مؤسسة غراس، الكويت، 2002م، ج7، ص413، رقم الحديث: 2390].

✓ ــ النَّوع الأول: الأزمات الاجتماعية:

يقصد بالأزمة الاجتماعية توقُّف الحوادث المنتظمة والمتوقعة، واضطراب العادات والأعراف مما يستلزم التَّغيير السَّريع لإعادة التَّوازن ولتكوين عادات جديدة أكثر ملاءمة [1].

ويعرفها زيد عبوي قائلا: "الأزمة هنا بمثابة انهيار لكيان الأفراد أو شعورهم بانعدام أهميتهم كنتيجة للتَّغيرات التي تحوِّل الفرد إلى مجرَّد شيء، وتعتبر نتاج لعملية التَّفاعل الحيوي المستمر في طبيعة الرَّوابط القائمة بين طرفي علاقة إنسانية"[2].

ولعلَّ المثال العملي الذي نضربه لهذا النَّوع من الأزمات من خلال القرآن الكريم أزمة حادثة الإفك التي ذُكرت في صدر سورة النُّور والتي أحدثت أزمة اجتماعية هزَّت المجتمع المدني بأسره، وامتدَّ عمر الأزمة فيها شهرًا كاملاً، حيث مسَّت أقْدس رابطة زوجية في الوجود هي: زوج النَّبي ﷺ عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها، وشاءت حكمة الله تعالى أن تطول هذه الأزمة ليُنـــزل الله بعدها آيات بيِّنات ليبرِّأها مما رُميت به، وليُقدِّم لنا قواعد ومبادئ في كيفيَّة إدارة هذا النَّوع من الأزمات الاجتماعية الحسَّاسة والتي لا يكاد يخلو منها مجتمع عبر الأزمنة والأمكنة حتى يستخلص المؤمنون منها الدُّروس والعبر [3].

ويمكن إضافة أزمات من هذا النَّوع عولجت من خلال القرآن الكريم من الجانب النَّظري: كأزمة الطَّلاق، وأزمة العنوسة، وأزمة الرِّق، وأزمة الهجرة من الأوطان، وأزمة الجرائم الاجتماعية، وأزمات الفقر، والبطالة والتَّسول إذا نظرنا إليها من زاوية اجتماعية....

✓ ــ النَّوع الثاني: الأزمات الاقتصادية:

تُعرف الأزمة الاقتصادية بأنَّها انقطاع في مسار النُّموِّ الاقتصادي حين ينخفض الإنتاج،... وكل أزمة اقتصادية لها بعدٌ اجتماعي إذ تشكِّل تصدُّعا في إعادة صياغة

---

[1] ــ ينظر: الضحيان عبد الرحمن إبراهيم، إدارة الأزمات والمفاوضات، ط1، دار المآثر، المدينة المنورة، 2001م، ص27.

[2] ــ عبوي زيد منير، إدارة الأزمات، ط1، دار كنوز المعرفة، عمّان، 2007م، ص19.

[3] ــ ستدرس حادثة الإفك ــ إن شاء الله ــ كنموذج تطبيقي لمنهج القرآن الكريم في إدارته للأزمات الاجتماعية.

العلاقات الاجتماعية للإنتاج، وتحدث أضرارًا لبعض الطَّبقات الاجتماعية، كالتَّسبُّب في الاختناقات والإفلاسات والبطالة [1].

وعرَّفها عبوي بقوله: "هي الانقطاع المفاجئ في مسيرة المنظومة الاقتصادية مما يهدِّد سلامة الأداء المعتاد، وتعبِّر الأزمة عن التناقضات القائمة بين الطَّبقات الاجتماعية وبين قيم التَّبادل"[2].

ويمثَّل لهذا النَّوع من الأزمات الاقتصادية من القرآن الكريم بالأزمة التي حلَّت بآل فرعون حيث أخذهم الله ﷻ بالسِّنين والنَّقص من الثَّمرات، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ بِٱلسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣٠﴾ ﴾ [الأعراف: 130]، أي: "أخذنا آل فرعون بالسِّنين يريد الجوع والقحط عامًا بعد عام، فالسِّنون لأهل البوادي، ونقصٍ من الثَّمرات لأهل القرى"[3] ولسائل يقول: لماذا عامَّة قوم فرعون ينالهم من أزمة الجوع والقحط والنَّقص من الثَّمرات ما لا ينال فرعون وأهل بيته وخاصَّة ملؤه وهم السَّبب في حلول الأزمة، ولو نالته لكان بالقدر اليسير، لأنَّ الذي يتأثَّر من جرَّاء هذه الأزمة وتداعياتها هم قومه المستضعفون؟؟ فالجواب هو كما قال العلامة رشيد رضا: "فالمراد بآله قومه، وهم أهل مصر في عهده، وهم مؤاخذون بظلمه وطغيانه؛ لأنَّ قوَّته المالية، والجندية مِنْهم، وقد خلقهم الله أحرارًا وكرَّمهم بالعقل والفطرة التي تكره الظُّلم والطُّغيان بالغريزة، فكان حقًّا عليهم ألَّا يقبلوا استعباده لهم، وجعلهم آلة لطغيانه، وإرضاء كبريائه وشهواته، ولا سيما بعد بعثة موسى ووصول دعوته إليهم ورؤيتهم، لما أيَّده الله به من الآيات"[4].

وهناك مثال قرآني آخر يجسِّد لنا المعنى الحقيقي لإدارة الأزمة الاقتصادية أحسن إدارة وهو نموذج يوسف عليه السلام في إدارته لهذا النَّوع من الأزمة وسنُرجئ الحديث عنه ـــ إن شاء الله ـــ في بيان منهج القرآن الكريم في إدارته للأزمة الاقتصادية.

---

[1] ـــ ينظر: سليم بطرس جلده، الاستراتيجيات الحديثة لإدارة الأزمات، دار الراية، عمّان، 2011م، ص ص: 39 ـــ 40

[2] ـــ عبوي، إدارة الأزمات، مرجع سابق، ص19.

[3] ـــ الرازي، مفاتيح الغيب، مصدر سابق، ج 14، ص343.

[4] ـــ رضا محمد رشيد، تفسير المنار، مصدر سابق، ج9، ص75.

✓ ــ النَّوع الثَّالث: الأزمات السِّياسية:

هو مصطلح علمي يعبِّر عن الحالة الحرجة والموقف الطَّارئ والمشكلة الحاصلة التي حلَّت بالدَّولة أو الحكومة أو المنظَّمة، وقد تكون متوقَّعة الحدوث وقد تكون غير متوقَّعة، وقد تنـــزل بالأشخاص أو الهيئات، أو المنظَّمات الحكومية،كما يمكن أن تكون هناك أزمات تحيط بالأسرة الحاكمة في الدَّولة [1].

والأزمة السِّياسية تمثل موقفًا يستدعي اتِّخاذ القرار لمواجهة التَّحدِّي والاستجابة الرُّوتينية تكون غير كافية، الأمر الذي يتطلَّب تجديدات حكومية إذا كانت النتيجة لا تريد التَّضحية بمركزها [2].

وهذا النَّوع من الأزمات له أمثلته في القرآن الكريم كالأزمة السِّياسية الواقعة بين ملكة سبأ وسيدنا سليمان عليه السلام، ولكن حدَّة الأزمة كانت أشدَّ مع الملكة لأنّها هي المستهدفة، ولذلك اتَّخذت قرارات فعَّالة وصائبة كالتَّشاور مع ملئها، وإرسالها للهدية... كلُّ ذلك خوفًا من تضحيتها بمركزها بدليل قوله تعالى على لسانها: ﴿ قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٣٤﴾ ﴾ [النمل: 34] [3].

ويمكن إلحاق أزمة امرأة العزيز مع سيِّدنا يوسف عليه السلام ضمن الأزمات السِّياسية، نظرا لما أحدثته من شرخ كبير في قصر العزيز، وفي المجتمع بعد شيوع الخبر في المدينة فأصبحت له انعكاسات خطيرة على المستوى الاجتماعي إن لم أقل على المستوى الإقليمي [4] ﴿ وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَن نَّفْسِهِ ۖ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا ۖ إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾ فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ

---

[1] ــ ينظر: الحريري محمد سرور، إدارة الأزمات السياسية، مرجع سابق، ص73.

[2] ــ ينظر: عبوي زيد منير، إدارة الأزمات، مرجع سابق، ص19.

[3] ــ سيتم اختيار هذا النموذج العملي كمثال لمنهج القرآن الكريم في إدارته للأزمة السياسية.

[4] ــ كثيرا ما تتشابه الأزمات السياسية الحديثة مع هذه الأزمة، فنرى ونسمع مدى انعكاس الأزمات التي تحيط بالعائلة الحاكمة من ردات فعل محلية وإقليمية ودولية جراء وقوعه في علاقات جنسية محرمة أو بمجرد إلصاق التهمة به قصد تشويه سمعة متخذ القرار والحط من قدره، مثل الرئيس الأمريكي السابق بين كلينتون، والرئيس الفرنسي الأسبق ساركوزي، ورئيس الوزراء الإيطالي فيرلي سكوني، ورئيس بنك النقد الدولي، وغيرهم كثير، وأغلب هذه الأزمات تحاك من قوى معادية تسمى بقوى صنع الأزمة العنيفة قصد تحقيق أهداف ومكاسب معينة.

عَلَيۡهِنَّۖ فَلَمَّا رَأَيۡنَهُۥٓ أَكۡبَرۡنَهُۥ وَقَطَّعۡنَ أَيۡدِيَهُنَّ وَقُلۡنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٞ كَرِيمٞ ﴿٣١﴾ ﴾ [يوسف: 30 – 31]، وكانت فكرة امرأة العزيز لأجل طيِّ هذا الملف، ولأنهاء هذه الأزمة هو إدخال يوسف عليه السلام السِّجن رغم أنَّه كان مظلومًا [1].

يقول الخطيب: "فالحدث يكبر أو يصغر، وتتَّسع دائرته أو تضيق تبعا لمن تعلَّق به الحدث..! إذ يقتل الرَّجل من عامَّة النَّاس، دون أن يشعر النَّاس بهذا الحدث أو يلتفتوا إليه، على حين يصاب الحاكم أو السيِّد من سادة القوم، بخدش أو جرح، فيكون ذلك حديث النَّاس في الأندية والمحافل، ليوم أو لبضعة أيَّام، وربما لشهور أو سنين..

فعيون النَّاس وآذانهم متعلِّقة بأصحاب السُّلطان والسِّيادة فيهم.. يتسمّعون أخبارهم، ويرقبون أحوالهم، ويشتغلون بالحديث عنهم، في كلِّ ما يتَّصل بهم من صغير أمورهم وكبيرها.. هكذا النَّاس في كل زمان ومكان.."[2].

ومثله أيضًا في القرآن الكريم حادثة الإفك إذا نظرنا إليها بالمنظور السِّياسي فقد أحاطت الأزمة بالعائلة الحاكمة، وهي بيت النبوة، حيث اتُّهم فيها زوج النَّبي ﷺ عائشة أمُّ المؤمنين رضي الله عنها، فبرَّأها الله عزَّ وجلَّ مما قالوا فيها.

وكذلك أزمة الحديبية التي وقعت في السنة السادسة من الهجرة النَّبوية بين النَّبي ﷺ وكفَّار قريش وقد جاء ذكرها في سورة الفتح، وهي تعدُّ من قبيل الأزمة السِّياسية التي أرسى قواعد علاجها الرَّسول ﷺ، ولولا حسن إدارته الحكيمة لها لأدَّت إلى صراعٍ حقيقي.

يقول الضحيان: "إنَّ المؤسِّس الحقيقي لعلم إدارة الأزمات هو رسول الله ﷺ، مؤكِّدًا أنَّ المنهج العلمي الذي أرساه النَّبي ﷺ للتَّصدِّي للأزمات ومَنْعها من الوصول إلى مرحلة الصِّراع المسلَّح، والمبادئ الأساسية التي طبَّقها تجعل من إدارته ﷺ للأزمة مدرسة سياسية وتجربة رائدة في تاريخ إدارة الأزمات، وداحضة لحجَّة من يدَّعون أنَّ فنَّ إدارة

---

[1] ــ الأزمة في نظر امرأة العزيز أنها انتهت بإبعاد يوسف عنها وإدخاله السجن، لكنها لم تنته عند يوسف لأن عرضه الشريف منتهك من قبل المجتمع، ولذلك جعل شرط خروجه من السجن بعد أن لبث فيه بضع سنين فتح هذه القضية من جديد والفصل فيها أمام الملك لينصفه من جانب عرضه، وحتى يكون تبوأه للمنصب نظيفا من كل سابقة عدلية تُجرِّمه، فلما حصحص الحق وتبين من المراود من الآخر حينها انتهت الأزمة عنده عليه السلام.

[2] ــ الخطيب عبد الكريم، التفسير القرآني للقرآن، مصدر سابق، ج6، ص ص 1265 ــ 1266.

الأزمات هو علم سياسي نشأ مع أزمة الصَّواريخ الكوبية 1962 م، بما انتهجه الرَّئيس الأمريكي جون كنيدي من أسلوب في إدارة تلك الأزمة"[1].

✓ ــ النَّوع الرابع: الأزمات العسكرية:

يعرِّف رمزي الأزمة العسكرية بأنَّها: "حالة طارئة غير متوقعة، تهدِّد المصالح الوطنية، وعنصر الوقت فيها يكون حاكمًا ولا يتيسَّر حلُّها بالأساليب التَّقليدية، حيث إنَّ ذلك يستلزم تضافر قدرات عسكرية ومدنية عديدة"[2].

وتعدُّ الأزمة العسكرية ذات علاقة وطيدة بالأزمة السِّياسية، فغالبًا ما تكون الأزمات العسكرية متأخِّرة، ومتولِّدة من سوء إدارة الأزمة السِّياسية، فتفاقم هذه الأخيرة ينْبَني عليها ميلاد أزمة عسكرية سواء من الدَّاخل أو من الخارج وسرعان ما تنعكس بالسَّلب على بقيَّة الأزمات الأخرى كالاجتماعية، والاقتصادية مثل: تدمير البنى التحتية وانتشار الفقر والجوع والخوف... مما يتسبَّب في إلحاق أضرار جسيمة بالبلاد والعباد[3].

ونموذج هذا النَّوع من الأزمات من خلال القرآن الكريم يمكن أن يمثَّل له بجميع الغزوات المذكورة فيه، ابتداءً من غزوة بدر المذكورة في كامل سورة الأنفال وبعضا من آيات سورة آل عمران، وغزوة أحد المذكورة في كثير من آيات سورة آل عمران، وغزوة الأحزاب المذكورة في السُّورة التي تسمَّت بها وهي سورة الأحزاب، وغزوة تبوك التي جاء ذكرها في أغلب سورة التوبة، وحنين وبني النَّضير....وجميع هذه الغزوات شملتها أزمات عسكرية؛ وهي جديرة بالبحث والدِّراسة، ولكنَّ الباحث سيقف على غزوة الأحزاب كنموذج للقرآن الكريم في إدارته لهذا النَّوع من الأزمات.

وسيعتمد الباحث ــ إن شاء الله تعالى ــ على هذا النَّوع الأخير من التَّقسيم للأزمات؛ لأنَّه التَّقسيم الذي يتلاءم مع موضوعات القرآن الكريم، ولأنَّه السَّائد في تفكير النَّاس اليوم.

---

[1] ــ الضحيان عبد الرحمن إبراهيم، إدارة الأزمات والمفاوضات، مرجع سابق، ص44.

[2] ــ رمزي حبيب السيد، مراكز إدارة الأزمات، مجلة الحرس الوطني، العدد 171، سنة: 1996م، ص35.

[3] ــ وربما ظهور الثورات العربية الحديثة كان نتيجة أزمة سياسية داخلية أكثر منها خارجية، وذلك بطغيان الحكام واستبدادهم واحتكار السلطة بمنع التداول عليها، وانسداد قنوات التواصل والحوار مع شعوبهم.

المطلب الثاني: آثار الأزمات من خلال القرآن الكريم.

يعتقد الكثير من النَّاس أنَّ الأزمات كلُّها شرٌّ، وبذلك يحصرونها في الجانب السِّلبي، فتنقبض نفوسهم بمجرد ذكر مصطلح الأزمة؛ لأنَّهم يحملون تصوُّرات مسبقة قاتمة عنها، أو أنَّ جبلَّتهم التي فُطِروا عليها تأبى الأزمات وتتوقَّاها؛ لكنَّ الحقيقة بالعكس من ذلك تمامًا، إذ النَّاظر في القرآن الكريم يجده مُغلِّبا للجانب الإيجابي لآثار الأزمة ومخلفاتها على الجانب السِّلبي لها؛ بل وربما يعتبر آثار الأزمات كلُّها إيجابية تعود بالنَّفع والخير للإنسان شريطة الاستفادة والتَّعلُّم منها، ومن هنا فإنَّ القرآن الكريم وبعد ذكره لأزمة ما، أو شدَّة مسّت فردًا أو جماعةً؛ فإنَّه في الغالب يُذيِّلها بفاصلة توجب فيها على الإنسان أن يدّكر ويعتبر، فعلى سبيل المثال: لما ذكر الله ما حلّ بسبأ من أزمات نتيجة كفرانهم لنعم الله تعالى عليهم، ذيّل القصَّة في الأخير بقوله: ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿١٩﴾ ﴾ [سبأ: 19]، ونفس الشيء يقال في ختام قصَّة يوسف عليه السلام فبعد أن مرّ بأزمات عديدة مثل: أزمة النَّفي، وأزمة الاسترقاق، وأزمة التُّهمة في عرضه، وأزمة السِّجن... ختم الله تعالى القصَّة بقوله: ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾ ﴾ [يوسف: 111].

كما نجد أيضًا أنَّ من منهج القرآن الكريم بعد عرضه للأزمات لا يتركها تمرُّ من دون تعقيب عليها، بل كان يقف على ذكر الفوائد والمغزى عند كلِّ أزمة يذكرها، وهذا ما سيلاحظه القارئ ـــ إن شاء الله ـــ عند تناولنا لمختلف الأزمات في الفصول اللَّاحقة.

ونفس الأمر نجده في السُّنة النبوية فقد كان ﷺ يؤكِّد على هذه الخيرية والإيجابية التي تفرزها الأزمات في كثير من أحاديثه من ذلك قوله: «عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ، فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ،

صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ» [1]، فالنِّعم والأزمات بالنِّسبة للمؤمن ترجع إليه بالنَّفع والخير؛ فالأزمات تصقله وتهذِّبه، والنِّعم تزيدُه شكرًا للمُنعم.

وفيما يأتي بيان آثار الأزمة:

✓ ــ **الفرع الأول: الآثار السِّلبية للأزمات، وبيان منهج القرآن الكريم في التَّعامل معها.**

أولا: الآثار السِّلبية للأزمات من خلال القرآن الكريم.

من الآثار السِّلبية التي تخلِّفها الأزمات على مختلف أنواعها هي:

- تدهور الأحوال الاقتصادية والاجتماعية للكيان الاجتماعي أو المؤسسي بسبب تعرضه للأزمات: فأزمة القحط والجفاف التي حلَّت زمن يوسف عليه السلام تسبَّبت في تدهور الحالة المعيشية كتفشِّي الجوع، والفقر، وانتشار الأوبئة، وارتفاع معدَّلات الوفيات... وخاصَّة لأولئك الذين لم يأخذوا بإشارات التَّحذير التي سبقت الأزمة؛ لأنَّهم لا علم لهم بتأويل رؤيا الملك من قِبَل يوسف عليه السلام وهم السَّاكنون في أطراف مصر كفلسطين والشَّام، قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ قَالُوا۟ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا ٱلضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَٰعَةٍ مُّزْجَىٰةٍ فَأَوْفِ لَنَا ٱلْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَجْزِى ٱلْمُتَصَدِّقِينَ ﴿٨٨﴾ ﴾ [يوسف: 88].
- تزرع الفشل والتَّنازع والعصيان: فالأزمات تحطُّ من المعنويات وتُحبط الإرادات، وتُضعف الرُّوح المعنوية، مما يؤدِّي إلى عصيان قائد الأزمة ويتولَّد عنه التَّنازع بين القائد والمقودين وهذا عين ما وقع في خضمِّ أزمة أحد وكانت السَّبب الرَّئيس في انهزامهم: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ ۚ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ ۚ ثُمَّ

[1] ــ مسلم، صحيح مسلم، كتاب الزهد والرقائق، باب المؤمن أمره كله خير، ج 4، ص2295، رقم الحديث: 2999.

صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ ۖ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥٢﴾ ﴾ [آل عمران: 152].

يقول طنطاوي: "ولقد رتَّب الله تعالى ما حدث من بعض المؤمنين في غزوة أحد ترتيبًا دقيقًا، يتَّفق مع ما حصل منهم وذلك لأنَّهم حدث منهم أوَّلا الفشل بمعنى العجز النَّفسي عن الثَّبات والصَّبر، ثم ترتَّب على ذلك أن تنازعوا فيما بينهم، ونتج عن هذا التَّنازع أن ترك معظمهم مكانه، ونزل إلى ميدان المعركة لجمع المغانم، ثم ترتَّب على كلٍّ ذلك معصيتهم لأمر رسولهم وقائدهم ﷺ"[1].

لكنَّ المؤمنين الصَّادقين تعلَّموا من دروس هذه الأزمة وتداركوا هذه الآثار المدمِّرة، وظهرت هذه الاستفادة جليًّا في أزمة الأحزاب، وأزمة تبوك وغيرهما؛ إذ أبلوا فيهما بلاءً حسنًا، فقال تعالى وهو يحكي عن نجاحهم، ووحدتهم، وطاعتهم يوم الأحزاب: ﴿ وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾ ﴾ [الأحزاب: 22].

- تُوقِع خسائر في الأموال والأنفس: قد تخلِّف الأزمة وراءها خسائر مادِّية كالأزمات الاقتصادية، وقد تخلِّف خسائر مادية وبشرية كالأزمات العسكرية، فأزمة كأحُد كبَّدت المؤمنين خسائر في الأرواح والأموال، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ ٱلْمَوْتَ مِن قَبْلِ أَن تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿١٤٣﴾ ﴾ [آل عمران: 143]، "أي معاينين مشاهدين له حين قتل بين أيديكم من قتل من إخوانكم وأقاربكم، وشارفتم أن تقتلوا"[2] وقوله تعالى أيضا: ﴿ أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا ۖ قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٦٥﴾ ﴾ [آل عمران: 165]، "وذلك: أنَّ يوم أحد قُتل من المسلمين سبعون، وقد أصاب

[1] ــ طنطاوي، التفسير الوسيط، مصدر سابق، ج2، ص298.

[2] ــ أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، مصدر سابق، ج3، ص361.

المسلمون منهم يوم بدر سبعين بالقتل، وسبعين بالأسر، فذلك مثليهم، فجعل الأسر مثل القتل؛ حيث جعل القتلى والأسرى يوم بدر مثلي قتلى أحد"[1].

- تترك الألم والحسرة والغمّ في النُّفوس جرَّاء ما خلَّفته من خسائر: كما في قوله تعالى: ﴿إِن تَكُونُواْ تَأۡلَمُونَ فَإِنَّهُمۡ يَأۡلَمُونَ كَمَا تَأۡلَمُونَۖ﴾ [النساء: 104]، "أي كما يصيبكم الجراح، والقتل كذلك يحصل لهم"[2] ونظيره قوله تعالى: ﴿إِن يَمۡسَسۡكُمۡ قَرۡحٞ فَقَدۡ مَسَّ ٱلۡقَوۡمَ قَرۡحٞ مِّثۡلُهُۥۚ وَتِلۡكَ ٱلۡأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيۡنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعۡلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَتَّخِذَ مِنكُمۡ شُهَدَآءَۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ١٤٠﴾ [آل عمران: 140]، أمَّا بالنسبة لحصول الغمِّ فقوله تعالى: ﴿فَأَثَٰبَكُمۡ غَمَّۢا بِغَمّٖ﴾ [آل عمران: 153]، "فالغمُّ الأول: ما لحقهم على نبيِّهم ﷺ حين سمعوا أنَّه قتل، والثَّاني: ما لحقهم من الجراح، وقتل أصحابهم لأنَّه قتل يومئذ ستَّة وستون من الأنصار وأربعة من المهاجرين"[3]، وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيۡكُم مِّنۢ بَعۡدِ ٱلۡغَمِّ أَمَنَةٗ نُّعَاسٗا يَغۡشَىٰ طَآئِفَةٗ مِّنكُمۡۖ وَطَآئِفَةٞ قَدۡ أَهَمَّتۡهُمۡ أَنفُسُهُمۡ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ ظَنَّ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِۖ﴾ [آل عمران: 154].
- تُربِك الإنسان وتعرِّضه للخوف والذُّعر: كما حدث للمؤمنين في أزمة الأحزاب، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ جَآءَتۡكُمۡ جُنُودٞ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحٗا وَجُنُودٗا لَّمۡ تَرَوۡهَاۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرًا ٩ إِذۡ جَآءُوكُم مِّن فَوۡقِكُمۡ وَمِنۡ

---

[1] ــ السمعاني منصور بن محمد بن عبد الجبار، تفسير القرآن، تح: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، ط1، دار الوطن، الرياض، 1997م، ج1، ص373.

[2] ــ ابن كثير إسماعيل بن عمر، تفسير القرآن العظيم، مصدر سابق، ج2، ص357.

[3] ــ مكي بن أبي طالب حَمّوش بن محمد، الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه، ط1، تح: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي – جامعة الشارقة، بإشراف أ. د: الشاهد البوشيخي، الناشر: مجموعة بحوث الكتاب والسنة – كلية الشريعة والدراسات الإسلامية – جامعة الشارقة، 2008 م، ج2، ص 1155.

أَسۡفَلَ مِنكُمۡ وَإِذۡ زَاغَتِ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلۡقُلُوبُ ٱلۡحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا ۝١٠ هُنَالِكَ ٱبۡتُلِيَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَزُلۡزِلُواْ زِلۡزَالٗا شَدِيدٗا ۝١١ ﴾ [الأحزاب: 9 - 11]. ومثله الخوف والحزن الذي تعرَّضت له أمّ موسى في أزمتها مع جنود فرعون: ﴿ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنۡ أَرۡضِعِيهِۖ فَإِذَا خِفۡتِ عَلَيۡهِ فَأَلۡقِيهِ فِي ٱلۡيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحۡزَنِيٓۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيۡكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ۝٧ ﴾ [القصص: 7]، وكذلك الأزمة النَّفسية التي لحقت بمريم عليها السلام حين حملت بعيسى وخافت من مقولة النَّاس فيها، قال تعالى ﴿ فَنَادَىٰهَا مِن تَحۡتِهَآ أَلَّا تَحۡزَنِي قَدۡ جَعَلَ رَبُّكِ تَحۡتَكِ سَرِيّٗا ۝٢٤ ﴾ [مريم: 24].

- تُنسَج فيها الإشاعات المكذوبة فتتسبَّب في إثارة القلاقل، وتُفشي الخصومة بين شرائح المجتمع، وفقدان الثِّقة بين النَّاس: ﴿ وَإِذَا جَآءَهُمۡ أَمۡرٞ مِّنَ ٱلۡأَمۡنِ أَوِ ٱلۡخَوۡفِ أَذَاعُواْ بِهِۦۖ ﴾ [النساء: 83]. ففي حادثة الإفك ذاع رمي أمِّ المؤمنين عائشة رضي الله عنها بالفاحشة وكان من جملة من رماها مسطح بن أثاثة [1] وهو ابن خالة أبي بكر "فَحَلَفَ أَبُو بَكْرٍ أَنْ لاَ يَنْفَعَ مِسْطَحًا بِنَافِعَةٍ أَبَدًا، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ وَلَا يَأۡتَلِ أُوْلُواْ ٱلۡفَضۡلِ مِنكُمۡ ﴾ [النور: 22] إِلَى آخِرِ الآيَةِ - يَعْنِي أَبَا بَكْرٍ - ﴿ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤۡتُوٓاْ أُوْلِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينَ ﴾ [النور: 22] يَعْنِي مِسْطَحًا]"[2] فسبب نزول هذه الآية يوضح جليًّا أنَّ هذه الأزمة خلَّفت أثرًا سلبيًّا في المجتمع وذلك بتقطُّع أواصره، كما

---

[1] ــ مسطح بن أثاثة بن عباد بن المطلب بن عبد مناف بن قصيّ المطلبيّ.
كان اسمه عوفا، وأما مسطح فهو لقبه، وأمه بنت خالة أبي بكر، أسلمت، وأسلم أبوها قديما، وكان أبو بكر يمونه لقرابته منه، فلما خاض مع أهل الإفك في أمر عائشة حلف أبو بكر ألا ينفعه، فنزلت: وَلا يَأْتَلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبى... [النور: 22] الآية، فعاد أبو بكر إلى الإنفاق عليه، ثبت ذلك في الصّحيحين في حديث عائشة الطّويل في الإفك، وفي الخبر الذي أخرجه أبو داود من وجه آخر عن عائشة أن النبيّ ﷺ جلد الذين قذفوا عائشة وعدّه منهم.
ومات مسطح سنة أربع وثلاثين في خلافة عثمان، ويقال: عاش إلى خلافة عليّ وشهد معه صفّين، ومات في تلك السّنة سنة سبع وثلاثين. [ينظر: ابن حجر العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة، تح: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1415 هـ، ج6، ص74].

[2] ــ البخاري، الجامع الصحيح، مصدر سابق، كتاب تفسير القرآن، باب: إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا....، ج6، ص107، رقم الحديث: 4757.

يفهم أيضًا من الذين أُقيم عليهم الحدُّ بسبب خوضهم في عِرض عائشة رضي الله عنها أنَّ ثقة النَّاس بهؤلاء الذين حُدُّوا أصبحت محلَّ ضعف بصريح قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ ثُمَّ لَمۡ يَأۡتُواْ بِأَرۡبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجۡلِدُوهُمۡ ثَمَٰنِينَ جَلۡدَةٗ وَلَا تَقۡبَلُواْ لَهُمۡ شَهَٰدَةً أَبَدٗاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ٤ ﴾ [النور: 4].

ونفس الأمر في إشاعة مقتل الرَّسول ﷺ في قلب أزمة أحد.

- تترك أثرًا بالغًا يظهر على النَّفس والجسد: وهذا يحدث في الأغلب إذا اشتدَّت الأزمة كثيرًا، وكان وقعها على النَّفس عميقًا، واستمرت لأشهرٍ وربَّما لسنوات، مع زيادة تفاقمها بمرور الوقت؛ فإنَّها لا محالة ستترك أثرًا عميقًا على النَّفس والجسد كما حدث ذلك لنبيِّ الله يعقوب عليه السلام حيث تأثَّر بالأزمة تأثُّرًا بليغًا، وهذا كان نتيجة ما يأتي:

❖ شدَّة وقع الأزمة في نفسه: وذلك بفقده لأحبِّ أبنائه وهو يوسف عليه السلام وخاصَّة وهو لا يزال في مرحلة اللَّعب.

❖ تكرار الأزمة وتفاقمها: فقده لابنه الثَّاني مرة أخرى، وهو يعدُّ أصغر أبنائه.

❖ تنوُّع الأزمة: فقد اجتمعت لديه أزمات متعدِّدة مثل: فقده لابنيه، وفقده لبصره، وضيق المعيشة، والتَّقدُّم الكبير في السِّنِّ...

❖ امتداد الأزمة لعقود: فقد امتدَّت الأزمة لدى يعقوب عليه السلام منذ فراقه لابنه يوسف وهو صغير في سنِّ اللَّعب، إلى اللِّقاء به وهو يتربَّع على عرش الملك، بتقدير 40 سنة.

فكلُّ هذا وغيره جعل الأزمة تتأثَّر فيه من نواحٍ عدَّة:

❖ حزنه الشَّديد: ﴿ يَٰٓأَسَفَىٰ ﴾.

❖ فقدانه لبصره ﴿ وَٱبۡيَضَّتۡ عَيۡنَاهُ مِنَ ٱلۡحُزۡنِ ﴾

❖ كثرة بكائه: وبياض عينيه ناتج عن كثرة البكاء.

❖ امتلاء قلبه بالهمِّ والغمِّ: ﴿ فَهُوَ كَظِيمٞ ﴾.

❖ بلوغه عتبة الهلاك: ﴿ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ ٱلْهَٰلِكِينَ ﴾.

يقول تعالى حاكيًا آثار الأزمات التي ألـــمَّت بعبده يعقوب عليه السلام قائلاً: ﴿ وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ ٱلْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٨٤﴾ قَالُوا۟ تَٱللَّهِ تَفْتَؤُا۟ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ ٱلْهَٰلِكِينَ ﴿٨٥﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَشْكُوا۟ بَثِّى وَحُزْنِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾ ﴾ [يوسف: 84 – 86]. ولسائل يسأل قائلا: كيف جاز لنبيِّ الله يعقوب عليه السلام أن يبْلُغ به الجزع ذلك المبلغ؟ والجواب عنه كما قال الزمخشري: الإنسان مجبول على أن لَّا يملك نفسه عند الشَّدائد من الحزن،... لقد بكى رسول الله ﷺ على ولده إبراهيم وقال: «تَدْمَعُ الْعَيْنُ وَيَحْزَنُ الْقَلْبُ، وَلَا نَقُولُ إِلَّا مَا يُرْضِي رَبَّنَا، إِنَّا بِكَ يَا إِبْرَاهِيمُ لَمَحْزُونُونَ» [1]، وإنَّما الجزع المذموم ما يقع من الجهلة من الصِّياح والنِّياحة، ولطم الصُّدور والوجوه، وتمزيق الثِّياب"[2].

ثانيا: بيان منهج القرآن الكريم في تعامله مع الآثار السِّلبية التي تخلِّفها الأزمات.

لا يقف القرآن الكريم كثيرًا على المظاهر السِّلبية للأزمة؛ لأنَّه يعتبرها بمثابة سحابة صيف عابرة، لا تلبث إلا يسيرًا ثم تنقلب إلى فرج كما يعتبر المقصد من حلول الأزمات هي إيجاد تلك المنافع الإيجابية النَّفيسة لدى الأفراد والجماعات والتي لا تتواجد إلَّا بحلولها.

ولهذا فالقرآن الكريم في أكثر من موضع ينهى عن اجترار الأزمات، أو الوقوف عندها كثيرًا لغرض التَّحسُّر والتَّأوُّه والتَّوجع؛ بدل التَّيقظ والتَّذكر والاعتبار، ويأمر في مقابل ذلك بالتَّحلي بمبادئ إيمانية وقيم أخلاقية، قصد تجاوز الأزمة والخروج منها بدون آثار نفسية أو مظاهر سلبية وذلك من خلال:

- النَّهي عن التَّضجر والتَّحسر على ما فات من الأزمات: كقوله تعالى بعد أزمة أحد: ﴿ لِّكَيْلَا تَحْزَنُوا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَآ أَصَٰبَكُمْ ﴾ [آل

---

1 ــ أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني، سنن أبي داود، تح، محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، كتاب الجنائز، باب في البكاء على الميت، ج3، ص193، رقم الحديث:3126. وأخرجه البخاري في ج2، ص83، رقم الحديث: 1303 بنحوه.

2 ــ الزمخشري، الكشاف، مصدر سابق، ج2، ص497.

عمران: 153]، وجاء النَّهي أيضًا عن التَّضجر والتَّحسر عقب كل أزمة تصيب الإنسان سواء في نفسه، أو في الأرض عامَّة، يقول تعالى: ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الحديد: 23 ــ 24]، وهذا أسلوب بليغ في التَّربية بعد المصائب؛ لأنَّ التَّربية إنَّما تكون بالعمل والتَّمرُّن [1] الذي به يكْمُل الإيمان وترسَّخ الأخلاق [2].

- تفويض الأمر إلى الله أثناء الأزمات وبعدها: يقول تعالى: ﴿ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾ ﴾ [التوبة: 51]. فهذه الآية تلقين جواب لقولهم: قد أخذنا أمرنا من قبل... المنبئ عن فرح المنافقين بما ينال المسلمين من مصيبة، فالله لقَّنهم بإثبات عدم اكتراثهم بالمصيبة وانتفاء حزنهم عليها؛ لأنَّهم يعلمون أنَّ ما أصابهم ما كان إلَّا بتقدير الله لمصلحتهم في ذلك، فهو نفعٌ محضٌ كما تدلُّ عليه تعدية فعل كَتَبَ باللَّام المؤذنة بأنَّه كتب ذلك لنفعهم،...وفيه تعليم للمسلمين التَّخلق بهذا الخلق: وهو أن لَّا يحزنوا لما يصيبهم لئلا يَهِنوا وتذهب قوَّتهم [3].
- تثبيت النَّفس بنماذج من أنبياء وصالحين [4] وُفِّقوا في اجتياز الأزمة: فمن مقاصد سَوق القصص في القرآن الكريم التَّسلية والتَّرويح عن أنفس المؤمنين، حتَّى يستشعروا أنَّهم ليسوا بدعًا في ما أصابهم من الأزمات، بل لهم سلف من

---

1 ــ يقصد التربية بالأزمات والمصائب فيتعلم منها المؤمن ويستفيد.

2 ــ ينظر: رشيد رضا، تفسير المنار، مصدر سابق، ج4، ص152. وينظر أيضا: ج4، ص239، وأيضا: ج11، ص333.

3 ــ ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، مصدر سابق، ج10، ص223.

4 ــ نماذج الصالحين الذين نجحوا في إدارة الأزمة في القرآن كثيرة أذكر منها: ذو القرنين [أواخر سورة الكهف من الآية: 83 ــ 98]، ومريم عليها السلام [سورة مريم من الآية 36 ــ 37]، وأم موسى [في صدر سورة القصص من الآية: 7 ــ 13]، ومومن آل فرعون [سورة غافر من الآية: 23 ــ 46] وغيرهم.

أنبياء وصالحين هُمْ محلُّ قدوة وتأسٍّ بهم في مثل هذه الظُّروف العصيبة، فيعقوب عليه السلام أنموذج للإيمان بقدر الله عز وجل وبالتَّمكُّن في الصَّبر وعدم اليأس والقنوط... رغم شدَّة وقع الأزمة عليه، وتكرارها، وطولها، وتنوُّعها حتى أذهبت بصره يقول تعالى على لسانه عليه السلام: ﴿ قَالَ إِنَّمَآ أَشۡكُواْ بَثِّي وَحُزۡنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعۡلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ٨٦ يَٰبَنِيَّ ٱذۡهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَاْيۡـَٔسُواْ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيۡـَٔسُ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ٨٧ ﴾ [يوسف: 86 ـ 87].

- شحذ الهمم وبعث روح التَّغلب والانتصار على الأزمة: فالمؤمن كما وصفه الرسول ﷺ بقوله «الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ، خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ»[1]، فهو قويٌّ في إيمانه، وفي صبره على الأزمات، وقويٌّ على تغلُّبه عليها، فلا يَضْعف ولا يستسلم، ولا يستكين، ولا يفتر مادام أنَّه مؤمن...يقول تعالى: ﴿ وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَنتُمُ ٱلۡأَعۡلَوۡنَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ١٣٩ ﴾ [آل عمران: 139].

يقول رشيد رضا: "بل يجب أن تزيدكم المصائب قوَّة وثباتًا بما تربِّيكم على اتِّباع سنن الله في الحزم والبصيرة وإحكام العزيمة واستيفاء الأسباب في القتال وغيره"[2].

- عدم الاكتراث بالأزمة واستعمال أسلوب التَّقليل منها مهما اشتدَّت: ﴿ وَلَا تَهِنُواْ فِي ٱبۡتِغَآءِ ٱلۡقَوۡمِۖ إِن تَكُونُواْ تَاۡلَمُونَ فَإِنَّهُمۡ يَاۡلَمُونَ كَمَا تَاۡلَمُونَۖ وَتَرۡجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرۡجُونَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ١٠٤ ﴾ [النساء: 104]، وقوله: ﴿ إِن يَمۡسَسۡكُمۡ قَرۡحٞ فَقَدۡ مَسَّ ٱلۡقَوۡمَ قَرۡحٞ مِّثۡلُهُۥۚ وَتِلۡكَ ٱلۡأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيۡنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعۡلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَتَّخِذَ مِنكُمۡ شُهَدَآءَۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ١٤٠ ﴾ [آل

---

[1] ــ مسلم، صحيح مسلم، كتاب القدر، بَابٌ فِي الْأَمْرِ بِالْقُوَّةِ وَتَرْكِ الْعَجْزِ وَالِاسْتِعَانَةِ بِاللهِ وَتَفْوِيضِ الْمَقَادِيرِ لِلَّهِ، ج4، ص2052، رقم الحديث: 2664.

[2] ــ رشيد رضا، تفسير المنار، مصدر سابق، ج4، ص119.

عمران: 140]، "فالله سبحانه هوَّن عليهم ما يصيبهم في الجهاد من قتل وجرح"[1].

- النَّظر إلى الأزمة بالمنظار الإيجابي مهما تنوَّعت واشتدَّت: قال تعالى: ﴿فَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَيَجۡعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيۡرٗا كَثِيرٗا ١٩﴾ [النساء: 19]، وقوله أيضا: ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ﴾ [البقرة: 216]، يقول سيد قطب: "وهكذا يربِّي الإسلام الفطرة، فلا تملُّ التَّكليف، ولا تجزع عند الصَّدمة الأولى، ولا تخور عند المشقَّة البادية، ولا تخجل وتتهاوى عند انكشاف ضعفها أمام الشِّدة؛ ولكن تثبت وهي تعلم أنَّ الله يعذرها ويمدُّها بعونه ويقوِّيها، وتصمِّم على المُضيِّ في وجه المحنة، فقد يكمن فيها الخير بعد الضُّر، واليسر بعد العسر، والرَّاحة الكبرى بعد الضنى والعناء... إنَّه منهج في التَّربية عجيب !!!"[2].

- التَّفاؤل بحلول أنواع الخير بعدها: يقول تعالى: ﴿قَالُوٓاْ أُوذِينَا مِن قَبۡلِ أَن تَأۡتِيَنَا وَمِنۢ بَعۡدِ مَا جِئۡتَنَاۚ قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمۡ أَن يُهۡلِكَ عَدُوَّكُمۡ وَيَسۡتَخۡلِفَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرَ كَيۡفَ تَعۡمَلُونَ ١٢٩﴾ [الأعراف: 129]، فموسى عليه السلام ألقى بالتَّفاؤل والتَّرجي من فضل الله عزوجل على نفوس بني إسرائيل جرَّاء ما لاقوه من معاناة كبيرة، وأزمات مريرة مع فرعون وجنوده من أنَّ الله سيُبْدل عسرهم يسرًا، وذلَّـــهم عزًّا، وتشرذمهم تمكينًا...ليختبرهم كيف يعملون.

- الأزمة تحمل في طيَّاتها اليسر الكثير والفرج القريب: ويدل على هذا قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلۡعُسۡرِ يُسۡرًا ٥ إِنَّ مَعَ ٱلۡعُسۡرِ يُسۡرٗا ٦﴾ [الشرح: 5 – 6]، وقد جاء اليسر مطلقًا في الآية ليدلَّ على الكثرة، ثم جاء التَّأكيد بعدها ليدلَّ أنَّ العسر

---

[1] ــ القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، مصدر سابق، ج17، ص258.

2 ــ سيد قطب، في ظلال القرآن، مصدر سابق، ج1، ص223.

الثَّاني هو نفسه الأول، أمَّا اليسر فيختلف عنه، يقول أبو السعود: "فإنَّ المُعرَّفَ إذَا أعيدَ يكونُ الثَّاني عينَ الأولِ سواءً كانَ معهوداً أو جنساً وأمَّا المنكَّرُ فيحتملُ أنْ يرادَ بالثاني فردٌ مغايرٌ لَما أريدَ بالأولِ"[1]، ويؤكِّده أيضًا قوله ﷺ: « وَإِنَّهُ لَنْ يَغْلِبَ عُسْرٌ يُسْرَيْنِ»[2].

فسنة الله ﷻ الجارية على عباده اقتضت أنْ لا يديم عليهم الأزمة، بل سرعان ما يكشفها عنهم لتنقلب إلى خير ويُسر، ولذلك عقَّب تعالى بعد أزمة الطَّلاق، وأزمة العسر في الإنفاق في سورة الطلاق بقوله: ﴿ سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ۝٧ ﴾ [الطلاق: 7].

- طمأنة نفوس المتأزِّمين بما أعدَّه الله لهم من فضل وخير: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ۝١٥٥ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ۝١٥٦ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۟ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ۝١٥٧ ﴾ [البقرة: 155 – 157].

يقول السعدي: "وأمَّا من وفَّقه الله للصَّبر عند وجود هذه المصائب، فحبس نفسه عن التَّسخُّط، قولًا وفعلًا واحتسب أجرها عند الله، وعلم أنَّ ما يدركه من الأجر بصبره أعظم من المصيبة التي حصلت له، بل المصيبة تكون نعمة في حقِّه، لأنَّها صارت طريقًا لحصول ما هو خير له وأنفع منها، فقد امتثل أمر الله، وفاز بالثَّواب"[3].

- عدم الرُّضوخ والاستكانة إلى الأزمة مهما خلَّفت من سلبيات: يقول تعالى: ﴿ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ ۚ فَمَا وَهَنُوا۟ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا۟ وَمَا

---

1 ــ أبو السعود، إرشاد العقل السليم، مصدر سابق، ج9، ص173.

2 ــ مالك بن أنس، موطأ الإمام مالك، رواية أبي مصعب الزهري، مصدر سابق، كتاب الجهاد، باب جامع ما جاء في الجهاد، ج1، ص379، رقم الحديث: 964. قال عنه الألباني ضعيف لأنه مرسل. [الألباني محمد ناصر الدين، سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة، ط1، دار المعارف، الرياض، 1992م، ج9، ص327، رقم الحديث: 4342].

3 ــ السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، مصدر سابق، ج1، ص75.

﴿ٱسۡتَكَانُواْۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٤٦﴾ [آل عمران: 146]، والآية تحوي على قراءتين متواترتين هما: "قُتِلَ"و "قَاتَلَ"، "فَقَرَأَ نَافِعٌ وَابْنُ كَثِيرٍ، وَالْبَصْرِيَّانِ بِضَمِّ الْقَافِ وَكَسْرِ التَّاءِ مِنْ غَيْرِ أَلِفٍ، وَقَرَأَ الْبَاقُونَ بِفَتْحِ الْقَافِ وَالتَّاءِ وَأَلِفٍ بَيْنَهُمَا"[1].

ومعنى الآية أنَّ كثيرًا من الأنبياء قُتِلَ معهم في الحرب ربَّانيون علماء أتقياء كثيرون، فثبت الباقون و لم يضعفوا عن جهاد عدوِّهم ولا عن دينهم، وما خضعوا لعدوهم [2].

فالمتأزِّمون إذًا لا بدَّ أن يتعاملوا مع هذا المنهج الرَّبَّاني بحيث لن يترك فيهم أثرًا سلبيًّا لا في الجانب المادِّي أو المعنوي؛ وإنَّما الذي يتركه لهم ثمرات إيجابية كبيرة وفوائد جليلة سنبينها في ما يأتي.

✓ ــ الفرع الثاني: الآثار الإيجابية للأزمات من خلال القرآن الكريم.

ينصُّ الله تعالى في كتابه بأنَّ الأزمات وراءها خير للنَّاس سواء أدركوا هذه الخيرية أم غابت عنهم لقصور فهمهم وبُعد نظرهم، فالأزمات تكمن أغلبية إيجابياتها بالنَّظر إلى مقاصدها ومآلاتها بصرف النَّظر عن ظواهرها وأشكالها، يقول محمد رشيد رضا: "وكثيرا ما يعدُّ الإنسان الشَّيء شرًّا له لقصر نظره، أو بالنِّسبة إلى مبدئه، ويكون خيرًا في الواقع أو في الغاية"[3].

والدَّليل على ما قلناه هو ما جاء في أول آية نزلت عقب أزمة حادثة الإفك إذ يقول تعالى فيها: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلۡإِفۡكِ عُصۡبَةٞ مِّنكُمۡۚ لَا تَحۡسَبُوهُ شَرّٗا لَّكُمۖ بَلۡ هُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۚ﴾ [النور: 11]، لكن ما الخير في هذا الكلام وفي إذاعته؟ والجواب ما ذكره الزمخشري في بيانه لبعض المظاهر الإيجابية لأزمة حادثة الإفك فيقول: "ومعنى كونه خيرًا لهم: أنَّهم اكتسبوا فيه الثَّواب العظيم؛ لأنَّه كان بلاء مبينًا ومحنةً ظاهرةً، وأنَّه نزلت فيه ثماني عشرة آية كلٌّ واحدة منها

---

1 ــ ابن الجزري محمد بن محمد بن يوسف، النشر في القراءات العشر، تح: علي محمد الضباع، الناشر: المطبعة التجارية الكبرى، ج2، ص242.

2 ــ ينظر: ابن عجيبة أحمد بن محمد بن المهدي، البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، تح: أحمد عبد الله القرشي رسلان، الناشر: الدكتور حسن عباس زكي، القاهرة، 1419 هـ، ج1، ص 417.

3 ــ محمد رشيد رضا، تفسير المنار، مصدر سابق، ج8، ص48.

مستقلَّة بما هو تعظيم لشأن رسول الله ﷺ، وتسلية له، وتنـــزيه لأمِّ المؤمنين رضوان الله عليها، وتطهير لأهل البيت، وتهويلٌ لمن تكلَّم في ذلك أو سمع به فلم تمجُّه إذاه، وعدَّة ألطافٍ للسَّامعين والتَّالين إلى يوم القيامة، وفوائد دينية، وأحكام وآداب لا تخفى على متأمِّليها"[1].

وأريد أن أنقل بعض العبارات الجليلة التي كتبها علماؤنا الأجلاء ـــ رحمة الله عليهم ـــ حول منافع الأزمات والشَّدائد:

يقول الزمخشري: "لأنَّ النَّاس في حال الشِّدّة أضرع خدودًا وألين أعطافًا وأرقُّ أفئدة"[2].

ويقول المراغي: "فالشَّدائد تربّي النُّفوس وتهذِّب الأخلاق، فترجع المغرورين عن غرورهم، وتكفّ الفجَّار عن فجورهم"[3]، ويقول في موضع آخر: "فالشَّدائد مصلحة للفساد، مهذّبة للنُّفوس، والمؤمن أجدر النَّاس بالاستفادة من الحوادث"[4].

ويقول سيِّد قطب: "ولا بدَّ من البلاء كذلك ليصْلُب عود أصحاب العقيدة ويَقْوى. فالشَّدائد تستجيش مكنون القِوى، ومذخور الطَّاقة، وتفتح في القلب منافذ ومسارب ما كان ليعلمها المؤمن في نفسه إلا تحت مطارق الشَّدائد. والقيم والموازين والتَّصوُّرات ما كانت لتصحَّ وتدقَّ وتستقيم إلا في جوِّ المحنة التي تزيل الغبش عن العيون، والرَّان عن القلوب.

وأهمُّ من هذا كلِّه، أو القاعدة لهذا كلِّه.. الالتجاء إلى الله وحده حين تهتز الأسناد كلها، وتتوارى الأوهام وهي شتَّى، ويخلو القلب إلى الله وحده، لا يجد سنداً إلا سنده، وفي هذه اللَّحظة فقط تنجلي الغشاوات، وتتفتح البصيرة، وينجلي الأفق على مدِّ البصر.. لا

---

[1] ـــ الزمخشري، الكشاف، مصدر سابق، ج3، ص217.

[2] ـــ المصدر ذاته، ج2، ص 144.

[3] ـــ المراغي، تفسير المراغي، مصدر سابق، ج7، ص123.

[4] ـــ المصدر ذاته، ج7، ص125.

شيء إلا الله.. لا قوَّة إلَّا قوَّته.. لا حول إلَّا حوله.. لا إرادة إلَّا إرادته.. لا ملجأ إلَّا إليه.. وعندئذ تلتقي الرُّوح بالحقيقة الواحدة التي يقوم عليها تصوُّر صحيح.."[1].

يقول أبو زهرة: "فالشَّدائد تُرهف المدارك، وتوقظ الأفهام، ولأنَّهم لا يصبرون على الابتلاء، بل يخرُّون صاغرين أمام أيِّ شدَّة، أو كارثة تكرثهم"[2].

ويمكن ذكر بعض أهمّ الآثار الإيجابية للأزمات من خلال القرآن الكريم:

- تربّي الإنسان على الرّجوع إلى الله ﷻ: إنّ الإنسان عمومًا إذا كان في حالة السَّرَّاء فكثيرًا ما يذْهل عن الله، ويغفل عن ذكره... ولكنَّه في حال اشتداد الأزمة وإحاطة الضُّرِّ به، فإنَّه يتَّجه إلى الله مخلصًا بالدُّعاء له من أجل أن يكشف ما حلَّ به من أزمة وضرٍّ، وهكذا أكثر النَّاس تدنيهم الشَّدائد من الله، وتقرِّبهم منه.

والقرآن الكريم إزاء هذه الإيجابية المهمَّة في ردِّ النَّاس جميعًا إلى الله حال وقوع الأزمات أوْرَد فيها أكثر من عشرين آية، وهي تتحدَّث عن الأزمات التي تحدق بالإنسان في البرِّ أو البحر فترجع فطرتهم فيها إلى الله وحده؛ لكنَّهم سرعان ما يرجعون إلى نسيانه سبحانه والإشراك به بمجرد خروجهم من الأزمة، كما أنَّ حياتنا مليئة بهذا الصنف من النَّاس ففي حال الضَّرَّاء ترى المساجد عامرة، والقلوب منكسرة، أما في حال السَّرَّاء فترى العكس من ذلك تمامًا، وفي هذا يقول تعالى: ﴿ وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ٱلضُّرُّ دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَآئِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُۥ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَآ إِلَىٰ ضُرٍّ مَّسَّهُۥ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ [يونس: 12].

يقول سيد قطب: "إنَّ فطرة الإنسان تبرز عارية حين يمسُّه الضُّرُّ ويسقط عنها الرُّكام، وتزول عنها الحُجُب، وتتكشَّف عنها الأوهام فتتَّجه إلى ربِّها، وتنيب إليه وحده وهي تدرك أنَّه لا يكشف الضَّرَّ غيره، وتعلم كذب ما تدَّعي من شركاء أو شفعاء.

---

[1] ــ سيد قطب، في ظلال القرآن، مصدر سابق، ج1، ص145.

[2] ــ أبو زهرة محمد بن أحمد بن مصطفى، زهرة التفاسير، دار الفكر العربي، ج10، ص5090.

فأمَّا حين يذهب الضُّرُّ ويأتي الرَّخاء، ويُخوِّله الله نعمة منه، ويرفع عنه البلاء؛ فإنَّ هذا الإنسان الذي تعرَّت فطرته عند مسِّ الضُّرِّ يعود فيضع عليها الرُّكام، وينسى تضرُّعه وإنابته وتوحيده لربِّه، وتطلُّعه إليه في المحنة وحده، حين لم يكن غيره يملك أن يدفع عنه محنته.. ينسى هذا كلّه ويذهب يجعل لله أنداداً"[1].

ويقول تعالى أيضًا: ﴿ وَإِذَا مَسَّ ٱلنَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا۟ رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَآ أَذَاقَهُم مِّنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [الروم: 33]، يقول الشعراوي: "وما ألجأهم إلى الله ولفتهم إليه سبحانه إلا ما مرَّت بهم من أحداث، أليست هذه الأحداث، وهذه الأزمات والمصائب خيراً في حقِّهم؟.. بلى إنَّها خير"[2].

فسيدنا يونس عليه السلام لما خرج من قومه بدون أن يُؤذا له بالخروج [3]، أوقعه الله في أزمة تتلوها أزمة حتى يتذكَّر خطؤه الذي وقع فيه، فأرْكَبه الله في الفلك المشحون، وهيَّج عليهم البحر فهذه أوَّل أزمة، وتساهموا فوقع عليه السَّهم وهي أزمة ثانية، ولم يسْتَفق بعدُ من زلَّته، فألقوه في البحر فالتقمه الحوت وهو لا زال يُلَامُ على خطئه؛ لكنَّه عليه السلام لـــمَّا أحاط به الضُّرُّ من كلِّ مكان، وتفطَّن لخطئه، رجع منيبًا إلى الله سبحانه قائلاً: ﴿ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُنجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ ﴾ [الأنبياء: 87 – 88]، إذا فهذه الأزمة في حقِّه إيجابية؛ لأنَّها أفْطنته بخطئه، قال تعالى: ﴿ وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٩﴾ إِذْ أَبَقَ إِلَى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿١٤٠﴾ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُدْحَضِينَ ﴿١٤١﴾ فَٱلْتَقَمَهُ ٱلْحُوتُ

---

[1] ــ سيد قطب، في ظلال القرآن، مصدر سابق، ج5، ص3041.

[2] ــ الشعراوي، خواطر الشعراوي، مصدر سابق، ج13، ص8004.

[3] ــ جميع الأنبياء صلوات الله عليهم لا يتركون دعوة أقوامهم ولا يخرجون من قراهم حتى يإذا الله لهم بالخروج وذلك قبل حلول عذاب الاستصال بأقوامهم. كنوح وصالح ولوط وشعيب وموسى... حيث النصوص واضحة في هذا، إلا أن نبي الله يونس خرج من دون إذا لما رأى أمارات العذاب نازلة بقومه بدليل قوله تعالى: [إلا قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي]، وكأن العذاب نازل ورأى يونس ذلك العذاب وخرج من قريته، لكنه لما عاد وجدهم كلهم مؤمنين، فبإيمانهم كشف العذاب. وقد أمر الله رسوله محمدا ﷺ أن يقتدي بجميع الأنبياء بما فيهم يونس عليه السلام بقوله: [فبهداهم اقتده] في سورة الأنعام، إلا أنه حذره من الاقتداء به في حالة واحد وهي التي كانت السبب في وقوعه في الأزمة المذكورة [ولا تكن كصاحب الحوت إذ نادى وهو مكظوم....]

وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿١٤٢﴾ فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾ ﴾ [الصافات: 139 – 144].

- تُربِّي النُّفوس على مكارم الأخلاق: تعتبر الأزمات بمثابة دورة تدريبية يتمُّ فيها تحلية النَّفس على المكارم وتخْلِيتها من الخوارم، يقول محمد قطب: "لقد قام القرآن –وهو يربِّي الأمة الإسلامية في منشئها– باستغلال الأحداث في تربية النُّفوس استغلالًا عجيبًا عميق الأثر، كان من نتيجته تلك الأمَّة العجيبة الفريدة في التَّاريخ كلِّه. الأمَّة التي شهد لها خالقها فقال: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ﴾ [آل عمران: 110]"[1]. ويقول: "من وسائل التَّربية الفعَّالة كذلك التَّربية بالأحداث. أي: استغلال حَدَثٍ معيَّن لإعطاء توجيه معيَّن... وقد كانت الأحداث في حياة الجماعة المسلمة الأولى، والتَّوجيهات القرآنية المتنـــزَّلة فيها، من أبْلغ وسائل التَّربية لهذه الجماعة وأعمقها أثرًا فيها... ففي كلِّ حدث درس، وفي كلِّ درس عبرة لا تنسى"[2].

ومن جملة ما يتعلَّمه من أخلاق حميدة في ظلِّ الأزمات ما يأتي:

ـــ الصَّبر: العبد المؤمن يرجو من الله ألَّا يبتليه بالأزمات والمحن، ويتطلَّع إلى عافيته ورحمته، لكن إذا قدَّر الله ﷻ أن يصيبه بأزمة فعليه بالصَّبر، مع تيقُّنه بأنَّ وراءها إيجابيات ومنافع لأنَّ الله حكيم في تصرُّفاته سواء أدرك الحكمة من ورائها أم لا، فالله ﷻ يبيِّن لنا أنَّ بني إسرائيل إنَّما كان سبب تجاوزهم لأزمتهم مع فرعون وجنوده تمثَّل في خلق الصَّبر، قال تعالى: ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُوا۟ ۖ وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُۥ وَمَا كَانُوا۟ يَعْرِشُونَ ﴿١٣٧﴾ ﴾ [الأعراف: 137]، "فالمسلمون أجدر النَّاس بالصَّبر، والصَّبر عون على الجهاد والجلاد، ومنجاة من جميع الشَّدائد والأهوال"[3].

---

[1] ـــ محمد قطب، منهج التربية الإسلامية، ط16، دار الشروق، ج1، ص208.

[2] ـــ المرجع نفسه، ج2، ص387.

[3] ـــ محمد رشيد رضا، تفسير المنار، مصدر سابق، ج8، ص223.

ـــ الشُّورى: والشُّورى هي استلهام الرَّأي السَّديد وذلك بعد تبادله ومداولته بين أهل الرَّأي والفضل في أمر من أمور المؤمنين على أسس وقواعد وفيه من الفوائد والمصالح الدِّينية والدُّنيوية ما لا يمكن حصره.

فالأزمات تدفع بالقائد الحصيف إلى إقامة مبدأ الشورى وذلك تخفيفًا من حدَّتها وخروجًا منها بأسرع وقت، وبأقلِّ تكلفة وخسارة.

وقد امتثل النَّبي ﷺ لأمر الله له في سياق أزمة أحد حيث يقول تعالى: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ ﴾ [آل عمران: 159]، فطبَّق عليه السلام مبدأ الشُّورى في جميع أزماته التي ألـــمَّت به وبأصحابه، ولم يُعرف عنه عليه السلام أنَّه استبدَّ برأيه يومًا ما، فنجده قبل الخروج إلى أيِّ غزوة أو الفصل في أيِّ أمرٍ طارئٍ كان يعقد ﷺ مجلسًا عسكريًّا استشاريًّا يضمُّ كبار الصَّحابة من المهاجرين والأنصار، ففي غزوة بدر استشار أصحابه رضوان الله عليهم بالخروج من عَدَمِه، فأشار عليه سعد بن معاذ رضي الله عنه قائد الأنصار بالخروج[1]، وكان هو المقصِد من استشارة النَّبي ﷺ لأصحابه، وبعد خروجهم إلى بدر استشارهم في المكان الاستراتيجي فأشار عليه الحباب ابن المنذر بالمكان الأَلْيَق، وبعد انتهاء الغزوة والظَّفر على العدوِّ استشارهم في قضيَّة أسرى بدر، وفي أحُد استشارهم بالقتال داخل المدينة أو خارجها، وفي أزمة الأحزاب استشار أصحابه وأشار عليه سلمان رضي الله عنه بحفر الخندق، وفي أزمة الإفك استشار علي وزيد بن حارثة في قضية أمِّنا عائشة رضي الله عنها، وفي أزمة الحديبية استشار أمُّ سلمة رضي الله عنها....

كذلك نجد مبدأ الشُّورى مجسَّدًا دائمًا في حُكم ملكة سبأ فهو بمثابة علاج تستخدمه للخروج من الأزمات التي تحلُّ بها وبمملكتها، قال تعالى: ﴿ قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَفْتُونِى فِىٓ

---

[1] ـــ هو سعد بن معاذ بن النعمان بن امرئ القيس بن زيد بن عبد الأشهل بن جشم بن الحارث بن الخزرج بن النّبيت بن مالك بن الأوس الأنصاريّ الأشهليّ، سيّد الأوس، وأمه كبشة بنت رافع، لها صحبة، ويكنى أبا عمرو. شهد بدرا باتفاق، ورمي بسهم يوم الخندق، فعاش بعد ذلك شهرا، حتى حكم في بني قريظة، وأجيبت دعوته في ذلك، ثم انتقض جرحه، فمات، وقال المنافقون لما خرجت جنازته: ما أخفها! فقال النبي ﷺ: «إنّ الملائكة حملته». [ابن حجر العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة، مصدر سابق، ج3، ص70].

أَمۡرِي مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمۡرًا حَتَّىٰ تَشۡهَدُونِ ﴿٣٢﴾ ﴾ [النمل: 32]يقول ابن عاشور: "وصيغة ﴿ كُنتُ قَاطِعَةً ﴾ تؤذن بأنَّ ذلك دأبها وعادتها معهم، فكانت عاقلة حكيمة مستشيرة لا تخاطر بالاستبداد بمصالح قومها ولا تعرِّض ملكها لمهاوي أخطاء المستبدِّين"[1].

والأخلاق التي تظهر في الأزمات ويستفيد منها المؤمن في ترسيخها والتَّزوُّد منها لحال السَّراء كثيرة منها: كثرة الدعاء والالتجاء إلى الله، وإظهار الشَّجاعة كبذل النَّفس والنَّفيس، وخلق الإيثار، والتَّأكد من صحَّة الأخبار التي تُذاع وتُنشر...

- تُظهر معادن الرِّجال وتُكشف عن مكنوناتهم: يجد المتدبِّر في سياق الآيات القرآنية المتحدِّثة عن الأزمات هذه المفردات القرآنية الدَّقيقة الواردة فيها دون غيرها وهي: "التَّمحيص"، "الابتلاء"، "التَّمييز"، "العلم بحقيقة الشَّيء"... والحكمة من ذلك حتَّى يَعرف الإنسان حقيقة نفسه، ويحكم عليها لا على غيرها بالإيمان أو النِّفاق؛ لأنَّه يلتبس عليه أمر نفسه في السَّرَّاء فلا تتجلَّى كمال التَّجلي إلا بالتجارب الكثيرة، والامتحان بالأزمات العظيمة.

ومن هنا فالأزمات إذا نزلت على الإنسان فليعلم أنَّها بمثابة رسائل ربَّانية، ونُذُر تحذيرية ليقوِّم بها نفسه، ويعدِّل اعوجاجه، وهذا قبل أن تأتيه سكرات الموت فتبْهَته.

إذا فالأزمات شبيهة بتمحيص الذَّهب حتى يتبيَّن زيفه من نضاره، قال تعالى: ﴿ وَلِيَبۡتَلِيَ ٱللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمۡ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٥٤﴾ ﴾ [آل عمران: 154] يقول سيد قطب: "وكثيراً ما يجهل الإنسان نفسه، ومخابئها ودروبها ومنحنياتها، وكثيراً ما يجهل حقيقة ضعفها وقوَّتها، وحقيقة ما استكنَّ فيها من رواسب، لا تظهر إلا بمثير! وفي هذا التَّمحيص الذي يتولَّاه الله- سبحانه- بمداولة الأيَّام بين النَّاس بين الشِّدَّة

[1] ــ ابن عاشور، التحرير والتنوير، مصدر سابق، ج19، ص263.

والرَّخاء، يعلم المؤمنون من أنفسهم ما لم يكونوا يعلمونه قبل هذا المحكِّ المرير: محكُّ الأحداث والتَّجارب والمواقف العملية الواقعية"[1].

ومثال هذه الإيجابية في القرآن كثير، فأزمة أحد ميَّزت المؤمن من المنافق: ﴿ مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ ﴿١٧٩﴾ ﴾ [آل عمران: 179] يقول صاحب المنار: "كذلك كان الأمر في أحد: تميُّز المؤمنون الصَّادقون من المنافقين وتطهَّرت نفوس بعض ضعفاء المؤمنين من كدورتها فصارت تبرًا خالصًا، وهؤلاء هم الذين خالفوا أمر النَّبي ﷺ وطمعوا في الغنيمة، والذين انهزموا وولَّوا وهم مدبرون، محَّص الجميع بتلك الشِّدَّة فعلموا أنَّ المسلم ما خُلِق ليلهو ويلعب، ولا ليكسل ويتواكل، ولا لينال الظَّفر والسِّيادة بخوارق العادات وتبديل سنن الله في المخلوقات بل خلق ليكون أكثر النَّاس جدًّا في العمل، وأشدَّهم محافظة على النَّواميس والسُّنن"[2].

وأمَّا أزمة حادثة الإفك فقد ميَّزت الخبيث من الطيب: ﴿ ٱلْخَبِيثَٰتُ لِلْخَبِيثِينَ وَٱلْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَٰتِ ۖ وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ ۖ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٢٦﴾ ﴾ [النور: 26].

وكذلك بالنِّسبة لأزمة تبوك فقد ميَّز الله فيها بين الصَّادق والكاذب: ﴿ عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَتَعْلَمَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٤٣﴾ ﴾ [التوبة: 43].

- تُختبر فيها القدرات الفعلية والمؤهلات الشَّخصية للقائد: فالأزمات لسان حالها يقول: اكتشف قدراتك وتعرَّف على مؤهلاتك، فكثيرًا ما يدَّعي البعض حسن إدارة الأمور، وحِكمة التَّعامل مع المستجدَّات؛ لكن ما إن تطرأ عليه أزمة حتَّى تراه لا يعرف رأسه من رجله، فيتخبط فيها خبط عشواء، فيفسد أكثر مما يصلح؛ بل يزيد من حدَّة الأزمة وتفاقمها، ومن هنا يمكن أن نخلص بقولنا:

---

[1] ــ سيد قطب، في ظلال القرآن، مصدر سابق، ج1، ص482.

[2] ــ محمد رشيد رضا، تفسير المنار، مصدر سابق، ج4، ص125.

ليس كل رئيس أو مديرٍ حالَ الأمن يصلح حالَ الأزمة، هذا بالنِّسبة للفرد ونفس الشَّيء بالنِّسبة للجماعات (فريق الإدارة).

يقول الخضيري: "تحتاج إدارة الأزمات إلى أفراد ذوي مواصفات خاصَّة، سواء من النَّاحية العلمية أو من النَّواحي الشَّخصية التي تتَّصل بالقدرات الجسدية، والعقلية، والنَّفسية فليس كل فرد مؤهَّلا للتَّعامل مع الأزمات، بل إنَّ بعض الأفراد وإن كان مؤهَّلاً وقادرًا على التَّعامل مع أزمة معينة، فإنَّه قد لا يكون قادرًا على التَّعامل مع أنواع أخرى من الأزمات؛ بل إنَّه قد لا يستطيع أن يتعامل مع ذات نوع الأزمة في مرحلة تالية لفقده إحدى عوامل وخصائص قدرته"[1].

فالأزمة السِّياسية اختبرت قدرات سليمان عليه السلام ومؤهِّلاته في أكثر من حالة منها: قدرته على التَّيقُّظ من غياب الهدهد، وقدرته بالإتيان بعرش الملكة بمقدار طرفة العين [2]، وقدرته في مجال الهندسة المعمارية والتَّشييد، وقدرته في إقناع الملكة للدُّخول في دين الله دون حرب أو إيقاع خسائر....

ونفس الأمر يقال مع الملك ذي القرنين فأزمته مع يأجوج ومأجوج أظهرت لنا قدرات عديدة كان يتمتَّع بها كالتَّمكين، والعدل، والقوَّة، والجدِّية، والتحدِّي، والإبداع، والتَّقدُّم العلمي في مجال بناء الهياكل العملاقة....

- تُظهر القادة الحقيقيين: إنَّ ظهور القادة الجدد من وسط دخان وضجيج الأزمة، هي حقيقة تنطبق على ميدان القتال، مثلما تنطبق على ميدان التِّجارة والإدارة، لأنَّ بعض الطَّاقات المهملة لا تتحرَّك وتتفجر إلا وقت الشَّدائد، لذلك يجب العمل على اكتشاف تلك المواهب واستغلالها، سواء أثناء الأزمات أو قبلها أو بعدها [3].

---

[1] ــ الخضيري، إدارة الأزمات، مرجع سابق، ص 273.

[2] ــ الراجح الذي أميل إليه: أن الذي عنده علم من الكتب وقام بإحضار عرش الملكة من سبأ باليمن إلى فلسطين في طرفة عين هو سليمان عليه السلام وسأبين ذلك إن شاء الله في فصل إدارة الأزمة السياسية.

[3] ــ ينظر: معهد بميك، إدارة الأزمات لما قد لا يحدث، سلسلة إصدارات بميك، تعريب علا أحمد صلاح، مركز الخبرات المهنية، 2004م، ص102.

فالأشخاص الموهوبون يحطِّمون قيود البيروقراطية بمجرَّد حصولهم على فرصة مواتية في ظروف الأزمة، ويبرهنون على مقدرتهم على الإنجاز من أجل تجاوز أمثل للأزمة...ومن هنا فإنَّ الأزمة تمثل فرصة كبيرة للموهوبين لمباشرة مهام خطيرة، وللعمل مع أفراد جُدد، وتعلِّم كيفيَّة التَّعايش مع الغموض، وإحراز نقاط كبيرة، فالأزمة إذا قد تغيِّر النِّظام المستقرّ فتسمح للموهبة بالارتفاع إلى القمَّة [1].

وقد استغل يوسف عليه السلام هذه الفرصة الذَّهبية وهو يقبع في السِّجن سنين، ليُقدِّم لرسول الملك الخطَّة الاستراتيجية المُثلى لإدارة الأزمة الاقتصادية التي ستزحف على بلادهم وتتربع فيها سبع سنين، فسمحت له الفرصة لتبرئة عرضه الشَّريف، ولظهوره كقائد عفيف، ومدير حفيظ عليم لإدارة مخاطر هذه الأزمة، يقول تعالى: ﴿ قَالَ اجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الْأَرْضِ ۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴿٥٥﴾ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ ۚ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَاءُ ۖ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾ [يوسف: 55 – 56].

يقول سيد قطب: "إنَّما كان يوسف عليه السلام حصيفاً في اختيار اللَّحظة التي يستجاب له فيها لينهض بالواجب المرهق الثَّقيل ذي التَّبعة الضَّخمة في أشدِّ أوقات الأزمة وليكون مسؤولا عن إطعام شعب كامل وشعوب كذلك تجاوره طوال سبع سنوات، لا زرع فيها ولا ضرع"[2].

- تُخرِّج قادة أكفَّاء: فهذه الإيجابية أسبق من سالفتها ذلك أنَّ التَّخريج يقصد منه التَّكوين، والتَّعلم، والمراس في الأزمات ليتخرَّج منها قائدًا يصبح قائدًا لأزمات لاحقة... فالأزمات تُعدُّ وتخرِّج قادة، ومجدِّدين، ومفكِّرين، حيث لا يتحقق التَّمكين لهم إلا بعد المرور على جسر من الأزمات والمحن، التي تصقل النُّفوس وتهذِّبها وتنقِّيها من خبثها، فالأزمة تصنع الرِّجال والعظماء، ولذلك نجد أنَّ الله أثنى على المؤمنين الصادقين لما تجاوزوا أزمة الأحزاب بنجاح حيث وصفهم

[1] ــ ينظر: سليم بطرس جلدة، الإستراتيجية الجديدة لإدارة الأزمات، مرجع سابق، 73.

[2] ــ سيد قطب، في ظلال القرآن، مصدر سابق، ج4، ص2005.

بالرِّجال، قال تعالى: ﴿ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ ﴾ [الأحزاب: 23].

فغزوات كأحد، والأحزاب، وتبوك....وحوادث كالإفك، وصلح الحديبية... خرَّجت قادة، وربَّانا، ومتعلِّمين استطاعوا التَّغلُّب على أزمات ظهرت في مستقبل حياتهم، فقائدٌ كأبي بكر ﷺ استطاع أن يدير أزمة الخلافة بعد وفاة الرَّسول ﷺ والتي حدثت في سقيفة بني ساعدة، كما تمكَّن من علاج أزمة المرتدِّين...ونفس الشَّيء يقال في القائد عمر بن الخطاب ﷺ فقد تعلَّم من أزمات حدثت زمن الرَّسول ﷺ واستفاد منها في إدارته لأزمات وقعت في عهده ما كان للأمَّة الإسلامية الحالية أن تدير ولو عشرها، كأزمة حرب الرُّوم والفرس، وأزمة تقسيم أرض سواد العراق، وأزمة عام الرَّمادة....وفيهم يصدق قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟ ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [السجدة: 24].

- تُكسب المؤمن مهارات وخبرات: فالمؤمن يستفيد ويتعلَّم دروسًا وعبرًا من الأزمات، لقول الرَّسول ﷺ: «لا يُلْدَغُ المؤمِنُ مِن جُحْرٍ واحِدٍ مرَّتينِ»[1]، ونماذج تعلُّم الصَّحابة من الأزمات كثيرة، ففي أزمة أحد أخذوا درسًا قاسيًا جرَّاء ما تكبَّدوه من خسارة جسيمة كان أهمُّ عامل فيها معصية أمر الرَّسول ﷺ؛ لكنَّهم رضوان الله تعالى عليهم تداركوا تصحيح خطئهم في قريب مستقبل أيَّامهم، فنجدهم في أزمة الأحزاب مطيعين لقائدهم ﷺ ومسْتسلمين له أشدَّ التَّسليم، فلم تُخفهم جموع الأحزاب رغم كثرة عددها وعدَّتها، يقول الله تعالى عنهم: ﴿ وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾ ﴾ [الأحزاب: 22]، بخلاف المنافقين فهم لا يتعلَّمون من الأزمات ولا يكادون يفقهون شيئًا منها، فالأزمات والشَّدائد والابتلاءات يمرُّون عليها وهم عنها غافلون ومعرضون، قال تعالى:

---

[1] ــ الحديث سبق تخريجه: ص 63.

﴿ أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٢٦﴾ ﴾ [التوبة: 126].

● تبعث روح التَّضامن والتَّعاون في المجتمع من أجل اجتياز أحسن للأزمة:

فالأزمات توحِّد مشاعر المجتمع الإسلامي، وتحدِّد اتِّجاهاتهم وتشدُّ بعضهم إلى بعض.. وتجعل منهم جسدًا واحدًا، فلا يشعر أحدهم أنَّه بمنجاة من الخطر الذي يهدّد أيَّ عضو من أعضاء الجماعة... [1]، مصداقا لقوله تعالى: ﴿ وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ ﴾ [المائدة: 2]، ولما أشار إليه الرسول ﷺ بقوله: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَرَاحُمِهِمْ وَتَوَادِّهِمْ وَتَعَطُّفِهِمْ كَمَثَلِ الْجَسَدِ؛ إِنِ اشْتَكَى عُضْوٌ مِنْهُ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالْحُمَّى والسَّهَرِ» [2].

ولزوم التَّعاون والتَّكامل يكون أشدّ حال وقوع أزمة عسكرية كأزمة الأحزاب فقد تعاون المؤمنون المهاجرون منهم والأنصار في حفر الخندق ومعهم الرسول ﷺ، وكلهم نشاط، وحماس، وألفة، ومحبَّة لأجل صدِّ جموع الأحزاب الزَّاحفة إليهم، يقول البراء بن عازب ﷺ: قَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ الْخَنْدَقِ يَحْفِرُ مَعَنَا حَتَّى رَأَيْتُ التُّرَابَ قَدْ وَارَى بَيَاضَ بَطْنِهِ أَوْ قَالَ: شَعْرَهُ وَهُوَ يَقُولُ: «وَاللَّهِ لَوْلَا اللَّهُ مَا اهْتَدَيْنَا وَلَا تَصَدَّقْنَا وَلَا صَلَّيْنَا فَأَنْزِلَنْ سَكِينَةً عَلَيْنَا وَثَبِّتِ الْأَقْدَامَ إِنْ لَاقَيْنَا»[3].

يقول الشعراوي: "ولاشك أنَّ الحرب تصور هذه العملية أدقَّ تصوير، بل إن الحرب هي التي تُوَحّد كل فئةٍ في سبيل الحركةِ الواحدة والعمل الواحد للغاية الواحدة؛ لأن

---

[1] ــ ينظر: الخطيب عبد الكريم، التفسير القرآني للقرآن، مصدر سابق، ج13، ص73.

[2] ــ الطبراني سليمان بن أحمد، المعجم الكبير، ط1، تح: فريق من الباحثين بإشراف وعناية: د/ سعد بن عبد الله الحميد و د/ خالد بن عبد الرحمن الجريسي، 2006 م، ج21، ص55، حديث رقم: 39. والحديث ذكره الإمام مسلم برقم: 2586.

3 ــ الطيالسي أبو داود سليمان بن داود، مسند الطيالسي، تح: محمد بن عبد المحسن التركي، ط1، دار هجر، مصر، 1999 م، مسند البراء بن عازب، ج2، ص86، رقم الحديث: 747. وذكر هذا الحديث الإمام البخاري برقم: 2837.

كل واحد من أي فئة لا يستطيع أن يحمي نفسه وحده، فكل واحد يفيء ويرجع إلى الجماعة، ولا يستطيع أن ينفصل عن جماعته"[1].

- تُسرِّع التَّغيير على كافَّة المجالات: إنَّ الأزمة تمثِّل فرصة كبيرة للذين يسعون إلى التَّغيير فينبغي لهم أن يرحِّبوا بالأزمة رغم وجود آثار جانبية لها... فالأزمة قد تغيِّر النِّظام المستقر فتسمح للموهبة بالارتفاع إلى القمَّة [2].

فالأزمة الاقتصادية زمن يوسف عليه السلام غيَّرت أشياء كثيرة منها: أنَّ ملأ الملك لم يعد قادرا على تفسير رؤيا الملك فاستبدلهم بيوسف عليه السلام، يقول تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِى بِهِۦٓ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِى ۖ فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ قَالَ إِنَّكَ ٱلْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴿٥٤﴾ ﴾ [يوسف: 54]، كذلك إخوة يوسف فقد حوَّجتهم الأزمة حتى صاروا ينادون أخاهم دون أن يعرفوه "أيُّها العزيز" و"تصدَّق علينا"... فالأزمة تغيِّر من مراتب بعض الأشخاص فتجعلهم أعزَّة بعد أن كانوا أذلَّة، والعكس كذلك.

كذلك الأزمة السِّياسية الواقعة بين المملكتين: مملكة سليمان عليه السلام ومملكة سبأ، فقد غيَّرت الأزمة ما كانت تعبد الملكة وقومها للشَّمس من دون الله إلى عبادة الله الواحد الأحد.

والتَّغيير في الأزمات العسكرية يظهر بشكل لافت فخذ مثلا غزوة الأحزاب لـــمَّا كفى الله المؤمنين القتال وردَّ المشركين بغيظهم و لم يحققِّوا شيئًا، تغيَّرت الموازين حينها فقال النَّبي ﷺ: «الآنَ نَغْزُوهُمْ وَلاَ يَغْزُونَنَا، نَحْنُ نَسِيرُ إِلَيْهِمْ»[3].

- تَنفُخ روح التَّنافس والتَّسابق بين المؤمنين أنفسهم: فالأزمة تُشعل في النُّفوس روح المبادرة، وتهيِّج فيهم دافع التَّنافس والتَّسابق إلى فعل الخيرات، وقد وجدنا هذا واضحًا في أزمة تبوك والتي تفرَّعت منها أزمات كثيرة ومتنوِّعة كأزمة

---

[1] ــ الشعراوي، خواطر الشعراوي، مصدر سابق، ج2، ص1298.

[2] ــ ينظر: سليم بطرس جلدة، الإستراتيجية الحديثة لإدارة الأزمات، مرجع سابق، ص79.

3 ــ البخاري، الجامع الصحيح، مصدر سابق، كتاب المغازي، بَابُ غَزْوَةِ الخَنْدَقِ وَهِيَ الأَحْزَابُ، ج5، ص110، رقم الحديث: 4110.

البُعد (الشُّقَّة)، والإرجاف، والنَّفقة.... فتسابق الصَّحابة رضوان الله عليهم في تجهيز جيش العسرة كلٌّ على حسب طاقته استجابة لنداء النَّبي ﷺ: «مَنْ جَهَّزَ جَيْشَ الْعُسْرَةِ فَلَهُ الْجَنَّةُ» [1]، فأنفق عثمان ﷺ لتغطية أزمة البُعد والنَّفقة ألف دينار ذهبًا [2]، فنافسه عَبد الرحمن بن عوف ﷺ فقال: "يا رَسولَ اللهِ عندي أربعة آلاف. ألفان أقرضهما ربِّي، وألفان لعيالي. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «بارك الله لك فيما أعطيت وبارك لك فيما أمسكت»، وبات رجل من الأنصار فأصاب صاعين من تمر فقال يا رَسولَ اللهِ: أصبت صاعين من تمر صاع أقرضه ربِّي وصاع لعيالي. قال: فَلَمَزَه المنافقون وقالوا: ما أعطى الذي أعطى ابن عوف إلاَّ رياء، وقالوا ألم يكن الله ورسوله غنيَّين عن صاع هذا؟ فأنزل الله تبارك وتعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَلۡمِزُونَ ٱلۡمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهۡدَهُمۡ فَيَسۡخَرُونَ مِنۡهُمۡ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنۡهُمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ٧٩ ﴾ [التوبة: 79]"[3].

"فمحنة الأزمة تميل إلى خلق روح التَّضامن بين النَّاجين، فقد واجهوا عدوًّا مشتركًا وتعلَّموا أن يرعى كل منهم الآخر، فهم يعرفون كيف يتصرَّفون في مواجهة المحنة وكيف يخرجون منها منتصرين، وقد رأوا قيمة الاجتهاد في العمل وقيمة العمل بذكاء، وصاروا

---

1 ــ البخاري، الجامع الصحيح، مصدر سابق، كتاب أصحاب النبي ﷺ، بَابُ مَنَاقِبِ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ أَبِي عَمْرٍو القُرَشِيِّ ﷺ، ج5، ص13.

2 ــ ينظر الحديث في سنن الترمذي. [الترمذي محمد بن عيسى، سنن الترمذي، تح: أحمد محمد شاكر وآخرون، د.ط، دار إحياء التراث، بيروت، د.ت، كتاب أبواب المناقب، باب في مناقب عثمان بن عفان ﷺ، ج5، ص626، رقم الحديث: 3701] قال أبو عيسى: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه.

3 ــ البزار أحمد بن عمرو، مسند البزار، تح: محفوظ الرحمن زين الله وآخرون، ط1، الناشر: مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، 2009م، مسند أبي حمزة أنس بن مالك، ج15، ص243، رقم الحديث: 8672.
قال الهيثمي: "رواه البزار من طريقين؛ إحداهما متصلة عن أبي هريرة، والأخرى عن أبي سلمة مرسلة، قال: ولم نسمع أحدا أسنده من حديث عمر بن أبي سلمة إلا طالوت بن عباد، وفيه عمر بن أبي سلمة، وثقه العجلي وأبو خيثمة وابن حبان، وضعفه شعبة وغيره، وبقية رجالهما ثقات". [الهيثمي، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، تح: حسام الدين القدسي، مكتبة القدسي، القاهرة، 1994م، ج7، ص32، رقم الحديث: 11048].

يعرفون أن لًا شيء أهمّ لتحقيق النَّجاح في مجال الأعمال من قائد قويٍّ يسانده فريق مخلص"[1].

- تُحقِّق سنَّة التَّدافع: يذكر القرآن الكريم بعد نهاية الأزمة العسكرية الواقعة في بني إسرائيل بين طالوت وجالوت إيجابيات كثيرة منها: أنَّها تحقق سنَّة التَّدافع بين النَّاس دفعًا لفساد الأرض كما قال تعالى: ﴿ فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٥١﴾ ﴾ [لبقرة: 251].

يقول محمد رشيد رضا: "لولا أنَّ الله تعالى يدفع أهل الباطل بأهل الحقِّ، وأهل الفساد في الأرض بأهل الإصلاح فيها لغلب أهل الباطل والإفساد في الأرض، وبغَوْا على الصَّالحين وأوقعوا بهم حتَّى يكون لهم السُّلطان وحدهم، فتفسد الأرض بفسادهم، فكان من فضل الله على العالمين وإحسانه إلى النَّاس أجمعين أن إذا لأهل دينه الحقّ المصلحين في الأرض بقتال المفسدين فيها من الكافرين والبغاة المعتدين، فأهل الحقِّ حربٌ لأهل الباطل في كل زمان، والله ناصرهم ما نصروا الحقَّ وأرادوا الإصلاح في الأرض، وقد سمَّى هذا دفعًا على قراءة الجمهور باعتبار أنَّه منه سبحانه، إذ كان سنَّة من سننه في الاجتماع البشري"[2].

أما اعتبار أن هذه الأزمة إيجابية في مضمونها فيقول ابن عاشور عنها: "ذيِّلت هذه الآية العظيمة كل الوقائع العجيبة التي أشارت بها الآيات السَّالفة لتدفع عن السَّامع المتبصِّر ما يخامره من تطلُّب الحكمة في حدثان هذه الوقائع وأمثالها في هذا العالم، ولكون مضمون هذه الآية عبرة من عبر الأكوان وحكمة من حكم التَّاريخ، ونظم العمران التي لم يهتد إليها أحد

[1] ــ سليم بطرس جلدة، الإستراتيجية الحديثة لإدارة الأزمات، مرجع سابق، ص79.

[2] ــ محمد رشيد رضا، تفسير المنار، مصدر سابق، ج2، ص ص 389 ــ 390.

قبل نزول هذه الآية،... والآية مسوقة مساق الامتنان، فلذلك قال تعالى: ﴿ لَفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ ﴾ لأنَّا لا نحب فساد الأرض، إذ في فسادها- بمعنى فساد ما عليها- اختلال نظامنا وذهاب أسباب سعادتنا، ولذلك عقبه بقوله: ولكن الله ذو فضل على العالمين"[1].

- تجعل المرء يحسُّ بقيمة النِّعمة: فالنِّعمة متى سُلبت من الإنسان أدرك حقيقتها، فأغلب الأزمات تُسلب فيها نعم كثيرة حيث إنَّ أغلب النَّاس لا يشعرون بقيمتها في حال السَّرَّاء؛ ولكن لما تحلُّ الأزمة فتُسلب النِّعمة جزئيًا أو كليًّا حينها يعرفون ويدركون حقيقة ما كانوا به منعَّمين طوال سنين، فأغلب الأزمات تُسلَب منها نعمتان: الأولى نعمة الأمن، والثانية: نعمة الغذاء والطَّعام هو الأظهر في جميع الأزمات، كما أنَّ بعضها تَسلب نعمة المال، أو نعمة الصِّحة.... يقول تعالى: ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾ وَلَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١١٣﴾ فَكُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَٱشْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١١٤﴾ ﴾ [النحل: 112 – 114]، والآية تحثُّ كلَّ ذي عقل ونظر، أن يأخذوا العبرة من هذا المثل، وأن يجدوا في النِّعم التي أنعمها الله عليهم داعية يدعوهم إلى شكر الله، والولاء له... وإلّا حلّ بهم عذاب الله، كما حلّ بتلك القرية الظَّالمة.. [2].
- يحصل بسببها تكفير الذُّنوب ونيل المغفرة والرَّحمة: قال تعالى: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۟ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾ [البقرة: 155 – 157].

---

[1] ــ ابن عاشور، التحرير والتنوير، مصدر سابق، ج2، ص500.

[2] ــ ينظر: الخطيب عبد الكريم، التفسير القرآني للقرآن، مصدر سابق، ج7، ص ص385 ــ 386.

يقول محمد رشيد رضا: "فأما الصَّلوات فالمراد بها أنواع التَّكريم والنَّجاح، وإعلاء المنـــزلة عند الله والنَّاس، وعن ابن عباس: ((أنها المغفرة لذنوبهم))، وأمَّا الرَّحمة فهي ما يكون لهم في نفس المصيبة من حسن العزاء، وبرد الرِّضى والتَّسليم للقضاء، فهي رحمة خاصَّة يحسد الملحدون عليها المؤمنين، فإنَّ الكافر المحروم من هذه الرَّحمة في المصيبة تضيق عليه الدنيا بما رحبت، حتَّى إنَّه ليبخع نفسه إذا لم يعد له رجاء في الأسباب التي يعرفها وينتحر بيده ويكون من الهالكين.

(وأولئك هم المهتدون) أي: إلى ما ينبغي عمله في أوقات المصائب والشَّدائد إذ لا يستَحْوذ الجزع على نفوسهم، ولا يذهب البلاء بالأمل من قلوبهم، فيكونون هم الفائزين بخير الدنيا والرَّاحة فيها، المستعدِّين لسعادة الآخرة بعلوِّ النَّفس وتزكيتها بمكارم الأخلاق وصالح الأعمال، دون أهل الجزع وضعف الإيمان"[1].

- تعتبر سببًا لدخول الجنة: فلا أحد من البشر يدخل الجنة إلا إذا أصيب بأزمة ثم تخطَّاها بامتياز ونجاح، يقول تعالى: ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴿٢١٤﴾ ﴾ [البقرة: 214].

يقول طنطاوي: "أظننتم أيُّها المؤمنون أنَّكم تدخلون الجنة بمجرَّد الإيمان دون أن يصيبكم ما أصاب الذين سبقوكم من شدائد في الأنفس والأموال، ومن مخاوف أزعجتهم وأفزعتهم حتى بلغ الأمر برسولهم وبالمؤمنين معه أن يقولوا وهم في أقصى ما تحتمله النُّفوس البشرية من آلام: متى نصر الله؟!!"[2].

المطلب الثالث: أهداف إدارة الأزمات من خلال القرآن الكريم.

تختلف أهداف إدارة الأزمات من نوع إلى آخر، فالهدف من إدارة الأزمات الأسرية كأزمة الطَّلاق يختلف عن هدف إدارة الأزمات الاقتصادية كأزمة الفقر، ونفس

---

[1] ــ محمد رشيد رضا، تفسير المنار، مصدر سابق، ج2، ص34.

[2] ــ طنطاوي، التفسير الوسيط، مصدر سابق، ج1، ص 463.

الشيء يقال في أهداف إدارة الأزمات السِّياسية والعسكرية؛ لكنَّ محصِّلة هذه الأهداف تشترك مع بعضها في كثير من الغايات كتحقيق المقاصد الكلِّية التي جاءت الشَّرائع السَّماوية لحفظها: كحفظ الدِّين، والعقل، والمال، والنَّفس، والعِرض (النَّسل)، كما تسعى إلى جلب المنافع ودرء المفاسد، وكما تهدف إلى تحقيق جملة من المنافع وهي:

- ــ الاستعداد الدَّائم للتَّعامل مع الأزمة، ومعرفة مدى الاستجابة في حال حدوثها، والخروج منها بأقلِّ خسائر ممكنة.
- ــ توفير القدرة العملية على تنبُّؤ مصادر التَّهديد الواقعة والمحتملة، والاستغلال الأمثل للموارد والإمكانات المتاحة للحدِّ من تفاقم الأزمة.
- ــ تفادي الأزمات قبل وقوعها، والعمل على تحقيق الاستقرار، والسَّعي على الحفاظ على المصالح الحيوية وحمايتها.
- ــ تقليل التَّأثير السِّلبي والضَّار للأزمات على الأفراد والمجتمعات.
- ــ تقديم المساعدات الأمنية الطارئة من أجل مكافحة الأزمات غير المتوقعة مع تقليل الخسائر والأضرار التي تصيب المجتمع.
- ــ تجنُّب تحوُّل النـــِّزاع إلى صراع شامل، وتقليل فُرَص وصول الأزمة إلى مراحل أخطر، أو إلى حالة حرب أو صراع مسلَّح، والخروج بأقلِّ تكلفة، وضمان عدم المساس بالمصالح والقِيم الجوهرية [1].
- ــ كما تهدف إلى معالجة آثار الأزمة، ومَحْو سلبياتها التي نجمت عنها، والوصول بالأداء التَّشغيلي للكيان الإداري إلى المستويات التي كان عليها قبل حدوث الأزمة على الأقلِّ، واستعادة حيويته ونشاطه وفاعليته، كأن لم تحدث أزمة.
- ــ تطوير وتنمية الأداء التَّشغيلي للكيان الإداري، والارتقاء به إلى مستويات تشغيل وأداء أفْضل ممَّا كان عليه الحال قبل الأزمة، خاصَّة مع

1 ــ ينظر: الطراونة محمد إبراهيم، إدارة الأزمات، ط1، دار اليراع، عمّان، 2011م، ص ص: 62 ــ 63.

إحداث تغيير وتطوير في تكنولوجيا الإنتاج، والتَّسويق، والتَّمويل، والكوادر البشرية.

- ـــ وضع نظام وقائي مناعي يمنع حدوث هذه الأزمة مرَّة أخرى أو غيرها من الأزمات المشابهة، وبالتَّالي إكساب الكيان الإداري المناعة والوقاية والحماية اللَّازمة ضدَّ مخاطر حدوث هذه الأزمات مرَّة أخرى، ومنع أي ما من مصلحته إشعال هذه الأزمة مرَّة أخرى من جديد، ومن خلال استخدام المناهج العلمية في: التَّخطيط، والتَّنظيم، والتَّوجيه، والتَّنسيق، والتَّحفيز، والمتابعة، والرَّقابة [1].
- ـــ احتواء تداعيات الأزمة، وآثارها السِّلبية فَوْر بَدْء حدوثها، ومَنْعها من الانتشار والتَّصاعد.
- ـــ الاستعداد لمواجهة الأزمة قبل حلولها وذلك بوضع مخطَّطات وبرامج تهدف إلى التَّقليل من خطر الأزمة وتَحُدُّ من انتشارها كما فعل يوسف عليه السلام في إدارته للأزمة الاقتصادية، حيث استعدَّ لها قبل وقوعها بتكثيف الزِّراعة، وحفظ الغلال في المخازن، والتَّوزيع العادل لها أثناء الأزمة... فبذلك نجح في اجتياز الأزمة وأنقذ أمَّة بأكملها.
- ـــ اختبار قدرات المنظَّمة، ومؤِّهلات الأفراد، في مقابل ذلك الكشف عن الخلل ومواطن الضُّعف على مستوى الأفراد والمؤسسات.
- ـــ دفع الضَّرر المادِّي والمعنوي، عملًا بالقاعدة الشَّرعية: "لا ضرر ولا ضرار"[2].

---

1 ـــ ينظر: الخضيري محسن أحمد، إدارة الأزمات، مرجع سابق، ص ص: 272 ـــ 273.

2 ـــ مالك بن أنس الأصبحي، موطأ الإمام مالك، رواية أبي مصعب الزهري، تح: بشار عواد معروف ومحمود خليل، مؤسسة الرسالة، 1412هـ، كتاب الأقضية، باب القضاء في المَرْفِق، ج2، ص467، رقم الحديث: 2895. يقول الألباني: حديث صحيح ورد مرسلا، وروي موصولا عن أبي سعيد الخدري، وعبد الله ابن عباس، وعبادة بن الصامت، وعائشة، وأبي هريرة، وجابر بن عبد الله، وثعلبة بن مالك رضي الله عنهم [الألباني محمد ناصر الدين، سلسلة الأحاديث الصحيحة، ط1، مكتبة المعارف، الرياض، 1995م، ج1، ص498، رقم الحديث: 250].

- ــ التَّقليل من حجم الأضرار والخسائر حال حدوث الأزمة.
- ــ تــُجَنِّب المجتمعات والدُّول خطر الحروب، وَوَيْلات الدَّمار والخراب بفضل النَّجاح في إدارة الأزمة، كما نجحت إدارة الأزمة السياسية بين سليمان عليه السلام وملكة سبأ من الوقوع في الحرب بعدما لَوَّحوا باستخدام القوَّة: ﴿ ٱرۡجِعۡ إِلَيۡهِمۡ فَلَنَأۡتِيَنَّهُمۡ بِجُنُودٖ لَّا قِبَلَ لَهُمۡ بِهَا وَلَنُخۡرِجَنَّهُم مِّنۡهَآ أَذِلَّةٗ وَهُمۡ صَٰغِرُونَ ٣٧ ﴾ [النمل: 37]. ونفس الشَّيء يقال في الوقت المعاصر لَّما تفاقمت الأزمة بين الولايات المتحدة الأمريكية والإتحاد السوفياتي في قضيَّة ما يسمَّى بـــ: بأزمة الصَّواريخ الكوبية سنة 1962م، وكادت تؤدي إلى حرب عالمية ثالثة، ولولا انتهاج هذا الفن، وهو فنُّ التَّعامل مع الأزمات لأدَّى بالدَّولتين حتمًا إلى حرب كبيرة لا تبقي ولا تذر، ولكنَّ الله سلَّم.
- ــ تــُجَنِّب التَّصادم، وتسمح بارتكاب الضَّرر الأخفِّ تجنُّبًا للوقوع في الضَّرر الأكبر، كما هو الحال في أزمة صلح الحديبية إذ حقَّق فيها النَّبي ﷺ نجاحًا باهرًا بفضل سياسته الحكيمة فجنَّب الطَّرفين أزمة قتالية كادت تنشب بينهما، وفي هذا الشَّأن يخبرنا المولى عزوجل بقوله: ﴿ لَّقَدۡ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ يُبَايِعُونَكَ تَحۡتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمۡ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيۡهِمۡ وَأَثَٰبَهُمۡ فَتۡحٗا قَرِيبٗا ١٨ وَمَغَانِمَ كَثِيرَةٗ يَأۡخُذُونَهَاۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمٗا ١٩ وَعَدَكُمُ ٱللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةٗ تَأۡخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمۡ هَٰذِهِۦ وَكَفَّ أَيۡدِيَ ٱلنَّاسِ عَنكُمۡ وَلِتَكُونَ ءَايَةٗ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ وَيَهۡدِيَكُمۡ صِرَٰطٗا مُّسۡتَقِيمٗا ٢٠ ﴾ [الفتح: 18 - 20].
- ــ تُكسب تجارب جديدة جرَّاء التَّعامل المستمرِّ مع الأزمات.
- ــ تهدف إلى التَّعلم واستخلاص الدُّروس والعبر، لغرض اجتناب وقوعها مستقبلًا.

الفصل الثاني: منهج القرآن الكريم في إدارة الأزمة الاجتماعية.

المبحث الأول: أزمة *حادثة* الإفك: سبب اختيارها، ومفهومها، وقصَّتها الكاملة.

المبحث الثاني: أزمة حادثة الإفك: أسبابها، أهدافها، مراحلها.

المبحث الثالث: مراحل إدارة أزمة حادثة الإفك، وبيان منهج القرآن الكريم في التَّعامل مع أمثال هذا النوع من الأزمات

الفصل الثاني: منهج القرآن الكريم في إدارة الأزمة الاجتماعية.

المبحث الأول: أزمة حادثة الإفك: سبب اختيارها، ومفهومها، وقصَّتُها الكاملة.

المطلب الأول: سبب اختيار حادثة الإفك كنموذج لإدارة الأزمات الاجتماعية في القرآن الكريم.

لقد تمَّ اختيار أزمة حادثة الإفك كنموذج من نماذج القرآن الكريم في إدارته للأزمات الاجتماعية دون غيرها من الأزمات: كأزمة العنوسة، وأزمة الطَّلاق، وأزمة النِّفاق، وأزمة الاستعباد، وأزمة الطَّبقية، وأزمة النُّـــزعة العنصرية... نظرًا لما تجمعه هذه الأزمة من جوانب وأمور لم تُستوعب في غيرها من الأزمات المذكورة، ومن ذلك:

1- طول المدَّة الزَّمنيَّة فيها: "إنَّ التَّصدِّي للأزمة ووقف امتدادها وتجميد تصاعدها يتعيَّن أن يسابق الزَّمن، وأن يؤتي أثره ويفعل تأثيره... فالكيان الإداري لا يستطيع أن يتحمَّل عبء وتكاليف الضَّغط الذي تسببه الأزمة لمدَّة طويلة، وإلا انهار وتحطَّم تمامًا، ويتراوح المدى الزَّمني للتَّعامل مع الأزمات ما بين شهر وشهرين على الأكثر"[1]، فأزمة حادثة الإفك امتدَّت لسبع وثلاثين ليلة حتَّى نزلت براءتها ﵂[2].

2- شدَّة وقعها: فأزمة حادثة الإفك أزمة بالغة الشِّدَّة، حيث مسَّت قمَّة الهرم، إ ذ يتأثر منها المجتمع ككل لكونه متَّصلا بالكامل بتلك القمَّة، وقد بلغ بهم الأمر إلى حدِّ الاقتتال فيما بينهم أي: بين الأوس والخزرج «فَثَارَ الْحَيَّانِ الْأَوْسُ وَالْخَزْرَجُ حَتَّى هَمُّوا أَنْ يَقْتَتِلُوا وَرَسُولُ اللهِ ﷺ، قَائِمٌ عَلَى الْمِنْبَرِ، فَلَمْ يَزَلْ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُخَفِّضُهُمْ حَتَّى سَكَتُوا وَسَكَتَ» [3]، يقول راغب السرجاني: "وحادثة الإفك

---

[1] ــ الخضيري، إدارة الأزمات، مرجع سابق، ص 273.

[2] ــ ينظر: المقدسي عبد الغني بن عبد الواحد، حديث الإفك، تح: إبراهيم صالح، دار البشائر، 1994 م، ص: 38.

[3] ــ مسلم، صحيح مسلم، مصدر سابق، كتاب التوبة، بَابٌ فِي حَدِيثِ الْإِفْكِ وَقَبُولِ تَوْبَةِ الْقَاذِفِ، ج4، ص2129، رقم الحديث: 2770.

هذه من أشدِّ الأزمات التي مرَّت بالمسلمين في فترات السِّيرة النَّبوية، وهذه الأزمة خطيرة جداً تحتاج إلى وقفات طويلة وتحليلات كثيرة، وانتباه إلى ردِّ فعل رسول الله ﷺ، وتدبُّر في تعليق ربِّ العالمين سبحانه وتعالى للحدث كما في سورة النُّور"[1].

3- ضخامة حجم الأزمة: فهي عميقة لأنَّها متعلِّقة بعِرض الأسرة النَّبوية الشَّريفة، ومتَّسعة النِّطاق في المجتمع المدني ما بين مدافع لها ومهاجم، وما بين مبرِّئ ومتَّهم، حيث يصعب السَّيطرة عليها والتَّغلب على عواملها، كما كانت مفاجئة وعنيفة للكثيرين من أهل المدينة، وخاصَّة ممَّن كان في محيط السيِّدة عائشة رضي الله عنها إذ شكَّلت صدمة قويَّة في نفوسهم.

4- تعلُّقها برموز القيادة الاجتماعية: فحادثة الإفك هزَّتْ المجتمع الإسلامي في قمَّته، فمسَّتْ رسول الله ﷺ وزوجه أمُّ المؤمنين عائشة، وصاحبه الصِّدِّيق، وجماعة من الصَّحابة رضي الله عنهم.

5- خطر تداعياتها: لقد كانت أزمة حادثة الإفك جزءًا من مؤامرة شاملة خطَّط لها أعداء الإسلام، وروَّجها المنافقون من أجل تقويض المجتمع الإسلامي، وتشويه صورة القيادة المحمَّدية، وكأنَّ حال لسان الذين روّجوها يقول: هذه امرأة نبيِّكم واعتبرتموها أمًّا لكم قد فعلت ما فعلت، فكيف الأمر بغيرها؟ إذا فلم يكن تدبير أزمة ثقيلة كهذه يقتصر أمرها على عائشة؛ بل لقد تجاوزها إلى شخص الرَّسول ﷺ ووظيفته في الجماعة يومها. بل تجاوزه إلى صلته بربِّه ورسالته كلِّها. وما كان حديث الإفك رميةً لعائشة وحدها، إنَّما كان رمية للعقيدة في شخص نبيِّها

[1] ــ السرجاني راغب الحنفي راغب، السيرة النبوية، دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية، رقم الدرس: 29.

وبانيها... من أجل ذلك أنزل الله ﷻ فيها خمسة عشر آية للفصل في القضية المبتدعة، ولردِّ المكيدة المدبَّرة، وللكشف عن الحكمة العليا وراء ذلك كله [1].

6- احتواؤها على الخصائص الأساسية للأزمة: فللأزمة مجموعة خصائص يجب توفُّرها في الموقف الأزموي التي يواجهها متَّخذ القرار وهو الرَّسول ﷺ حتى نستطيع أن نطلق عليها أزمة وأهمُّ هذه الخصائص ما يأتي:

أ- توفر الأزمة على مجموعة من القوى ذات الاتجاهات الضَّاغطة والتي تتمثل في المنافقين والمرجفين في المدينة والتي كان يتزعَّمها رئيس المنافقين عبد الله بن أبي بن سلول ﴿وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ﴾ [النور: 11]، ضدَّ الكيان الإداري في المدينة والذي يمثِّله الرَّسول ﷺ وزوجه عائشة رضي الله عنها وصاحبه أبو بكر رضي الله عنه، وإملاء عليهم ضغوطًا نفسية، واجتماعية، وهو تيار يزداد تصاعدًا، وينمو بمعدَّلات متسارعة ولا يتوقف عند حدٍّ معيَّن، حتى يبلغ ذروة تصاعده ويحقِّق أهدافه، ثم ينحسر تدريجيًّا بعد أن حطَّم ودمَّر كل ما استهدفه [2].

ب- ظهور قوى جديدة مشاركة في الأزمة، وهي بمثابة روافد مدعِّمة للأزمة، لم تكن تظهر من قبل و لم تعرف بالإرجاف والإشاعة، وقد تمثلت في بعض العصبة من الصَّحابة كحسان بن ثابت شاعر الرَّسول ﷺ، ومسطح بن أُثَاثَةَ وكانت أمُّه بنت خالة أبي بكر، وحمنة بنت جحش وغيرهم... ﴿وَفِيكُمْ سَمَّٰعُونَ لَهُمْ﴾ [التوبة: 47].

ت- شعور الكيان المتأزِّم بالاضطراب والقلق والحيرة البالغة حتى أصبحوا وكأنهم مسلوبو الإرادة، كما أنَّ المجتمع صار مضطربًا ومتحيِّرًا، يقول سيد قطب: "هذا الحادث. حادث الإفك؛ قد كلَّف أطْهر النُّفوس في تاريخ البشريَّة كلّها آلامًا لا تطاق، وكلَّف الأمَّة المسلمة كلّها تجربة من أشقِّ التَّجارب في تاريخها الطّويل، وعلّق قلب رسول الله ﷺ وقلب زوجه عائشة

---

[1] ــ ينظر: سيد قطب، في ظلال القرآن، مصدر سابق، ج4، ص2500.

[2] ــ ينظر: الخضيري، إدارة الأزمات، مرجع سابق، ص 131.

التي يحبُّها، وقلب أبي بكر الصديق وزوجه، وقلب صفوان بن المعطل.. شهرًا كاملاً، علَّقها بحبال الشَّكِّ والقلق والألم الذي لا يطاق"[1].

ث- ظهور عنصر المفاجأة فيها: فلم يكن الصَّحابة رضوان الله عليهم يتوقَّعون أن يصدموا بهذا الخبر الأفّاك، وخاصَّة وقد مسّ بيت النُّبوَّة الشَّريفة، تقول أمُّ رومان وهي تصف بنتها عائشة رضوان الله عليهن: «فَخَرَّتْ مَغْشِيًّا عَلَيْهَا فَمَا أَفَاقَتْ إِلَّا وَعَلَيْهَا حُمَّى نَافِضٌ[2]»[3].

7- اشتمالها على كافَّة مراحل الأزمة: فأزمةٌ حادثة الإفك مرَّت بدورة حياة كاملة تُعرف بدورة حياة الأزمة باعتبارها ظاهرة اجتماعية، مثلها في ذلك مثل أي كائن حي، وهذه الدَّورة تمثل أهمِّية قصوى في متابعة تطور الأزمة والإحاطة بها من جانب متَّخذ القرار لأجل سرعة التَّنبُّه في اتِّخاذ القرار، والإحاطة بها وبعواملها حتى يكون أقْدر على علاجها والتَّعامل معها.

المطلب الثاني: التعريف بحادثة الإفك، وبيان زمن وقوعها.

الفرع الأول: تعريف الإفك لغة واصطلاحا:

أولا: الإفك لغة:

من أَفَكَ يَأْفِك وأَفِكَ إِفْكاً وأُفُوكاً وأَفْكاً وأَفَكاً وأَفَّكَ بمعنى الْكَذِبُ. والأَفِيكةُ: كالإِفْك [4]، "وَرَجُلٌ أَفَّاكٌ أَيْ كَذَّابٌ"[5]، والإفك: كل مصروف عن وجهه الذي يحق أن يكون عليه، ومنه قيل للرِّياح العادلة عن المهابّ: مُؤْتَفِكَة. قال تعالى: ﴿وَٱلْمُؤْتَفِكَتُ بِٱلْخَاطِئَةِ

---

1 ــ سيد قطب، في ظلال القرآن، مصدر سابق، ج1، ص2495.

2 ــ حُمَّى نَافِضٌ: حمى الرعدة.

3 ــ ابن حبان محمد بن حبان بن أحمد، صحيح ابن حبان، تح: شعيب الأرنؤوط، ط2، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1993م، كتاب مناقب الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين، باب: ذكر نفي عائشة رضي الله تعالى عَنْهَا مَعْرِفَة النِّعْمَةِ عَنْ أَحَدٍ مِنَ الْمَخْلُوقِينَ وَإِضَافَتِهَا بِكُلِّيَّتِهَا إِلَى خَالِقِ السَّمَاءِ وَحْدَهُ دُونَ خَلْقِهِ، ج16، ص22، رقم الحديث: 7103. قال الألباني: صحيح. [الألباني محمد ناصر الدين، التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان، ط1، دار با وزير، جدَّة، 2003م، ج10، ص89، رقم الحديث: 7059].

4 ــ ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مصدر سابق، ج10، ص390.

5 ــ الرازي، مختار الصحاح، مصدر سابق، ج1، ص19.

﴿ ۝٩ ﴾ [الحاقة: 9]، واستُعمل في صرف المقال من الصِّدق إلى الكذب كما في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ﴾ [النور: 11] [1].

وجاء في معجم مقاييس اللغة: "(أَفَكَ) الْهَمْزَةُ وَالْفَاءُ وَالْكَافُ أَصْلٌ وَاحِدٌ، يَدُلُّ عَلَى قَلْبِ الشَّيْءِ وَصَرْفِهِ عَنْ جِهَتِهِ. يُقَالُ: أُفِكَ الشَّيْءُ. وَأَفِكَ الرَّجُلُ: إِذَا كَذَبَ. وَالْإِفْكُ الْكَذِبُ. وَأَفَكْتُ الرَّجُلَ عَنِ الشَّيْءِ: إِذَا صَرَفْتُهُ عَنْهُ. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ قَالُوٓاْ أَجِئْتَنَا لِتَأْفِكَنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا ﴾ [الأحقاف: 22]"[2].

ويقول الفخر الرازي: "والإفك أبلغ ما يكون من الكذب والافتراء، وقيل هو البهتان وهو الأمر الذي لا تشعر به حتَّى يفجأك، وأصله الإفك وهو القلب؛ لأنَّه قول مأفوك عن وجهه، وأجمع المسلمون على أنَّ المراد ما أفك به على عائشة، وإنَّما وصف الله تعالى ذلك الكذب بكونه إفكًا لأنَّ المعروف من حال عائشة خلاف ذلك"[3].

ثانيا: الإفك اصطلاحا.

هو ما رُميت به السيِّدة عائشة ﵂ من أهل الإفك والبهتان من المنافقين، وبما قالوه من الكذب البحت، والفرية التي غار الله تعالى لها ولنبيِّه ﷺ فأنزل براءتها صيانة لعرض الرَّسول ﷺ[4].

الفرع الثاني: زمن وقوع حادثة الإفك.

اختلف أهل السِّير والمغازي في زمن وقوع حادثة الإفك إلى مذهبين:

1) ــ المذهب الأول: وهو رأي ابن هشام [1] وابن جرير الطبري [2] وابن حزم [3] وغيرهم إلى أنَّ الحادثة وقعت في السَّادسة من الهجرة بعد غزوة الأحزاب، واحتجُّوا على ذلك بأنَّ الحادثة وقعت:

---

1 ــ ينظر: الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، مصدر سابق، ص79.

2 ــ ابن فارس أحمد بن زكرياء القزويني الرازي، معجم مقاييس اللغة، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، 1979م، ج1، ص118.

3 ــ الرازي، مفاتيح الغيب، مصدر سابق، ج3، ص337.

4 ــ ينظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، مصدر سابق، ج 6، ص16.

أ- بعد فرض الحجاب كما حكت ذلك عائشة بنفسها في قصَّة حادثة الإفك التي سيأتي ذكرها: "فَخَرَجْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بَعْدَمَا نَزَلَ الحِجَاب".

ب- بعد زواج زينب بنت جحش بالنَّبي ﷺ "قَالَتْ عَائِشَةُ: وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَسْأَلُ زَيْنَبَ ابْنَةَ جَحْشٍ عَنْ أَمْرِي، فَقَالَ: «يَا زَيْنَبُ مَاذَا عَلِمْتِ أَوْ رَأَيْتِ؟»".

والرِّوايات الصَّحيحة مستفيضة في هذا الشَّأن كما نقلته لنا كتب الصحاح والسُّنن والمسانيد.

2) ــ المذهب الثاني: وذهبت طائفة إلى أنَّها كانت في شعبان من السَّنة الخامسة، منهم ابن سعد، وابن قتيبة، والبلاذري، والذَّهبي، ومن المحدثين الخضري بك، والغزالي، والبوطي [4]، واحتجوا بالدَّليل الأبرز أنَّ سعد بن معاذ كان حيًّا في هذه الغزوة، وله شأن يذكر في قصَّة الإفك من الجدال الذي وقع بينه وبين سعد بن عبادة[5] أمام حضرة الرَّسول ﷺ، وقد توفي

---

[1] ــ ينظر: عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري، السيرة النبوية لابن هشام، ط2، تح: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، 1955 م، ج2، ص289.

2 ــ ينظر: الطبري محمد بن جرير، تاريخ الرسل والملوك، ط2، دار التراث، بيروت، 1387 هـ، ج2، ص604.

[3] ــ ابن حزم علي بن أحمد بن سعيد الأندلسي القرطبي، جوامع السيرة النبوية، ط1، تح: إحسان عباس، دار المعارف، مصر، 1900 م، ج1، ص203.

4 ــ ينظر: الصلابي علي محمد محمد، السِّيرةُ النّبوية: عرضُ وقائع وتحليل أحداث، ط7، دار المعرفة للطباعة، بيروت، 2008 م، ص: 571.

5 ــ سَعْدُ بنُ عُبَادَةَ بن دُلَيْم بن حَارِثَة الأَنْصَارِيُّ ابْن أَبي حَزِيْمَة بن ثَعْلَبَة بن طَرِيْفِ بن الخَزْرَج بن سَاعِدَة بن كَعْبِ بن الخَزْرَج.
السَّيِّدُ الكَبِيْرُ، الشَّرِيْفُ، أَبُو قَيْس الأَنْصَارِيُّ، الخَزْرَجِيُّ، السَّاعِدِيُّ، المَدَنِيُّ، النَّقِيْبُ، سَيِّدُ الخَزْرَج، قَالَ أَبُو الأَسْوَدِ: عَنْ عُرْوَةَ: إِنَّهُ شَهِدَ بَدْراً، وَقَالَ جَمَاعَةٌ: مَا شَهِدَهَا، قَالَ ابْنُ سَعْدٍ: كَانَ يَتَهَيَّأُ لِلْخُرُوْج إِلى بَدْر، وَيَأْتِي دُوْرَ الأَنْصَار يَحُضُّهُم عَلَى الخُرُوْج، فَنُهِشَ، فَأُقِيمَ. قَالَ: وَكَانَ نَقِيْباً، سَيِّداً، جَوَاداً. وَسَكَنَ دِمَشْقَ فِيْمَا نَقَلَ ابْنُ

سعد بن معاذ في غزوة بني قريظة متأثِّرًا بجرحه الذي أصيب به في الخندق، ولا يتَّفق أن يستشهد سعد بن معاذ في غزوة الخندق، ثم يحضر بعد ذلك في بني المصطلق، ولهذا جزموا بوقوع غزوة بني المصطلق قبل غزوة الأحزاب[1].

والرَّاجح أنَّها في السَّادسة بعد الهجرة، "والدَّليل على ذلك ما ثبت في حديث الإفك من أنَّ القضية كانت بعد ما أنزل الحجاب، وآية الحجاب نزلت في شأن زينب، وزينب إذ ذاك كانت تحته، فإنَّه ﷺ سألها عن عائشة فقالت: أحمي سمعي وبصري. قالت عائشة: وهي التي كانت تساميني من أزواج النَّبيّ ﷺ، وأما ما وقع في حديث الإفك من أن سعد بن معاذ وسعد بن عبادة تنازعَا في أصحاب الإفك، ومعلوم أنَّ سعد بن معاذ مات عقب غزوة بني قريظة، فالظَّاهر أنَّ هذا وهم الرَّاوي، فقد روى ابن إسحاق حديث الإفك عن الزُّهري عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن عائشة، فلم يذكر فيه سعد بن معاذ بل ذكر أسيد بن حضير، قال أبو محمد بن حزم: وهذا هو الصَّحيح الذي لا شكَّ فيه، وذِكر سعد بن معاذ وهم"[2].

عَسَاكِرَ . قالَ: وَمَاتَ بحَوْرَانَ.[الذهبي محمد بن أحمد بن عثمان، سير أعلام النبلاء، تح: مجموعة من المحققين بإشراف شعيب الأرناؤوط، ط3، مؤسسة الرسالة، 1985 م، ج1، ص ص: 270 ــ 271].

1 ــ ينظر: الغزالي محمد، فقه السيرة، ط1، دار القلم، دمشق، 1427 هــ، ص 296. وينظر: البوطي محّمد سَعيد رَمضان، فقه السيرة النبوية مع موجز لتاريخ الخلافة الراشدة، ط25، دار الفكر، دمشق، 1426 هــ، ص ص202 ــ 203.

2 ــ المباركفوري صفي الرحمن، الرحيق المختوم، مرجع سابق، ص298. وينظر: المودودي أبو الأعلى، تفسير سورة النور، دار الفكر، بيروت، ص9.

المطلب الثالث: إيراد القصة الكاملة لحادثة الإفك، وتحليل ما نزل بشأنها إجمالا.

✓ ــ الفرع الأول: إيراد القصَّة الكاملة لحادثة الإفك.

ولفهم حقائق هذه الأزمة، وإدراك أبعادها نترك المجال لأمّنا عائشة ﵂ تروي لنا القصَّة الكاملة [1] كما نقلها الإمام البخاري في صحيحه بسنده عن عروة بن الزبير عَنْ عَائِشَةَ ﵂: أَنَّ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، زَوْجَ النَّبِيِّ ﷺ قَالَتْ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَخْرُجَ أَقْرَعَ بَيْنَ أَزْوَاجِهِ، فَأَيَّتُهُنَّ خَرَجَ سَهْمُهَا خَرَجَ بِهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَعَهُ، قَالَتْ عَائِشَةُ: فَأَقْرَعَ بَيْنَنَا فِي غَزْوَةٍ غَزَاهَا [2] فَخَرَجَ سَهْمِي، فَخَرَجْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بَعْدَمَا نَزَلَ الحِجَابُ، فَأَنَا أُحْمَلُ فِي هَوْدَجِي، وَأُنْزَلُ فِيهِ، فَسِرْنَا حَتَّى إِذَا فَرَغَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ غَزْوَتِهِ تِلْكَ وَقَفَلَ، وَدَنَوْنَا مِنَ المَدِينَةِ قَافِلِينَ، إذا لَيْلَةً بِالرَّحِيلِ، فَقُمْتُ حِينَ إذاوا بِالرَّحِيلِ فَمَشَيْتُ حَتَّى جَاوَزْتُ الجَيْشَ، فَلَمَّا قَضَيْتُ شَأْنِي أَقْبَلْتُ إِلَى رَحْلِي، فَإِذَا عِقْدٌ لِي مِنْ جَزْعِ ظَفَارِ [3] قَدِ انْقَطَعَ، فَالْتَمَسْتُ عِقْدِي وَحَبَسَنِي ابْتِغَاؤُهُ، وَأَقْبَلَ الرَّهْطُ الَّذِينَ كَانُوا يَرْحَلُونَ لِي، فَاحْتَمَلُوا هَوْدَجِي فَرَحَلُوهُ عَلَى بَعِيرِي الَّذِي كُنْتُ رَكِبْتُ، وَهُمْ يَحْسِبُونَ أَنِّي فِيهِ، وَكَانَ النِّسَاءُ إِذْ ذَاكَ خِفَافًا، لَمْ يُثْقِلْهُنَّ اللَّحْمُ، إِنَّمَا تَأْكُلُ العُلْقَةَ مِنَ الطَّعَامِ، فَلَمْ يَسْتَنْكِرِ القَوْمُ خِفَّةَ الهَوْدَجِ حِينَ رَفَعُوهُ، وَكُنْتُ جَارِيَةً حَدِيثَةَ السِّنِّ [4] فَبَعَثُوا الجَمَلَ وَسَارُوا، فَوَجَدْتُ عِقْدِي بَعْدَمَا اسْتَمَرَّ الجَيْشُ فَجِئْتُ مَنَازِلَهُمْ وَلَيْسَ بِهَا دَاعٍ، وَلاَ مُجِيبٌ فَأَمَمْتُ

---

1 ــ تعتبر هذه القصة بمثابة بيان لما أبهم وسبب للنزول من الآية: 11 إلى الآية: 26 وقد كان سبب النزول هذا صريحا وصحيحا. ومعنى كونه صريحا لأن بعد ذكر الحادثة أتى الراوي بالفاء التعقيبية، أي حدثت حادثة الإفك فأنزل الله كذا وكذا، أما كونه صحيحا لأنه ذكر في الجامع الصحيح.

2 ــ هِيَ غَزْوَةُ بَنِي الْمُصْطَلِق. [ابن حجر أحمد بن علي العسقلاني، فتح الباري شرح الجامع الصحيح، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، دار المعرفة، بيروت، 1379م،، كتاب تفسير القرآن، بَابُ {لَوْلاَ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ المُؤْمِنُونَ وَالمُؤْمِنَاتُ، بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا} إلى قَوْلِهِ: الكَاذِبُونَ: ج8، ص 458].

3 ــ جَزْع بِفَتْح الْجِيم وَسُكُون الزَّاي بَعْدَهَا مُهْمَلَة خَرَزٌ مَعْرُوفٌ فِي سَوَادِهِ بَيَاض كالعروق، فأمَّا ظَفَارٌ بِفَتْح الظَّاءِ الْمُعْجَمَةِ ثُمَّ فَاءٍ بَعْدَهَا رَاءٌ مَبْنِيَّةٌ عَلَى الْكَسْرِ فَهِيَ مَدِينَةٌ بِالْيَمَنِ. [المصدر نفسه، ج8، ص ص: 458 ــ 459].

4 ــ لِأَنَّهَا أُدْخِلَتْ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ بَعْدَ الْهِجْرَةِ فِي شَوَّالٍ ولَهَا تسع سِنِين وَأكْثر مَا قبل فِي الْمُرَيْسِيع كَمَا سَيَأْتِي أَنَّهَا عِنْد بن إِسْحَاقَ كَانَتْ فِي شَعْبَانَ سَنَة سِتٍّ فَتَكُونُ لَمْ تُكَمِّلْ خَمْسَ عَشْرَةَ فَإِنْ كَانَتْ الْمُرَيْسِيعُ قَبْلَ ذَلِكَ فَتَكُونُ أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ. [المصدر نفسه، ج8، ص460].

مَنْزِلِي الَّذِي كُنْتُ بِهِ، وَظَنَنْتُ أَنَّهُمْ سَيَفْقِدُونِي فَيَرْجِعُونَ إِلَيَّ، فَبَيْنَا أَنَا جَالِسَةٌ فِي مَنْزِلِي غَلَبَتْنِي عَيْنِي فَنِمْتُ، وَكَانَ صَفْوَانُ بْنُ الْمُعَطَّلِ السُّلَمِيُّ ثُمَّ الذَّكْوَانِيُّ [1] مِنْ وَرَاءِ الْجَيْشِ، فَأَدْلَجَ فَأَصْبَحَ عِنْدَ مَنْزِلِي، فَرَأَى سَوَادَ إِنْسَانٍ نَائِمٍ، فَأَتَانِي فَعَرَفَنِي حِينَ رَآنِي، وَكَانَ رَآنِي قَبْلَ الْحِجَابِ، فَاسْتَيْقَظْتُ بِاسْتِرْجَاعِهِ حِينَ عَرَفَنِي فَخَمَّرْتُ وَجْهِي بِجِلْبَابِي، وَوَاللَّهِ مَا كَلَّمَنِي كَلِمَةً وَلاَ سَمِعْتُ مِنْهُ كَلِمَةً غَيْرَ اسْتِرْجَاعِهِ، حَتَّى أَنَاخَ رَاحِلَتَهُ فَوَطِئَ عَلَى يَدَيْهَا فَرَكِبْتُهَا، فَانْطَلَقَ يَقُودُ بِي الرَّاحِلَةَ، حَتَّى أَتَيْنَا الْجَيْشَ بَعْدَمَا نَزَلُوا مُوغِرِينَ فِي نَحْرِ الظَّهِيرَةِ، فَهَلَكَ مَنْ هَلَكَ، وَكَانَ الَّذِي تَوَلَّى الإِفْكَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ أُبَيٍّ ابْنَ سَلُولَ، فَقَدِمْنَا الْمَدِينَةَ، فَاشْتَكَيْتُ حِينَ قَدِمْتُ شَهْرًا، وَالنَّاسُ يُفِيضُونَ فِي قَوْلِ أَصْحَابِ الإِفْكِ، لاَ أَشْعُرُ بِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ وَهُوَ يَرِيبُنِي فِي وَجَعِي، أَنِّي لاَ أَعْرِفُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ اللُّطْفَ الَّذِي كُنْتُ أَرَى مِنْهُ حِينَ أَشْتَكِي، إِنَّمَا يَدْخُلُ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَيُسَلِّمُ ثُمَّ يَقُولُ: «كَيْفَ تِيكُمْ؟"ثُمَّ يَنْصَرِفُ، فَذَاكَ الَّذِي يَرِيبُنِي وَلاَ أَشْعُرُ بِالشَّرِّ حَتَّى خَرَجْتُ بَعْدَمَا نَقَهْتُ، فَخَرَجَتْ مَعِي أُمُّ مِسْطَحٍ قِبَلَ الْمَنَاصِعِ وَهُوَ مُتَبَرَّزُنَا [2]، وَكُنَّا لاَ نَخْرُجُ إِلَّا لَيْلًا إِلَى لَيْلٍ، وَذَلِكَ قَبْلَ أَنْ نَتَّخِذَ الكُنُفَ قَرِيبًا مِنْ بُيُوتِنَا، وَأَمْرُنَا أَمْرُ العَرَبِ الأُوَلِ فِي التَّبَرُّزِ قِبَلَ الغَائِطِ، فَكُنَّا نَتَأَذَّى بِالكُنُفِ أَنْ نَتَّخِذَهَا عِنْدَ بُيُوتِنَا، فَانْطَلَقْتُ أَنَا وَأُمُّ مِسْطَحٍ وَهِيَ ابْنَةُ أَبِي رُهْمِ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ [3]، وَأُمُّهَا

---

1 ــ صفوان بن المعطل بن رخصة بن المؤمل بن خزاعي بن محاربي بن هلال بن فالج بن ذكوان بن ثعلبة بن بُهثة بن سُليم بن منصور، أبو عمرو السلمي الذكواني صاحب رسول الله ﷺ وكان من صالحي أصحابه. أثنى عليه المصطفى ﷺ حين رماه أهل الإفك، فقال: ما علمت منه إلا خيراً. قتل بعد ذلك في سبيل الله عزّ وجلّ في غزوة إرمينية سنة تسع عشرة، ويقال: مات بالجزيرة بناحية سُمَيساط سنة ستين. وقبره هناك. [ابن منظور محمد بن مكرم بن علي، مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر، تح: روحية النحاس وآخرون، ط1، دار الفكر، دمشق، 1984م، ج11، ص101].

2 ــ الْمَنَاصِع صَعِيدُ أَفْيَح خَارِجَ الْمَدِينَةِ، قَوْلُهُ مُتَبَرَّزُنَا بِفَتْحِ الرَّاءِ قَبْلَ الزَّايِ مَوْضِعُ التَّبَرُّزِ وَهُوَ الْخُرُوجُ إِلَى الْبَرَازِ وَهُوَ الْفَضَاءُ وَكُلُّهُ كِنَايَةٌ عَنِ الْخُرُوجِ إِلَى قَضَاءِ الْحَاجَةِ [ابن حجر، فتح الباري، مصدر سابق، ج8، ص465].

3 ــ أم مسطح بنْت أبي رهم بْنُ الْمُطَّلِبِ بْنِ عَبْدِ مَنَافِ بْنِ قُصَيٍّ. وأمها ريطة بنت صخر بْن عامر بْن كَعْبِ بْنِ سَعْدِ بْنِ تَيْمِ بْنِ مرة. تزوجها أُثَاثَة بْن عَبَّادِ بْنِ الْمُطَّلِبِ بْنِ عَبْدِ مناف فولدت له مسطحًا من أهل بدر وهندًا. وأسلمت أم مسطح فحسن إسلامها وكانت من أشد الناس على مسطح حين تكلم مع أهل الإفك في عائشة. رضي الله عنها. [ابن سعد أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع، الطبقات الكبرى، تح: محمد عبد القادر عطا، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1990 م، ج8، ص182].

بِنْتُ صَخْرِ بْنِ عَامِرٍ خَالَةُ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ، وَابْنُهَا مِسْطَحُ بْنُ أُثَاثَةَ، فَأَقْبَلْتُ أَنَا وَأُمُّ مِسْطَحٍ قِبَلَ بَيْتِي، وَقَدْ فَرَغْنَا مِنْ شَأْنِنَا، فَعَثَرَتْ أُمُّ مِسْطَحٍ فِي مِرْطِهَا، فَقَالَتْ: تَعِسَ مِسْطَحٌ، فَقُلْتُ لَهَا: بِئْسَ مَا قُلْتِ، أَتَسُبِّينَ رَجُلًا شَهِدَ بَدْرًا؟ قَالَتْ: أَيْ هَنْتَاهْ أَوَلَمْ تَسْمَعِي مَا قَالَ؟ قَالَتْ: قُلْتُ: وَمَا قَالَ؟ فَأَخْبَرَتْنِي بِقَوْلِ أَهْلِ الإِفْكِ، فَازْدَدْتُ مَرَضًا عَلَى مَرَضِي، فَلَمَّا رَجَعْتُ إِلَى بَيْتِي، وَدَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ تَعْنِي سَلَّمَ، ثُمَّ قَالَ: «كَيْفَ تِيكُمْ» فَقُلْتُ: أَتَإِذا لِي أَنْ آتِيَ أَبَوَيَّ، قَالَتْ: وَأَنَا حِينَئِذٍ أُرِيدُ أَنْ أَسْتَيْقِنَ الخَبَرَ مِنْ قِبَلِهِمَا، قَالَتْ: فَإِذا لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَجِئْتُ أَبَوَيَّ فَقُلْتُ لِأُمِّي: يَا أُمَّتَاهْ مَا يَتَحَدَّثُ النَّاسُ؟ قَالَتْ: يَا بُنَيَّةُ هَوِّنِي عَلَيْكِ، فَوَاللَّهِ لَقَلَّمَا كَانَتِ امْرَأَةٌ قَطُّ وَضِيئَةٌ عِنْدَ رَجُلٍ يُحِبُّهَا، وَلَهَا ضَرَائِرُ إِلَّا كَثَّرْنَ عَلَيْهَا، قَالَتْ: فَقُلْتُ سُبْحَانَ اللَّهِ، أَوَلَقَدْ تَحَدَّثَ النَّاسُ بِهَذَا؟ قَالَتْ: فَبَكَيْتُ تِلْكَ اللَّيْلَةَ حَتَّى أَصْبَحْتُ لاَ يَرْقَأُ لِي دَمْعٌ، وَلاَ أَكْتَحِلُ بِنَوْمٍ، حَتَّى أَصْبَحْتُ أَبْكِي، فَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ وَأُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا حِينَ اسْتَلْبَثَ الوَحْيُ، يَسْتَأْمِرُهُمَا فِي فِرَاقِ أَهْلِهِ، قَالَتْ: فَأَمَّا أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ فَأَشَارَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِالَّذِي يَعْلَمُ مِنْ بَرَاءَةِ أَهْلِهِ، وَبِالَّذِي يَعْلَمُ لَهُمْ فِي نَفْسِهِ مِنَ الوُدِّ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَهْلَكَ وَلاَ نَعْلَمُ إِلَّا خَيْرًا، وَأَمَّا عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ لَمْ يُضَيِّقِ اللَّهُ عَلَيْكَ، وَالنِّسَاءُ سِوَاهَا كَثِيرٌ، وَإِنْ تَسْأَلِ الجَارِيَةَ تَصْدُقْكَ، قَالَتْ: فَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَرِيرَةَ، فَقَالَ: «أَيْ بَرِيرَةُ، هَلْ رَأَيْتِ مِنْ شَيْءٍ يَرِيبُكِ؟"قَالَتْ بَرِيرَةُ: لاَ وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالحَقِّ، إِنْ رَأَيْتُ عَلَيْهَا أَمْرًا أَغْمِصُهُ عَلَيْهَا، أَكْثَرَ مِنْ أَنَّهَا جَارِيَةٌ حَدِيثَةُ السِّنِّ، تَنَامُ عَنْ عَجِينِ أَهْلِهَا، فَتَأْتِي الدَّاجِنُ فَتَأْكُلُهُ، فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَاسْتَعْذَرَ يَوْمَئِذٍ مِنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أُبَيٍّ ابْنِ سَلُولَ، قَالَتْ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ عَلَى المِنْبَرِ: «يَا مَعْشَرَ المُسْلِمِينَ مَنْ يَعْذِرُنِي [1] مِنْ رَجُلٍ قَدْ بَلَغَنِي أَذَاهُ فِي أَهْلِ بَيْتِي، فَوَاللَّهِ مَا عَلِمْتُ عَلَى أَهْلِي إِلَّا خَيْرًا، وَلَقَدْ ذَكَرُوا رَجُلًا مَا عَلِمْتُ عَلَيْهِ إِلَّا خَيْرًا، وَمَا كَانَ يَدْخُلُ عَلَى أَهْلِي إِلَّا مَعِي"فَقَامَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ الأَنْصَارِيُّ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنَا أَعْذِرُكَ مِنْهُ، إِنْ كَانَ مِنَ الأَوْسِ ضَرَبْتُ عُنُقَهُ، وَإِنْ كَانَ مِنْ إِخْوَانِنَا مِنَ الخَزْرَجِ أَمَرْتَنَا فَفَعَلْنَا أَمْرَكَ، قَالَتْ: فَقَامَ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ وَهُوَ سَيِّدُ الخَزْرَجِ،

---

[1] ــ مَنْ يَعْذِرُهُ مِنْهُ أيْ يُنْصِفُهُ، وَقِيلَ الْمُرَادُ مَنْ يَنْتَقِمُ لِي مِنْهُ، ومعناه أيضا: مَنْ يَقُومُ بِعُذْرِي إذا عَاقَبْتُهُ عَلَى سُوءِ مَا صَدَرَ مِنْهُ [ينظر:ابن حجر، فتح الباري، مصدر سابق، ج8، ص470].

وَكَانَ قَبْلَ ذَلِكَ رَجُلًا صَالِحًا، وَلَكِنِ احْتَمَلَتْهُ الحَمِيَّةُ، فَقَالَ لِسَعْدٍ: كَذَبْتَ لَعَمْرُ اللَّهِ لاَ تَقْتُلُهُ، وَلاَ تَقْدِرُ عَلَى قَتْلِهِ، فَقَامَ أُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ وَهُوَ ابْنُ عَمِّ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ، فَقَالَ لِسَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ: كَذَبْتَ لَعَمْرُ اللَّهِ لَنَقْتُلَنَّهُ، فَإِنَّكَ مُنَافِقٌ تُجَادِلُ عَنِ المُنَافِقِينَ، فَتَثَاوَرَ الحَيَّانِ الأَوْسُ وَالخَزْرَجُ حَتَّى هَمُّوا أَنْ يَقْتَتِلُوا، وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَائِمٌ عَلَى المِنْبَرِ، فَلَمْ يَزَلْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُخَفِّضُهُمْ حَتَّى سَكَتُوا، وَسَكَتَ، قَالَتْ: فَبَكَيْتُ يَوْمِي ذَلِكَ لاَ يَرْقَأُ لِي دَمْعٌ وَلاَ أَكْتَحِلُ بِنَوْمٍ، قَالَتْ: فَأَصْبَحَ أَبَوَايَ عِنْدِي وَقَدْ بَكَيْتُ لَيْلَتَيْنِ وَيَوْمًا لاَ أَكْتَحِلُ بِنَوْمٍ، وَلاَ يَرْقَأُ لِي دَمْعٌ، يَظُنَّانِ أَنَّ البُكَاءَ فَالِقٌ كَبِدِي، قَالَتْ: فَبَيْنَمَا هُمَا جَالِسَانِ عِنْدِي، وَأَنَا أَبْكِي فَاسْتَإْذَاتْ عَلَيَّ امْرَأَةٌ مِنَ الأَنْصَارِ، فَإِذاتُ لَهَا فَجَلَسَتْ تَبْكِي مَعِي، قَالَتْ: فَبَيْنَا نَحْنُ عَلَى ذَلِكَ، دَخَلَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَسَلَّمَ ثُمَّ جَلَسَ، قَالَتْ: وَلَمْ يَجْلِسْ عِنْدِي مُنْذُ قِيلَ مَا قِيلَ قَبْلَهَا، وَقَدْ «لَبِثَ» شَهْرًا لاَ يُوحَى إِلَيْهِ فِي شَأْنِي، قَالَتْ: فَتَشَهَّدَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حِينَ جَلَسَ، ثُمَّ قَالَ: «أَمَّا بَعْدُ يَا عَائِشَةُ، فَإِنَّهُ قَدْ بَلَغَنِي عَنْكِ كَذَا وَكَذَا، فَإِنْ كُنْتِ بَرِيئَةً فَسَيُبَرِّئُكِ اللَّهُ، وَإِنْ كُنْتِ أَلْمَمْتِ بِذَنْبٍ فَاسْتَغْفِرِي اللَّهَ وَتُوبِي إِلَيْهِ، فَإِنَّ العَبْدَ إِذَا اعْتَرَفَ بِذَنْبِهِ ثُمَّ تَابَ إِلَى اللَّهِ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ» قَالَتْ: فَلَمَّا قَضَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَقَالَتَهُ قَلَصَ دَمْعِي حَتَّى مَا أُحِسُّ مِنْهُ قَطْرَةً، فَقُلْتُ لِأَبِي: أَجِبْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِيمَا قَالَ، قَالَ: وَاللَّهِ مَا أَدْرِي مَا أَقُولُ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقُلْتُ لِأُمِّي: أَجِيبِي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَتْ: مَا أَدْرِي مَا أَقُولُ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَتْ: فَقُلْتُ وَأَنَا جَارِيَةٌ حَدِيثَةُ السِّنِّ لاَ أَقْرَأُ كَثِيرًا مِنَ القُرْآنِ: إِنِّي وَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُ لَقَدْ سَمِعْتُمْ هَذَا الحَدِيثَ، حَتَّى اسْتَقَرَّ فِي أَنْفُسِكُمْ وَصَدَّقْتُمْ بِهِ فَلَئِنْ، قُلْتُ لَكُمْ: إِنِّي بَرِيئَةٌ، وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَنِّي بَرِيئَةٌ لاَ تُصَدِّقُونِي بِذَلِكَ، وَلَئِنِ اعْتَرَفْتُ لَكُمْ بِأَمْرٍ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَنِّي مِنْهُ بَرِيئَةٌ لَتُصَدِّقُنِّي، وَاللَّهِ مَا أَجِدُ لَكُمْ مَثَلًا إِلَّا قَوْلَ أَبِي يُوسُفَ، قَالَ: ﴿ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ [يوسف: 18]، قَالَتْ: ثُمَّ تَحَوَّلْتُ فَاضْطَجَعْتُ عَلَى فِرَاشِي، قَالَتْ: وَأَنَا حِينَئِذٍ أَعْلَمُ أَنِّي بَرِيئَةٌ، وَأَنَّ اللَّهَ مُبَرِّئِي بِبَرَاءَتِي، وَلَكِنْ وَاللَّهِ مَا كُنْتُ أَظُنُّ أَنَّ اللَّهَ مُنْزِلٌ فِي شَأْنِي وَحْيًا يُتْلَى، وَلَشَأْنِي فِي نَفْسِي كَانَ أَحْقَرَ مِنْ أَنْ يَتَكَلَّمَ اللَّهُ فِيَّ بِأَمْرٍ يُتْلَى، وَلَكِنْ كُنْتُ أَرْجُو أَنْ يَرَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي النَّوْمِ رُؤْيَا يُبَرِّئُنِي اللَّهُ بِهَا، قَالَتْ: فَوَاللَّهِ مَا رَامَ [1] رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَلاَ خَرَجَ أَحَدٌ مِنْ

[1] ــ رَامَ: أيْ فارَقَ.

أَهْلِ البَيْتِ حَتَّى أُنْزِلَ عَلَيْهِ، فَأَخَذَهُ مَا كَانَ يَأْخُذُهُ مِنَ البُرَحَاءِ [1]، حَتَّى إِنَّهُ لَيَتَحَدَّرُ مِنْهُ مِثْلُ الجُمَانِ [2] مِنَ العَرَقِ، وَهُوَ فِي يَوْمٍ شَاتٍ، مِنْ ثِقَلِ القَوْلِ الَّذِي يُنْزَلُ عَلَيْهِ، قَالَتْ: فَلَمَّا سُرِّيَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ سُرِّيَ عَنْهُ وَهُوَ يَضْحَكُ، فَكَانَتْ أَوَّلُ كَلِمَةٍ تَكَلَّمَ بِهَا: «يَا عَائِشَةُ، أَمَّا اللَّهُ ﷻ فَقَدْ بَرَّأَكِ» فَقَالَتْ أُمِّي: قُومِي إِلَيْهِ، قَالَتْ: فَقُلْتُ: لاَ وَاللَّهِ لاَ أَقُومُ إِلَيْهِ، وَلاَ أَحْمَدُ إِلَّا اللَّهَ ﷻ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ ﷻ: (إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لاَ تَحْسَبُوهُ) العَشْرَ الآيَاتِ كُلَّهَا، فَلَمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ هَذَا فِي بَرَاءَتِي، قَالَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ ﷺ وَكَانَ يُنْفِقُ عَلَى مِسْطَحِ بْنِ أُثَاثَةَ لِقَرَابَتِهِ مِنْهُ وَفَقْرِهِ: وَاللَّهِ لاَ أُنْفِقُ عَلَى مِسْطَحٍ شَيْئًا أَبَدًا بَعْدَ الَّذِي قَالَ لِعَائِشَةَ مَا قَالَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓاْ أُوْلِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾ ﴾ [النور: 22] قَالَ أَبُو بَكْرٍ: بَلَى وَاللَّهِ إِنِّي أُحِبُّ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لِي، فَرَجَعَ إِلَى مِسْطَحٍ النَّفَقَةَ الَّتِي كَانَ يُنْفِقُ عَلَيْهِ، وَقَالَ: وَاللَّهِ لاَ أَنْزِعُهَا مِنْهُ أَبَدًا، قَالَتْ عَائِشَةُ: وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَسْأَلُ زَيْنَبَ ابْنَةَ جَحْشٍ عَنْ أَمْرِي، فَقَالَ: «يَا زَيْنَبُ مَاذَا عَلِمْتِ أَوْ رَأَيْتِ؟"فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَحْمِي سَمْعِي وَبَصَرِي، مَا عَلِمْتُ إِلَّا خَيْرًا، قَالَتْ: وَهِيَ الَّتِي كَانَتْ تُسَامِينِي مِنْ أَزْوَاجِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَعَصَمَهَا اللَّهُ بِالوَرَعِ وَطَفِقَتْ أُخْتُهَا حَمْنَةُ تُحَارِبُ لَهَا، فَهَلَكَتْ فِيمَنْ هَلَكَ مِنْ أَصْحَابِ الإِفْكِ» [3].

✓ ــ **الفرع الثاني: التَّحليل المجمل لما نزل من آيات بشأن أزمة حادثة الإفك:**

1) ــ وردت روايات كثيرة نقلها المفسِّرون تبيِّن عدد الآيات التي نزلت إثر حادثة الإفك واعتبروها سببًا للنُّـــزول، وبيانًا لما أُبهم في الآيات، فمنهم من عدَّها عشر آيات فقط [4]، ومنهم من قال بأنَّها أزيد من ذلك [1].

---

[1] ــ البُرَحَاءِ: هِيَ شِدَّةُ الْحُمَّى وَقِيلَ شِدَّةُ الْكَرْبِ وَقِيلَ شِدَّةُ الْحَرِّ.

[2] ــ الْجُمَانُ بِضَمِّ الْجِيمِ وَتَخْفِيفِ الْمِيمِ اللُّؤْلُؤُ.

3 ــ البخاري، الجامع الصحيح، مصدر سابق، كتاب تفسير القرآن، بَابُ {لَوْلاَ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ المُؤْمِنُونَ وَالمُؤْمِنَاتُ، بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا} إِلَى قَوْلِهِ: الكَاذِبُونَ، ج6، ص ص: 101 ــ 104، رقم الحديث: 4750.

[4] ــ ينظر مثلا: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، مصدر سابق، ج6، ص16.

ولحسم هذا الاختلاف الصُّوري بين الرِّوايات أقول بأنَّ ما نزل بعد حادثة الإفك دفعةً واحدة هنَّ عشر آيات، فلمَّا سمع أبو بكر ﷺ بنـــزول هذه الآيات العشر المبرِّئة لعرض عائشة ﷺا أقسم بأن يقطع النَّفقة على مسطح لكونه خاض في عرض ابنته، وأنَّها ثبتت براءتها بالذي نزل، فأنزل الله في شأن هذه الحادثة آية بعد الذي أُنزل سابقًا؛ فيكون مجموع ما نزل أكثر من عشر آيات، ومما يؤكِّد ذلك الرِّواية الصَّحيحة التي ذكرناها في قصة الحادثة حيث جاء فيها: "...فَأَنْزَلَ اللَّهُ ﷻ: (إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لاَ تَحْسِبُوهُ) العَشْرَ الآيَاتِ كُلَّهَا، فَلَمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ هَذَا فِي بَرَاءَتِي، قَالَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ ﷺ وَكَانَ يُنْفِقُ عَلَى مِسْطَحِ بْنِ أُثَاثَةَ لِقَرَابَتِهِ مِنْهُ وَفَقْرِهِ: وَاللَّهِ لاَ أُنْفِقُ عَلَى مِسْطَحٍ شَيْئًا أَبَدًا بَعْدَ الَّذِي قَالَ لِعَائِشَةَ مَا قَالَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ فَإِنَّهُۥ فَإِنَّهُۥ..."[2].

2) ـــ تعتبر الآيات المبيَّنات التي نزلت في أعقاب حادثة الإفك والتي اشتملت على التَّهديد، والتَّقريع، والتَّوبيخ، والوعيد الشَّديد... لم ينـــزل مثلها في القرآن الكريم ذلك لعِظم الأزمة، وعِظم من اتُّهم فيها، وعظم عواقبها...

يقول الزمخشري: "ولو فلِّيت القرآن كلَّه وفتَّشت عمَّا أوعد به من العصاة لم تر الله تعالى قد غلّظ في شيء تغليظه في إفك عائشة رضوان الله عليها، ولا أُنزل من الآيات القوارع، المشحونة بالوعيد الشَّديد والعتاب البليغ والزَّجر العنيف. واستِعْظام ما ركب من ذلك، واستفظاع ما أقدم عليه، ما أنزل فيه على طرق مختلفة وأساليب مفتنة. كلٌّ واحد منها كاف في بابه، ولو لم ينـــزل إلا هذه الثَّلاث [3] لكفى بها، حيث جعل القذفة ملعونين في الدَّارين جميعًا، وتوعَّدهم بالعذاب العظيم في الآخرة، وبأنّ ألسنتهم

---

1 ـــ يذكر الطبراني في معجمه الكبير بأن حادثة الإفك نزلت فيها خمس عشرة آية حيث قال: "فَأَنْزَلَ اللهُ فِيهَا خَمْسَةَ عَشَرَ آيَةً مِنْ سُورَةِ النُّورِ"[الطبراني سليمان بن أحمد، المعجم الكبير، ط2، تح: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ج23، ص160، حديث رقم: 251]. أما الزمخشري فيرى بأنها ثماني عشرة آية كل واحدة منها مستقلة [ينظر: الزمخشري، الكشاف، مصدر سابق، ج3، ص217].

2 ـــ يقول ابن حجر: "فَلَعَلَّ فِي قَوْلِهَا الْعَشْرَ الْآيَاتِ مَجَازًا". [ابن حجر، فتح الباري، مصدر سابق، ج8، ص477].

3 ـــ يقصد من الآيات الثلاث: الآية: 23 ـــ 24 ـــ 25.

وأيديهم وأرجلهم تشهد عليهم بما أفكوا وبهتوا، وأنَّه يوفِّيهم جزاءهم الحقّ الواجب الذي همْ أهله، حتى يعلموا عند ذلك أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ، فأوجز في ذلك وأشبع، وفصّل وأجمل، وأكّد وكرّر، وجاء بما لم يقع في وعيد المشركين عبدة الأوثان إلا ما هو دونه في الفظاعة، وما ذاك إلا لأمر"[1].

3) ــ لاحظ الباحث أنَّ الله ﷻ لم يذكر نبَّيه محمَّدا ﷺ في الآيات التي نزلت عقب حادثة الإفك لا عبارة ولا إشارة كالتَّصريح باسمه الشَّريف، أو بالإشارة الضِّمنية له بمختلف الضَّمائر؛ رغم أنَّ أزمة الإفك كان هو المستهدف الرَّئيس منها!!!، ولعلَّ الجواب على هذا أنَّ الله ﷻ أراد أن يكون وحده هو المدافع عن عرض النَّبي ﷺ وزوجه عائشة أمّ المؤمنين رضي الله عنها من فوق سبع سماوات، وأنّه ﷻ وحده هو الذي سيكفيه كيد المستهزئين والشَّانئين، وقد جعل سبحانه ذلك قرآنًا يتلى ويتعبَّد به إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ ﴾ [الزمر: 36]، ﴿ إِنَّا كَفَيْنَٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ ﴿٩٥﴾ ﴾ [الحجر: 95].

ولهذا نجد في القرآن الكريم أنَّ الله ﷻ برّأ يوسف بلسان الشَّاهد ﴿ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَآ ﴾ [يوسف: 26]، وبرّأ مريم عليها السَّلام بإنطاق ولدها حين نادى في حجرها: ﴿ قَالَ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ﴾ [مريم: 30]، وبرّأ عائشة رضي الله عنها بهذه الآيات العظام في كتابه المعجز المتلوّ على وجه الدَّهر، مثل هذه التَّبرئة بهذه المبالغات [2].

4) ــ تعتبر أزمة حادثة الإفك أزمة داخلية وهي أخطر من الخارجية، ولذلك كان الخطاب في الآيات عنيفًا بقدر وقْع الأزمة على النُّفوس البريئة، ومن

---

[1] ــ الزمخشري، الكشاف، مصدر سابق، ج3، ص233.

[2] ــ ينظر: القاسمي محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم، محاسن التأويل، تح: محمد باسل عيون السود، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1418 هـ، ج7، ص360.

هنا كان الخطاب في الآيات القرآنية موجَّهًا إلى الجبهة الدَّاخلية؛ لأنَّ خطر هذه الأزمة يكمن في زعزعة الثِّقة بقادتها ومصلحيها، وتوجيه النَّقد الهدَّام لهم، ومحاولة النَّيل من عرضهم وسمعتهم وكرامتهم، فأهل الإفك ليسوا من الأعداء الخارجين، وإنَّما هم- في الظَّاهر- عصبة من المؤمنين ولذلك جاء الخطاب في الآيات بضمير المخاطب للجمع مثل قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ۚ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ ۚ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾ ﴾ [النور: 11]، وقوله: ﴿ إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ ﴾ [النور: 15]،... وغير ذلك.

5) ــ رسمت لنا الآيات المتحدِّثة عن أزمة حادثة الإفك منهجًا عمليًّا فريدًا لعلاج هذا النَّوع من الأزمات حال وقوعها، وللخروج منها بأسرع وقت ودون ترك أثر سلبيٍّ لها، ومن جملة ما يظهر جليًّا وبشكل متكرِّر اشتمال هذه الآيات على حرف "لولا"، إذ ورد في مطلع كل آية تقريبًا، فبلغ عدد مجيئه ستُّ مرَّات وهو يفيد الحضَّ والحثَّ على فعل بعض الأمور وترك البعض الآخر، كما أنَّها حرف امتناع؛ فمجيئها في خضم هذه الآيات يساعد المتدبِّر لها للتَّجاوز الأمثل والأحسن لأي أزمة مشابهة لها تعرض له في مستقبل أيَّامه، والمثال على ذلك:

- ــ حثُّ المؤمنين على الظَّنِّ بالخير لبعضهم البعض ﴿ لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴿١٢﴾ ﴾ [النور: 12]، "والقرآن لا يحثُّهم على ظنِّ الخير برسول الله أو زوجته، وإنَّما ظنُّ الخير بأنفسهم هم؛ لأنَّ هذه المسألة لا تليق بالمؤمنين، فما بالك بزوجة نبيِّ الله ورسوله ﷺ؟"[1].

[1] ــ الشعراوي، خواطر الشعراوي، مصدر سابق، ج16، ص ص 10216 ــ 10217.

- ــ حضٌّ المؤمنين على نفي الإشاعة الكاذبة والأخبار الملفَّقة ووجوب التَّثبت من الأخبار قبل إذاعتها وخاصَّة ما تعلَّق منها بالأعراض ﴿ وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾ ﴾ [النور: 16].

يقول أبو زهرة: "(لولا) للتَّحضيض لاتباع ما ينبغي عند سماع قول السُّوء في أخيه المؤمن، وخصوصًا إذا كان من العليِّين المكرمين عند الله والنَّاس أجمعين، (وَلَوْلا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَا أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ) وهذا حضٌّ على أن يقولوا هذا القول مؤمنين به (مَّا يَكُونُ لَنَا)، أي: ليس لنا، وليس بكائن سائغ لنا (أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَذَا)، وهذا شأن الإنسان المؤمن الكامل، لَا يسمح لنفسه أن يخوض في حديث لا يعلمه، وخصوصًا إذا كان يتكلَّم في الأعراض، عرض أيِّ امرئٍ كان، فكيف إذا كان ذلك في عرض الصِّدِّيقة بنت الصِّدِّيق، وزوج خير الخلق أجمعين"[1].

- ــ استخدمت الآيات الكريمة أسلوب التَّعظيم والتَّهويل وهذا نابع من عِظم الأزمة، وعِظم استحكامها وشدَّتها، وعظم انعكاساتها، وعظم المتأزِّمين منها... وفي هذا دلالة واضحة على أنَّ درجة أزمة حادثة الإفك عظيمة، وحادَّة جدًّا، ومن هذا قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾ ﴾ [النور: ١١]، ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِى مَآ أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٤﴾ ﴾ [النور: 14]، وقوله: ﴿ إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ ﴾ [النور: 15]، وقوله: ﴿ وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾ ﴾ [النور: 16]، وقوله: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْغَٰفِلَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ لُعِنُوا۟ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ ﴾ [النور: 23].

---

[1] ــ أبو زهرة، زهرة التفاسير، مصدر سابق، ج10، ص5161.

المبحث الثاني: أزمة حادثة الإفك: أسبابها، أهدافها، مراحلها.

المطلب الأول: أسباب افتعال أزمة حادثة الإفك.

الأزمات عمومًا ليست وليدة ذاتها؛ بل لا بد أن تكون وليدة لمجموعة من الأسباب والبواعث والعوامل المؤيِّدة لنشوئها وظهورها، فأزمةٌ كحادثة الإفك في ثقلها يتعيَّن علينا أوَّلًا معرفة أسبابها ودوافعها حتى نفهم جيِّدا أبعادها وأهدافها، ومن بين أهمِّ أسباب ظهور حادثة الإفك ما يأتي:

1- نشر الشَّائعات: ويعدُّ أهمَّ سبب في افتعال أزمة حادثة الإفك، كما أنَّ الكثير من الأزمات المذكورة في القرآن سببها الإشاعة الباطلة، فأزمة غزوة أحد كان إشاعتها مقتل النَّبي ﷺ، ونفس الأمر في الأزمة التي لحقت بيوسف عليه السلام في إدخاله السِّجن ولبْثه فيه بضع سنين كان من أهمِّ أسبابها ما أشيع في المدينة من قصَّة مراودة امرأة العزيز لفتاها يوسف فأرادوا القضاء على هذه الإشاعة بسجن يوسف عليه السلام، "فإنَّ الشيء إذا شاع لم يزَل يُذكر ويُشاع مع وجود أسبابه، فإذا عدمت أسبابه نُسي، فرأوا أن هذا مصلحة لهم، فأدخلوه في السِّجن"[1]، ﴿ ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّنۢ بَعۡدِ مَا رَأَوُاْ ٱلۡأٓيَٰتِ لَيَسۡجُنُنَّهُۥ حَتَّىٰ حِينٖ ٣٥ ﴾ [يوسف: 35].

يحدِّثنا الخضيري عن الإشاعة قائلاً: "وهي أهم مصادر الأزمات، بل إنَّ كثيرًا من الأزمات غالبًا ما يكون مصدرها الوحيد إشاعة أُطلقت بشكل معيَّن، وتمَّ توظيفها بشكل معيَّن، ويتمُّ تسخير الإشاعة باستخدام مجموعة حقائق صادقة قد حدثت فعلاً، وملموسة من جانب قطاع كبير من الأفراد، وبالتَّالي فإنَّ إحاطتها بهالة من البيانات والمعلومات الكاذبة والمضلِّلة، وإعلانها في توقيت معيَّن، وفي إطار مناخ وبيئة محيطة تمَّ إعدادها بشكل معيَّن، ومن خلال استغلال حدث معيَّن، يحقق الأزمة"[2].

---

[1] ــ السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، مصدر سابق، ج1، ص397.

[2] ــ الخضيري، إدارة الأزمات، مرجع سابق، ص 83.

فأقوى وسائل نقل الإشاعات هي الكلمة ثمَّ الحركة [1]، ولقد كبرت كلمة ابن أبيٍّ لـــمَّا تفوَّه بتلك المقولة الكاذبة حين رأى صفوان بن معطل آخذًا بزمام ناقة عائشة فقال: "والله ما نجت منه ولا نجا منها، وقال: امرأة نبيِّكم [2] باتت مع رجل"[3].

وموقف القرآن الكريم إزاء نشر الشَّائعات الباطلة الزائفة موقف واضح وصريح، فهو يرفض تلك الشَّائعات رفضًا قاطعًا من خلال ما يأتي:

أ- وجوب التَّأكد من الشَّائعة، ومن الشَّخصيَّة النَّاقلة لها لقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ ٦ ﴾ [الحجرات: 6]، "فالآية عامَّة مطلقة، تحذّر المسلمين من الأنباء الكاذبة التي يرجف بها المرجفون، ليشيعوا في المسلمين قالة السُّوء، وليُوغِروا بها صدورهم على أهل الإيمان والسَّلامة فيهم، وأنَّ هذا من شأنه لو وقع موقع القبول والتَّسليم من المؤمنين، من غير تبصُّر أو تمحيص، لأفسد عليهم أمرهم، ولنـــزع الثِّقة والطُّمأنينة من بينهم..."[4].

ب- ـــ حرمة ترويج الشَّائعة: توعَّد الله ﷻ الذين يرغبون في إشاعة الفواحش ونشر أخبارها في أوساط المؤمنين، بالعذاب المؤلم في الدُّنيا والآخرة فقال: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلۡفَٰحِشَةُ فِي ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ١٩ ﴾ [النور: 19].

ت- إلحاق أصحاب الشَّائعات بألوان من العذاب واللَّعنات كقوله تعالى: ﴿ لَّئِن لَّمۡ يَنتَهِ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ وَٱلۡمُرۡجِفُونَ فِي ٱلۡمَدِينَةِ لَنُغۡرِيَنَّكَ

---

[1] ـــ جريشة علي والزبيق محمد شريف، أساليب الغزو الفكري للعالم الإسلامي، دار الاعتصام، مصر، ص 70.

[2] ـــ هذه المقولة تدل على أن ابن أبي كبير المنافقين لم يعترف بعد بنبوة محمد ﷺ لقوله"نبيكم"فهو لا تعنيه نبوته ولا يُلزمه اتباعه، وصدق قول الله فيهم: ﴿ إِذَا جَآءَكَ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ قَالُواْ نَشۡهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِۘ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥۖ وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ١ ﴾ [المنافقون: ١].

[3] ـــ ينظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، مصدر سابق، ج12، ص199.

[4] ـــ الخطيب عبد الكريم، التفسير القرآني للقرآن، مصدر سابق، ج13، ص440.

بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٠﴾ مَّلْعُونِينَ ۖ أَيْنَمَا ثُقِفُوٓاْ أُخِذُواْ وَقُتِّلُواْ تَقْتِيلًا ﴿٦١﴾ ﴾ [الأحزاب: 60 – 61]. فالمرجفون هم الذين يحاولون زلزلة الشَّيء الثَّابت، وزعزعة الكيان المستقرِّ، كذلك كان المنافقون كلَّما رأوا للإسلام قوَّةً حاولوا زعزعته وهزّه لإضعافه والقضاء عليه، وهم الجماعة الذين يُروِّجون الإشاعات، ويذيعون الأباطيل التي تُضعِف التَّيَّار العام وتهدِّد استقراره، فهم ملعونون ومطرودون من رحمة الله بسبب سوء أفعالهم، فإذا ما أدركوا وظفر بهم، أخذوا أسارى أذلاء، وقتِّلوا تقتيلاً شديدًا، وهذا حكم الله تعالى فيهم حتَّى يقلعوا عن نفاقهم وإشاعتهم قالة السُّوء في المؤمنين، وإيذائهم للمسلمين والمسلمات [1].

2- الحقد والحسد: فنيران الحقد والحسد الملتهبة في نفوس المجرمين سرعان ما تنفجر في داخلهم لتتحوَّل إلى بركان أزمة كما حدث مع أول أزمة وقعت على وجه المعمورة وهي أزمة القتل في قصَّة ابنَي آدم المذكورة في سورة المائدة؛ إذ كان منشأها الحقد والحسد، ونفس الأمر حدث في أزمة حادثة الإفك، فقد ثارت حفيظة المنافقين فحسدوا المؤمنين نظرًا لما حقَّقوه من انتصارات ومن إنجازات وما أحرزوه من تقدُّم على مختلف المجالات، فعمدوا إلى افتعال أزمات، ففي غزوة بني المصطلق لوحدها عمدوا إلى:

أ- محاولة تأجيج الصِّراع وتوسيع دائرته لتشمل قبيلتي الأوس والخزرج: يذكر أهل السِّير والمغازي أنَّ النَّبي ﷺ لما كان قافلاً من غزو بني المصطلق وأقام على المريسيع [2]، وردت واردة النَّاس، ومع عمر بن الخطاب أجير يقال له جهجاه الغفاري، فازدحم هو وسِنان بن وبر الجهني على الماء، فاقتتلا،

---

[1] ــ ينظر: الشعراوي، خواطر الشعراوي، مصدر سابق، ج19، ص12174. وينظر: طنطاوي، التفسير الوسيط، مصدر سابق، ج11، ص248.

[2] ــ المريسيع: اسم ماء لبني المصطلق، من ناحية قديد مما يأتي الساحل في الطريق من مكة إلى المدينة. [ينظر: الحموي ياقوت بن عبد الله، معجم البلدان، ط2، دار صادر، بيروت، 1995 م، ج5، ص118].

فصرخ الجُهني: يا معشر الأنصار. وصرخ جهجاه: يا معشر المهاجرين. فقال رسول الله ﷺ: أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم؟ دعوها فإنَّها منتنة.

وبلغ ذلك عبد الله بن أبي بن سلول فغضب، ـــ وعنده رهط من قومه، فيهم زيد بن أرقم غلام حَدَث- وقال: أو قد فعلوها، قد نافرونا وكاثرونا في بلادنا، والله ما نحن وهم إلا كما قال الأول: "سمِّن كلبك يأكلك"[1].

فالشَّاهد من هذه القصَّة أنَّ ابن أُبَيٍّ وجد الفرصة سانحة لإثارة حفائظهم وإحياء ما أماته الإسلام من نعرات الجاهلية، فقال: أو قد فعلوها؟؟.

ب- إجراء مقاطعة اقتصادية للمؤمنين قصد إلحاق أزمة مادِّية بهم: فهم بخلاء على أنفسهم ويأمرون غيرهم بالبخل، قال تعالى في شأنهم: ﴿ هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُواْ عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّواْ ﴾ [المنافقون: 7].

ت- التَّصريح بإخراج المؤمنين من ديارهم بالمدينة قصد إِذْلالهم: ﴿ يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ ﴾ [المنافقون: 8].

ث- اختلاق حادثة الإفك قصد النَّيل من القيادة النَّبوية وتحطيم سمعتها.

فالثَّلاث الأولى من الحوادث لم تتحقَّق؛ بل تحقق عكسها تمامًا، إذ مكَّن الله ﷻ نبيَّه ﷺ وأعزَّه، وأفاض عليه من خزائنه، في المقابل أذلَّ أبيًّا ومن معه، بخلاف المكيدة الأخيرة فإنَّه نجح فيها ظاهريًّا ولمدَّة وجيزة بسبب وجود من تقبَّلها وروَّج لها.

يقول الزحيلي: "ومنشأ حبّ إشاعة الفاحشة هو الحقد والكراهية، والاستعلاء على النَّاس وحسدهم على ما يتمتَّعون به من تماسك واستقرار ومحبَّة ووئام، فيعمل الحاقد الكاره

---

[1] ـــ ينظر: ابن هشام عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري، السيرة النبوية لابن هشام، ط2، تح: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، 1955 م، ج2، ص ص290 ـــ 291. وينظر: الواقدي محمد بن عمر بن واقد السهمي، المغازي، تح: مارسدن جونس، ط3، دار الأعلمي، بيروت، 1989م، ج2، ص416.

الحاسد كابن أبيٍّ على تقويض أركان هذا المجتمع، والغضِّ من كرامته، والنَّيل من عرضه وسمعته، ظنًّا منه أنَّ هذا شرف له"[1].

ومـــمَّا يؤكِّد أنَّ الإفك منشؤه الحقد والحسد هو ما قالته أمُّ رومان لابنتها عائشة في القصَّة المذكورة: "فَوَاللَّهِ لَقَلَّمَا كَانَتِ امْرَأَةٌ قَطُّ وَضِيئَةٌ عِنْدَ رَجُلٍ يُحِبُّهَا، وَلَهَا ضَرَائِرُ إِلَّا كَثَّرْنَ عَلَيْهَا".

3- تعارض المصالح:

إنَّ من أهمِّ أسباب حدوث الأزمات سواء على النِّطاق الدّولي أو المحلِّي تعدُّد جماعات المصالح، وتعدُّد التَّنظيمات غير الرَّسمية في الكيان الإداري الواحد، فتتصادم مصالح كلٍّ منهما، فتعمل كلٌّ منها على إثارة المشاكل للأخرى، وهذا يعتبر أهمّ حافز لصناعة الأزمات الاجتماعية [2].

فمصلحة الرّسول ﷺ مصلحة دينية ربَّانية بحتة تقوم على جلب المصالح ودرء المفاسد، وهي تصب في خدمة الصَّالح العام دون نظر إلى لون أو عرق أو جنس، وتعتَبر النَّاس سواسية في الحقوق والواجبات.... بينما أبيٌّ وجماعته تتعارض مصالحهم مع مبدإ إقامة الشُّورى وتماسك النَّسيج الاجتماعي تحت ظلِّ عدالة الإسلام، فهم أعداء للقيم السَّامية، والأخلاق الفاضلة، لذلك يثيرون الفتن والقلاقل في صفوف المؤمنين كلَّما سنحت لهم الفرصة.

فأبيٌّ بن سلول كان كثيرًا مَّا يهدف من إحداث الأزمات إلى التَّزعم والتَّحكم وفَرْض رأيه وهيْبته لدى فئات المجتمع، فلطالما كان يسعى جاهدًا لإدارة المجتمع المدني بل ترأُّسه، ولكن لما قدم الرَّسول ﷺ إلى المدينة تبخَّر ذلك الحلم، فرأى في ذلك معارضة لمصالحه وطموحاته

يقول الشعراوي: "وما دام أهلُ الإفْك عصبةً فلا بُدَّ أنَّ لهم غاية واحدة في التَّشويه والتَّبشيع، وكان رئيسهم عبد الله بن أُبيّ بن سلول، وهو شيخ المنافقين، ومعذور في أنْ

---

[1] ــ الزحيلي، التفسير المنير، مصدر سابق، ج18، ص ص182 ــ 183.

[2] ــ ينظر: الخضيري، إدارة الأزمات، مرجع سابق، ص ص: 92 ــ 93.

يكون كذلك، ففي اليوم الذي دخل فيه رسول الله ﷺ المدينة كانوا يصنعون لعبد الله بن أُبيٍّ تاجاً ليُنصِّبوه مَلِكاً على المدينة، فلمَّا فوجئ برسول الله واجتماع النَّاس عليه وانفضاضهم من حوله بقيت هذه في نفسه"[1].

المطلب الثاني: أهداف افتعال أزمة حادثة الإفك.

يهدف المفتعلون لأزمة حادثة الإفك إلى تحقيق جملة من النِّقاط الآتية:

1. ــ إحداث الاضطراب والفوضى في المجتمع، وإثارة الدّفين من الثَّارات القديمة في الجاهلية، قصد إيقاع الوقيعة والفتنة والتَّفرقة والتَّخذيل في صفوف المؤمنين، قال تعالى: ﴿لَقَدِ ٱبْتَغَوُا۟ ٱلْفِتْنَةَ مِن قَبْلُ وَقَلَّبُوا۟ لَكَ ٱلْأُمُورَ حَتَّىٰ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَهُمْ كَٰرِهُونَ ﴿٤٨﴾﴾ [التوبة: 48].
2. ــ إضعاف شوكة المؤمنين من داخل صفوفهم بعد أن عزَّ عليهم الكيد لهم من خارج صفوفهم، وإنّهم لهم السِّلاح الخفيّ للعدوّ يضرب به في جبهة المؤمنين. قال تعالى: ﴿هُمُ ٱلْعَدُوُّ فَٱحْذَرْهُمْ﴾ [المنافقون: 4].
3. ــ إشاعة الفتنة في صفوف الجيش الإسلامي متى وجدوا فيه قوَّة وتلاحمًا، لنخر بنيته من الدَّاخل مع وجود من يساندهم في ذلك، قال تعالى: ﴿يَبْغُونَكُمُ ٱلْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّٰعُونَ لَهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [التوبة: 47].
4. ــ كسر هيبة القيادة النَّبوية، مع تشويه سمعته من الدَّاخل والخارج، ولتحقيق ذلك عمدوا إلى الطَّعن في عرضه الشَّريف ﷺ وإلصاق التّهم الباطلة حوله.
5. ــ يهدفون إلى بلبلة المجتمع واضطرابه وحيرتة... فهذه الأزمة أرادوا من ورائها أن ينشروا في النُّفوس قلَّة الثِّقة في أحكام التَّشريع.

---

[1] ــ الشعراوي، خواطر الشعراوي، مصدر سابق، ج16، ص 10211.

6. ــ تقوية شوكتهم وإعادة الاعتبار لمكانتهم التي تبوَّءوها قبل هجرة الرَّسول ﷺ إليهم، وطمع ابن أبي في السَّعي لإدارة أمور المدينة مع التَّطلُّع بأن يصبح ملكًا عليها.

7. ــ إشغال المؤمنين بالدَّاخل لتفويت مصالحهم وامتدادهم بالخارج.

8. ــ يهدفون من ورائها إلى القضاء على القيم الإيمانية، وعلى العقيدة التي تربي النُّفوس على الطَّهارة والعفَّة، وإحلالها بالرَّذيلة وشيوع الفاحشة.

المطلب الثالث: مراحل أزمة حادثة الإفك وتطورها.

مرَّت أزمة حادثة الإفك بمراحل وأطوار، وقد تمثلت فيما يأتي:

أولا: مرحلة الإنذارات ــ التحذيرات ــ.

وهي المرحلة التي تنبئ عن شيء مَّا يلوح في الأفق القريب، وينذر بموقف غير محدّد المعالم، وتسمَّى أيضًا بمرحلة الإنذار من وقوع أزمة، وهي غالبًا ما تكون مرحلة تتبلور فيها مشكلة مَّا، وتتفاقم حتى تتولَّد عنها أزمة؛ لأنَّ الأزمة عادةً لا تنشأ من فراغ وإنَّما يسبقها مشكلة لا تعالج علاجًا مناسبًا [1].

فأزمة حادثة الإفك سبقتها إشارات وإنذارات عرفها جميع من كان في المدينة، وهذا بفضل القرآن الكريم الذي استمرَّ في فضح مكائد المنافقين وتبيان خططهم، وإظهار خطرهم على الإسلام والمسلمين منذ وصول النَّبي ﷺ المدينة.

فبالرغم من أنَّ الآيات المتحدِّثة عن أزمة حادثة الإفك من سورة النُّور لم تتعرَّض لذكر هذه المرحلة المبكِّرة؛ لكنَّ ما سبقها من الوقائع والأحداث الماضية لنَذير لحدوثها وخاصَّةً تلكم الأحداث والوقائع القريبة العهد لظهور هذه الأزمة.

ومن هنا فإنَّ الأزمات الكثيرة والتي افتعلها المنافقون قبيل حادثة الإفك لمؤشِّر واضح عن تهيُّئهم واستعدادهم لخلق أزمة هي أشدُّ وقعًا وأعمق تأثيرًا ما إن تُتاح لهم

---

[1] ــ ينظر: الصيرفي محمد، إدارة الأزمات، مؤسسة حورس الدولية، الإسكندرية، ص 62. وينظر: قطيش نواف أحمد، إدارة الأزمات، مرجع سابق، ص38.

الفرصة، وهذا مُدرك من تنامي ظاهرة المنافقين وتعاظم خطرهم، ومن جملة ما يؤكِّد ما ذكرناه ما يأتي:

1- إرباك المؤمنين يوم أحد وذلك بالتَّولِّي بثلث الجيش إلى المدينة: ﴿ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُوا۟ ۚ وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ قَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوِ ٱدْفَعُوا۟ ۖ قَالُوا۟ لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَّٱتَّبَعْنَٰكُمْ ۖ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَٰنِ ۚ يَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ ﴿١٦٧﴾ ﴾ [آل عمران: 167].

2- إضعاف جيش المؤمنين من الدَّاخل يوم الأحزاب: ﴿ وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ يَٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَٱرْجِعُوا۟ ۚ وَيَسْتَـْٔذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ ٱلنَّبِىَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ ۛ وَمَا هِىَ بِعَوْرَةٍ ۖ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴿١٣﴾ ﴾ [الأحزاب: 13].

3- التَّصريح بعداوتهم للرَّسول ﷺ وممن تبعه بعد إقفالهم من غزوة بني المصطلق: ﴿ يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ ۚ ﴾ [المنافقون: 8].

فتراكم هذه الأزمات وغيرها كفيل بميلاد أزمة جديدة أخطر من سابقاتها وهو ما حدث فعلاً.

ثانيا: مرحلة ميلاد أزمة حادثة الإفك.

وفي هذه المرحلة تبدأ أزمة حادثة الإفك في الظُّهور لأوَّل مرَّة، فيسجِّلها القرآن الكريم متوعِّدا الذين ولّدوها وعلى رأسهم أبي بن سلول بالعذاب العظيم، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ۚ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ ۚ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾ ﴾ [النور: 11]، وقد كان تدبير هذه الأزمة على مستوى عال من المهارة والخبث حيث أمكن بسببه أن ترجف المدينة بأزيد من شهر، وأن تتداوله الألسنة في أطهر بيئة وأتقاها! وقد بدأ السِّياق ببيان تلك الحقيقة ليكشف عن

ضخامة الحادث، وعُمق جذوره، وما وراءه من عصبة تكيد للإسلام والمسلمين هذا الكيد الدَّقيق العميق اللَّئيم[1].

كما عبّرت القصَّة الطَّويلة المذكورة آنفًا عن هذه المرحلة الخطيرة بقول عائشة ﵂: "حَتَّى أَتَيْنَا الجَيْشَ بَعْدَمَا نَزَلُوا مُوغِرِينَ فِي نَحْرِ الظَّهِيرَةِ، فَهَلَكَ مَنْ هَلَكَ، وَكَانَ الَّذِي تَوَلَّى الإِفْكَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ أُبَيٍّ ابْنَ سَلُولَ"، وفي بعض الرِّوايات الأخرى أنَّ صفوان ﵁ مرّ بهودج عائشة ﵂ على أبيٍّ وهو في ملأ من قومه فقال: من هذه؟ فقالوا: عائشة ﵂، فقال: "والله ما نجت منه ولا نجا منها، وقال: امرأة نبيِّكم باتت مع رجل حتى أصبحت ثم جاء يقودها"[2].

وتتميَّز هذه المرحلة بالغموض بالنِّسبة لمجتمع الأزمة وهم المؤمنون مع الرَّسول ﷺ، كجهلهم بمستقبل الأزمة ومدى اتِّساعها، وحجم انفجارها، وغياب الكثير من المعلومات لديهم حول أسبابها، ودوافعها، ومآلاتها...كما تكون المعلومات غير مؤكَّدة إذ لا بدَّ من التَّحقُّق من صحَّتها.

ثالثا: مرحلة النُّمو والاتِّساع.

فعندما لا يتمُّ معالجة الأزمة في مرحلة ميلادها، تنتقل إلى مرحلة النُّمو والاتِّساع بشكل متصاعد وذلك بنشر الإفك في المجتمع الأزموي عبر تناقله والتَّرويج له في المجالس والنَّوادي، وهو ما يعبَّر عنه بالتَّدفُّق المتصاعد.

وفي هذه المرحلة يتعاظم الإحساس بالأزمة، ويزداد ثقلها وكثافتها يوما بعد يوم فضلاً عن دخول أطرافٍ جديدة إلى ساحة الأزمة فأصبحت بمثابة روافد مغذِّية للأزمة ومفعّلة لها.

---

[1] ــ ينظر: سيد قطب، في ظلال القرآن، مصدر سابق، ج4، ص2494.

[2] ــ ينظر: الطبري، جامع البيان في تأويل آي القرآن، مصدر سابق، ج19، ص119. وينظر: الزمخشري، الكشاف، مصدر سابق، ج3، ص 217.

وقد ميّز هذه المرحلة ظهور عنصر الصَّدمة العنيفة فيها وخاصَّة ممن كان هو المستهدف الرَّئيس من الأزمة، فقد حكت لنا أمُّ رومان عن ابنتها عائشة رضي الله عنهما قائلة: «فَخَرَّتْ مَغْشِيًّا عَلَيْهَا فَمَا أَفَاقَتْ إِلَّا وَعَلَيْهَا حُمَّى نَافِضٌ »[1].

ومن مظاهر انتشار أزمة الإفك في المجتمع المدني ما يأتي:

أ- وصول خبر الإفك إلى القيادة الشَّريفة: فقد سمع بهذا الخبر المفجع كلٌّ من الرَّسول ﷺ وهو زوج المقذوفة عائشة رضي الله عنها، وأبو بكر رضي الله عنه والد عائشة وهو الرَّجل الثَّاني في الدَّولة.

ب- سرعة انتشار الإفك في الأوساط الاجتماعية: عبّر القرآن الكريم عن حجم الذين خاضوا في الافك وسرعة الذين نقلوه ونشروه في الأوساط بمصطلحين هما:

- ـــ الإفاضة في الإفك: ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِى مَآ أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٤﴾ ﴾ [النور: 14]، يقول طنطاوي"وأفضتم من الإفاضة بمعنى التَّوسع في الشَّيء، والاندفاع فيه بدون تريُّث أو تحقُّق، وأصله من قولهم: أفاض فلان الإناء، إذا ملأه حتَّى فاض"[2].
- ـــ تلقِّي الإفك بالألسن والتَّقوُّل به بالأفواه: قال تعالى: ﴿ إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ ﴾ [النور: 15]، وهي صورة فيها الخفَّة والسُّرعة، والاستهتار وقلَّة التَّحرج، وتناول أعظم الأمور وأخطرها بلا مبالاة ولا اهتمام،...لسان يتلقى عن لسان، بلا تدبُّر ولا تروٍّ ولا فحص ولا إنعام نظر. حتَّى لكأنَّ القول لا يمرُّ على الآذان، ولا تتملَّاه الرُّؤوس، ولا تتدبَّره القلوب! «وَتَقُولُونَ بِأَفْواهِكُمْ ما لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ».. بأفواهكم لا بوعيكم ولا

---

[1] ـــ سبق تخريجه ينظر: 126.

[2] ـــ طنطاوي، التفسير الوسيط، مصدر سابق، ج10، ص97.

بعقلكم ولا بقلبكم؛ إنَّما هي كلمات تقذف بها الأفواه، قبل أن تستقرَّ في المدارك، وقبل أن تتلقاها العقول.. «وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّناً وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ» وما يعظم عند الله إلَّا الجليل الضَّخم الذي تزلزل له الرَّواسي، وتضجُّ منه الأرض والسَّماء [1].

رابعا: مرحلة بلوغ الأزمة ذروتها.

وقد بلغت أزمة حادثة الإفك إلى أقصى قوَّتها، كما أنَّها امتدت قرابة شهر والنَّبي ﷺ لم يُوحَ إليه شيء في ذلك، حتى أصبح السَّيطرة عليها شبه مستحيل، ولا مفرَّ من الصِّدام العنيف معها.

وقد تجلَّت مظاهر نضج الأزمة وبلوغها الذِّروة فيما يأتي:

1- شدَّة تأثُّر النَّبي ﷺ بالحادثة: فكون النَّبي ﷺ من جهته بشرًا يعتريه ما يعتري غيره عند الأزمات والشَّدائد من لحوق الضَّيق والألم به ﴿ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٣﴾ ﴾ [الإسراء: 93]، وقوله: ﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾ ﴾ [الحجر: 97]، نجده هنا أيضًا قد أثّرت الأزمة فيه ﷺ فظهر ذلك من جانب معاملته لعائشة رضي الله عنها: رغم أنَّ النبي ﷺ صرَّح بالخيرية لزوجه عائشة أمام أصحابه بقوله: «فَوَاللَّهِ مَا عَلِمْتُ عَلَى أَهْلِي إِلَّا خَيْرًا»، إلا أنَّه ظهر منه ﷺ ما يشعر بتغيـــرٍ في حسن معاملته المعروفة لعائشة رضي الله عنها مما سبَّب لها آلامًا كثيرةً، تقول عائشة: "أَنِّي لاَ أَعْرِفُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ اللُّطْفَ الَّذِي كُنْتُ أَرَى مِنْهُ حِينَ أَشْتَكِي"، ومن جملة التَّصرفات التي قام بها النَّبي ﷺ وهي تعكس لنا شدَّة تأثُّره ما يأتي:

أ- الإذا لها بزيارة والديها والمكث معهما: قالت عائشة: "وَلَمْ يَجْلِسْ عِنْدِي مُنْذُ قِيلَ مَا قِيلَ قَبْلَهَا".

---

[1] ــ ينظر: سيد قطب، في ظلال القرآن، مصدر سابق، ج4، ص ص: 2502 ــ 2503.

ب- الاكتفاء بقوله: "كيف تيكم" بدل التَّسليم عليها: يقول ابن حجر: "اسْتَدَلَّتْ عَائِشَةُ بِهَذِهِ الْحَالَةِ عَلَى أَنَّهَا اسْتَشْعَرَتْ مِنْهُ بَعْضَ جَفَاءٍ، وَلَكِنَّهَا لما لم تكن تَدْرِي السَّبَب لم تُبَالِغْ فِي التَّنْقِيبِ عَنْ ذَلِكَ حَتَّى عَرَفَتْهُ وَوَقَعَ فِي رِوَايَةِ أَبِي أُوَيْسٍ إِلَّا أَنَّهُ يَقُولُ وَهُوَ مَارٌّ كَيْفَ تِيكُمْ وَلَا يَدْخُلُ عِنْدِي وَلَا يَعُودُنِي وَيَسْأَلُ عَنِّي أَهْلَ الْبَيْتِ وَفِي حَدِيث بن عُمَرَ: وَكُنْتُ أَرَى مِنْهُ جَفْوَةً وَلَا أَدْرِي مِنْ أَيِّ شَيْءٍ"[1].

ت- إعلامها ﷺ بالخبر دون تبرئة لها: وهذا ما دلَّ عليه قوله ﷺ: «أَمَّا بَعْدُ يَا عَائِشَةُ، فَإِنَّهُ قَدْ بَلَغَنِي عَنْكِ كَذَا وَكَذَا، فَإِنْ كُنْتِ بَرِيئَةً فَسَيُبَرِّئُكِ اللَّهُ، وَإِنْ كُنْتِ أَلْمَمْتِ بِذَنْبٍ فَاسْتَغْفِرِي اللَّهَ وَتُوبِي إِلَيْهِ، فَإِنَّ العَبْدَ إِذَا اعْتَرَفَ بِذَنْبِهِ ثُمَّ تَابَ إِلَى اللَّهِ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ».

ث- استشارة بعض أصحابه في قضيَّتها: كاستشارته لعلي بن أبي طالب وأسامة بن زيد وبريرة خادمة عائشة فأجابوا كلُّهم بلسانٍ واحد: "لاَ نَعْلَمُ إِلَّا خَيْرًا".

2- عدم تمكُّن والديها من الدِّفاع عنها: فقد امتنع أبو بكر ﷺ وزوجه من تبرئة عرض ابنتهما في حضرة النَّبي ﷺ، تقول عائشة ﷺ: "فَقُلْتُ لِأَبِي: أَجِبْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِيمَا قَالَ، قَالَ: وَاللَّهِ مَا أَدْرِي مَا أَقُولُ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقُلْتُ لِأُمِّي: أَجِيبِي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَتْ: مَا أَدْرِي مَا أَقُولُ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ".

3- بلوغ الأزمة حدَّ الاقتتال بين فئات المجتمع: "فَتَثَاوَرَ الحَيَّانِ الأَوْسُ وَالخَزْرَجُ حَتَّى هَمُّوا أَنْ يَقْتَتِلُوا، وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَائِمٌ عَلَى المِنْبَرِ".

[1] ــ ابن حجر، فتح الباري، مصدر سابق، ج8، ص465.

خامسا: مرحلة الانكماش والاختفاء.

لقد لبث الرَّسول ﷺ ومن معه تحت وطأة بلاء هذه الأزمة القاسية مدَّة سبع وثلاثين ليلة من بداية الأزمة إلى نزول الآيات التي تبرِّئ عائشة رضي الله عنها ولم يكن لها نظير في النَّوازل والشَّدائد لا من قبل ولا من بعد [1].

ولم تخمد نار هذه الأزمة، ولم تصل إلى مرحلة الاختفاء إلَّا بعد نزول الآيات المبيَّنات، وكأنَّ نزولها كان بمثابة ماء منهمر انصبَّ على بركان الأزمة المندلعة زمنًا طويلاً فانطفأت حينها نيران الفتنة، واختفى الحديث عنها، فلم يعد لها ذكرٌ في الأوساط إلا باعتبارها حدثًا تاريخيًّا قد انحسر وانتهى، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ ٱلۡغَٰفِلَٰتِ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ لُعِنُواْ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ٢٣ يَوۡمَ تَشۡهَدُ عَلَيۡهِمۡ أَلۡسِنَتُهُمۡ وَأَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٢٤ يَوۡمَئِذٖ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلۡحَقَّ وَيَعۡلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ ٱلۡمُبِينُ ٢٥ ٱلۡخَبِيثَٰتُ لِلۡخَبِيثِينَ وَٱلۡخَبِيثُونَ لِلۡخَبِيثَٰتِۖ وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِۚ أُوْلَٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَۖ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ٢٦ ﴾ [النور: 23 –26].

وبعد نزول هذه الآيات انقشعت سحابة الأزمة وزال معها الشّكُّ، والتُّهمة، والقلق، والاضطراب عن جوِّ المدينة، وافتضح رأس المنافقين افتضاحًا لم يستطع أن يرفع رأسه بعد ذلك، يقول أبو الحسن الندوي: "وبذلك انطفأت نار الفتنة، وانحسمت مادَّة الفساد، وخزي الشَّيطان، وكأن لم يكن شيء، فتشاغل المسلمون بما أمرهم الله به ورسوله، وبما يعود عليهم وعلى الإنسانيّة بالخير والسَّعادة"[2].

---

[1] ــ ينظر: عرجون محمد صادق، محمد رسول الله، دار القلم، دمشق، 1995م، ج4، ص228.

[2] ــ الندوي علي أبو الحسن بن عبد الحي بن فخر الدين، السيرة النبوية، ط12، دار ابن كثير، دمشق، 1425 هـ، ص 375.

وفيما يأتي رسم بياني يبين لنا مراحل أزمة حادثة الإفك.

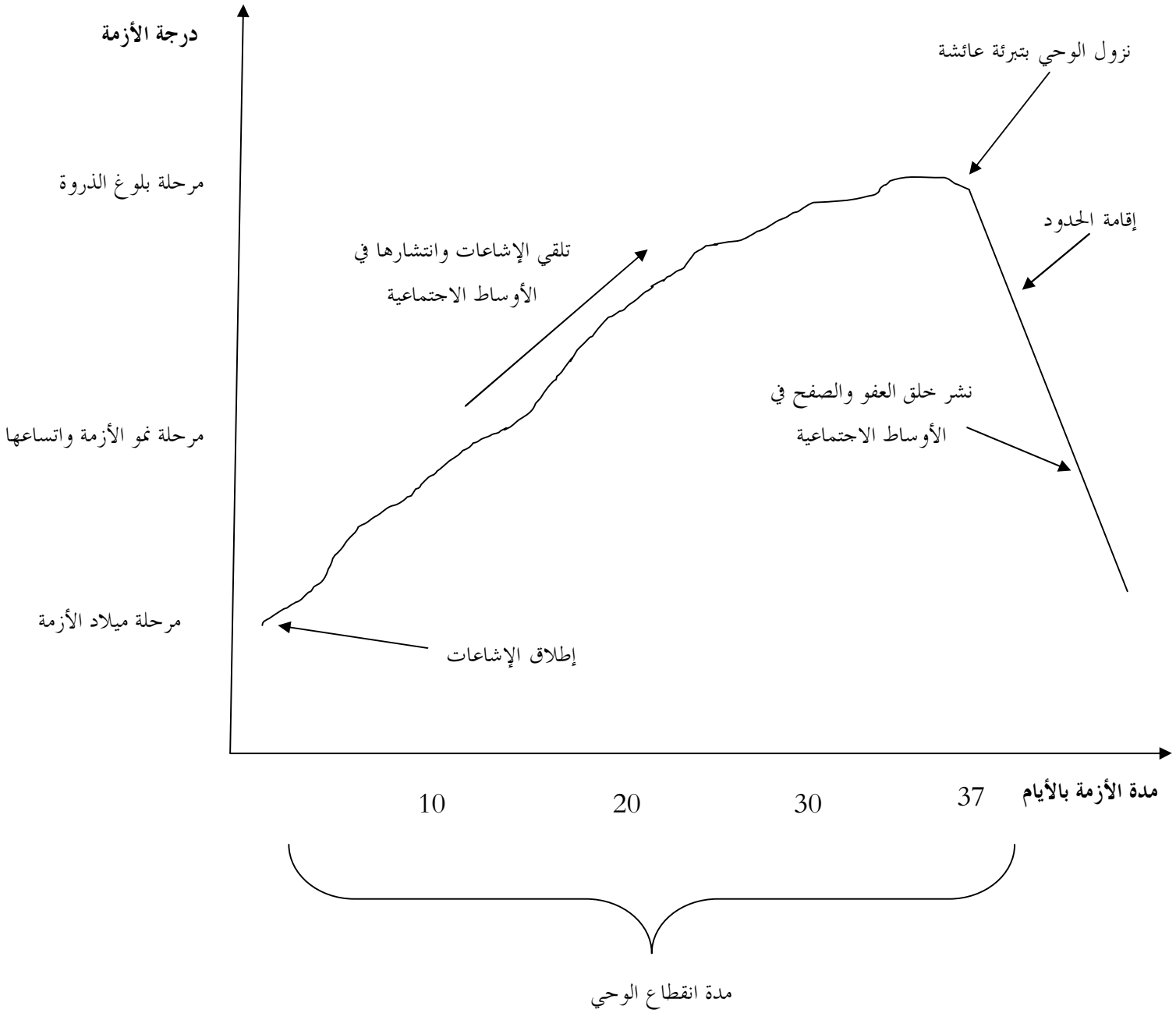

رسم بياني يظهر لنا مراحل أزمة حادثة الإفك

المبحث الثالث: مراحل إدارة أزمة حادثة الإفك، وبيان منهج القرآن الكريم في التعامل مع أمثال هذا النوع من الأزمات.

المطلب الأول: مراحل إدارة أزمة حادثة الإفك.

بعد تعرُّفنا على المراحل التي مرَّت بها أزمة حادثة الإفك؛ إذ يعتبر هذا العرض نوعًا من التَّشخيص، وبناء عليه يتحدَّد العلاج، وفي حين وجود خطإ في التَّشخيص يتولَّد عنه حتمًا الخطأ في العلاج مما يؤدِّي إلى انفجار الأزمة، واستفحالها، وحدوث خسائر وكوارث جمَّة.

فهناك خمس مراحل تمرُّ بها إدارة الأزمة للعمل على درء وقوعها، أو التَّخفيف من آثارها، بل والقدرة على تحقيق التَّوازن وإعادة الأمور إلى نصابها كما كانت قبل وقوع الأزمة، أو أفضل مما كانت عليه، وهي على النَّحو الآتي:

مرحلة ما قبل الأزمة ويتفرع عنها مرحلتان هما:

✓ **ــ المرحلة الأولى: مرحلة اكتشاف إشارات الإنذار.**

هي عبارة عن تحذيرات أو أعراض تُنبئ عن إمكانية حدوث أزمة؛ لأنَّ الأزمة عادة ما ترسل قبل وقوعها سلسلة من إشارات الإنذار المبكِّر، أو الأعراض التي تُنبئ باحتمال وقوعها، واكتشاف إشارات الإنذار تعني تشخيص المؤشِّرات والأعراض التي تُنبئ بوقوع أزمة مَّا، كما لو أنَّ لديهم قرون استشعار، والأزمات تحدُث في الأغلب بسبب عدم الانتباه إلى تلك الإشارات [1].

ومن هذا المنطلق فإنَّ الآيات المتحدِّثة عن النِّفاق والمنافقين بدأ تنـــزُّلها منذ أن وطَأت رجله الشَّريفة ﷺ المدينة المنورة [2] فنـــزل عليه صدرًا من بداية سورة البقرة ثمَّ

---

[1] ــ ينظر: ماهر أحمد، إدارة الأزمات، الدار الجامعية، الإسكندرية، 2006، ص54. وينظر: جاد الله محمود، إدارة الأزمات، دار أسامة، عمّان، 2007م، ص52.

[2] ــ يرى العلماء أن كل سورة فيها ذكر للنفاق وصفاتهم فهي مدنية واستثنوا في ذلك سورة العنكبوت، واعتبروه ضابطا من ضوابط المدني. [ينظر: صبحي الصالح، مباحث في علوم القرآن، مرجع سابق، ص 183].

توالَى نزول الآيات الفاضحة للمنافقين إلى قبيل وفاته ﷺ كنـــزول سورة كاملة سمِّيت بالفاضحة وهي سورة التَّوبة، ويعدُّ هذا بمثابة إشارات إنذار، وتحذيرات للنَّبي ﷺ ومن معه بأن يأخذوا حذرهم وحيطتهم من أفاعيل هؤلاء الدَّنيئة ومن دسائسهم ومكرهم وخداعهم، يقول تعالى في شأنهم: ﴿ هُمُ ٱلْعَدُوُّ فَٱحْذَرْهُمْ ۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۖ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٤﴾ ﴾ [المنافقون: 4].

وقُبَيل حدوث أزمة حادثة الإفك كثرت صفَّارات الإنذار، وإشارات التَّحذير وخاصَّة بعد الرُّجوع من غزوة بني المصطلق حيث غنم المسلمون فيها غنيمة أثارت حفيظة المنافقين فبدأوا بالمكر وافتعال الأزمات، فأطلق رأس المنافقين ومن معه مقولات مفتنة، منها ما جاء في قوله تعالى: ﴿ يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ ۚ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾ ﴾ [المنافقون:8].

والنَّبي ﷺ قد تنبَّه لهذه التطوُّرات الخطيرة من تصاعد الأحداث وتفاقمها، وتفطَّن لما يحاك له من قبل هؤلاء المنافقين وأدرك خطورة ما ستؤول إليه الأمور، واتَّخذ ﷺ موقفًا حكيمًا تجاه عبد الله بن أبي بن سلول كبير المنافقين حيث رفض عليه السلام أن يُتَّخذ موقفًا حاسمًا ضدَّه؛ لأنَّ ذلك سيفتح على نفسه أزمة داخلية هو في غنى عنها، وخاصة وأنَّه كبير في قومه ولديه أتباعه، فاحتمل في ذلك ﷺ أخف الضَّرر وذلك بعدم مواجهته فيما يبثُّه من قلاقل وأراجيف ممتثلاً في ذلك قوله تعالى: ﴿ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَدَعْ أَذَىٰهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿٤٨﴾ ﴾ [الأحزاب: 48]، كما اجتنب الضَّرر الأعظم من جرَّاء تصفيته وهو إحداث شقٍّ في صفوف المؤمنين وتهديد جبهتهم الدَّاخلية، ولذلك نهى ﷺ عبد الله (الإبن) [1] عن قتل أبيه عبد الله بن أبيّ خشية أن يقول النَّاس محمدًا يقتل أصحابه،

---

[1] ــ عبد الله بن عبد الله بن أبي بن مالك الأنصاري ابن الحارث بن عبيد بن مالك بن سالم – وسالم هو الذي يقال له الحبلى، لعظم بطنه – بن غنم بن عوف بن الخزرج الأنصاري، الخزرجي، المعروف والده بابن سلول، المنافق المشهور.وسلول الخزاعية: هي والدة أبيّ المذكور.
وقد كان عبد الله بن عبد الله من سادة الصحابة وأخيارهم، وكان اسمه الحُبَابُ، وبه كان أبوه يكنى، فغيره النبي ﷺ وسماه: عبد الله، شهد بدرا وما بعدها.
استشهد عبد الله يوم اليمامة، وقد مات أبوه سنة تسع، فألبسه النبي ﷺ قميصه، وصلى عليه، واستغفر له إكراما لولده، حتى نزلت: {ولا تصل على أحد منهم مات أبدا، ولا تقم على قبره} [التوبة: 89]. وقد كان رئيسا مطاعا، عزم أهل المدينة قبل أن يهاجر النبي ﷺ على أن يُمَلِّكُوْهُ عليهم، فانحل أمره، ولا حصل دنيا ولا آخرة. [ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، مصدر سابق، ج1، ص ص: 321 ــ 323].

وبخصوص هذا يروي الإمام البخاري في صحيحه بسنده عن جابر بن عبد الله قال: وَكَانَتِ الأَنْصَارُ حِينَ قَدِمَ النَّبِيُّ ﷺ أَكْثَرَ، ثُمَّ كَثُرَ المُهَاجِرُونَ بَعْدُ، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أُبَيٍّ: أَوَقَدْ فَعَلُوا، وَاللَّهِ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى المَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الأَعَزُّ مِنْهَا الأَذَلَّ، فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ ﷺ: دَعْنِي يَا رَسُولَ اللَّهِ أَضْرِبْ عُنُقَ هَذَا المُنَافِقِ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «دَعْهُ لاَ يَتَحَدَّثُ النَّاسُ أَنَّ مُحَمَّدًا يَقْتُلُ أَصْحَابَهُ» [1].

✓ ــ **المرحلة الثانية: مرحلة الاستعداد والوقاية.**

إنَّ أفضل إستراتيجية لمواجهة الأزمات هو الاستعداد لها، والتَّحضير المسبق للتَّعامل معها، وذلك قصد منع وقوعها أصلًا، أو وَأْدها في مهدها، أو الإقلال من آثارها في حال نشوبها.

وقد كان النَّبي ﷺ مستعدًّا لمواجهة جميع أصناف الأزمات، وهذا مأخوذ من إعداد الله ﷻ له من خلال ما كان يتنـــزّل عليه من وحي، فقصص القرآن مليء بما كان يُصاب به إخوانه الأنبياء عليهم السَّلام من أزمات، وبما كانوا يجتازونها... ليستقي منها ﷺ الدُّروس والعبر، وليثبِّت بها فؤاده عند وقوعها؛ لأنَّه ليس بدعًا منهم.

فالأزمة التي أصيب بها النَّبي ﷺ في عرضه الشَّريف قريبٌ منها ما أصيب بها سيِّدنا يوسف ومريم عليهما السَّلام. ﴿ مَّا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ ﴾ [فصلت: 43].

علاوة على ذلك ما نجده من تعليم الله ﷻ لنبيِّه ﷺ باتِّخاذ سبل الحيطة والحذر قبل حلول الأزمات، وخاصَّة ما كان يجده من أعدائه المنافقين الذين يعلنون عكس ما يخفون ﴿ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ ﴾ [المنافقون: 4]، كما كان يأمره سبحانه وتعالى بالاستعداد دائمًا على قدر الوسع والطاقة ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ ﴾ [الأنفال: 60].

---

1 ــ البخاري، الجامع الصحيح، مصدر سابق، كتاب تفسير القرآن، قولِهِ: {يَقُولُونَ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلى المَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الأَعَزُّ مِنْهَا الأَذَلَّ، وَلِلَّهِ العِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ المُنَافِقِينَ لا يَعْلَمُونَ}، ج6، ص154، رقم الحديث: 4907.

✓ ــ **المرحلة الثالثة: مرحلة أثناء الأزمة.**

وتسمَّى أيضًا بمرحلة احتواء أضرار الأزمة، وفيها يتمُّ تنفيذ ما خُطِّط له في مرحلة الاستعداد والوقاية، والحيلولة دون تفاقم الأزمة وانتشارها، ففي هذه المرحلة يتمُّ احتواء الآثار النَّاتجة عن الأزمة ومنع تصاعدها ووصولها إلى درجة الانفجار مع العمل على تقليل الخسائر إلى أقل قدر ممكن، مع أهمِّية متابعة النَّتائج وردود الأفعال والاستعداد للتَّعامل مع أيَّة متغيِّرات تحدث أثناء إدارة الأزمة [1].

وقد كان للنَّبي ﷺ دورٌ بارزٌ في هذه المرحلة أثناء إدارته لحادثة الإفك حيث ظهر احتواؤه لهذه الأزمة فيما يأتي:

أ- توقُّفه من إبداء رأيه في الحادثة لعدم قَطْعيَّة الأمر عنده: فالنَّبي ﷺ لم يصدر منه أمر بالنَّفي أو الإثبات، وهذا من شدَّة التباس الأمر عليه، وعدم وضوح القضيَّة، ولذلك استصحب النَّبي ﷺ دليل الأصل وهي براءة عائشة رضي الله عنها من هذه الفعلة الشَّنيعة فقال: «فَوَاللَّهِ مَا عَلِمْتُ عَلَى أَهْلِي إِلَّا خَيْرًا»، وخاصَّة وأنَّ الوحي لم ينـــزل عليه بشيء بخصوص هذا الأمر، لكن نزل عليه قبل ذلك ما يؤكِّد من وجوب التَّثبت من الأخبار المشاعة لقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ ٦ ﴾ [الحجرات: 6].

وكما نجد أيضًا أنَّ النَّبي ﷺ وقف موقفًا محايدًا؛ لأنَّ الأزمة أحدثت ضائقة كبيرة في نفسيَّته ﷺ ووقف موقف المحتار في الأمر هل سيصدِّق بمقولة حسَّان بن ثابت[2] ومسطح

---

[1] ــ ينظر: محمود جاد الله، إدارة لأزمات، مرجع سابق، ص52. وينظر: جلدة سليم بطرس، الإستراتيجية الحديثة لإدارة الأزمات، مرجع سابق، ص ص: 26 ــ 27.

[2] ــ حسان بن ثابت بن المنذر بن حرام الْأَنْصَارِيّ النّجّاري، أَبُو عَبْد الرَّحْمَن شاعر رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، دَعَا لَهُ النبي ﷺ: " اللَّهم أيده بروح القُدُس "، بَلَغَنَا أن حسان، وأباه، وجده، وجدّ أبيه، عاش كل منهم مائة وعشرين سَنَة. وكَانَ في حسان جُبن، وأضر بأخْره. وله شِعْر فائق في الفصاحة. تُوُفِّيَ سَنَة أربع وخمسين.[الذهبي محمد بن أحمد، تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام، تح: بشار عواد معروف، ط1، دار الغرب الإسلامي، 2003م، ج2، ص484].

بن أثاثة اللَّذين شهدا بدرًا والمشاهد بعدها، أم يصدِّق زوجه عائشة العفيفة الطَّاهرة!!!؟ ﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾ ﴾ [الحجر: 97].

ب- فتح باب المشاورات: لقد كان منهج النَّبي ﷺ دائمًا فتح باب المشاورة مع أصحابه في حال السَّرَّاء والضَّرَّاء، وقد تعدَّدت مشاوراته ﷺ في هذه الأزمة فشملت نطاقين:

- النِّطاق الضَّيِّق: وقد استشار النَّبي ﷺ بعض خاصَّة أصحابه من قرابته لـــمَّا تأخَّر عليه نزول الوحي، فاستشار كلاً من أسامة بن زيد، وعلي بن أبي طالب وبريرة جارية عائشة رضوان الله عليهم، فكلُّهم حكموا بالخيرية والعفَّة لعائشة رضي الله عنها.
- النِّطاق الموسَّع: وهذا ملاحظ من استشارة النَّبي ﷺ أصحابه من الأوس والخزرج بأن يعذروه من عبد الله بن أبي كبير المنافقين لأذيَّته في زوجه ﷺ.

ت- معاملته ﷺ للمتأزِّمين بالحسنى: فالنَّبي ﷺ لما غابت البيِّنة والحجَّة على ما ادّعاه أهل الإفك استمرَّ النَّبي ﷺ في معاملته المعروفة مع زوجه عائشة بالمعروف، فلم يُعلم منه في هذه الحادثة أنَّه عاتب عائشة، أو أراد تطليقها، أو شكَّ في أمرها لحظة... بل بالعكس من ذلك فقد لاطفها وسمح لها بالذَّهاب لزيارة والديها، وكلُّ ما في الأمر أنَّه ﷺ فاتحها بالسُّؤال لها قائلاً: «أَمَّا بَعْدُ يَا عَائِشَةُ، فَإِنَّهُ قَدْ بَلَغَنِي عَنْكِ كَذَا وَكَذَا، فَإِنْ كُنْتِ بَرِيئَةً فَسَيُبَرِّئُكِ اللَّهُ، وَإِنْ كُنْتِ أَلْمَمْتِ بِذَنْبٍ فَاسْتَغْفِرِي اللَّهَ وَتُوبِي إِلَيْهِ، فَإِنَّ العَبْدَ إِذَا اعْتَرَفَ بِذَنْبِهِ ثُمَّ تَابَ إِلَى اللَّهِ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ».

وفي جانب آخر نجد أنَّ النَّبي ﷺ شهد بالخير للمتَّهم صفوان قائلاً أمام الجمع: «وَلَقَدْ ذَكَرُوا رَجُلًا مَا عَلِمْتُ عَلَيْهِ إِلَّا خَيْرًا، وَمَا كَانَ يَدْخُلُ عَلَى أَهْلِي إِلَّا مَعِي»، وقد نكّر النَّبي ﷺ الرَّجل و لم يذكره باسمه محافظة على القلوب ودرءًا للشُّبهات.

ث- عدم مصادمة النَّبي ﷺ لأهل الإفك: لم يدخل النَّبي ﷺ في مواجهات بينه وبين المفتعلين للأزمة والمروِّجين لها بالقوَّة واستعمال السِّلاح حرصًا على وحدة

الصَّفِّ المسلم، وذلك لأنَّ لابن أبيّ أتباعًا وشيعة مسلمين مغرورين، ولو فتك به لأرعدت له أنوف، وغضب له رجال متحمِّسون له، وقد يدفعهم تحمُّسهم له إلى تقطيع الوحدة المسلمة، وليس في ذلك أيُّ مصلحة للمسلمين ولا للإسلام، وهذا الاحتواء الذي مارسه الرَّسول ﷺ يعتبر من السِّياسة الشَّرعية الحكيمة الرَّشيدة في معالجة الأزمات في حزم وقوة أعصاب وبُعد نظر، وقد قال ﷺ مقولته المشهورة في ابن أبيّ: «بَلْ نَتَرَفَّقُ بِهِ وَنُحْسِنُ صُحْبَتَهُ مَا بَقِيَ مَعَنَا» [1].

ج- المحافظة على وحدة الصَّفِّ من خلال تأمين الجبهة الداخلية: لقد حرص النَّبي ﷺ أشدَّ الحرص على حِفاظ الجبهة الدَّاخلية طوال أزمة حادثة الإفك، وقد ظهر هذا الاحتواء للأزمة عندما اجتمع الأوس والخزرج وكادوا أن يقتتلوا بينهم، والرَّسول ﷺ قائم بينهم، حيث تقول الرواية: «فَتَنَاوَرَ الحَيَّانِ الأَوْسُ وَالخَزْرَجُ حَتَّى هَمُّوا أَنْ يَقْتَتِلُوا، وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَائِمٌ عَلَى المِنْبَرِ، فَلَمْ يَزَلْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُخَفِّضُهُمْ حَتَّى سَكَتُوا، وَسَكَتَ».

يقول الصَّلاَّبي: "إنها المحافظة التَّامَّة على السُّمعة السياسية، والفرق كبير جدًّا بين أن يتحدَّث النَّاس عن حبِّ أصحاب محمدٍ محمدًا، ويؤكِّدون على ذلك بلسان قائدهم الأكبر أبي سفيان:«وَاللَّهِ مَا رَأَيْتُ مَلِكًا قَطُّ، يُعَظِّمُهُ أَصْحَابُهُ، مَا يُعَظِّمُ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ مُحَمَّدًا»[2]، وبين أن يتحدَّث النَّاس أنَّ محمدًا يقتل أصحابه، ولا شكَّ أنَّ وراء ذلك محاولات ضخمة ستتمُّ في محاولة الدُّخول إلى الصَّفِّ الدَّاخلي في المدينة من العدوِّ، بينما هم يائسون الآن من قدرتهم على شيء أمام ذلك الحبِّ وتلك التَّضحيات"[3].

مرحلة ما بعد الأزمة: وتشمل مرحلتين وهي:

---

1 ــ ابن كثير اسماعيل بن عمر، البداية والنهاية، تح: علي شيري، ط1، دار إحياء التراث العربي، 1988م، ج4، ص181. وينظر: الصَّلاَّبي عَلي محمد محمد، السِّيرةُ النّبوية: عرضُ وقائع وَتحليل أحدَاث، مرجع سابق، ص 577.

2 ــ ابن حبان، صحيح ابن حبان، مصدر سابق، باب الموادعة والمهادنة، ذِكْرُ مَا يُسْتَحَبُّ لِلْإِمَامِ اسْتِعْمَالُ الْمُهَادَنَةِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَعْدَاءِ اللَّهِ إِذَا رَأَى بِالْمُسْلِمِينَ ضَعْفًا يَعْجِزُونَ عَنْهُمْ، ج11، ص216، حديث رقم: 4872.

3 ــ الصَّلاَّبي عَلي محمد محمد، السِّيرةُ النّبوية: عرضُ وقائع وَتحليل أحدَاث، مرجع سابق، ص 575.

✓ ــ **المرحلة الرابعة: مرحلة استعادة النَّشاط ومعالجة الآثار.**

ويتمُّ في هذه المرحلة استعادة توازن المجتمع، وعودته إلى ممارسة أعماله الاعتيادية كما كان قبل الأزمة، كما يحدث فيها نوع من المعالجة لآثار الأزمة وتداعياتها[1].

وقد ظهرت هذه المرحلة بعد القضاء الكامل على الأزمة وذلك بنـــزول آيات بيِّنات شاهدة على براءة عائشة ﵂، من كل ما افتراه عليها المفترون، وبنـــزول هذه الشَّهادة من قبل الله ﷻ قُضي على الأزمة نهائيًّا وإلى الأبد، و لم يظن أحد أنّها ستنفرج بهذه السُّرعة، وهذه القوَّة الإلهية؛ وخاصَّة بعد أن استحكمت حلقاتها ووصلت إلى ذروتها وامتدت لأزيد من شهر، حتَّى عائشة نفسها لم تتوقع أن ينـــزل قرآن بشأنها، وبذلك العدد من الآيات وبتلك العبارات الجزلة القويَّة، وإنَّما كانت تتوقع أن يرى النَّبي ﷺ رؤية في المنام يبرِّئها، تقول السيدة عائشة ﵂: «وَلَكِنْ وَاللَّهِ مَا كُنْتُ أَظُنُّ أَنَّ اللَّهَ مُنْزِلٌ فِي شَأْنِي وَحْيًا يُتْلَى، وَلَشَأْنِي فِي نَفْسِي كَانَ أَحْقَرَ مِنْ أَنْ يَتَكَلَّمَ اللَّهُ فِيَّ بِأَمْرٍ يُتْلَى، وَلَكِنْ كُنْتُ أَرْجُو أَنْ يَرَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي النَّوْمِ رُؤْيَا يُبَرِّئُنِي اللَّهُ بِهَا ».

فهو تكريم يظل ملازمًا لها إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، فقد برَّأها سبحانه مما افتراه عليها المفترون، وشهد بحصانتها وغفلتها عن السُّوء، وقوَّة إيمانها، وطيب عنصرها، وأنزل في شأنها قرآنا يتلى إلى يوم القيامة، ويكفيها فخرًا قوله تعالى ﴿ أُولَٰئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ ۖ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٢٦﴾ ﴾ [النور: 26] [2].

يقول سيد قطب: "وعند ما تصل الآلام إلى ذروتها على هذا النَّحو يتعطَّف عليه ربه، فيتنـــزَّل القرآن ببراءة عائشة الصِّديقة الطَّاهرة، وبراءة بيت النبوَّة الطيِّب الرَّفيع ويكشف المنافقين الذين حاكوا هذا الإفك، ويرسم الطَّريق المستقيم للجماعة المسلمة في مواجهة مثل هذا الشَّأن العظيم"[3].

---

1 ــ ينظر: محمود جاد الله، إدارة الأزمات، مرجع سابق، ص 53.

2 ــ طنطاوي، التفسير الوسيط، مصدر سابق، ج10، ص107.

3 ــ سيد قطب، في ظلال القرآن، مصدر سابق، ج4، ص 2499 ــ 2500.

وفيما يأتي بيان مظاهر معالجة آثار أزمة حادثة الإفك:

خلَّفت أزمة حادثة الإفك آثارًا مادِّية ومعنوية عميقة استفحلت وتمكَّنت في النُّفوس نظرًا لتأخُّر العلاج؛ لكن بمجرد نزول الآيات المتعلِّقة بهذا الشَّأن عولجت جميع هذه الآثار سواء تلك التي مسَّت جانب الفرد أو المجتمع وهذه بعض منها:

1) ــ تبرئة عرض عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ٢٦﴾ [النور: 26]، فقد نزلت براءتها من قبل الله عز وجل من فوق سبع سماوات وجعل ذلك قرآنا يتلى، ويتعبَّد به إلى قيام السَّاعة، ولم يُخص أحد من البشر بهذه المكرُمة وهذه التَّزكية في العرض والشَّرف.

يقول القرطبي: "إنَّ يوسف عليه السلام لـــمَّا رُمي بالفاحشة برَّأه الله على لسان صبيٍّ في المهد، وإنَّ مريم لـــمَّا رميت بالفاحشة برَّأها الله على لسان ابنها عيسى صلوات الله عليه، وإنَّ عائشة لـــمَّا رميت بالفاحشة برَّأها الله تعالى بالقرآن، فما رضي لها ببراءة صبيٍّ ولا نبيٍّ حتى برأها الله بكلامه من القذف والبهتان"[1].

ولقد غمرت الفرحة والسُّرور قلب عائشة بعد أن مُلئ همّا وغمّا، وكانت رضي الله عنها تقول: «لَقَدْ أُعْطِيتُ تِسْعًا مَا أُعْطِيَتْهُنَّ امْرَأَةٌ إِلَّا مَرْيَمَ بِنْتَ عِمْرَانَ: لَقَدْ نَزَلَ جِبْرِيلُ ﷺ بِصُورَتِي فِي رَاحَتِهِ، حَتَّى أُمِرَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَنْ يَتَزَوَّجَنِي، وَلَقَدْ تَزَوَّجَنِي بِكْرًا، وَمَا تَزَوَّجَ بِكْرًا غَيْرِي، وَلَقَدْ قُبِضَ وَرَأْسُهُ فِي حِجْرِي، وَلَقَدْ قَبَرْتُهُ فِي بَيْتِي، وَلَقَدْ حَفَّتِ الْمَلَائِكَةُ بَيْتِي، وَإِنْ كَانَ الْوَحْيُ لَيَنْزِلُ وَهُوَ فِي أَهْلِهِ فَيَتَفَرَّقُونَ عَنْهُ، وَإِنْ كَانَ الْوَحْيُ لَيَنْزِلُ عَلَيْهِ وَإِنِّي مَعَهُ فِي لِحَافِهِ، وَإِنِّي لَابْنَةُ خَلِيفَتِهِ وَصَدِيقِهِ، وَلَقَدْ نَزَلَ عُذْرِي مِنَ السَّمَاءِ، وَلَقَدْ خُلِّقْتُ طَيِّبَةً وَعِنْدَ طَيِّبٍ، وَلَقَدْ وُعِدْتُ مَغْفِرَةً وَرِزْقًا كَرِيمًا»[2].

---

[1] ــ القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، مصدر سابق، ج12، ص211.

[2] ــ الموصلي أبو يعلى أحمد بن علي، مسند أبي يعلى الموصلي، تح: حسين سليم أسد، ط1، دار المأمون، دمشق، 1984م، مسند عائشة، ج8، ص90، رقم الحديث: 4626. قال الهيثمي: رواه أبو يعلى، وفي الصحيح

2) ــ تسلية كلٍّ من تأذَّى بفعل الأزمة:

يعتبر نزول الآيات العظيمة في تبرئة أُم المؤمنين عائشة، فيه مزيد اعتناءٍ بشرف الرَّسول ﷺ، وجَبْر لقلب صاحبه أبي بكر الصِّديق ﷺ وكذا قلب زوجه أُم رومان، وصفوان بن معطل... نظرًا لما ألمّ بهم من همّ جسيم طويل، يقول تعالى مسليًّا إيَّاهم: ﴿وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِۚ أُوْلَٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَۖ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ٢٦﴾ [النور: 26]

يقول عبد الكريم الخطيب: فالآية تشير إلى من مسَّهم شيء من هذا الحديث الآثم، وهم الرَّسول ﷺ وعائشة ﷺ، وأبواها، وصفوان بن المعطل.. فهؤلاء قد برَّأهم الله من كلِّ دنس، وعافاهم من كل سوء، ودمغ بهذا القول الزَّائف الآثم أهله.. على حين أجزل الثَّواب العظيم، والرِّزق الكريم لمن مسَّهم هذا القول بضرّ [1].

3) ــ معاقبة الذين أثاروا أزمة الإفك وروّجوها:

تنوَّعت عقوبات الذين روّجوا إشاعة الإفك إلى عقوبات مادِّية ومعنوية، وكذلك دنيوية وأخروية، وكان من جملتها ما يأتي:

أ- حكَم الله عليهم باللَّعن في الدُّنيا والآخرة: قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ ٱلۡغَٰفِلَٰتِ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ لُعِنُواْ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ٢٣﴾ [النور: 23]، هذا هو الجزاء الذي يلقاه كلُّ من يخوض في أعراض المؤمنين والمؤمنات، ويرميهم بالفاحشة، كذبًا، وبهتانًا.. فالحكم عام، قائم أبد الدَّهر، وإن كان مساقًا في معرض الحديث عن حادثة الإفك، الذي رميت

وغيره بعضه، وفي إسناده أبي يعلى من لم أعرفهم. [الهيثمي، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، مصدر سابق، كتاب المناقب، باب في فضل عائشة، ج9، ص241، رقم الحديث: 15307].

[1] ــ ينظر: الخطيب عبد الكريم، التفسير القرآني للقرآن، مصدر سابق، ج9، ص1259.

به أمُّ المؤمنين من المنافقين والذين في قلوبهم مرض، إلاَّ أن العبرة بعموم اللَّفظ لا بخصوص السَّبب [1].

ب- توعّد الله مفتعل الإفك بالعذاب العظيم: يقول تعالى: ﴿ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾ ﴾ [النور: 11]، أي: والذي تولّى معظم الخوض في هذا الحديث الكاذب، وحرّض على إشاعته، له عذاب عظيم في الدّنيا والآخرة، أمّا في الدّنيا فبإظهار نفاقه على رءوس الأشهاد، وأمّا في الآخرة فبعذاب لا يقدِّر قدره إلا العليم الحكيم.

والمقصود بهذا الذي تولَّى كبره، عبد الله بن أبيّ بن سلول، رأس المنافقين وزعيمهم، فهو الذي قاد حملته، واضطلع بالنَّصيب الأكبر لإشاعته [2].

ت- إقامة حدِّ القذف على من وقع في عرض عائشة: قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ﴾ [النور: 11]، فالمشهور والمتَّفق عليه أنَّ العصبة الذين أقيم عليهم حدَّ القذف وهو ثمانون جلدة هم: حسَّان بن ثابت ــ شاعر الرَّسول ﷺ ــ، ومسطح بن أثاثة ــ ابن خالة أبو بكر الصِّديق رضي الله عنه ــ، وحِمنه بنت جحش ــ أخت أمِّ المؤمنين زينب رضي الله عنها.

واختلف في عبد الله بن أبيّ بن سلول هل أقيم عليه الحدُّ أم لا؟ وقد أجاب الإمام القرطبي على هذا بقوله: إنَّما لم يحدّ عبد الله بن أبيّ للأسباب الآتية:

- ــ لأنَّ الله تعالى قد أعدَّ له في الآخرة عذابًا عظيمًا، فلو حدَّ في الدُّنيا لكان ذلك نقصًا من عذابه في الآخرة وتخفيفًا عنه.
- ــ الفائدة من إقامة الحدِّ إظهار كذب القاذف وبراءة المقذوف، وقد حصل هذا ببراءة الله لعائشة وتكذيب من رماها: ﴿ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا۟ بِٱلشُّهَدَآءِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿١٣﴾ ﴾ [النور: 13].

---

[1] ــ ينظر: المصدر ذاته، ج9، ص ص: 1254 ــ 1255.

[2] ــ ينظر: طنطاوي، التفسير الوسيط، مصدر سابق، ج10، ص94.

- ـــ إقامة الحد فيه تكفير لإثم القذف، وحتى لا يبقى عليهم تبعة في الآخرة كما قال ﷺ: (مَنْ أَصَابَ مِنْكُمْ حَدًّا، فَعُجِّلَتْ لَهُ عُقُوبَتُهُ، فَهُوَ كَفَّارَتُهُ)[1]، وهذا ما لم يُرِده الله ﷻ لأبيّ.
- ـــ ويحتمل أن يقال: إنَّما ترك حدَّ ابن أبي استئلافًا لقومه واحترامًا لابنه، وإطفاء لثائرة الفتنة المتوقَّعة من ذلك، وقد كان ظهر مبادئها من سعد بن عبادة ومن قومه [2].
- ـــ وقيل: "بل كان يستوشي [3] الحديث ويجمعه ويحكيه ويخرجه في قوالب من لا ينسب إليه، وقيل: الحدُّ لا يثبت إلا بالإقرار أو ببيِّنة، وهو لم يقر بالقذف، ولا شهد به عليه أحد، فإنَّه إنَّما كان يذكره بين أصحابه، ولم يشهدوا عليه، ولم يكن يذكره بين المؤمنين"[4].

4) ـــ علاج مخلَّفات الأزمة بإقامة مبدأ الصُّلح: لا شكَّ أنَّ أزمة كحادثة الإفك في عمقها، وطول مدَّتها قد تركت آثارًا سلبيَّة في النُّفوس، فلذلك سارع القرآن الكريم في تدارك هذا الخلل بالإصلاح وإرجاع المياه إلى مجاريها، ومن ذلك:

أ- دعوة القرآن الكريم للعفو والصَّفح: فقد جاءت دعوة القرآن الكريم بعد نزول براءة عائشة ﵂، إلى الأخذ بمبدأ الصُّلح والعفو لأهل الفضل والخير والذين قطعوا منافع أموالهم على من تحدَّث بالإفك، ومثله ما وقع لأبي بكر

---

1 ـــ ابن ماجه أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، سنن ابن ماجه، تح: شعيب الأرنؤوط، ط1، دار الرسالة العالمية، 2009 م، أبواب الحدود، باب الحد كفارة، ج3، ص 626، رقم الحديث: 2603]. قال شعيب الأرناؤوط إسناده صحيح، وأخرجه مسلم في صحيحه مطوَّلا في باب الحدود كفارات لأهلها، ج3، ص1333، رقم الحديث: 1709.

2 ـــ ينظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، مصدر سابق، ج12، ص202.

3 ـــ يستوشي أي: يستخرج الحديث بالبحث عنه. [ابن منظور، لسان العرب، مصدر سابق، ج15، ص393].

4 ـــ ابن القيم الجوزية محمد بن أبي بكر بن أيوب، زاد المعاد في هدي خير العباد، ط27، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1994م، ج3، ص236.

الصِّديق ﷺ لـــمَّا قطع النَّفقة عن ابن خالته مسطح لـــمَّا تكلَّم في عرض ابنته عائشة فقال: وَاللَّهِ لاَ أُنْفِقُ عَلَى مِسْطَحٍ شَيْئًا أَبَدًا بَعْدَ الَّذِي قَالَ لِعَائِشَةَ مَا قَالَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓاْ أُوْلِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾ ﴾ [النور: 22] قَالَ أَبُو بَكْرٍ: بَلَى وَاللَّهِ إِنِّي أُحِبُّ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لِي، فَرَجَعَ إِلَى مِسْطَحٍ النَّفَقَةَ الَّتِي كَانَ يُنْفِقُ عَلَيْهِ، وَقَالَ: وَاللَّهِ لاَ أَنْزِعُهَا مِنْهُ أَبَدًا.

ومعنى الآية أن لَّا يحلف أهل الفضل والخير على أن لَّا يحسنوا إلى المستحقِّين للإحسان، أو لا يقصِّروا في أن يحسنوا إليهم، وإن كانت بينهم وبينهم شحناء لجناية اقترفوها، فليعودوا عليهم بالعفو والصَّفح، وليفعلوا بهم مثل ما يرجون أن يفعل بهم ربهم[1].

ب- إصلاح الرَّسول ﷺ بين الأوس والخزرج: فبعد التَّصعيد الذي حدث بين الأوس والخزرج من التَّلاسن في الكلام حتَّى كادوا أن يقتتلوا فيما بينهم، مع أنَّ الرسول ﷺ قائم بين ظهرانيهم... بادر النَّبي ﷺ بعد الأزمة إلى إذكاء روح العفو والصَّفح بينهما بدل تغلغل العداوة والبغضاء، فأخذ ﷺ بيد سعد بن معاذ في نفر حتَّى دخل على سعد بن عبادة ومن معه، فتحدثوا ساعة، وقرب لهم سعد بن عبادة طعامًا فأصابوا منه وانصرفوا. فمكث أيَّامًا، ثم أخذ بيد سعد بن عبادة ونفر معه، فانطلق به حتَّى دخل منـــزل سعد بن معاذ، فتحدَّثوا ساعة، وقرب لهم سعد بن معاذ طعامًا، فأصابوا منه، ثم خرجوا، فذهب من أنفسهم ما كانا تقاولاً من ذلك القول [2].

✓ ــ **المرحلة الخامسة: مرحلة التَّعلم.**

---

[1] ــ ينظر: الزمخشري، الكشاف، مصدر سابق، ج3، ص222.

2 ــ ينظر: المقريزي أحمد بن علي بن عبد القادر، إمتاع الأسماع بما للنبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع، تح: محمد عبد الحميد النميسي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1999 م، ج1، ص216.

وتعتبر أهمُّ مرحلة إذ ركَّز عليها القرآن الكريم تركيزًا كبيرًا قصد استجلاء الدُّروس والعبر لأجل الاستفادة من الأزمة قدر الإمكان، وللتَّحذير من الوقوع في أمثالها في مستقبل الأيَّام.

كما تكْمُن أهمِّية هذه المرحلة في بناء خبرات من الدُّروس السَّابقة لضمان مستوى عالي من الجاهزية في المستقبل، وتتضمَّن هذه المرحلة دروسًا هامة رغم قساوتها في بعض الأحيان تتعلَّمها المنظمة من تلك الأزمات، وكذلك التَّعلم المستمر وإعادة التَّقويم ولتحسين ما تم إنجازه في الماضي رغم أنَّه مؤلم حيث ذكريات الماضي التي خلَّفتها الأزمة، فالأزمة مدرسة للتَّعلم [1].

وهذه المرحلة تدخل ضمن الفوائد المترتِّبة عن حدوث أزمة حادثة الإفك وهي بمنظور القرآن الكريم فوائد إيجابية كما يقول تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ۚ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ [النور: 11].

يقول عبد الكريم الخطيب: "هذا الحديث الآثم، وإن بدَا في ظاهره أنَّه شرٌّ تأذّت به النُّفوس الطَّاهرة، وضاقت به الصُّدور الكريمة؛ فإنَّه يحمل في طيّاته خيرًا كثيرًا، حين ينجلي هذا الدُّخان، ويتبدَّد هذا الضَّباب، فيسفر وجه الحقِّ، ويكشف عن آية من آيات الله، في الطّهر، والعفّة، والتصوّن.."[2].

فهذه الحادثة مع ما فيها من آلام شديدة، إلا أنَّها تركت وراءها العديد من الحكم الجليلة، والفوائد الكثيرة التي ينبغي على المسلم الاستفادة منها والتّعلم، وفيها تكمن الخيرية التي أشار الله إليها في الآية ومنها:

1) ــ إنَّ أزمة الإفك نابعة من داخل المجتمع المدني، وأخطر داء فيها زعزعة الثِّقة بقادتها ومصلحيها، وتوجيه النَّقد الهدَّام لهم، ومحاولة النَّيل من عرضهم وسمعتهم

[1] ــ ينظر: محمود جاد الله، إدارة الأزمات، مرجع سابق، ص 53.

[2] ــ الخطيب عبد الكريم، التفسير القرآني للقرآن، مصدر سابق، ج9، ص1231.

وكرامتهم، فأهل الإفك ليسوا من الأعداء الخارجين، وإنَّما هم في الظَّاهر عصبة من المؤمنين [1].

2) ــ أنَّ حكمة الله تعالى اقتضت أن يبزُغ الخير من ثنايا الشَّرِّ، والمنح من ثنايا المحن، وأن يميَّز الخبيث من الطَّيب،...فالأزمة كشفت عن المنافقين والمتربِّصين بالإسلام وبنبيِّه ﷺ، وافتضحت خطرهم، وأبانت مكرهم وخداعهم، يقول ابن عادل: "لولا إظهار الإفك كان يجوز أن يبقى الهَمُّ كامِنٌ في صدور البعض، وعند الإظهار انكشف كَذِب القوم"[2].

3) ــ إنَّ أزمة حادثة الإفك أفرزت لنا قوانين وقواعد تضمن لنا أسباب استقرار أمن البيوت والمجتمعات، كما أحرزت نُظمًا تكفل لنا المحافظة على أواصر المجتمع وتطهره من الرَّذائل والمنكرات، يقول سعيد حوى: "وهو خير لما فيه من الدُّروس والعبر الكثيرة، إذ حمى الله تعالى بسبب العبرة من هذه القصَّة ملايين الأعراض"[3].

4) ــ إنَّ السَّبب الرَّئيس في حدوث هذه الأزمة كان بسبب إطلاق الشَّائعات، وعدم التَّثبُّت في نقل الأخبار والأقوال من قبل مستقبلها، ونشرها دون تأكُّد من صحَّتها.

5) ــ إنَّ أمثال هذه الأزمة لا تزال تثار من حين لآخر، فالأمَّة الإسلامية لا زالت مستهدفة في رموزها ومقدَّساتها، وكلّ ما يتعلق بدينها، ولا تزال الحملات المغرضة توجِّه سهامها إلى الإسلام، أو القرآن، أو الطَّعن في السُّنَّة أو السُّخرية من النَّبي ﷺ، أو من أزواجه.... وذلك بتلفيق التُّهم ضدَّهم ورميهم في أعراضهم وفي أنفسهم، ولكنَّ الله يدافع عنهم، ويردُّ كيد أعدائهم في نحورهم، وما الرُّسوم الكاريكاتورية والأفلام الكارتونية التي سخِرت من الرَّسول ﷺ

---

1 ــ الزحيلي، التفسير المنير، مصدر سابق، ج18، ص190.

2 ــ ابن عادل عمر بن علي، اللباب في علوم الكتاب، تح: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1998م، ج14، ص320.

3 ــ حوى سعيد، الأساس في التفسير، ط1، دار السلام، القاهرة، 1985م، ج7، ص3713.

ومن التَّعاليم التي جاء بها كالحجاب وغيره عنَّا ببعيدٍ ﴿ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ ﴿٩٥﴾ ﴾ [الحجر: 95]، ولذا كان من الضَّروري التَّعلم من هذه الأزمة قصد اجتناب ما شابهها في مستقبل الأيَّام.

6) ــ اتَّضح من الأزمة أنَّ الوحي الإلهي ليس شعورًا نفسيًّا ينبثق من كيان النَّبي ﷺ كما أنَّه ليس شيئًا خاضعًا لإرادته أو تطلُّعه وأمنياته؛ إذ لو كان كذلك، لكان من السَّهل عليه أن يُنهي هذه المشكلة من يوم ميلادها ويريح نفسه من ذيولها ونتائجها... فماذا كان يمنعه- لو أنَّ أمر القرآن إليه- أن يتقوَّل هذه الكلمات الحاسمة من قبلُ لِيحمي بها عِرضه ويذبّ بها عن عرينه وينسبها إلى الوحي السَّماوي، لتنقطع ألسنة المتخرّصين؟ ولكنَّه ما كان ليذر الكذب على النَّاس ويكذب على الله ﴿ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾ [الحاقة: 44 – 47] [1].

7) ــ إنَّ معالجة النَّبي ﷺ للأزمة التي افتعلها عبد الله بن أبيّ بن سلول واستغلها أتباعه تدلُّنا على مدى سعة أخلاقه ﷺ في التَّحلِّي بالصَّبر والجلَد وكظم الغيظ... وعن مدى حكمة تعامله في الحفاظ على الجبهة الدَّاخلية وبالشَّكل الذي رأيناه، وعلى مدى ما قد آتاه الله من براعة فائقة في سياسة الأمور، وتربية النَّاس، والتَّغلب على مشاكلهم، ومشاورتهم في قضاياه الدَّاخلية والخارجية، يقول تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾ [الأحزاب: 21].

8) ــ إنَّ من أنجع الوسائل لمحاربة الإشاعات الكاذبة، أنْ يُحسن المجتمع الواحد الظَّنَّ ببعضهم البعض، وأن يكتموا هذه الإشاعات حتَّى تموت في مهدها، وأن

---

[1] ــ ينظر: البوطي محمد سعيد رمضان، فقه السيرة النبوية مع موجز لتاريخ الخلافة الراشدة، مرجع سابق، ص:210.

يزجروا من يتفوَّه بها، أو من يعمل على ترويجها، وأن يظهروا له احتقارهم، ونفورهم من مجرَّد سماعها [1].

ـ المطلب الثاني: بيان منهج القرآن الكريم في التعامل مع أمثال هذه الأزمات.

لقد سلك القرآن الكريم طريقًا واضحًا في علاج أزمة حادثة الإفك، ووضع أطُرًا ومعالم قصد التَّغلب عليها، والخروج منها في أسرع وقت ودون خسائر تُذكر ومن هذه المعالم التي بيَّنها ما يأتي:

✓ ــ أولا: محاربة الشَّائعات:

حدَّد القرآن الكريم طريقة التَّعامل مع الشَّائعات في أربع نقاط استُنبط أغلبها من أزمة حادثة الإفك، والتي رسمت منهجًا للأمَّة في طريقة تعاملها مع أيَّة شائعة إلى قيام السَّاعة، وذلك فيما يأتي:

1) ــ وجوب حسن الظَّنِّ بالخير بين أنفس المؤمنين بعضهم ببعض حال وقوع الشَّائعة، مصداقًا لقوله تعالى: ﴿ لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴿١٢﴾ ﴾ [النور: 12].والآية تشتمل على تأكيد التَّوبيخ؛ لأنَّ مقتضى الإيمان الظَّنُّ بالمؤمن خيرًا، وذبُّ الطَّاعنين فيه فمن ترك هذا الظَّنَّ والذَّبَّ فقد ترك العمل بمقتضى الإيمان، والمراد بأنفسهم أبناء جنسهم النَّازلون منـــزلة أنفسهم، كقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ﴾ [النساء: 29]، وقوله: ﴿ وَلَا تَلْمِزُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ﴾ [الحجرات: 11] [2].

2) ــ أن يطلب المؤمن الدَّليل البرهاني على أيَّة شائعة يسمعها، وفي حال عدم استكمال شروط إثبات الشَّائعة فلينسبها إلى الكذب والاختلاق، مصداقًا لقوله تعالى: ﴿ لَّوْلَا جَآءُو عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ ۚ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا۟ بِٱلشُّهَدَآءِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ عِندَ ٱللَّهِ هُمُ

---

[1] ــ ينظر: طنطاوي، التفسير الوسيط، مصدر سابق، ج10، ص105.

[2] ــ ينظر: أبو السعود، إرشاد العقل السليم، مصدر سابق، ج6، ص161.

ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿١٣﴾ ﴾ [النور: 13]، يقول الزمخشري: "وهذا توبيخ وتعنيف للذين سمعوا الإفك فلم يجِدُّوا في دفعه وإنكاره، واحتجاج عليهم بما هو ظاهر مكشوف في الشَّرع من وجوب تكذيب القاذف بغير بيِّنة، والتَّنكيل به إذا قذف امرأة محصنة من عرض نساء المسلمين، فكيف بأمّ المؤمنين الصدّيقة بنت الصدّيق، حرمة رسول الله ﷺ، وحبيبة حبيب الله؟"[1].

3) ــ وفي حال قطعيَّة وقوع الشَّائعة، فالأَوْلى للمؤمن أن لا يحدِّث عنها فضلاً عن أن ينشرها، فالواجب عليه أن يقضي عليها في مهدها بعدم ترويجها، لأنَّ مصلحة الأمَّة تكمن في عدم إشاعتها، قال تعالى: ﴿ وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن تَتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾ ﴾ [النور: 16]. فالآية توجِّه المؤمنين إلى الموقف الذي كان ينبغي أن يقفوه من هذه الفتنة، وتلقين لهم بالكلمة التي كان يجب أن يلقوا بها هذا البهتان العظيم.

فليس للمؤمن إلا موقف واحد من هذا الحديث، وهو إنكاره، وبهت المتحدِّثين به، ووضعهم موضع التُّهمة بالكذب والافتراء.. [2].

4) ــ أن يُرد الأمر إلى أُولي الأمر ولا يشيعه بين النَّاس أبدًا، وهذه قاعدة هامَّة في كل الأخبار المهمَّة والتي لها انعكاساتها على المجتمع، مصداقًا لقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُوا۟ بِهِۦ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ۗ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٣﴾ ﴾ [النساء: 83]، وفي الآية إنكار على من يبادر إلى الأمور قبل تحقُّقها فيخبر بها ويُفشيها وينشرها، وقد لا يكون لها صحَّة، وقد

---

[1] ــ الزمخشري، الكشاف، مصدر سابق، ج3، ص218.

[2] ــ ينظر: الخطيب عبد الكريم، التفسير القرآني للقرآن، مصدر سابق، ج9، ص1245.

روي عن النبي ﷺ أنه قال: «كَفَى بِالْمَرْءِ كَذِبًا أَنْ يُحَدِّثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ» [1]، [2].

✓ ــ **ثانيا: وجوب التَّحلي بأخلاقيات مهمَّة أثناء الأزمة.**

وهذا ظاهر في الآيات المتحدِّثة عن الإفك، ومثال ذلك مجيء حرف "لولا" الذي يفيد التَّحضيض وهي بمعنى: هَلاَّ، وذلك كثير في القرآن الكريم إذا كانت تلي الفعل كقوله: «لَوْلاَ أَخَّرْتَنِي" وقوله: «فَلَوْلاَ كَانَتْ»،[3] ومن ذلك:

1) – خلق تكذيب القائلين بالإفك: يربِّي القرآن الكريم في نفوس المؤمنين حسن الظن ببعضهم البعض ونبذ قالة السُّوء التي تهتك أعراضهم فتفقدهم الثِّقة فيما بينهم، يقول تعالى: ﴿ لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴿١٢﴾ ﴾ [النور: 12]، ففي الآية تنبيه على أنَّ حق المؤمن إذا سمع قالةً في أخيه، أن يقول بملء فيه بناء على ظنِّه بالمؤمن الخير: هذا إِفْكٌ مُبِينٌ هكذا بلفظ المصرِّح ببراءة ساحته؛ كما يقول المستيقن المطَّلع على حقيقة الحال، وهذا من الأدب الحسن الذي قلَّ القائم به والحافظ له[4].

2) – خلق التَّثبت من الأقوال قبل نشرها، والتَّأكد من صحتها: قال تعالى: ﴿ وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾ ﴾ [النور: 16]، "وقد كان على هذا الخلق العالي الذي دعا إليه القرآن كان عليه أَصحاب القلوب الصَّافية، والعقول الوضيئة، والحسِّ المرهف، فعن سعيد بن جبير أَن سعد بن معاذ لـــمَّا سمع ما قيل في أَمر عائشة رضي الله عنها قال: {سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ}، وعن سعيد بن المسيب أَنَّه قال: كان رجلان من أَصحاب النَّبي ﷺ إذا سمعَا شيئًا من ذلك قالاَ ما ذكر، وهما أُسامة بن زيد بن حارثة،

---

[1] ــ مسلم، صحيح مسلم، مصدر سابق، كتاب مقدمة الإمام مسلم، بَابُ النَّهْيِ عَنِ الْحَدِيثِ بِكُلِّ مَا سَمِعَ، ج1، ص10.

[2] ــ ينظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، مصدر سابق، ج2، ص322.

[3] ــ ينظر: ابن عادل، اللباب في علوم الكتاب، مصدر سابق، ج14، ص320.

[4] ــ ينظر: الزمخشري، الكشاف، مصدر سابق، ج3، ص218.

وأبو أَيوب الأَنصاري رضي الله عنهما، أَخرج ابن مردويه عن عائشة ﵂ قالت: إنَّ امرأَة أبي أَيوب الأَنصاري قالت له: يا أَبا أَيوب أَلا تسمع ما تَحَدَّثَ به النَّاس؟ فقال: ما يكون لنا أَن نتكلَّم بهذا سبحانك هذا بهتان عظيم، ومثل ذلك قال غيرهم، وحقَّ لهم أنْ يقولوا ذلك، فإِنَّه لا يجوز عقلًا أَن يختار الله لرسوله امرأَة فاجرة، فإنَّ ذلك ينفر عن اتباعه، ويخل بحكمة البعثة"[1].

3) ــ خلق تمحيص الكلام قبل التَّفوه به: إنَّ وزن الكلام قبل النُّطق به، والنَّظر فيما يحدثه في النَّاس وما تؤول إليه الأمور جرَّاء إطلاقه، أمر يجعل من خلق المؤمن أن يتحرَّز عن كلِّ ما يتلفَّظ به لأنَّه يعتقد أنَّ لديه رقيبًا عتيدًا، فرُبَّ كلمة يتفوَّه بها المرء ولا يلقي لها بالاً فتحدث حروبًا وأزمات، ففي أزمة الإفك يعاتب الله تعالى كلّ من يسبق لسانُه قلبَه وفكرَه قائلاً لهم: ﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾﴾ [النور: 15]، يقول ابن عاشور مفسِّرا للآية: "وفي هذا من الأدب الأخلاقي أنَّ المرء لا يقول بلسانه إلا ما يعلمه، ويتحقَّقه"[2].

4) – خلق كُره الفاحشة وإشاعتها: إنَّ صاحب الفطرة السَّوية لا يجتمع في قلبه خلق العفَّة مع حبُّ الفاحشة، ولا تجتمع في نفسه الطُّهر والفسوق، فالمؤمن حبَّب الله إليه العفَّة والطُّهر، وكرَّه إليه الفسوق والفاحشة، وقد رتّب الله على الذين يحبُّون الرَّذيلة ويسعون في نشرها بالعذاب الأليم في الدُّنيا والآخرة فقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾﴾ [النور: 19].

5) ــ خلق التَّسامح والعفو ونبذ الشَّحناء والبغضاء الناتج عن فعل الأزمة:

---

[1] ــ مجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، ط1، الناشر: الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، 1993 م، ج6، ص1380.

[2] ــ ابن عاشور، التحرير والتنوير، مصدر سابق، ج18، ص177

من الآثار السِّلبية التي تتركها بعض الأزمات الاجتماعية على مستوى الأفراد والجماعات الأحقاد والضَّغائن، ونجد هذا واضحًا في ما خلفته أزمة الإفك حيث قطع أبو بكر الصِّديق ﷺ النَّفقة عن ابن خالته مسطح بسبب انتهاك حرمة ابنته عائشة ﷺ: قال تعالى: ﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓاْ أُوْلِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾ ﴾ [النور: 22]، "وفي هذه الآية دليل على النَّفقة على القريب، وأنَّه لا تُترك النَّفقة والإحسان بمعصيَّة الإنسان، والحثّ على العفو والصفح، ولو جرى عليه ما جرى من أهل الجرائم"[1].

✓ ــ ثالثا: وجوب استشعار فضائل الله على عباده خصوصًا أثناء الأزمات:

إنَّ من تمام التَّنفيس على القلوب وتفريج همومها وغمومها أثناء الأزمات أن يستشعر الإنسان دائمًا رحمات الله وفضائله، ففي هذه الأزمة التي انتُهك فيها عرض رسول الله ﷺ وهو أمر عظيم عند الله ﴿ وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ ﴾ [النور: 15]، فلولا لطف الله بعباده بإنزال هذه الآيات البيِّنات، وإمهالهم للتَّوبة، ورحمته في الآخرة بالعفو عنهم بعد التَّوبة... لعجَّل لهم العقوبة ولمسَّهم بالعذاب العظيم في الدُّنيا والآخرة.

ففي هذا تسلية للقلوب وطمأنينة لها، ببيان جانب من مظاهر فضل الله تعالى ورحمته بعباده المؤمنين، الذين سبقتهم ألسنتهم بالخوض في عرض رسول الله ﷺ، أو في سماعه.. ثم تابوا بعد ذلك ممَّا وقعوا فيه، ومن تجليات هذه الفضائل العظام قوله تعالى:

- ــ ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِى مَآ أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٤﴾ ﴾ [النور: 14].
- ــ ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٠﴾ ﴾ [النور: 20].
- ــ ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢١﴾ ﴾ [النور: 21].

---

[1] ــ السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، مصدر سابق، ج1، ص563.

كما أنَّ من فضائل الله ﷻ ومِنَنه على عباده المؤمنين، غِيرَته تعالى عليهم، والدِّفاع عنهم، وتوعُّد من رماهم بالفاحشة باللَّعنة في الدُّنيا والآخرة، فقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْغَٰفِلَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ لُعِنُوا۟ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ ﴿٢٥﴾ ﴾ [النور: 23 – 25].

✓ ــ **رابعا: اجتثاث الأزمة من أصولها، والسَّعي إلى محو آثارها.**

1- اجتثاث الأزمة من أصولها: وذلك بتطبيق عقوبات زاجرة منها:

أ- تطبيق حدِّ القذف: وذلك بجلد من وقع في عرض عائشة ﵂ ثمانين جلدة مصداقًا لقوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا۟ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجْلِدُوهُمْ ثَمَٰنِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا۟ لَهُمْ شَهَٰدَةً أَبَدًا ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٤﴾ ﴾ [النور: 4].

ب- توعَّد أصحاب الإشاعة بالعذاب: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾ ﴾ [النور: 19]، وقوله: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْغَٰفِلَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ لُعِنُوا۟ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ ﴾ [النور: 23].

ت- التَّحذير من العودة إلى الإفك أبدًا: أنهى الله ﷻ هذا الملف وأغلقه إلى الأبد، فلا يمكن لمن يدَّعي الإيمان أن يعود إليه، أو ينقب فيه، مصداقًا لقوله تعالى: ﴿ يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُوا۟ لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾ ﴾ [النور: 17]، وقد حذر الله المؤمنين تحذيرًا شديدًا، عن مغبَّة الوقوع مرَّة أخرى فيما وقع فيه بعضهم من الخوض في حديث الإفك، وفيما يشبهه من أحداث، وبيان أنَّ ما حدث من بعضهم يتنافى مع ما يقتضيه الإيمان، ومع آداب الإسلام[1].

2- السَّعي إلى محو آثار الأزمة.

---

[1] ــ طنطاوي، التفسير الوسيط، مصدر سابق، ج10، ص106.

عمل القرآن الكريم على رأب كلِّ ما تصدَّع من جرَّاء الأزمة فعَمَدَ إلى:

أ- إرجاع الحقوق إلى أصحابها: وجَّه القرآن الكريم النِّداء لأهل الفضل والإحسان إلى الأخذ بمبدإ العفو والصلح وذلك بأن يرجعوا الحقوق والمستحقَّات التي كانوا يجودون بها قبل الأزمة على أقربائهم من الفقراء والمساكين والذين شاركوا في حديث الإفك بالقول، أو بالسماع، أو بالرِّضا به... وخاصَّة وأنَّهم قد تابوا وندموا على ما وقع منهم، ندمًا يدلُّ على حسن توبتهم، كاعترافهم بخطئهم واعتذارهم عمَّا صدر منهم، أو بإقامة الحدِّ عليهم، يقول تعالى: ﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓاْ أُوْلِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾ ﴾ [النور: 22].

ب- ردُّ سمعة من قُذفوا بأفضل مما كانت عليه قبل الأزمة:

ومن تمام محو آثار الأزمة تكريم السيِّدة عائشة رضي الله عنها تكريمًا يظلُّ ملازمًا لها إلى أن يرث الله عزَّ وجلَّ الأرض ومن عليها. فقد برَّأها سبحانه مما افتراه عليها المفترون، وشهد بحصانتها وغفلتها عن السُّوء، وقوَّة إيمانها، وطيب عنصرها، وأنزل في شأنها قرآنا يتلى إلى يوم القيامة، ويكفيها فخرًا قوله تعالى: ﴿ وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ ۖ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٢٦﴾ ﴾ [النور: 26] [1].

ت- الرَّفع من معنويات الذين تأثروا بفعل الأزمة:

لا شك أنَّ الكثير من الصَّحابة رضوان الله تعالى عليهم لم يتقبَّلوا تلك القالة التي ألصقت بزوج نبيِّهم ﷺ وبنتِ أجلّ أصحابهم، وخاصَّة ممن كان ملصقًا بدائرة التُّهمة، فبعد أن نزلت براءة عائشة، نزل معها ما يرفع من معنويات هؤلاء الذين تضرَّروا بفعل الأزمة كقوله تعالى: ﴿ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾ ﴾ [النور: 22].

---

[1] ــ ينظر: طنطاوي، التفسير الوسيط، مصدر سابق، ج10، ص 107.

كما نجد أنَّ الآيات التي نزلت عقب هذه الأزمة قد أشْفَت غيظ هؤلاء المتأثِّرين بها، بما أنزله الله على الذين تجرَّؤوا بتلفُّظ تلك المقولة الكاذبة من أصناف العقوبات الدنيوية والأخروية وبما وصفهم بأقبح الأوصاف والنُّعوت، قال تعالى: ﴿ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٤﴾ وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ ۗ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٥﴾ ﴾ [التوبة: 14 – 15].

✓ ــ **خامسا: التعامل مع مفتعلي الأزمة بمنهج القرآن الكريم.**

أ- القرآن يهدف للإصلاح دون التَّشهير: بالرغم أنَّ الذين جاءوا بالإفك جاءوا بأمر عظيم، واتَّهموا شخصيَّة عظيمة، وأربكوا نفوسًا عظيمة.....إلاَّ أنَّ القرآن الكريم حكيم في علاجه إذ لم يقابل تشهيرَهم وإشاعتَهم، بتشهيرِ أسمائهم وإشاعتها بجعل ذلك قرآنًا يتلى إلى يوم القيامة، فأَبْهم القرآن القذفة والمقذفون؛ بل وحتَّى الذي تولَّى كبره، والسَّبب ــ والله أعلم ــ في إبهام القرآن الكريم جميع هذه الأسماء رغم أهمِّية معرفتنا لها ما يأتي:

- ــ لأنَّ العبرة تكمن في المنقول لا في النَّاقل، فالذي عظُم عند الله ﷻ هو المحكي من القول بغض النَّظر عن قائله.
- ــ أراد القرآن من إبهام هذه الأسماء بأن يجعل نصوصه دائمة الاستفادة منها، وقابلةً لتطبيق أحكامها في كلِّ زمان ومكان، فهي غير محصورة في أشخاص أو أزمنة أو أمكنة معيَّنة.
- ــ ربَّما علم الله ﷻ أنَّ بعضًا من القذفة سيتوبون إليه ويرجعون كمثل مسطح وحسان وغيرهما، فلو ذكرت أسماؤهم ما حصل لهم ذلك.
- ــ القرآن الكريم لا يرى ضرورة إلى ذكر الأسماء؛ لأنَّ هدفه ومقصده لا يقتضيه، فلو كان لذَكَرَها، بل مقتضاه معالجة الأزمة ومثيلاتها إلى الأبد.

ب- القرآن الكريم ينوِّع في أسلوبه مع مفتعلي الأزمة:

إنَّ أسلوب القرآن الكريم حِيال المتسبِّبين في الأزمة دقيق ومتنوِّع، إذ يدلُّ على ذلك جزالة ألفاظه، وتنويع خطابه، وإيجاز عباراته، ودقَّة فواصل آياته... وهذا مناسب للمقام فمن ذلك مثلاً:

- ــ استخدام أسلوب التَّهييج والإلهاب: ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾﴾ [النور: 17].
- ــ كثرة صيَغ المبالغة مثل: فعول، وفعّال، وفعيل.. وخاصَّة ما جاء في فواصل الآيات: مثل قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٠﴾﴾ [النور: 20].
- – حذف جواب "لَوْلاَ" للتَّهويل كما في قوله: ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٠﴾﴾ [النور: 20]، وذلك حتَّى يذهب العقل في تقديره كلَّ مذهب فيكون أبلغ في البيان وأبعد في التَّهويل والزَّجر.
- – استعمال أسلوب الالتفات من الخطاب إلى الغيبة ﴿ لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا ﴾ [النور: 12]، والأصل أن يقال ظننتم وإنَّما عدل عنه مبالغة في التَّوبيخ وإشعاراً بأنَّ الإيمان يقتضي ظنَّ الخير بالمؤمنين.
- – المجيء بأسلوب التَّحضيض مثل قوله: ﴿ لَّوْلَا جَآءُو عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ ﴾ [النور: 13]، أي: هلاَّ جاءوا، وغرضُه التَّوبيخ واللَّوم.
- – إيراد أسلوب التَّعجب مثل قوله: ﴿ سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾﴾ [النور: 16]، ففيه تعجُّب ممَّن يقول ذلك والأصل في ذكر هذه الكلمة {سُبْحَانَكَ} أن يُسبَّح الله تعالى عند رؤية العجيب من صنائعه، تنـــزيهاً له من أن يخرج مثله عن قدرته ثمَّ كثر حتى استعمل في كل متعجَّب منه.
- ــ ذكر الإيجاز بالحذف: كقوله تعالى: ﴿ أَن يُؤْتُوٓاْ ﴾ [النور: 22]، أي: ألاَّ يؤتوا، حذفت منه (لا) لدلالة المعنى [1].

[1] ــ ينظر هذه الأساليب في تفسير: الصابوني محمد علي، صفوة التفاسير، ط1، الناشر: دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 1997 م، ج2، ص302. وينظر: الزحيلي، التفسير المنير، مصدر سابق، ج18، 169.

الفصل الثالث: منهج القرآن الكريم في إدارة الأزمة الاقتصادية
ــ سورة يوسف نموذجاــ

المبحث الأول: سورة يوسف عليه السلام، والأزمة الاقتصادية.

المبحث الثاني: الأزمة الاقتصادية زمن يوسف عليه السلام: مراحلها، وإدارتها.

المبحث الثالث: السِّمات الشَّخصيَّة اللَّازمة لقائد الأزمة، ومقوِّمات نجاح إدارة الأزمة.

الفصل الثالث: منهج القرآن الكريم في إدارة الأزمة الاقتصادية

ـــ سورة يوسف نموذجاـــ

يتناول هذا الفصل نموذجًا من نماذج إدارة الأزمة الاقتصادية في القرآن الكريم، وقد اختار الباحث الأزمة التي حدثت في مصر زمن يوسف عليه السلام، إذ سجَّلها القرآن الكريم مبيِّنا مراحلها، وطرق علاجها، وكيفيَّة التَّغلب عليها، كما تضمَّنت دروسًا وفوائد وعبر جليلة للأفراد والمجتمعات والدُّول يستفيدون منها في علاج أزماتهم التي تحلُّ بهم من حين لآخر ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾ ﴾ [يوسف: 111].

ومن جهة أخرى فقد أظهر القرآن الكريم مواصفات القيادة الحكيمة والمتمثِّلة في الشَّخصيَّة اليوسفيَّة، كما أبان عن قدرته على وضع الخطط قبل حلول الأزمة، وكيفية إدارتها أثناء حلولها... فيكون بذلك عليه السلام أوَّل من وضع الأسس المثلى لإدارة الأزمة الاقتصادية.

ومن المعلوم أنَّ الأزمات الاقتصادية التي تضرب الأفراد والمجتمعات والدُّول تعتبر من أخطر الأزمات وأفْتَكها؛ لأنَّها تمسُّ جانب الضَّروريات من حياة الإنسان من مأكل ومشرب وملبس ومسكن... فالاقتصاد يعبَّر عنه بأنَّه شريان الحياة؛ وبل هو الحياة لأنَّ غيره قائم عليها كما قال تعالى: ﴿ وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا ﴾ [النساء: 5]، كما أنَّ لها انعكاسات خطيرة على الصَّعيد الأمني، والاجتماعي، والسِّياسي، والعسكري... وحتى الإقليمي في حال عدم التَّمكن من إدارتها أحسن إدارة، كما أنَّ تفاقم الأزمة الاقتصادية، أو الفشل في علاجها، لينتج عنها كوارث وخسائر في الأموال والأرواح كما نشاهد ذلك حاليًّا في الكثير من الدُّول النَّامية.

ومن هنا فإنَّ حساسية الأزمات الاقتصادية تحتاج في علاجها إلى جهود جبَّارة، يشترك فيها النَّاس جميعًا كما تشترك فيها القيادة المسؤولة، زيادةً على ذلك أنَّها تجمع العديد من العلوم والمعارف، والخبرات المختلفة، والطَّاقات المتعدِّدة لمواجهتها كما الشَّأن في إدارة يوسف عليه السلام للأزمة الاقتصادية كما سيأتي.

المبحث الأول: سورة يوسف عليه السلام، والأزمة الاقتصادية:

المطلب الأول: مدخل تعريفي بسورة يوسف عليه السلام، وبيان الوضع الاقتصادي في زمنه عليه السلام:

✓ ــ الفرع الأول: مدخل تعريفي بسورة يوسف عليه السلام:

- ــ الاسم الوحيد لهذه السُّورة هو الاسم الموجود في المصاحف و لم يعرف تسمية أخرى لها، بخلاف الكثير من السُّور فقد سمِّيت بمسمَّيات عدَّة كسورة التَّوبة سمِّيت ببراءة وبالفاضحة...

ووجه تسميتها ظاهر؛ لأنَّ السُّورة اشتملت بأكلمها على ذكر قصَّة يوسف عليه السلام، و لم تُذكر قصَّته في غيرها، إلا على سبيل الاكتفاء بذكر تسمية هذا النَّبي عليه السلام في سورة الأنعام [الآية: 84]، وفي غافر [الآية: 34].

وهي مكِّية على القول الذي لا ينبغي الالتفات إلى غيره، وقد قيل: إنَّ الآيات الثَّلاث من أوَّلها مدنية. وهذا القول واه لا يلتفت إليه.

وكان نزولها بعد سورة هود، وقبل سورة الحجر.

وقد كان ترتيبها في المصحف بعد سورة يونس وهود وهو التَّرتيب الذي يوافق ترتيب النـــزول.

وهي السُّورة الثالثة والخمسون في ترتيب نزول السُّور على قول الجمهور.

وعدد آيها مائة وإحدى عشرة آية باتِّفاق أصحاب العدد في الأمصار [1].

ومن الموافقات: "أن رقم السُّورة والجزء الذي هي فيه يناظر عدد أبناء يعقوب، وعدد الآيات يلمح إلى ذلك، فهي إحدى عشر آية بعدد إخوة يوسف ومائة آية... والقصَّة

---

1 ــ ينظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، مصدر سابق، ج9، ص118. وينظر: أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، مصدر سابق، ج6، ص: 234. وينظر: السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، مصدر سابق، ج1، ص59، و ص97. وينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، مصدر سابق، ج12، ص ص: 196 ــ197.

الكريمة تستغرق من السُّورة مائة آية وآية واحدة. ويستغرق التَّعليق عليها بقية الآيات، وهي عشرة كاملة"[1].

- ــ وفيما يتعلَّق بسبب نزول السورة:

فإنَّ المفسِّرين يذكرون في تفاسيرهم أسبابًا مختلفة لنـــزول هذه السُّورة، ولعلَّ الذي دفعهم إلى القول بأنَّ هذه السُّورة نزلت لسبب معيَّن هو: كون سورة يوسف عليه السلام ذكرت في صدرها أنَّ هناك سائلين عن قصَّة يوسف وإخوته، فأجابتهم السُّورة: ﴿لَّقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِۦٓ ءَايَٰتٌ لِّلسَّآئِلِينَ ۝٧﴾ [يوسف: 7].

ومن هنا فإنَّ المفسِّرين رووا عدَّة روايات عن بني إسرائيل أنَّهم سألوا رسول الله ﷺ عن قصَّة يوسف من ذلك على سبيل المثال لا الحصر:

1) ــ ما رواه الضحَّاك عن ابن عباس قال: "سألت اليهود النَّبي ﷺ فقالوا: حدِّثنا عن أمر يعقوب وولده وشأن يوسف فأنزل الله عز وجل: ﴿الٓر ۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ۝١﴾ [يوسف: 1]"[2].

2) ــ "أنَّ كفَّار مكَّة أمرتهم اليهود أن يسألوا رسول ﷺ عن السَّبب الذي أحلَّ بني إسرائيل بمصر فنـــزلت"ــ يعني سورة يوسف ــ [3].

3) ــ أنَّ جماعة من اليهود جاءوا مكَّة وسألوا النَّبي ﷺ سؤال امتحان عن نبيٍّ كان بالشَّام أخرج ابنه إلى مصر فبكى عليه حتَّى عُمِي؟ فأنزل الله تعالى عليه سورة يوسف جملةً واحدةً كما في التَّوراة [4].

---

1 ــ نوفل أحمد، سورة يوسف دراسة تحليلية ط1، دار الفرقان، الأردن، 1989م، ص25.

2 ــ الخازن علي بن محمد، لباب التأويل في معاني التنزيل، تح: محمد علي شاهين، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1415هـــ، ج2، ص510. والشربيني الخطيب محمد بن أحمد، السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير، دار: مطبعة البولاق، القاهرة، ج2، ص87.

3 ــ الألوسي، روح المعاني، مصدر سابق، ج6، ص362. وأبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، مصدر سابق، ج6، ص234.

4 ــ ينظر: النحاس أحمد بن محمد، إعراب القرآن، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1421هـــ، ج2، ص ص: 192 ــ 193. وينظر: القنوجي محمد صديق خان بن حسن، فتحُ البيان في مقاصد القرآن، د. ط، المكتبة العصرية، بيروت، 1992م، ج6، ص292.

يقول أحمد نوفل: وهذه الرَّوايات أغلبها لا يصح، والمعوَّل عليه ما في النَّصِّ القرآني من عموم أنَّ في سورة يوسف آيات لكلِّ السَّائلين عن العبر في حكايات من غَبر، وللباحثين عن الحكمة والسنة في أخبار الماضين، ولمن يتطلَّعون في الكون والأنفس والخلق يبحثون عن حكمة الله وعلمه وتقديره من خلال تفكُّرهم ونظرهم وسؤالهم عن الحكمة والعبرة [1].

إذا فكل هذه الرِّوايات وغيرها ليست بالضَّرورة أن تكون سببًا لنـــزول السُّورة، علمًا أنَّ كثيرًا من السُّور نزلت ابتداء بدون سبب نزول. وهذا الذي يجعلنا نركن إليه أن سبب نزول السُّورة هو ما كان يعيشه النَّبي ﷺ في خضمِّ الأزمات والشَّدائد التي مرَّت به وهو محاصر في شعاب مكَّة، ثمَّ وفاة زوجه خديجة رضي الله عنها، وقبلها عمُّه أبو طالب... وهذا كان أنسب لنـــزول سورة يوسف عليه السلام لاشتراكهما، وتقابلهما في كثير من الحوادث والأزمات التي مرَّت بهذين النَّبيَّيْن عليهما السَّلام، وفي هذا تسلية للنَّبي ﷺ وتثبيت لقلبه كما قال تعالى: ﴿ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَۚ وَجَآءَكَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٠﴾ ﴾ [هود: 120].

يقول سيد قطب في مستهلِّ تفسيره لهذه السُّورة ما نصُّه: "هذه السُّورة مكِّية، نزلت بعد سورة هود، في تلك الفترة الحرجة... بين عام الحزن بموت أبي طالب وخديجة سندَي رسول الله ﷺ، وبين بيعة العقبة الأولى، ثمَّ الثَّانية التي جعل الله فيهما لرسول الله ﷺ وللعصبة المسلمة معه وللدعوة الإسلامية فرجًا ومخرجًا بالهجرة إلى المدينة.. وعلى هذا فالسُّورة واحدة من السُّور التي نزلت في تلك الفترة الحرجة في تاريخ الدَّعوة وفي حياة الرَّسول ﷺ والعُصبة المسلمة معه في مكة.."[2].

- ـــ أما عن سرِّ مجيء قصَّة يوسف دفعةً واحدةً، ولم تتكرَّر في السُّور كما في غيره من القصص فيجيب الخطيب عن هذا بقوله: "ويلاحظ أنّ قصّة يوسف ـــ على خلاف القصص القرآني كلّه- جاءت في معرض واحد، لم يُذكر معها غيرها من قصص الأنبياء، ولم تُذكر هي في معرض آخر، ولم يُجر عن يوسف حديث في

1 ـــ ينظر: نوفل أحمد سورة يوسف دراسة تحليلية، مرجع سابق، ص ص: 25 ـــ 26.

2 ـــ سيد قطب، في ظلال القرآن، مصدر سابق، ج4، ص1949.

غير هذه السُّورة، اللَّهم إلاَّ أن يذكر اسمه مع جماعة الأنبياء، ذكرًا لا يراد منه إلَّا تعداد أسمائهم، أو مجرَّد الإشارة إلى قصَّته، للعبرة والعظة!.

ولعلّ الحكمة في هذا هي أنَّ هذه القصَّة تعتبر حدثًا واحدًا، هو رحلة عبر الزمن، للإنسان من مولده إلى مماته، وعلى طريق هذه الرِّحلة تقوم سدود، وتهبّ أعاصير، ولكن يد اللُّطف والقدرة تبلغ بهذا الإنسان مأمنه، وتخرجه من تلك التجربة التي عانى فيها الشَّدائد والأهوال- جوهرًا صافيًا، وإنسانًا عظيمًا يمسك بكلتا يديه خير الدُّنيا والآخرة جميعًا..

ومن جهة أخرى، فإنَّ القصَّة وقد اصطبغت من أولها بلون الدَّم ثم كان ختامها الأمن والسَّلامة- فقد كان مما يتَّفق وتطلُّعات النُّفوس أن تجيء القصّة هكذا كيانًا واحدًا يجمع بين بدئها وختامها...."[1].

- ــ أمّا يوسف عليه السلام فهو كما جاء في الحديث النَّبوي الشَّريف: «الكَرِيمُ، ابْنُ الكَرِيمِ، ابْنِ الكَرِيمِ، ابْنِ الكَرِيمِ يُوسُفُ بْنُ يَعْقُوبَ بْنِ إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِمُ السَّلاَمُ»[2].

وقد عاش يوسف عليه السلام بعد أن بيع في مصر في فترة حكم الملوك وليس في فترة حكم الفراعنة بدليل قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ﴾ [يوسف: 54]، فالقرآن سمَّى الحاكم ملكًا ولم يسمِّه فرعون؛ لأنَّ هذا الملك لم يكن من الفراعنة (ملوك مصر القبط)، وإنَّما كان ملكًا لمصر أيَّام حكمها (الهكسوس)، وهم العمالقة، وهم من الكنعانيين، أو من العرب، ويعبِّر عنهم مؤرِّخو الإغريق بملوك الرُّعاة، أي: البدو، وقد ملكوا مصر من عام 1900 إلى عام 1525 قبل ميلاد المسيح عليه السلام [3].

---

1 ــ الخطيب عبد الكريم، التفسير القرآني للقرآن، مصدر سابق، ج7، ص ص: 51 ــ 52.

2 ــ البخاري، الجامع الصحيح، كتاب أحاديث الأنبياء، بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالى: {لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِلسَّائِلِينَ} [يوسف: 7]، ج4، ص151، رقم الحديث: 3390.

3 ــ ينظر: سيد قطب، في ظلال القرآن، مصدر سابق، ج4، ص1960. وينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، مصدر سابق، ج12، ص280.

✓ ــ **الفرع الثاني: بيان الوضع الاقتصادي زمن يوسف عليه السلام:**

في مجال البحث عن معرفة منهج القرآن الكريم في إدارته للأزمة الاقتصادية حيث تمّ اختيار سورة يوسف عليه السلام أنموذجًا لعدة أسباب كما سيأتي، حريٌّ بنَا أوّلاً أن نبيِّن الوضع الاقتصادي الذي كانت تعيشه مصر والدُّول المجاورة آنذاك، وخاصَّة وأنَّ السُّورة الكريمة لمّحت وأشارت إلى هذا، حتَّى تضعنا على الخطِّ، وتكتمل عندنا الصُّورة، وتكون الدِّراسة شاملة من جميع النَّواحي والجوانب.

فالإشارات الأوَّلية التي تبيِّن الوضع الاقتصادي لمصر أنَّها كانت وِجهة التُّجار وقبلتهم، حيث جاء ما يؤكِّد هذا على لسان إخوة يوسف عليه السلام لما قال قائل منهم: ﴿ لَا تَقْتُلُوا۟ يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِى غَيَـٰبَتِ ٱلْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ ٱلسَّيَّارَةِ إِن كُنتُمْ فَـٰعِلِينَ ﴿١٠﴾ ﴾ [يوسف: 10]، فوقع ما خطَّطوا له لعلمهم أنَّ ذلك الجب يقع على ممرِّ القوافل التِّجارية التي تعبر إلى مصر: ﴿ وَجَآءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا۟ وَارِدَهُمْ فَأَدْلَىٰ دَلْوَهُۥ ۖ قَالَ يَـٰبُشْرَىٰ هَـٰذَا غُلَـٰمٌ ۚ وَأَسَرُّوهُ بِضَـٰعَةً ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ ﴾ [يوسف: 19].

يقول عبد الكريم الخطيب: "هكذا جاءت السَّيارة كما قدّر أبناء يعقوب... لأنَّ الجبّ على طريق يصل بين الشَّام ومصر، ويكثر عليه مرور القوافل المسافرة..."[1].

وفي هذا دليل على أنَّ مصر كانت قبلة التُّجار، ومصدر الخير، ومقصد أهل الشَّرق.

والإشارة الأخرى إلى الوضع الاقتصادي نقرؤه من خلال تصوُّرنا لبيت العزيز إذ يحتوي على أبواب كثيرة مما يدلُّ على سعته وفخامته ممَّا يعكس لنا الوضع العام للطَّبقة الغنيَّة، وفي هذا يخبرنا تعالى بقوله: ﴿ وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ ﴾ [يوسف: 23].

كما أنَّ دعوة امرأة العزيز لنسوة المدينة لحضور مأدبة في قصرها لدليل آخر على مستوى معيَّن من الرَّفاهية الاقتصادية التي وصلت إليها مصر آنذاك، وعن هذا يخبرنا القرآن الكريم بقوله: ﴿ فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَـًٔا وَءَاتَتْ كُلَّ وَٰحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ

---

1 ــ الخطيب عبد الكريم، التفسير القرآني للقرآن، مصدر سابق، ج6، ص1247.

ٱخۡرُجۡ عَلَيۡهِنَّۖ فَلَمَّا رَأَيۡنَهُۥٓ أَكۡبَرۡنَهُۥ وَقَطَّعۡنَ أَيۡدِيَهُنَّ وَقُلۡنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٞ كَرِيمٞ ﴿٣١﴾ ﴾[يوسف: 31].

يقول سيد قطب: "ويبدو أنَّهن كنَّ يأكلن وهنَّ متَّكئات على الوسائد والحشايا على عادة الشَّرق في ذلك الزَّمان، فأعدَّت لهنَّ هذا المتكأ، وآتت كل واحدة منهنَّ سكيناً تستعملها في الطَّعام، ويؤخذ من هذا أنَّ الحضارة المادِّية في مصر كانت قد بلغت شأواً بعيداً، وأنَّ التَّرف في القصور كان عظيماً؛ فإن استعمال السَّكاكين في الأكل قبل هذه الآلاف من السِّنين له قيمته في تصوير التَّرف والحضارة الماديَّة"[1].

وهناك إشارة أخرى إلى الوضع الاقتصادي في مصر نستشفُّها من خلال رؤيا الملك وتفسير يوسف لها، فمن ذلك تبرز لنا إمكانية مصر الزِّراعية، وأنّها تستطيع أن تنتج في عام ما يكفيها وكثيرًا من جيرانها لمدَّة عامين، مما يدلُّ على وفرة العطاء، وخصب الأرض، ووجود اليد العاملة [2].

كما بيَّن القرآن الكريم مكانة مصر الاقتصادية في ظلِّ الأزمة حيث كانت مَوْئل الممتارين لجميع البلدان المجاورة، حيث كانت تُعطي لكلِّ قادم إليها حِمْل بعير يكفيه لمدَّة سنة، وقد توضَّح لنا هذا من طلب إخوة يوسف من أبيهم أن يرسل معهم أخاهم ليزدادوا بمرافقته لهم حمل بعير، كما أخبرنا بذلك قوله تعالى: ﴿ وَلَمَّا فَتَحُواْ مَتَٰعَهُمۡ وَجَدُواْ بِضَٰعَتَهُمۡ رُدَّتۡ إِلَيۡهِمۡۖ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مَا نَبۡغِيۖ هَٰذِهِۦ بِضَٰعَتُنَا رُدَّتۡ إِلَيۡنَاۖ وَنَمِيرُ أَهۡلَنَا وَنَحۡفَظُ أَخَانَا وَنَزۡدَادُ كَيۡلَ بَعِيرٖۖ ذَٰلِكَ كَيۡلٞ يَسِيرٞ ﴿٦٥﴾ ﴾[يوسف: 65].

يقول أبو زهرة: إنَّ مصر كانت مصدر الخير لأهل الشَّرق، فكانت مزرعته الذي يقصد إليها في شدائده، وأنَّ أرض اللَّه يفيض خيرها بعضها على بعض، كما رأيت ما أفاضت به مصر على جيرانها، وكيف كانت تميرهم، وتموِّنهم [3].

---

[1] ــ سيد قطب، في ظلال القرآن، مصدر سابق، ج4، ص1984.

[2] ــ ينظر: نوفل أحمد، سورة يوسف دراسة تحليلية، مرجع سابق، ص 81.

[3] ــ ينظر: أبو زهرة، زهرة التفاسير، مصدر سابق، ج7، ص3803.

ومما يشير أيضًا إلى أنَّ الوضع الاقتصادي المصري كان مزدهرًا، ولم يعرف الاضطراب في ظل الأزمة، وأنَّ المخازن والمستودعات كانت مليئة بما يسدُّ حاجة الشَّعب المصري وحاجة الشُّعوب المجاورة له، ما يأتي:

- ــ إكرام وفادة النَّازلين على مصر أيَّام الأزمة من أجل جلب الأقوات لأهاليهم. ﴿ وَأَنَا۠ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ ﴿٥٩﴾ ﴾ [يوسف: 59].
- ــ فتح الأبواب على البلدان المجاورة في عزِّ الأزمة لأخذ ما يكفيهم من الميرة لهم. ﴿ وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ ﴾ [يوسف: 59].
- ــ تربُّع مصر على مساحة شاسعة حيث تزخر مشارفها على مداخل عديدة على كلِّ مدخل معيَّن يجتازونه تجّار يأتون من كل حدب وصوب، وهذا دليل على نهوضها الاقتصادي. يقول تعالى: ﴿ وَقَالَ يَٰبَنِيَّ لَا تَدْخُلُوا۟ مِنۢ بَابٍ وَٰحِدٍ وَٱدْخُلُوا۟ مِنْ أَبْوَٰبٍ مُّتَفَرِّقَةٍ ﴾ [يوسف: 67].
- ــ كما أنَّ مصر لم تمنع اللَّاجئين والمتضرِّرين جرَّاء الأزمة من الإقامة على أراضيها، وهو ما يعرف حاليا بأزمة المهجَّرين، وهذا ملاحظ من خلال استقدام يوسف عليه السلام لأهله وقرابته للإقامة بأرض مصر ﴿ وَأْتُونِى بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٣﴾ ﴾ [يوسف: 93].

المطلب الثاني: تعريف الأزمة الاقتصادية، وبيان سبب اختيار قصَّة يوسف عليه السلام كنموذج لإدارة هذه الأزمة.

✓ ــ **الفرع الأول: تعريف الأزمة الاقتصادية.**

1- تعريف الاقتصاد [1]:

1 ــ قد سبق لنا تعريف الأزمة من الجانب اللغوي والاصطلاحي في الفصل الأول فليرجع إليه.

أ- لغة:

الاقتصاد من القَصْد في الشَّيء الذي هو ضدُّ الإفراط، وهو ما بين الإسراف والتَّقتير، والقصد في المعيشة: أن لَّا يسرف ولا يقتر، وقصَدَ في الأمر لم: يتجاوز فيه الحدّ، ورضِي بالتَّوسُّط، لأنَّه في ذلك يقصد الأَسَدَّ، كالاقتصاد، يقال: فلان مقتصد في المعيشة وفي النفقة، وقد اقتصد. واقتصد في النَّفقة: توسَّط بين التقتير والإسراف [1]، ومنه قوله ﷺ: «وَلَا عَالَ مَنِ اقْتَصَدَ» [2]، وقوله ﷺ أيضًا: «الاقتصاد في النَّفقة نصف المعيشة»[3].

فلفظ الاقتصاد في الاستعمال اللُّغوي يعني التَّوسُّط في الأمور، وقد وردت آيات في القرآن الكريم تبيِّن هذا المعنى اللُّغوي، كقوله تعالى: ﴿ وَٱقۡصِدۡ فِي مَشۡيِكَ ﴾ [لقمان: 19]، أي: "توسَّط فيه بين الدَّبيب والإسراع"[4]، وقوله تعالى: ﴿ لَوۡ كَانَ عَرَضٗا قَرِيبٗا وَسَفَرٗا قَاصِدٗا لَّٱتَّبَعُوكَ وَلَٰكِنۢ بَعُدَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلشُّقَّةُۚ ﴾ [التوبة: 42]، وسفرًا قاصدًا أي: "وسطًا مقاربًا"[5]، وقوله أيضًا: ﴿ مِّنۡهُمۡ أُمَّةٞ مُّقۡتَصِدَةٞۖ ﴾ [المائدة: 66]أي: "طائفة متوسِّطة في الغلوِّ والتَّقصير"[6].

---

1 ــ ينظر: الزبيدي محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، تاج العروس من جواهر القاموس، تح: مجموعة من المحققين، دار الهداية، ج9، ص36.

2 ــ الطبراني سليمان بن أحمد بن أيوب، المعجم الأوسط، تح: طارق بن عوض الله بن محمد ، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين، القاهرة، باب الميم، من اسمه محمد، ج6، ص365، رقم الحديث: 6627. قال الهيثمي: "رواه الطبراني في الأوسط والصغير من طريق عبد السلام بن عبد القدوس وكلاهما ضعيف جدا". [الهيثمي، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، مصدر سابق، كتاب الأدب، باب ما جاء في المشاورة، ج8، ص96، رقم الحديث: 13157].

3 ــ البيهقي أحمد بن الحسين بن علي بن موسى، شعب الإيمان، تح: الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد، ط1، مكتبة الرشد، الرياض، 2003 م، باب الاقتصاد في النفقة وتحريم أكل المال بالباطل، ج8، ص503، رقم الحديث: 6148. قال العجلوني: رواه البيهقي، والعسكري، وابن السني، والديلمي، والقضاعي عن ابن عمر مرفوعًا وضعفه البيهقي، لكن له شواهد..."[العجلوني، كشف الخفاء ومزيل الإلباس، مصدر سابق، ج1، ص178، رقم 476].

4 ــ البيضاوي عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، تح: محمد عبد الرحمن المرعشلي، ط1، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1418 هــ، ج4، ص215.

5 ــ أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، مصدر سابق، ج5، ص424.

6 ــ القمي الحسن بن محمد بن حسين النيسابوري، غرائب القرآن ورغائب الفرقان، ط1، تح: زكريا عميرات، دار الكتب العلمية، بيروت، 1416 هــ، ج2، ص216.

ومِمَّا سبق يتبيَّن لنا أنَّ الاقتصاد هو الاقتصاد في النَّفقة، والاعتدال في المصروف دون تقتير أو إسراف، ولذلك سنرى أنَّ يوسف عليه السلام أَمَرَ بالاقتصاد في السَّبع السِّنين الأولى وهي التي تمثِّل مرحلة الخصب، يقول تعالى: ﴿ قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ ﴿٤٧﴾ ﴾ [يوسف: 47]، يقول رشيد رضا: "إلا قليلا مما تأكلون في كل سنة من هذه السِّنين، مع مراعاة القصد والاكتفاء بما يسدُّ حاجة الجوع، فإنَّ النَّاس يقنعون في سِنِيِّ الخصب والرَّخاء بالقليل"[1].

كما يعني أيضًا مصطلح الاقتصاد انتهاج سياسة الادِّخار التي تقوم على تأجيل إنفاق جزء من الدّخل إلى وقت آجل لعدم معرفة ما تُخَبِّئه الأيَّام القادمة من أزمات وشدائد كما جاء هذا المعنى واضحًا في تأويل رؤيا الملك من قِبَل سيِّدنا يوسف الصِّديق عليه السلام، حيث يقول تعالى على لسانه: ﴿ ثُمَّ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾ [يوسف: 48] [2]. يقول طنطاوي: "أنَّ تلك السِّنين المجدبة ستأكلون فيها ما ادَّخرتموه في السَّنوات السَّابقة، إلاَّ شيئًا قليلًا منه يبقى محرزًا، لتنتفعوا به في زراعتكم لأرضكم. فقوله تُحْصِنُونَ من الإحصان بمعنى الإحراز والادِّخار"[3].

ب- مفهوم كلمة الاقتصاد من منظور القرآن الكريم:

حدَّد القرآن الكريم مدلول كلمة الاقتصاد تحديدًا دقيقًا في عدَّة آياتٍ، منها:

- ــ قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمْ يُسْرِفُواْ وَلَمْ يَقْتُرُواْ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾ ﴾ [الفرقان: 67].
- ــ وقوله تعالى: ﴿ وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾ ﴾ [الإسراء: 26].

---

[1] ــ رشيد رضا، تفسير المنار، مصدر سابق، ج12، ص263.

[2] ــ ينظر: يسري محمد أبو العلا، علم الاقتصاد، دار النهضة العربية، القاهرة، ج2، ص ص: 649 ــ 650.

[3] ــ طنطاوي، التفسير الوسيط، مصدر سابق، ج7، ص371.

- ــ وقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿٢٩﴾ ﴾ [الإسراء: 29].

تعتبر هذه الآيات وغيرها كثير من أصول الاقتصاد ومبادئه التي تحكم وتنظِّم الحياة الاقتصادية في المجتمع الإسلامي، لكنَّ النَّاظر إلى حال المسلمين اليوم يجدهم من النَّاحية الاقتصادية هم عالة على غيرهم إذ لا يحقِّقون أدنى مستوى لتحقيق ضروريات حياتهم من غذاء، ودواء، وملبس...

يقول المراغي: "وإنَّ من أشدِّ العجب أن يكون حال المسلمين اليوم ما نرى من الإسراف والتَّبذير، وكتابهم يهديهم إلى ما للاقتصاد من فوائد، وما للتبذير من مضارٍّ، إلى ما للمال في هذا الزَّمن من المنـــزلة التي لا يقدر قدرها حتى صارت جميع المرافق موقوفة على المال، وأصبحت الأمم الجاهلة بطرق الاقتصاد وليس في أيديها المال مستذلَّة مستعبدة للأمم الغنيَّة ذات البراعة في الكسب والإحسان في الاقتصاد وجمع المال.

ولا سبب لهذا إلا أنَّا نبذنا هدي القرآن وراء ظهورنا، وأخذنا بآراء الجاهلين الذين لبَّسوا على النَّاس، ونفثوا سمومهم وبالغوا في التَّزهيد... مع أنَّ السَّلف الصَّالح كانوا أعْرف النَّاس بتحصيل المال من وجوه الكسب الحلال"[1].

2- تعريف الأزمة الاقتصادية.

يعرفها الكيالي بقوله: "يُقصد بالأزمة الاقتصادية، ما قد يمرُّ به اقتصاد البلد من كساد يكون مصحوبًا بركود وضعف حركة البيع والشِّراء، وبانخفاض في الإنتاج القومي، وبهبوط في الأسعار وبتزايدٍ في البطالة، أو هي نقطة التَّحول التي ينقلب عندها النَّشاط الاقتصادي من مرحلة التَّوسع الدَّوري إلى مرحلة انخفاضه، تتميَّز بالرُّكود والبطالة والانكماش"[2].

---

[1] ــ المراغي، تفسير المراغي، مصدر سابق، ج4، ص186.

[2] ــ الكيالي عبد الوهاب وآخرون، موسوعة السياسة، دار الهدى للنشر، بيروت، ج1، ص158.

ويعرفها زيد العبوي بأنها: "انقطاع مفاجئ في مسيرة المنظومة الاقتصادية، مما يهدِّد سلامة الأداء المعتاد"[1].

أما تعريف إدارة الأزمة الاقتصادية فهي: "كيفيَّة التَّغلب عليها بالأدوات العلميَّة الإدارية المختلفة، بالإضافة إلى اتِّباع الآراء الاقتصادية التي قيلت في معالجتها"[2].

وبناء على ما سبق يمكننا أن نقترح تعريفًا لإدارة الأزمة الاقتصادية وأقول بأنَّها:

تعامل القيادة الرشيدة مع الأزمة وذلك بالتَّنبؤ عنها والتَّحضير لها مسبقا مع وضع خطة إستراتيجية هادفة من أجل تجاوزها، والخروج منها بأقل الخسائر حال حدوثها وللعودة إلى الحياة بشكل أفضل من طبيعتها السَّابقة.

شرح قيود هذا التعريف:

يتناسب هذا التعريف مع المثال العملي الذي جسَّده سيدنا يوسف عليه السلام في إدارته للأزمة الاقتصادية وذلك من خلال النِّقاط الآتية:

1) ــ وجود قيادة رشيدة تتعامل مع الأزمة: وقد تمثلت هذه القيادة الرَّشيدة في الشَّخصية اليوسفية التي وهبها الله قدرات ومؤهلات شتَّى ساعدته على إدارة مثلى للأزمة من ذلك: حسن تفسيره لرؤيا الملك، وتنبُّؤه لخطورة الأزمة، ووضع خطة استراتيجية مُحكمة لها، وإنقاذ أمَّة من خطر فتَّاك، وتفوُّقه العلمي على مختلف الأصعدة والمجالات، من ذلك علوم الإدارة، وعلوم التَّخطيط، وعلوم المالية والمحاسبة، وعلوم التَّقنين والتَّوزيع، وعلوم حفظ الغلَّات في المستودعات والمخازن، وعلم سياسة النَّاس في الأزمات.. قال تعالى على لسانه: ﴿ قَالَ ٱجۡعَلۡنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلۡأَرۡضِۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٞ ٥٥ ﴾ [يوسف: 55].

يقول سيد قطب عند تفسير قوله تعالى: ﴿إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٞ ٥٥ ﴾ ما نصُّه: "والأزمة القادمة وسِنوُّ الرُّخاء التي تسبقها في حاجة إلى الحفظ والصِّيانة والقدرة على إدارة

---

[1] ــ عبوي زيد، إدارة الأزمات، مرجع سابق، ص19.

[2] ــ الرفاعي حسن محمد، دور الفكر الاقتصادي الاسلامي في إدارة الأزمة الاقتصادية الراهنة، بحث مقدم إلى مؤتمر الأزمة المالية العالمية المنعقد بجامعة الجنان، طرابلس، بيروت، 2009 م، ص3.

الأمور بالدِّقَّة وضبط الزِّراعة والمحاصيل وصيانتها، وفي حاجة إلى الخبرة، وحسن التَّصرف، والعلم بكافَّة فروعه الضَّرورية لتلك المهمَّة في سنوات الخصب وفي سِنِيِّ الجدب على السَّواء، ومن ثمَّ ذكر يوسف من صفاته ما تحتاج إليه المهمَّة التي يرى أنَّه أقدر عليها، وأنَّ وراءها خيراً كبيراً لشعب مصر وللشعوب المجاورة"[1].

2) ــ التَّنبؤ بالأزمة: لما أشار ساقي الملك إلى الملك والملأ بأنَّه سيُنبئهم بتفسير الرُّؤيا بقوله: ﴿ أَنَا أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِۦ فَأَرْسِلُونِ ﴿٤٥﴾ ﴾ [يوسف: 45]، ولم يسمِّ لهم المرسل إليه وهو الذي سينبئهم بحقيقة الرُّؤيا؛ لأنَّ السَّاقي أراد أن يفاجئهم بخبر يوسف عليه السلام بعد حصول تعبيره ليكون أوقع [2]، أو لينال السَّاقي الحظوة عند الملك بإخفاء شخصيَّة الرائي عليه السلام حتَّى يكون هو الذي يفسِّر الرُّؤيا أو ينقل تفسيرها إلى الملك دون سواه [3].

فلما نقل السَّاقي رؤيا الملك كما هي إلى يوسف أنبأه عليه السلام بتأويلها، وأنبأه بما سيقع فيها من سنين الجدب والقحط حيث استخدم ما يدلُّ على ذلك بقوله:

- ــ ﴿ ثُمَّ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾ [يوسف: 48]، فالآية فيها تنبُّؤ بمجيء سبع سنين مجدبات.
- ــ وقوله أيضا: ﴿ ثُمَّ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾ [يوسف: 49]، فيه تنبُّؤ بمجيء عام الخير وفيض الرِّزق بعد سبعيَّة الجفاف.

ويعتبر تنبُّؤ يوسف عليه السلام لمستقبل مصر من قبيل القطعيِّ الحدوث، حتَّى إنَّه لم يقرنه بمشيئة الله تعالى، ذلك لأنَّ الله العليم الخبير هو الذي أنْبأه وأطْلعه على الغيب، مصداقًا لقوله تعالى: ﴿ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا ﴿٢٧﴾ ﴾ [الجن: 26 –27].

---

[1] ــ سيد قطب، في ظلال القرآن، مصدر سابق، ج4، ص2005.

[2] ــ ينظر: التحرير والتنوير، مصدر سابق، ج12، ص284.

[3] ــ ينظر: نوفل أحمد، سورة يوسف دراسة تحليلية، مرجع سابق، ص 408. [مع ملاحظة أن الكاتب لم يرجح هذا الرأي بل ذكره لاحتمال وروده].

3) ــ التَّحضير المسبق للأزمة مع وضع مخطَّط لها: لما فسَّر يوسف عليه السلام رؤيا الملك [1] وزاد عليها بأنْ قدَّم خطَّة عملية تستغرق القطر كلَّه، حيث اعتمد في خطَّته على التَّشغيل الكامل للأمَّة، والبرمجة الكاملة للوقت، ثم التَّشغيل الكامل لطاقة كل فرد في الأمَّة، وهذا الذي أراده يوسف عليه السلام وعبَّر عنه بقوله: ﴿ تَزْرَعُونَ ﴾ ﴿ حَصَدتُّمْ ﴾ فالذي يخطِّط له يوسف عليه السلام هو مضاعفة الإنتاج وتقليل الاستهلاك، لأنَّ الأزمات والظُّروف الاستثنائية تحتاج إلى سلوك استثنائي، ولأنَّ سلوك النَّاس في الأزمات غير سلوكهم في الظُّروف العادية، استرخاء وبطالة، فإنَّ هذه الأمة تكون في حالة خلل خطير يحتاج إلى علاج ومعالج خبير [2].

4) ــ تجنَّب حدوث الأزمة في مصر: إنَّ إسناد مقاليد الحكم والإدارة إلى أهل الخبرة والدِّراية كما كان الحال عندما طلب يوسف عليه السلام من الملك أن يجعله على خزائن الأرض محتجًّا بحفظه وعلمه لا بجماله ونسبه... فأراد عليه السلام من هذا المنصب الذي لا يصلح له أحد سواه في ذلك الوقت وفي تلك الظُّروف الصَّعبة، إنقاذ البلاد من أزمة حادثة فلو لم يطلبها لوقع النَّاس في ضيق شديد وهلاك محتوم، إذا فهو يريد من وراء ذلك خدمة الأمَّة.

وقد جنَّب يوسف عليه السلام بفضل الله مصر من ويلات الأزمة فلم يعيشوا الضَّيق والشِّدَّة، بخلاف ما جاورها من المدن كأرض كنعان بفلسطين فقد مسَّتهم البأساء والضَّرَّاء؛ وجاءوا يشتكون حالهم ليوسف عليه السلام ليعطف عليهم بالزَّاد، يقول تعالى: ﴿ فَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ قَالُوا۟ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا ٱلضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَـٰعَةٍ مُّزْجَىٰةٍ فَأَوْفِ لَنَا ٱلْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَجْزِى ٱلْمُتَصَدِّقِينَ ﴿٨٨﴾ ﴾ [يوسف: 88]، يقول عبد الكريم الخطيب: "ووقعت مجاعة في

---

[1] ــ لم يخبر الساقي يوسف عليه السلام بأن هذه الرؤيا هي رؤيا الملك ولا أشار في كلامه بشيء يتعلق بالملك؛ لكن يوسف عليه السلام أدرك بأن الرؤيا تخص الملك، بناء على الرؤيا السابقة التي فسرها لصاحبه في السجن بأنه سيلازم الملك ويكون عاصرا للخمر له.

[2] ــ ينظر: الصَّلاَّبي عَلي محمد محمد، فقه النصر والتمكين في القرآن الكريم (أنواعه – شروطه وأسبابه – مراحله وأهدافه)، ط1، مكتبة الصحابة، الشارقة، 2001 م، ص327.

أرض كنعان التي كان يعيش فيها يعقوب وأبناؤه... وكانت مصر قد أخذت لمثل هذه الحال أهبتها، منذ صار أمرها إلى يد يوسف"[1].

✓ ــ الفرع الثاني: بيان سبب اختيار قصَّة يوسف عليه السلام كنموذج لإدارة الأزمة الاقتصادية:

لقد تناول القرآن الكريم علاج العديد من الأزمات الاقتصادية من ذلك مثلا: أزمة الفقر، وأزمة السَّكن، وأزمة البطالة، وأزمة القروض، وأزمة التَّضخم... كما ضرب لنا القرآن الكريم قصصًا عديدة لأفراد وجماعات ودول حلَّت بهم الأزمة الاقتصادية، فمثال الأولى صاحب الجنَّتين في سورة الكهف، وصاحب الجنَّة في سورة القلم، ومثال الثَّانية ما حل بآل فرعون لمـــَّا أخذهم الله بالسِّنين، ومثال الأخير ما حدث من أزمة القحط والجدب لمصر وما جاورها من المدن زمن يوسف عليه السلام.

وقد تمَّ اختيار مثال الأزمة الاقتصادية التي حدثت زمن يوسف عليه السلام كنموذج عملي يبيِّن لنا منهج القرآن الكريم في إدارته لأمثال هذه الأزمة، نظرًا لما يأتي:

1. ــ تعتبر سورة يوسف بكلِّ ما تحويه من موضوعاتها أحسن القصص، وقد قدَّمها الله تعالى بقوله: ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴿٣﴾ ﴾ [يوسف: 3] وإن كان جميع قصص القرآن الكريم في غاية الحسن والجمال، إلَّا أن سورة يوسف تبقى في طليعة هذه القصص نظرًا لما تحويه من عبر وأحكام، وما اشتملت عليه من مثل عليا في الإدارة والتَّخطيط...

كما أن حُسن القصَّة ليس محصورًا في الجانب الإعجاز البياني، أو الإعجاز الغيبي بل يتعدَّى ذلك ليشمل الجانب الإداري من: إدارة الأزمة، وحسن التَّخطيط، وحسن السِّياسة، وتدبير الأمور...

[1] ــ الخطيب عبد الكريم، التفسير القرآني للقرآن، مصدر سابق، ج7، ص10.

2. ــ اشتمال الأزمة الاقتصادية في سورة يوسف على كافَّة مراحلها بدءًا من مرحلة الإنذارات ونهاية بمرحلة الانفراج واستعادة النَّشاط، فهو بمثابة أنموذج قرآني له أصوله وثوابته في علم إدارة الأزمات، فهو يُحظى بالسَّبق الزَّمني في هذا المجال.

3. ــ طول الفترة الزَّمنية للأزمة:

إذا حسبنا مرحلة ما قبل الأزمة والتي ابتدأت بمرحلة التَّنبؤ بالأزمة حيث تمَّ فيها تفسير رؤيا الملك من قبل يوسف عليه السلام، ثم أعقبتها مرحلة الإعداد للأزمة والتَّحضير المسبق لها، وذلك بتكثيف الزِّراعة، وادِّخار الفائض من الإنتاج في مخازن لحفظها فيما سيستقبلهم من السَّنوات العجاف... حيث قدِّر عُمُر هذه المرحلة بسبع سنين، وهي المرحلة السَّبعية الأولى المخصَّبة.

ثم تأتي مرحلة أثناء الأزمة التي وصفت بالسِّنين الشِّداد، حيث ستُمسك السَّماء ماءها والأرض زرعها، فيشتدُّ ذلك على النَّاس فيعمدون إلى أكل ما ادَّخروه في سنوات الرَّخاء... وامتدَّ عمر هذه المرحلة سبع سنين، وهي المرحلة السَّبعية الثَّانية المجدبة.

ثم تأتي مرحلة ما بعد الأزمة وهي مرحلة الانفراج التي يغاث النَّاس فيها بالماء، ووفرة المنتوج فيكثر فيها عصر الزُّيوت والعنب وسائر الفواكه، وعمر هذه المرحلة عام.

فبذلك يكون مجموع عمر هذه الأزمة خمسة عشر عامًا.

4. ــ شدَّة الأزمة على النَّاس:

وصف الله عزَّ وجلَّ هذه الأزمة بالشِّدَّة، وهي الأمر الصَّعب الذي يشتدُّ على النَّاس، ثم أضاف وصفًا مجازيا لها وهي أنَّها تأكل كل ما يقدَّم لها بنَهَم وجوع، كما أنَّ هذه السِّنين العجاف تأتي على ما ادُّخر وخزِّن في سنوات الخصب ولا تشبع من ذلك، وهذا المعنى مستفاد من دلالة مجيء الفعل مضارعا في ﴿ يَأْكُلْنَ ﴾ الذي يفيد التَّجدد والاستمرار، يقول تعالى واصفًا هذه الشِّدة على لسان يوسف عليه السلام: ﴿ ثُمَّ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾ [يوسف: 48].

يقول أبو زهرة: "وصفت السَّبع اليابسة بأنَّها سبع شداد، لأنَّها تكون شديدة على النَّاس، إذ يكون النَّاس فيها في شدَّة تضطرُّهم لإخراج كلِّ ما ادَّخروا، ليدفعوا ضرَّها، ويأكل النَّاس فيها ما قدَّموه من قبل لها، وهيَّأوه لدفع شدَّتها، ووصفت السِّنون بأنَّها تأكل مع أنَّ الأصل هم الذين يأكلون؛ لأنَّ هذه السِّنين تكون سنين غير منتجة، فكأنها هي التي تأكل"[1].

5. ـــ حساسيَّة الأزمة:

تكمن حساسيَّة الأزمة الاقتصادية بتعلُّقها بالجوانب الضَّرورية في حياة الإنسان، والتي لا يمكن للإنسان أن يستغني عنها ولو لبضع ساعات، ففقدان المأكل والمشرب أشدُّ من فقدان غيرهما مهما كان.

علاوة على ذلك فإنَّ الأزمة الاقتصادية هي منبع الأزمات الأخرى فإذا اختلَّ جانب الأمن الغذائي في مجتمع مَّا أو دولة مَّا؛ فإنَّ تداعياتها ستكون خطيرة جدًّا، مما يتولَّد عنها حدوث أزمات اجتماعية كالقتل والاعتداء على الأموال والأرواح.... وربما سيجرُّ البلاد إلى أزمة حربية، تتآكل قواه من الدَّاخل، كالذي نشاهده حاليا من الثَّورات العربية أو يسمَّى بـــ "الرَّبيع العربي"وهي في الحقيقة "الجحيم العربي" كان معظم شرارته التي فتكت بها هي: لقمة العيش، أو أزمة الخبز...

من هذا الجانب فإنَّه من رحمة الله تعالى على عباده أن بعث للشَّعب المصري ولمن جاورها من المدن في ذلك الوقت مخلِّصا يخلِّصهم من أزمة كارثية محققَّة كادت تأتي على الحرث والنَّسل، والبلاد والعباد... فرأف الله بهم ببعث يوسف عليه السلام إليهم ليجنِّبهم عواقب الأزمة، إذ مكَّنه الله في الأرض وجعله قائدًا على إدارة الأزمة فساس الأمور بحكمة وعلم، قال تعالى: ﴿ قَالَ ٱجۡعَلۡنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلۡأَرۡضِۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٞ ٥٥ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَتَبَوَّأُ مِنۡهَا حَيۡثُ يَشَآءُۚ نُصِيبُ بِرَحۡمَتِنَا مَن نَّشَآءُۖ وَلَا نُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٥٦ وَلَأَجۡرُ ٱلۡأٓخِرَةِ خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ٥٧ ﴾ [يوسف: 55 – 57].

---

[1] ـــ أبو زهرة، زهرة التفاسير، مصدر سابق، ج7، ص3831.

يقول القرطبي معقِّبا على تفسير يوسف لرؤيا الملك ما نصُّه: "هذه الآية أصل في القول بالمصالح الشَّرعية التي هي حفظ الأديان، والنُّفوس، والعقول، والأنساب، والأموال، فكلُّ ما تضمن تحصيل شيء من هذه الأمور فهو مصلحة، وكلُّ ما يفوِّت شيئا منها فهو مفسدة، ودفعه مصلحة، ولا خلاف أنَّ مقصود الشَّرائع إرشاد النَّاس إلى مصالحهم الدنيويَّة، ليحصل لهم التَّمكن من معرفة الله تعالى وعبادته الموصلتين إلى السَّعادة الأخرويَّة، ومراعاة ذلك فضل من الله ﷻ ورحمة رحم بها عباده، من غير وجوب عليه"[1].

6. ــ شمولية الأزمة:

فهذه الأزمة عامَّة وليست فردية؛ إذ أنَّها تُغطي كافَّة أجزاء الدَّولة من الطَّبقة الحاكمة إلى أضعف حلقة في المجتمع، بل اتَّسع نطاق الأزمة فيها ليشمل دول الجوار من فلسطين وغيرها.

ولذلك همّ الملك برؤياه وألــحَّ في تفسيرها، ولم يقبل اعتذار ملئه من أنَّها مجرَّد أضغاث أحلام... وقد أطالته الأزمة بفقدانه لشراب العصير في زمن الجدب، والذي كان السَّاقي يعصره له في زمن الخصب، إلى أن جاء العام الذي أغيث النَّاس فيه بالماء وعصْر الفواكه، فعادت الأمور إلى سالف عهدها، ورجع السَّاقي إلى عصر العنب للملك.

أمَّا من ناحية الشَّعب فإنَّه كان من الضَّروري له أن ينتهج سياسة التَّقشُّف، والاقتصاد في المعيشة، حتَّى تكفيه المؤونة المدَّخرة طيلة سبع سنين العجاف، ليصل الطَّعام إلى كلِّ فَمٍ وفْق خطَّة دقيقة، كما قال تعالى: ﴿ قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾ [يوسف: 47 – 48].

يقول عبد الكريم الخطيب: وقد كانت هذه دعوة من الله ﷻ أطلعها لنبيِّه يوسف عليه السلام يدعو فيها الشَّعب إلى التزام القصد والاعتدال خلال سنوات الخصب، وأنَّ على النَّاس فيها أن يأخذوا القليل مما يحتاجون إليه، وأن يعيشوا في حال أشبه بحال الحرب... وبذلك

[1] ــ القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، مصدر سابق، ج9، ص203.

يمكن أن يواجهوا هذه المحنة المقبلة عليهم، وأن يخرجوا منها سالمين، وإلَّا فإنّهم إن نسوا في خصبهم أيَّام الجدب المقبلة عليهم، هلكوا جميعا.. إنّهم مقدمون على حرب قاسية مع الجدب والقحط، فإذا لم يستعدُّوا لهذه الحرب هلكوا بيد الجوع والحرمان [1].

7. ـــ إدارة الأزمة من قائد حكيم.

تمتاز إدارة هذه الأزمة الاقتصادية بامتلاكها قيادة إدارية حكيمة وفعّالة، تجسَّدت في الشَّخصيَّة اليوسفيَّة عليه السلام إذ هي جوهر العمليَّة الإداريَّة، وقلبها النَّابض، والتي سعت في تنظيم وتوجيه الموارد البشريَّة والماديَّة للحدِّ من الآثار السِّلبية للأزمة، وقد كانت القيادة الرَّشيدة بمثابة الرَّجل المناسب في المكان المناسب نظرًا للدَّور الفعَّال الذي قام به، إذ جنَّب مصر وما جاورها من أزمة مدمّرة.

وقد برزت هذه الشخصيَّة اليوسفيَّة في تحمّل أعباء القيادة الإداريَّة وتبعاتها لمواجهة الأزمة، وتعيّنت عليه إدارتها خدمة للإنسانية وللصَّالح العام، ولذلك طلبها من الملك قائلًا: ﴿ قَالَ ٱجۡعَلۡنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلۡأَرۡضِۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٞ ٥٥ ﴾ [يوسف: 55].

يقول سيد قطب: "إنَّما طالب بما يعتقد أنَّه قادر على أن ينهض به من الأعباء في الأزمة القادمة التي أوّل بها رؤيا الملك، خيراً مما ينهض بها أحد في البلاد وبما يعتقد أنَّه سيصون به أرواحاً من الموت وبلاداً من الخراب، ومجتمعاً من الفتنة- فتنة الجوع- فكان قويّاً في إدراكه لحاجة الموقف إلى خبرته وكفايته وأمانته"[2].

8. ـــ امتداد الأزمة إلى البلدان المجاورة:

وواضح أنَّ يوسف عليه السلام لما مكَّنه الله على خزائن أرض مصر، وإدارة أمور البلاد...وحين عمّ دخول سبعية الجفاف والقحط بدأت الوفود تجيء لتقتات مما تمَّ ادِّخاره في مصر بتخطيط يوسف وتدبيره، فجاءت القوافل من أرض كنعان والأردن وغيرهما ليمتاروا من مصر وهذا مما يصوِّر لنا حالة الجدب التي حلَّت بالمنطقة كلِّها في هذه الفترة

---

[1] ـــ الخطيب عبد الكريم، التفسير القرآني للقرآن، مصدر سابق، ج6، ص1281 ـــ 1282.

[2] ـــ سيد قطب، في ظلال القرآن، مصدر سابق، ج4، ص2005.

[1]، يقول تعالى: ﴿ وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنكِرُونَ ﴿٥٨﴾ ﴾ [يوسف: 58].

يقول البغوي: "وقصد النَّاس مصر من كل أَوْبٍ يمتارون الطعام فجعل يوسف لا يُمَكِّنُ أحدا منهم –وإن كان عظيمًا– من أكثر من حمل بعير تقسيطًا بين النَّاس، وتزاحم النَّاس عليه وأصاب أرض كنعان وبلاد الشَّام ما أصاب النَّاس في سائر البلاد من القحط والشِّدَّة، ونزل بيعقوب ما نزل بالنَّاس، فأرسل بنيه إلى مصر للميرة [2]..."[3].

---

[1] ــ المصدر السابق، ج4، ص 1960.

[2] ــ الـمِيرَةُ: الطعامُ يَمْتارُه الإنسان. ابن سيده: الـمِيرَةُ جَلَبُ الطعام، وفي التهذيب: جَلَبُ الطعام للبيع؛ وهم يَمْتَارُون لأنفسهم و يَمِيرُون غيرهم مَيْراً، وقد مار عياله وأهله يَمِيرُهم مَيْراً وامْتَارَ لهم. [ابن منظور، لسان العرب، مصدر سابق، ج5، ص188].

3 ــ البغوي الحسين بن مسعود، معالم التنزيل في تفسير القرآن، تح: عبد الرزاق المهدي، ط1، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1420هـ، ج2، ص499.

المبحث الثاني: الأزمة الاقتصادية زمن يوسف عليه السلام: مراحلها، وإدارتها.

يقول الله تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلْمَلِكُ إِنِّيٓ أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُءْيَٰيَ إِن كُنتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ ﴿٤٣﴾ قَالُوٓاْ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ ٱلْأَحْلَٰمِ بِعَٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾ وَقَالَ ٱلَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَٱدَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا۠ أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِۦ فَأَرْسِلُونِ ﴿٤٥﴾ يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ لَّعَلِّيٓ أَرْجِعُ إِلَى ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٤٦﴾ قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ ﴿٤٨﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾ [يوسف: 43 – 49].

تعتبر هذه الآيات القرآنية مضْرب مثل لإدارة الأزمة الاقتصادية والمشتملة على جميع مراحلها بدءا بمرحلة اكتشاف الإنذارات، ونهاية بمرحلة الانفراج واستعادة النَّشاط، والتي استغرقت خمسة عشر عامًا، فضربت مصر وما جاورها من المدن... كما قدَّم لنا القرآن الكريم النَّموذج الأكفأ لإدارة هذه الأزمة والمتمثِّل في شخصيَّة يوسف عليه السلام والذي استطاع بفضل الله أن ينقذ مصر ومن حولها من هلاك محتوم، بعد أن وضع خطة استراتيجية محكمة لتلافي هذه الأزمة، وهي جديرة بتسليط الضَّوء عليها لاستخراج الدُّروس والعبر، ولـــمَ لا تكون منطلقات اقتصادية لحلِّ كثير من أزمات هذا العصر الذي نشهد فيه تقلبات اقتصادية وتهديد مستقبلي من الجانب الأمن الغذائي والثَّروة المائية والطَّاقوية... ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾ ﴾ [يوسف: 111].

المطلب الأول: مراحل الأزمة الاقتصادية زمن يوسف عليه السلام.

مرَّت هذه الأزمة بخمس مراحل وهي كالآتي:

✓ ــ **المرحلة الأولى: مرحلة الإنذارات والتَّحذيرات.**

بدأت هذه المرحلة بالرُّؤيا التي أراها الله ﷻ لملك مصر في منامه إذ هالته رؤياه الغريبة حينما رأى الضَّعيف يأكل القويَّ، ولعلَّه خشي أن يكون لها صلة بحكمه وسلطانه، وعرف بأنَّها رؤيا واقعة، ولم يدر ما تأويلها [1]، فجمع أعوانه ووزراءه وكبار الكهنة والمنجِّمين والسَّحرة فقصَّها عليهم، قائلاً: ﴿ وَقَالَ ٱلْمَلِكُ إِنِّيٓ أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ ﴾ [يوسف: 34].

يقول ابن كثير: "هذه الرُّؤيا من ملك مصر مما قدَّر الله تعالى أنَّها كانت سببًا لخروج يوسف عليه السلام من السِّجن، معزَّزًا مكرَّمًا، وذلك أنَّ الملك رأى هذه الرؤيا، فهالته وتعجب من أمرها وما يكون تفسيرها، فجمع الكهنة والحزاة [2] وكبار دولته وأمراءه فقصَّ عليهم ما رأى وسألهم عن تأويلها"[3].

ونادى الملك في ملئه قائلاً: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُءْيَٰيَ إِن كُنتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾ [يوسف: 43]، أي: "يأيها الرُّؤساءُ من الكهنة والحكماء فسِّروا لي رؤياي، وبيِّنوا لي حكمها ومآلها، إن كنتم لجنس الرؤيا تعرفون تفسيرها، حتى تستطيعوا أن تنتقلوا من الصُّور الرَّمزية المشاهدة في المنام، إلى صور وأمثلة لها في حقائق الحياة، وعَبْرُ الرُّؤيا مأخوذ من العبور وهو المجاوزة، تقول عبرت النَّهر أي: قطعته وجاوزته، وكذلك يفعل مفسِّر الرُّؤيا، فإنَّه يعبُر بها من الخيال إلى الحقيقة، أمَّا تأويلها فمعناه بيان مآلها في ظاهر الحياة، وعبْر الرُّؤيا وتعبيرها بمعنى واحد، غير أنَّ الأوَّل لغة القرآن، فهو أولى من الثَّاني، وبعد أن سألهم إفتاءه في رؤياه إن كانوا يستطيعون عبر الأحلام أظهروا عجزهم"[4].

---

1 ــ ينظر: الطبري، جامع البيان في تأويل آي القرآن، مصدر سابق، ج16، ص117.

2 ــ الحزاة من حزا يحزو حزوا فهُوَ حَاز والحازي: الَّذِي يتكهن فيخط فِي الأَرْض خطا ويطرق بالحصى. الذكر حَاز وَالْأُنْثَى حازية وَالْجمع حزاة. [ابن دريد الأزدي محمد بن الحسن، جمهرة اللغة، تح: رمزي منير بعلبكي، ط1، دار العلم للملايين، بيروت، 1987م، ج1، ص530، مادة: حَ زَ وَ].

3 ــ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، مصدر سابق، ج4، ص335 ــ 336.

4 ــ مجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، مصدر سابق، ج4، ص330.

ولا ريب أنَّ الرُّؤيا كان لها في نفس الملك شأن وخطر، ولهذا يوجِّه السُّؤال إلى الملأ وهم أشراف القوم وعلِّيته، وسمُّوا كذلك لأنَّهم يملؤون العيون والمجالس، فلما رأوا تأثُّر الملك بهذه الرُّؤيا هوَّنوا عليه قائلين: ﴿قَالُوٓاْ أَضۡغَٰثُ أَحۡلَٰمٖۖ وَمَا نَحۡنُ بِتَأۡوِيلِ ٱلۡأَحۡلَٰمِ بِعَٰلِمِينَ ٤٤﴾ [يوسف: 44] [1].

وجاء ردُّ المعبِّرين عن رؤيا الملك بأنَّها من جنس أضغاث الأحلام، أي: الأحلام المختلطة من الخواطر والأخْيِلة التي يتصوَّرها الدِّماغ في النَّوم فلا ترمي إلى معنى مقصود، وأصل الأضغاث الحُزمة من النَّبات أو العيدان، والأحلام ما يُرى في النَّوم، فوصفوا رؤيا الملك لاضطرابها وتشويشها بحُزمة مختلفة من العيدان والحشائش التي لا تناسب بينها، وأمَّا قولهم: وما نحن بتأويل الأحلام بعالمين، يحتمل قولهم هذا أنَّهم ليسوا بأولي علم بتأويل هذه الأحلام المختلطة المضطربة، وإنَّما يعلمون تأويل غيرها من المنامات المعقولة المفهومة، ويحتمل نفي العلم بجنس الأحلام لأنَّها مما لا يُعلم، أو ممَّا لا يكون له معنى بعيد تدلُّ عليه الصُّور المتخيَّلة في النَّوم تنتهي إليه، كما ينكر أهل العلم المادي الآن أن يكون لشيء من هذه الرُّؤى والأحلام تأويل صحيح، ولكن قدماء المصريين كانوا يعنون بها [2].

ومما استدلَّ به الملأ على أنَّ الرُّؤيا مجرد أضغاث أحلام أي: أخلاط وأباطيل لا يجب أن يُؤبه لها، أنَّ هذه الرؤيا قد جمعت صورًا مختلفة، وأنواعًا متباينة من البقر والسُّنبلات، وأن أكل السَّبع البقرات العجاف للسَّبع السِّمان، صورة شاذَّة لم يُشاهد وقوعها في الخارج من أوَّل الدُّنيا... وكلُّ هذا يدلُّ على أنَّها لا حقيقة لها، وعلى فرض صحَّة وقوعها فهم ليسوا بتفسيرها بعالمين.

وقد جاء اعترافهم بالقصور عن تفسير رؤيا الملك مطابقا لشكِّ الملك في عدم قدرتهم لتعبيرها، وذلك لقول الملك لهم: ﴿إِن كُنتُمۡ لِلرُّءۡيَا تَعۡبُرُونَ ٤٣﴾ [يوسف: 43] [3].

---

1 ــ ينظر: فضل حسن عباس، قصص القرآن الكريم، ط3، دار النفائس، الأردن، 2010م، ص422.

2 ــ ينظر: محمد رشيد رضا، تفسير المنار، مصدر سابق، ج12، ص262.

3 ــ ينظر: القاسمي، محاسن التأويل، ط1، مصدر سابق، ج6، ص181.

ومما سبق يظهر لنا أنَّ رؤيا الملك التي عرضها على ملئه لتعبيرها تحمل إشارات تحذيرية مسبقة عن حلول أزمة اقتصادية ستضرب مصر وما جاورها لمدَّة تدوم سبع سنين، أمَّا الكشف عن معنى هذه الإشارات التَّحذيرية التي تضمَّنتها هذه الرُّؤيا مع تحليل ما ترمز إليه الصُّور المختلفة فيها، فإنَّ ذلك سيتمُّ في مرحلة المعالجة والتي يتمُّ فيها تفسير رؤيا الملك من قِبل يوسف عليه السلام.

✓ ــ المرحلة الثانية: مرحلة ميلاد الأزمة.

تمثَّلت بداية هذه المرحلة بعد مرور السَّبع السِّنين الأولى الخصبة، حيث دخلت بعدها مباشرة سنين الأزمة والتي امتدَّت سبع سنوات، وهذا عين ما عبَّر عنه يوسف عليه السلام في تفسيره لرؤيا الملك وذلك بعدما أظهر الله عز وجل عجْز ملأ الملك عن تعبير الرُّؤيا وتفسيرها لحكمة أرادها سبحانه عز وجل... حينها أنطق الله عز وجل ساقي الملك الذي كان حاضرًا مجلسه بعد أن تذكَّر صاحب سجنِه يوسف عليه السلام والذي صدّقه السَّاقي وجرّبه في تأويل رؤياه، قال تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِى نَجَا مِنْهُمَا وَٱدَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا۠ أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِۦ فَأَرْسِلُونِ ﴿٤٥﴾ ﴾ [يوسف: 45].

أي: قال الذي نجا من صاحبي السِّجن، وهو السَّاقي أحد أركان القصَّة بعد أن تذكَّر بزمن طويل وصيَّة يوسف إيَّاه بأن يذكره عند سيِّده الملك، فأنساه الشَّيطان ذلك [1]، ﴿ أَنَا۠ أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِۦ فَأَرْسِلُونِ ﴿٤٥﴾ ﴾، وتأمَّل الثّقة بالنَّفس في قوله: "أنا أنبئكم" فهو قاطع جازم بأنَّه سيعود بالتَّفسير، فقط أرسلوه [2].

ويطوي السِّياق الزَّمن والمسافة لينقلنا من بلاط الملك إلى السِّجن حيث يقبع يوسف عليه السلام وما نالت السِّنون من معنويَّاته شيئًا، فينقل له السَّاقي خبر رؤيا الملك بأمانة من دون زيادة فيها أو نقصان، قائلاً: ﴿ يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِى سَبْعِ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ لَّعَلِّىٓ أَرْجِعُ إِلَى ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٤٦﴾ ﴾ [يوسف: 46].

---

[1] ــ ينظر: محمد رشيد رضا، تفسير المنار، مصدر سابق، ج12، ص262.

[2] ــ ينظر: نوفل أحمد، سورة يوسف دراسة تحليلية، مرجع سابق، ص406.

فحينها يشرع يوسف عليه السلام في تفسير الرؤيا للسَّاقي دون أن يستفسر عن الرَّائي، وصفاته، وأحواله، ومهنته، واسمه، وكنيته، والوقت الذي رأى فيه الرُّؤيا كما يفعل المعبِّرون؛ لأنّه نبيٌّ يرى بعين الوحي والنُّبوَّة، ولا يحتاج إلى تفكير ومقارنة واستنباط واستدلال بالأسماء والأحوال والأوقات والإشارات لمعرفة تأويلها... [1].

فأخبر يوسف عليه السلام السَّاقي بتأويل هذه الرؤيا بقوله: ﴿ قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ ﴿٤٨﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾ [يوسف: 47 – 49].

ومما يستنتج عمومًا [2] من هذا التَّفسير ما يأتي:

- ــ أنَّ يوسف عليه السلام أخبرهم أنَّ ميلاد الأزمة الاقتصادية سيكون مباشرة بعد السَّبع السنين الأولى ليأخذوا حيطتهم وحذرهم منها قبل وقوعها.
- ــ أنَّ يوسف عليه السلام في تفسيره للرُّؤيا لم يربطها بمشيئة الله فلم يقل ستحل أزمة اقتصادية ــ إن شاء الله ــ تضرب مصر وما جاورها من المدن بعد سبع سنين، وفي هذا دليلٌ على أنَّ رؤيا الأنبياء وحي، وأنَّها حادثة لا محالة كفلق الصُّبح، وأنَّ الله سبحانه وتعالى يُطلع على غيبه من يشاء من عباده ممن ارتضاهم، مصداقا لقوله: ﴿ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ ﴾ [الجن: 26 – 28]، "أي: هو سبحانه عالم الغيب، فلا يطلع على غيبه أحدًا من خلقه، إلَّا الرَّسول الذي ارتضاه واختاره من خلقه، فإنَّه سبحانه قد يطلعه على بعض غُيوبه، ليكون ذلك معجزة له، دالَّة على صدقه أمام قومه"[3].

---

[1] ــ ينظر: طهماز عبد الحميد محمود، الوحي والنبوة والعلم في سورة يوسف، ط1، دار القلم، دمشق، 1990م، ص72.

[2] ــ قصد الباحث العموم هنا لأنه ترك التحليل والاستنباط في المرحلة التي تليها وهي مرحلة إدارة الأزمة.

[3] ــ طنطاوي، التفسير الوسيط، مصدر سابق، ج15، ص 145.

- ــ أنَّ يوسف عليه السلام لم يكتف بمجرَّد تفسير الرُّؤيا؛ بل زاد ذلك حسن التَّخلص من الأزمة بالتَّخطيط والإدارة الحكيمة كما سيأتي بيان ذلك ــ إن شاء الله ــ في مرحلة إدارة الأزمة.
- ــ أنَّ يوسف عليه السلام وجّه خطابه إلى النَّاس كافَّة رغم أنَّ الرُّؤيا صدرت من شخص واحد وهو الملك، وفي هذا إعلام بأنَّ لهذه الرُّؤيا التَّنبُّؤية صلة بالأحوال الاقتصادية والمعيشية التي سيكون عليها النَّاس جميعًا لمدة خمس عشرة سنة.

✓ ــ المرحلة الثالثة: مرحلة نمو الأزمة واتِّساعها.

يشير القرآن الكريم إلى هذه المرحلة وذلك بعد انتهاء السَّبع السِّنين المخصبة، وحلول السِّنين المجدبة إذ بدأت تزحف على بلاد مصر لكنَّها قد أخذت أهبتها قبل مجيئها بالزِّراعة والادِّخار، وحسن التَّوزيع... واتَّسعت دائرة الأزمة لتشمل خارج حدود مصر كفلسطين وبلاد الشَّام والتي لم يعدُّوا لها العدَّة ولم يحسبوا لها حسابها، فبدأت باجتياحهم والتَّأثير فيهم سلبًا، لكن هذه البلاد المجاورة سمعوا من شأن مصر، وما أحرزته من اكتفاء في المعيشة وتغلُّبٍ على الأزمة، ومن أخبار حاكمها الرَّشيد... فقصدوها من كلِّ حدب وصوب لجلب الميرة للنّجاة من الهلاك المحقِّ طيلة السَّنوات العجاف، وفي هذا يقول تعالى: ﴿ وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنكِرُونَ ﴿٥٨﴾ وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ قَالَ ائْتُونِي بِأَخٍ لَّكُم مِّنْ أَبِيكُمْ أَلَا تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي الْكَيْلَ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنزِلِينَ ﴿٥٩﴾ فَإِن لَّمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِندِي وَلَا تَقْرَبُونِ ﴿٦٠﴾ ﴾ [يوسف: 58 – 60].

يقول سيد قطب: "أمّا فعل الجدب فقد أبرزه السِّياق في مشهد إخوة يوسف، يجيئون من البدو من أرض كنعان البعيدة يبحثون عن الطَّعام في مصر، ومن ذلك ندرك اتِّساع دائرة المجاعة، كما ندرك كيف وقفت مصر- بتدبير يوسف- منها، وكيف صارت محطَّ أنظار جيرانها، ومخزن الطَّعام في المنطقة كلِّها...

لقد اجتاح الجدب والمجاعة أرض كنعان وما حولها، فاتَّجه إخوة يوسف- فيمن يتَّجهون- إلى مصر.

وقد تسامع النَّاس بما فيها من فائض الغلَّة منذ السَّنوات السِّمان. وها نحن أولاء نشهدهم يدخلون على يوسف، وهم لا يعلمون، إنَّه يعرفهم، فَهُمْ هُمْ لم يتغيَّروا كثيراً، أمَّا يوسف فإنَّ خيالهم لا يتصوَّر قطُّ أنَّه هو ذاك!"[1].

✓ ــ **المرحلة الرابعة: مرحلة النُّضج.**

ذكرت الآيات الكثير من الملامح التي وصفت لنا قوَّة الأزمة، وشدَّة تأثيرها في النَّاس، وبيان قمَّة نضجها... وخاصَّة ما تعلق الأمر بتلك المدن المتاخمة لمصر والتي لم تأخذ باحتياطاتها اللَّازمة لتجاوز الأزمة، ومن مظاهر نضوج الأزمة ما يأتي:

1) ــ قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾ [يوسف: 48]، فهذه الآية الكريمة تبيِّن لنا بوضوح درجة قوَّة الأزمة، وقمَّة بلوغ ذروتها من خلال ما يأتي:

أ- وصف يوسف عليه السلام الأزمة بالسَّبع الشِّداد: قال تعالى: ﴿ ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ ﴾، يقول أبو زهرة: "وُصفت السَّبع اليابسة بأنَّها سبع شداد، لأنها تكون شديدة على النَّاس، إذ يكون النَّاس فيها في شدَّة تضطرهم لإخراج كل ما ادَّخروا، ليدفعوا ضرَّها، ويأكل النَّاس فيها ما قدَّموه من قبل لها، وهيَّأوه لدفع شدَّته"[2].

ب- وصفه عليه السلام الأزمة بأنَّها تأكل وتُفني كل ما يقدَّم لهن: قال تعالى: ﴿ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾ "أي: يأكل أهلهن كل ما قدمتم لهم، وهو من إسنادهم إلى الزَّمان والدَّهر ما يقع فيه، ويكثر إسناد العسر والجوع إلى سِنيِّ الجدب، يقال: أكلت لنا هذه السَّنة كلَّ شيء و لم تُبق لنا خفيًا ولا حافرًا، ولا سبدًا ولا لبدًا، أي لا شعرًا ولا صوفًا"[3]، "وكأن

---

[1] ــ سيد قطب، في ظلال القرآن، مصدر سابق، ج4، ص2015.

[2] ــ أبو زهرة، زهرة التفاسير، مصدر سابق، ج7، ص3831.

[3] ــ محمد رشيد رضا، تفسير المنار، مصدر سابق، ج12، ص 264.

هذه السَّنوات هي التي تأكل بذاتها كلّ ما يقدّم لها لشدَّة نهمِها وجوعها!"[1].

2) ــ كثرة ترداد إخوة يوسف على مصر من أجل الاقتيات دليل على شدَّة الأزمة:

يصوِّر لنا القرآن الكريم عدد مرَّات دخول إخوة يوسف مصر لأجل جلب الطعام، وما هم في الحقيقة إلا نموذج مصغَّر لشدَّة من تأثَّروا بالأزمة؛ وإلَّا فإنَّ غيرهم كثير قد لحق بهم ما لحق بإخوة يوسف، ولذلك يمكننا الحكم بأنَّ جميع القرى المجاورة لمصر في مرحلة السَّبع العجاف وبما فيها فلسطين قد أثّرت فيهم الأزمة تأثيرا كبيرًا، كما أشار القرآن إلى ذلك في قوله تعالى: ﴿ وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِى كُنَّا فِيهَا وَٱلْعِيرَ ٱلَّتِىٓ أَقْبَلْنَا فِيهَا ۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ [يوسف: 82].

يقول سيد قطب: "فليسأل أهل القرية التي كانوا فيها- وهي عاصمة مصر- والقرية اسم للمدينة الكبيرة- وليسأل القافلة التي كانوا فيها، فهم لم يكونوا وحدهم، فالقوافل الكثيرة كانت تَرِد مصر لتمتار الغلَّة في السِّنين العجاف..."[2].

3) ــ تصريح إخوة يوسف باشتداد الأزمة على أهل كنعان بفلسطين:

بيَّن القرآن الكريم درجة شدَّة الأزمة التي مسّت أهل كنعان وكلَّ البوادي المجاورة لها إذ ليسوا بمعزل عن الأزمة، فعرض علينا القرآن الكريم صورة مصغَّرة عمَّا لحق بإخوة يوسف وأهليهم إذ أضرّت بهم المجاعة، وبلغت منهم الفاقة مبلغًا شديدًا حتى نفدت منهم النُّقود، وما بقيت لهم إلَّا بضاعة لا قيمة لها: ﴿ فَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ قَالُوا۟ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا ٱلضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَٰعَةٍ مُّزْجَىٰةٍ فَأَوْفِ لَنَا ٱلْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَجْزِى ٱلْمُتَصَدِّقِينَ ﴿٨٨﴾ ﴾[يوسف: 88].

يقول المراغي: "وعادوا إلى مصر ودخلوا على يوسف عليه السلام فقالوا له: يا أيُّها العزيز أصابنا الهزال والضُّعف لما نحن فيه من المجاعة، وكثرة العيال، وقلَّة الطَّعام، وقد شكوا إليه رقَّة الحال، وقلَّة المال، وشدَّة الحاجة، وغير ذلك مما يرقِّق القلب..."[1].

---

[1] ــ سيد قطب، في ظلال القرآن، مصدر سابق، ج4، ص 1994.

[2] ــ سيد قطب، في ظلال القرآن، مصدر سابق، ج4، ص 2024.

✓ ــ **المرحلة الخامسة: مرحلة الانكماش والانحسار.**

أشار يوسف عليه السلام عند تأويله لرؤيا الملك إلى هذه المرحلة قبل خمسة عشر عامًا، وهي مرحلة انفراج الأزمة وعودة الأمور إلى نصابها عقب شدَّتها الأليمة وفترتها الطَّويلة، لكن هذا العام الذي يَعقُب الأزمة عام استثنائي غير معهود الخير والعطاء والوفرة والكثرة، وكأنَّ الخير يأتي للنَّاس ويعمُّهم دون بذل جهد وعناء، وهو عام فيه يغاث النَّاس بكشف الأزمة والمحنة عنهم وإغداقهم بالماء، وفيه يعصرون ألوانًا مما يقبل العصر من الثِّمار والفواكه والحبِّ كالعنب والزَّيتون والسِّمسم والقصب... فيعصرون العنب خمرًا، والزَّيتون زيتًا، والسِّمسم دهنًا، والقصب شرابًا،.... وعن هذه المرحلة يقول تعالى على لسان يوسف عليه السلام: ﴿ ثُمَّ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ عَامٞ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعۡصِرُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾ [يوسف: 49].

يقول محمد رشيد رضا: ومعنى الآية أنَّ الله تعالى سيغيثهم من الشدَّة أتمَّ الإغاثة وأوسعها، وهي تشمل جميع أنواع المعونة بعد الشِّدَّة، فيقال: غاثه يغوثه وغَوَاثًا، وأغاثه إغاثة إذا أعانه ونجّاه، وغوث الرجل، قال: واغوثاه، واستغاث ربه استنصره وسأله الغوث، ويجوز أن يكون من الغيث وهو المطر، إذ يقال: غاث الله البلاد غيثًا إذا أنزل فيها المطر، والأوّل أعمّ وهو المتبادر هنا، ولا يقال إنَّ الثَّاني لا يصح، لأنَّ خصب مصر يكون بفيضان النِّيل لا بالمطر، فإنَّ فيضانه لا يكون إلا من المطر الذي يمدُّه في مجاريه من بلاد السُّودان، وفيه يعصرون أي: ما شأنه أن يُعصر من الأدهان التي يأتدمون بها، ويستصبحون كالزيت من الزَّيتون، والقرطم وغيره، والشيرج من السِّمسم وغير ذلك، والأشربة من القصب والنَّخيل والعنب والمراد: أنَّ هذا العام عظيم الخصب والإقبال، ويكون للنَّاس فيه كل ما يبغون من النِّعمة والإترافِ [2].

ويقول الرازي: "وقوله: يغاث النَّاس معناه يُمطرون، ويجوز أن يكون من قولهم: أغاثه الله إذا أنقذه من كرب أو غمٍّ، ومعناه ينقذ النَّاس فيه من كرب الجدب، وقوله: وفيه يعصرون، أي: يعصرون السِّمسم دهنا، والعنب خمرا، والزَّيتون زيتًا، وهذا يدلُّ على ذهاب

---

[1] ــ المراغي، تفسير المراغي، مصدر سابق، ج13، ص31.

[2] ــ ينظر: محمد رشيد رضا، تفسير المنار، مصدر سابق، ج12، ص264.

الجدب وحصول الخصب والخير، وقيل: يحلبون الضُّروع، وقرئ يعصرون من عصره إذا نجَّاه، وقيل: معناه يمطرون من أعصرت السَّحابة إذا أعصرت بالمطر، ومنه قوله: ﴿ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلْمُعْصِرَٰتِ مَآءً ثَجَّاجًا ﴿١٤﴾ ﴾ [النبأ: 14]"[1].

المطلب الثاني: مراحل إدارة الأزمة الاقتصادية من القائد يوسف عليه السلام:

إنَّ الأزمات تتنوَّع وتختلف من حيث: نوع الأزمة، ودرجة خطورتها، وقوّة صداها، وحجم مساحتها، واتِّساع نطاقها، ومدّتها، ومجال حدوثها، وطبيعة شعبها، وعقيدة أهلها.... فإذا وقعت أزمة قحط ومجاعة مدَّة سبع سنواتٍ في مناخ عقائدي فاسد، ويسود على أهله في عزّ الأزمة قانون الغاب من احتكار، وغشٍّ، وسرقة، وقتل... فإنَّ التَّكفل بإطعام شعب جائع تلك المدة وبتلك المواصفات لا يقول أحدٌ أنَّه غنيمة؛ بل بالعكس فهي تبعة يهرب منها الرّجالُ؛ لأنَّها قد تُكلِّفهم رؤوسهم.

ومن هنا ندرك حكمة الشَّخصيَّة اليوسفيَّة عليه السلام ومؤهِّلاته التي جعلت منه قائدًا إداريًا ناهضًا بتحملِّ مسؤولية إدارة الأزمة الاقتصادية رغم كلِّ مخاطرها، وتحدِّياتها، وتداعياتها... وهو جدير بالدِّراسة والبحث لمنهج إدارته ليكون محلَّ قدوة وأسوة لنا في هذا المجال.

وفي ما يأتي بيان منهج إدارته عليه السلام للأزمة الاقتصادية:

✓ ــ المرحلة الأولى: مرحلة اكتشاف الإشارات والإنذارت.

لَّما أظهر الله عزّ وجلّ عجْز ملأ الملك من تعبير رؤياه والتي تحمل في طيَّاتها إشارات الإنذار المبكِّرة للأزمة، فلم يدركوا معنى تلك الإشارات وتلك التَّحذيرات فضلاً عن تحليلها وتقديم علاجها، بل فسَّروها تفسيرًا خاطئًا حيث وصفوها بأضغاث أحلام، وذلك بجهلهم وعدم إحاطتهم بهذا العلم، وخاصَّة وأنَّ رؤيا الملك في نظرهم تخلو من التَّجانس فيما بينها، وهي تُصادم الواقع والحال، إذ لا يعقل أن تَأكل البقرات العجافُ البقرات السِّمانَ؛ لأنَّ هذا

[1] ــ الرازي، مفاتيح الغيب، مصدر سابق، ج18، ص466.

جنون وشذوذ لم يشاهد وقوعها في الخارج من أوَّل الدُّنيا... يقول تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلْمَلِكُ إِنِّيٓ أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ ۖ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُءْيَٰيَ إِن كُنتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ ﴿٤٣﴾ قَالُوٓاْ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍ ۖ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ ٱلْأَحْلَٰمِ بِعَٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾ ﴾[يوسف: 43 – 44].

يقول طنطاوي: "قال الملأ للملك: ما رأيتَه أيُّها الملك في نومك ما هو إلا تخاليط أحلام، ومنامات باطلة، فلا تهتم بها، فهم قد شبَّهوا ما رآه بالأضغاث في اختلاطها، وعدم التَّجانس بين أطرافها.

ثم أضافوا إلى ذلك قولهم: «وما نحن بتأويل الأحلام بعالمين»، أي: إنَّنا لسنا من أهل العلم بتفسير تخاليط الأحلام، وإنَّما نحن من أهل العلم بتفسير المنامات المعقولة المفهوم وقولهم هذا إنَّما هو اعتذار عن جهلهم، بمعرفة تفسير رؤيا الملك، ويبدو أنَّ الملك كان يتوقَّع منهم هذا الجهل، كما يشعر به قوله تعالى: "إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّءْيا تَعْبُرُونَ" فقد أتى بإن المفيدة للشَّكِّ"[1]

ساقي الملك يرشدهم إلى من سيحلُّ لهم لغز الإشارات.

فحينها تذكر الذي نجا من السِّجن وأصبح ساقيًا للملك خبر يوسف عليه السلام وعِلمه بتأويل الأحلام والرُّؤى، فقال للملك ولمن بحضرته من ملئه العاجزين عن تأويل الرُّؤيا أنا سأحلُّ لكم تلكم الرُّموز، وتلكم الإشارات التي رآها الملك في منامه بشرط أن ترسلون... قال تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَٱدَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا۠ أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِۦ فَأَرْسِلُونِ ﴿٤٥﴾ ﴾ [يوسف: 45].

إشارات الإنذار بالأزمة تُنقل بأمانة إلى من سيفسِّرها.

إنَّ التَّعامل مع الأزمة يتطلَّب الصِّدق، والأمانة، والموضوعية في الكشف عنها وتحليلها، وإنَّ أيَّ تضخيم لها، أو تقليل من شأنها سينتج عنه حتمًا نتائج خاطئة وإن لم نقل مدمِّرة تعود بالسَّلب على أفراد المجتمع، ومن هنا فإنَّ السَّاقي نقل الرُّؤيا وقصّها على يوسف

[1] ــ طنطاوي، التفسير الوسيط، مصدر سابق، ج7، ص ص: 368 ــ 369.

عليه السلام بحروفها، وترتيبها، وحذافيرها... ممَّا يدلُّ أنَّه كان لها اهتمامٌ كبيرٌ في نفسيَّته، وأنَّ لها انعكاسًا وشأنًا خطيرًا على مجتمعه.

يقول سيد قطب: "ونقل ألفاظ الملك التي قالها كاملةً؛ لأنَّه يطلب تأويلها، فكان دقيقاً في نقلها، وأثبتها السِّياق مرَّة أخرى ليبيِّن هذه الدِّقة أوَّلاً، وليجيء تأويلها ملاصقاً في السِّياق لذكرها"[1].

يوسف عليه السلام يكشف إشارات الإنذار ويحلِّلها.

لم يتوان سيِّدنا يوسف عليه السلام من تفسير الرُّؤيا لّما حملها إليه ساقي الملك؛ إذ قدّم لنا عبرة في أولوية تقديم المصلحة العامة وهي إنقاذ الأمَّة من أزمة مؤكَّدة على مصلحته الخاصَّة والمتمثِّلة في سجنه مظلومًا مع انتهاك عرضه الشَّريف، فبادر عليه السلام بتفسير الرُّؤيا موجِّها كلامه إلى النَّاس عامَّة؛ لأنَّه عَلِم بوحي من الله عزوجل أنَّ لهذه الرؤيا التَّنبُّؤيَّة صلة بالأحوال الاقتصادية التي سيكون عليها النَّاس مدة خمس عشرة سنة، فأعلمه الله عزوجل بأن يقول: ﴿ قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ ﴿٤٨﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾[يوسف: 47 – 49].

بيان آراء المفسرين واستنتاجاتهم من خلال هذه الآيات الثلاث.

يقول الزمخشري: "تَزْرَعُونَ خبر في معنى الأمر، كقوله: تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجاهِدُونَ وإنَّما يخرج الأمر في صورة الخبر للمبالغة في إيجاب إيجاب المأمور به، فيجعل كأنَّه يوجد، فهو يخبر عنه.

والدَّليل على كونه في معنى الأمر قوله: فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ. دَأَباً بسكون الهمزة وتحريكها، وهما مصدرا: دأب في العمل، وهو حال من المأمورين، أي دائبين: إمّا على تدأبون دأباً، وإمّا على إيقاع المصدر حالًا، بمعنى: ذوي دأب. فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ لئلَّا يتسوَّس. ويَأْكُلْنَ من الإسناد المجازي: جعل أكل أهلهنّ مسنداً إليهنّ. تُحْصِنُونَ تحرزون وتخبؤن،

[1] ــ سيد قطب، في ظلال القرآن، مصدر سابق، ج4، ص1993.

يُغاثُ النَّاسُ من الغوث أو من الغيث. يقال: غيثت البلاد، إذا مطرت... يَعْصِرُونَ بالياء والتاء: يعصرون العنب والزيتون والسِّمسم. وقيل: يحلبون الضُّروع، وقرئ: يعصرون، على البناء للمفعول، من عصره إذا أنجاه، وهو مطابق للإغاثة. ويجوز أن يكون المبنى للفاعل بمعنى ينجون، كأنَّه قيل: فيه يغاث الناس وفيه يغيثون أنفسهم، أي: يغيثهم الله ويغيث بعضهم بعضاً وقيل يَعْصِرُونَ يمطرون، من أعصرت السحابة"[1].

ويقول السعدي: "عبَّر يوسف، السَّبع البقرات السِّمان والسَّبع السُّنبلات الخضر، بأنَّهنَّ سبع سنين مخصبات، والسَّبع البقرات العجاف، والسَّبع السُّنبلات اليابسات، بأنَّهنَّ سنين مجدبات، ولعلَّ وجه ذلك – والله أعلم – أنَّ الخصب والجدب لما كان الحرث مبنيًّا عليه، وأنَّه إذا حصل الخصب قويت الزُّروع والحروث، وحسن منظرها، وكثرت غلالها، والجدب بالعكس من ذلك. وكانت البقر هي التي تحرث عليها الأرض، وتُسقى عليها الحروث في الغالب، والسُّنبلات هي أعظم الأقوات وأفضلها، عبَّرها بذلك لوجود المناسبة، فجمع لهم في تأويلها بين التَّعبير والإشارة لما يفعلونه، ويستعدُّون به من التَّدبير في سِنِيِّ الخصب، إلى سِنِيِّ الجدب"[2].

ويقول ابن عاشور: "عبَّر الرُّؤيا بجميع ما دلَّت عليه، فالبقرات لسنين الزِّراعة، لأنَّ البقرة تُتَّخذ للإثمار، والسِّمَن رمزٌ للخصب، والعجف رمزٌ للقحط، والسُّنبلات رمزٌ للأقوات، فالسُّنبلات الخضر رمز لطعام ينتفع به، وكونها سبعًا رمز للانتفاع به في السَّبع السِّنين، فكل سنبلة رمز لطعام سنة، فذلك يقتاتونه في تلك السِّنين جديدًا، والسُّنبلات اليابسات رمز لما يدَّخر، وكونها سبعًا رمز لادِّخارها في سبع سنين لأنَّ البقرات العجاف أكلت البقرات السِّمان، وتأويل ذلك: أنَّ سِنِيِّ الجدب أتت على ما أثمرته سِنوُّ الخصب.

وقوله: تزرعون خبر عمَّا يكون من عملهم، وذلك أنَّ الزرع عادتهم، فذكره إيَّاه تمهيد للكلام الآتي ولذلك قيده بـــ "دأبًا"، والدَّأب: العادة والاستمرار عليها"[3].

---

[1] ــ الزمخشري، الكشاف، مصدر سابق، ج2، ص ص: 476 ــ 477.

[2] ــ السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، مصدر سابق، ج1، ص399.

[3] ــ ابن عاشور، التحرير والتنوير، مصدر سابق، ج12، ص286.

تلخيص المعاني الإجمالية لأراء المفسرين.

نخلص من آراء المفسِّرين حول الآيات 47 ــ 48 ــ 49 إلى جملة من النِّقاط الآتية:

- ــ أنَّ البقرات السَّبع السِّمان، والسُّنبلات السَّبع الخضر تأويلها سنوات الخصب السَّبعة، وسبب ذكر البقر والقمح في رؤيا الملك لأنَّ البقرات هي رمز النِّعمة والعطاء فهي تمدُّ الإنسان باللَّبن، واللَّحم كما ينتفع بجلدها، وروثها... أمَّا السُّنبلة فهو أساس الغذاء، والاقتيات، والادِّخار... ففي هذه الرُّؤيا إشارة إلى أصول الإنتاج الطبيعي بشقَّيه: الحيواني والنَّباتي الذي هو مادة الاقتصاد الأولى، والواجب على الحكومات الاهتمام بهذا القطاع وإعطائه أولوية كبيرة لأنَّ حياة النَّاس قائمة عليها.
- ــ أنَّ السَّبع بقرات العجاف، والسَّبع سنبلات يابسات تأويلها سنوات الجذب السَّبعة.
- ــ أنَّ يوسف عليه السلام أمرهم بمضاعفة الجهد في الزراعة والاستمرار عليها طيلة سبع سنين[1].
- ــ أنَّ يوسف عليه السلام قد أمرهم بإبقاء ما يحصدونه من الزُّروع في سنابلها؛ لأنَّ ذلك يحفظها من التَّسوُّس ومن الآفات التي تتعرَّض لها.
- ــ أنَّ يوسف عليه السلام حثَّهم على التَّعاون بحكمة مع هذه المعطيات ــ بدلالة مخاطبة الجمع ــ سواء كان ذلك في الزِّراعة أو التَّخزين أو الاستهلاك.
- ــ أنَّ يوسف عليه السلام أعلمهم بعمر الأزمة وهي سبع سنين مجدبة، وأنَّ بعدها سيأتي عام يكثر فيه الخير والبركة [1].

---

[1] ــ والسؤال الذي قد ينشأ عند سماع كلامه "تزرعون سبع سنين دأبا": أليس الشعب المصري يزرع، فما الجديد في كلام يوسف عليه السلام؟ إن الجديد في مقدار التعبئة وتجنيد الطاقات وحشد القوى، ثم فرق آخر في نسبة تشغيل طاقة كل فرد، فإذا كانت نسبة عمل العامل ثماني ساعات في اليوم في فترة الأمن، فإن في فترة الاستعداد لمواجهة الأزمة أراد يوسف أن تكون ضعف ذلك أو أكثر [ينظر: نوفل أحمد، سورة يوسف دراسة تحليلية، مرجع سابق، ص409].

فلولا هذه الرُّؤيا من الملك، وهذا التَّفسير الدَّقيق لها من يوسف عليه السلام لهجمت على النَّاس السِّنون المجدبات قبل أن يعدُّوا لها عدَّتها فيقع الضَّرر الكبير على الأقطار المصريَّة وعلى ما جاورها، فصار ذلك رحمة بهم وبغيرهم من الخلق. ﴿ وَٱللَّهُ رَءُوفُۢ بِٱلۡعِبَادِ ﴿٢٠٧﴾ ﴾ [البقرة: 207].

ألا ترى كيف شملت أزمة الجدب البلاد المصرية والبلاد الشَّامية وفلسطين وغيرها حتَّى احتاجوا إلى الاكتيال من مصر، واحتاج يوسف أن يقدِّر للجميع، ويوزِّع عليهم توزيعًا عادلًا فيه الرِّفق بالجميع والإبقاء عليهم؟

وكان هذا العلم العظيم من يوسف هو السَّبب المباشر في خروجه من السِّجن، وتقريب الملك له من اختصاصه به، وتمكينه من الأرض، يتبوَّأ منها حيث يشاء، والله لا يضيع أجر المحسنين ﴿ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَتَبَوَّأُ مِنۡهَا حَيۡثُ يَشَآءُ نُصِيبُ بِرَحۡمَتِنَا مَن نَّشَآءُ وَلَا نُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٥٦﴾ وَلَأَجۡرُ ٱلۡأٓخِرَةِ خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾ [يوسف: 56 – 57] [2].

✓ ــ المرحلة الثانية: مرحلة الإعداد للأزمة.

أشار يوسف عليه السلام إلى هذه المرحلة وهي مرحلة الإعداد لمواجهة الأزمة المستقبلية بقوله: ﴿ قَالَ تَزۡرَعُونَ سَبۡعَ سِنِينَ دَأَبٗا فَمَا حَصَدتُّمۡ فَذَرُوهُ فِي سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلٗا مِّمَّا تَأۡكُلُونَ ﴿٤٧﴾ ﴾[يوسف: 47].

فمن خلال الآية نرى أنَّ الطَّابع العام الذي يغلب على هذه المرحلة هو الإعداد والتَّخطيط للأزمة القادمة والتي ستدوم سبع سنين، فأراد يوسف عليه السلام من هذه المرحلة أن

---

1 ــ ينظر: قرموط نايف شعبان، الإدارة في سورة يوسف عليه السلام ــ دراسة موضوعية ــ، شهادة ماجستير، إشراف: عصام العبد محمد زهد، الجامعة الإسلامية، غزة، فلسطين المحتلة، 2009م، ص ص: 209 ــ 210.

2 ــ ينظر: السعدي عبد الرحمن بن ناصر، فوائد مستنبطة من قصة يوسف عليه السلام، ط1، مكتبة أضواء السلف، الرياض، 2000م، ص19.

تكون مرحلة تتَّصف بكثرة الإنتاج، وحسن الادِّخار، وترشيد في الاستهلاك، وتفعيل للموارد البشرية...كلُّ ذلك مقرون بالاستمرار والدَّأب عليه لمدَّة سبع سنين.

يوسف عليه السلام يخطِّط لإدارة الأزمة الاقتصادية المقبلة ويرسم لها طريقًا للخروج منها.

التَّخطيط عبارة عن الطَّريق الذي يتمُّ تحديده بصورة مسبقة لتحقيق الأهداف والذي يلتزم الإداريون به وينفِّذون العمل وفقًا للبرامج المسطَّرة فيه.

والتَّخطيط هو عملية ذكيَّة، وتصرُّف ذهني لعمل الأشياء بطريقة منظَّمة، للتَّفكير قبل العمل، والعمل في ضوء الحقائق بدلًا من التَّخمين [1].

"فالتخطيط هو في الحقيقة ممارسة بُعْد النَّظر والإعداد للمستقبل، وهو كالجسر الذي يعْبـــُر بنا من حيث نوجد إلى المكان الذي نريد الوصول إليه"[2].

يقول جمال عبده: "يعتبر التَّخطيط وظيفة أساسيَّة من وظائف الإدارة التي لا يمكن لها أن تكون فعّالة بدونها، والتَّخطيط في حقيقته يعتمد على دعامتين وخمسة عناصر، أمَّا الدِّعامتان فهما: التَّنبُّؤ والأهداف، وأما العناصر فهي: السِّياسات، والوسائل، والأدوات (الموارد المادية والبشرية)، والإجراءات، والبرامج الزَّمنية، والموازنة التَّخطيطية التَّقديرية"[3].

والتَّخطيط عملية تتَّصل بالتَّنبُّؤ بالمستقبل، والتَّنبُّؤ يشكِّل دعامة أساسيَّة لعمليَّة التَّخطيط، فالتَّخطيط بدون تنبؤ لا يعتبر تخطيطًا علميًّا، ولكي يكون التَّنبُّؤ ملائمًا لا بدَّ من توفُّر معلومات موثَّقة... [4].

ويعرَّف التَّخطيط الاقتصادي عادة على أنَّه: "عملية تعبئة، وتنسيق، وتوجيه، ومتابعة الموارد الاقتصادية: البشرية، والمالية، والطَّبيعية...لاقتصاد مَّا لتحقيق أهداف محدَّدة خلال فترة زمنيَّة معيَّنة"[5].

---

1 ــ ماجد المساعدة وآخرون، مبادئ علم الإدارة، ط1، دار المسيرة، عمّان، 2013م، ص 89.

2 ــ السكارنة بلال خلف، التخطيط الاستراتيجي، ط1، دار المسيرة، عمّان، 2010م، ص37.

3 ــ جمال عبده، دور المنهج الإسلامي في تنمية الموارد البشرية، دار الفرقان، عمّان، 1984م، ص21.

4 ــ ينظر: ماجد المساعدة وآخرون، مبادئ علم الإدارة، مرجع سابق، ص ص: 88 ــ 89.

5 ــ هوشيار معروف، التخطيط الاستراتيجي، ط1، دار وائل للنشر، عمّان، 2009م، ص 25.

تعقيب على التعريفات.

أما التَّنبؤ فهو استشراف المستقبل، واستشفاف الآتي، وهذا عين ما كان من يوسف عليه السلام إذ بنى تخطيطه لإدارة هذه الأزمة على تنبؤات مستقبلية قائمة على الحقائق القطعيَّة وذلك بما علَّمه الله تعالى من علم تأويل الرُّؤيا، ثم نجده أيضًا قد حدَّد الأهداف في مضاعفة الإنتاج وتقنين الاستهلاك مع ترشيده، ثم تخزين الطَّعام وهذا يقتضي خطَّة تفصيليَّة؛ لأنَّ الهدف العام الكبير ليس شيئًا إن لم يقترن بخططه التَّفصيليَّة، وهنا يأتي دور السِّياسات، والوسائل، والأدوات، والموارد البشرية، والإجراءات، والبرامج الزَّمنية، والموازنة التَّقديرية.

هذا هو ما فعله يوسف عليه السلام على ضوء علم الإدارة الحديث، وإن كان القرآن الكريم حصر كلام يوسف عليه السلام في جمل جامعة وجيزة، ولم يشر إلى تنمية الإنسان، لكنَّها متضمِّنة قطعًا ضمن الخطَّة، لأنَّ القرآن الكريم علَّمنا أنَّ الإنسان إنما هو نفسيَّته ومضمونه ومحتواه، وأنَّ تغيير الخارج بدون تغيير الدَّاخل لا يغيِّر نقيرًا [1].

أمَّا ما جاء في تعريف التَّخطيط الاقتصادي فإنَّ يوسف عليه السلام قد وضع أسسه منذ اللَّحظة الأولى إثر سماعه لرؤيا الملك، فقد أمر عليه السلام بالتَّعبئة والحشد وتضافر جميع الجهود ومشاركة فعّالة دءوبة لسبع سنوات من أجل اجتياز آمن للأزمة، وهذا ملاحظٌ من خطابه بضمير الجمع لا بخطاب الفرد مثل: "تزرعون"، "حصدتم"، "فذروه"، "تأكلون"، "تحصنون"... وفي هذا إشارة إلى ضرورة إشراك كافة المستويات الإدارية ـــ عليا ووسطى وتنفيذية ـــ في إعداد الموازنة التخطيطية.

السِّمات الأساسيَّة لمرحلة الإعداد للأزمة.

اقتضت حكمة يوسف عليه السلام أن يكون برنامجه السُّباعي الأول قائمًا على تنفيذ مجهودات جبَّارة ممثَّلة في تحقيق الأمن الغذائي لمصر وما جاورها من المدن؛ وذلك تأمينًا لهم من أزمة مهلكة ستحلُّ بهم بعد سبع سنين، وإزاء ذلك فقد سطّر عليه السلام برنامجه على النَّحو الآتي:

---

[1] ـــ ينظر: أحمد نوفل، سورة يوسف دراسة تحليلية، مرجع سابق، ص ص: 415 ـــ 416.

1- زيادة الطَّاقة الإنتاجية للقمح.

لم يأمر يوسف عليه السلام النَّاس بمجرَّد الزِّراعة لأنَّ ذلك أمر مفروغ منه وهو ديدنهم [1] لكنَّ الذي أراده من أمرِه لهم بالزِّراعة هو زيادة الإنتاج ورفعه إلى أقصى درجة استعدادًا لمواجهة أزمة القحط والمجاعة.

ولا شكَّ أنَّ زيادة عمليَّة المنتوج الزراعي وبشكل مستمر في سبع سنوات الخصب استعدادًا لسبع سنوات القحط يتطلَّب أمورًا لا بدَّ من الإدارة اليوسفيَّة أن توفِّرها وهي:

- ــ تشجيع المزارعين على زراعة القمح وذلك بنشر الوعي عن خطر الأزمة القادمة، وحثِّهم على الزِّراعة والادِّخار.
- ــ تكليف الدَّولة كل المحافظات بتنفيذ الخطَّة اليوسفيّة والمتمثِّلة في تكثيف الزِّراعة لغرض تحقيق الاكتفاء الذَّاتي لكلِّ محافظة قبل الأزمة وأثنائها.
- ــ منح أراضٍ جديدة للمزارعين لغرض التَّوسُّع الأفقي في زراعة القمح، وهذا من باب قول النبَّي ﷺ: «مَنْ أَحْيَا أَرْضًا مَيْتَةً فَهِيَ لَهُ»[2].
- ــ تقديم تسهيلات للمزارعين لغرض الإنتاج: كإيصال الماء إلى مزارعهم، وتوفير اليد العاملة، والتَّكفل ببناء المخازن، وشراء الدَّولة ما ينتجه المزارعون من القمح لغرض ادِّخاره لوقت الأزمة.
- ــ التَّوسيع من دائرة استصلاح الأراضي القابلة للزِّراعة، ومنحها لمن يريد استغلالها للزراعة فيها.
- ــ زراعة القمح لأكثر من مرَّة في السَّنة الواحدة.
- ــ اختيار أفضل أنواع الحبوب من القمح.
- ــ سنُّ قانون العمل الإضافي، ومحاربة جميع أشكال البطالة.

---

[1] ــ اشتهر الشعب المصري بزراعة القمح منذ القديم، وتعتبر زراعته هي مهنة غالبيتهم نظرا لتوفر مصر على نهر النيل الذي يعد موردا رئيسيا للزراعة، حيث يستخدمونه للري وسقي المزروعات...

[2] ــ الترمذي، سنن الترمذي، مصدر سابق، كتاب الأحكام، بَابُ مَا ذُكِرَ فِي إِحْيَاءِ أَرْضِ المَوَاتِ، ج3، ص655، رقم الحديث: 1379. قال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح. وقال الألباني: صحيح. [الألباني محمد ناصر الدين، إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، ط2، المكتب الإسلامي، بيروت، 1989م، ج6، ص4، رقم الحديث: 1550].

- ــ توفير الثَّروة الحيوانية التي يستفاد منها في المجال الزراعي من حرثٍ، وسقيٍ، ونقلٍ...
- ــ توحيد جهود الدَّولة وتفريغها في المجال الزراعي تحقيقًا للأمن الغذائي زمن الأزمة لكافة الشَّعب المصري وما يجاوره من المدن.

يقول أحمد نوفل: "وقد ألمحنا أنَّ الخطَّة اليوسفيَّة في الديَّار المصريَّة قد راعت هذا كلِّه، فزادت الإنتاجية إلى ما نستطيع تقديره 400 %، وأولت اهتمامًا ولا شكَّ كبيرًا للعوامل البشرية، وزادت الفعالية وقت الدَّافعية؛ وإلا فكيف استطاعت أن تنجز كل هذه المنجزات العظيمة والرَّائعة في هذه المدة القياسيَّة، والخطَّة الخمس عشرية؟"[1].

2- الحفاظ على المنتوج.

وذلك بانتهاج خطَّتين أساسيتين لحفظ الغلال أمر بهما يوسف عليه السلام وهما:

- ــ إبقاء الحبِّ في سنبله: بعد أن ركَّز يوسف عليه السلام على زيادة الإنتاج ومضاعفته، عَمِل على المحافظة عليه باستخدام أفضل الطُّرق لضمان سلامته من: التَّسوُّس ــ والرُّطوبة ــ والإنبات ــ، فقد أمر بترك القمح في سنبله، وهي طريقة مصرية قديمة تهدف إلى حماية حبَّات القمح من العوامل الجويَّة الخارجيَّة [2].

يقول تعالى: ﴿ قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ ﴿٤٧﴾ ﴾ [يوسف: 47].

يقول ابن عاشور: "وكان ما أشار به يوسف عليه السلام على الملك من الادِّخار تمهيدًا لشرع ادِّخار الأقوات للتَّموين... وأشار إلى إبقاء ما فَضُل عن أقواتهم في سنبله ليكون أسلم

---

1 ــ نوفل أحمد، سورة يوسف دراسة تحليلية، مرجع سابق، ص414.

2 ــ ينظر: اليازجي صبحي رشيد، إدارة الأزمات من وحي القرآن الكريم ــ دراسة موضوعية ــ، مجلة الجامعة الإسلامية، المجلد 19، العدد 2، يونيو 2011م، ص 341.

له من إصابة السُّوس الذي يصيب الحبَّ إذا تراكم بعضه على بعض فإذا كان في سنبله دفع عنه السُّوس" [1].

- ــ بناء المخازن لحفظ الغلال: حيث يتمُّ بناؤها بطريقة مدروسة تمنع الحبَّ من عوامل التَّعفن، لأنَّ عملية التَّخزين ستكون شبه معقَّدة لطول مدة التَّخزين، وللكمِّية الكبيرة المدَّخرة، ولارتباط حياة النَّاس بها طوال مدة الأزمة.

"ومن الجدير بالذِّكر أنَّ عمليَّة التَّخزين، وعمل الموازنة بين الإنتاج والاستهلاك والتَّخزين تتطلَّب أن تكون فيها الدقَّة والمتابعة السَّليمة، ونكون ملزمين بقاعدة: "الذي يتمُّ إنتاجه أوَّلًا يستهلك أوَّلًا حسب الكمِّيَّات المطلوبة". "[2].

يقول تعالى: ﴿ ثُمَّ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾ [يوسف: 48].

يقول الشعراوي: "أي: أنَّ النَّاس ستأكل في أعوام الجدب الكثير من الحبوب التي في المخازن ويجب أن يحتفظوا بقليل ممَّا يحصنون في هذه المخازن، وذلك لاستبقاء جزء من القمح للزِّراعة" [3].

3-انتهاج سياسة التَّرشيد في الاستهلاك.

إنَّ الاقتصاد في الاستهلاك ينبغي أن يكون سلوكًا ثابتًا في الأمم، بحيث لا يكون مقتصرًا على أيَّام الأزمات؛ فإنَّه من يدري متى سيأتي على النَّاس شدادٌ كشداد زمن يوسف عليه السلام أو أشدَّ مع عدم ضماننا وجود قيادة حكيمة كقيادة يوسف عليه السلام، لذا كان لزامًا على الحكومات والمنظَّمات والمربُّون... أن ينشروا ثقافة التَّرشيد في الاستهلاك، وصدق الفاروق عمر رضي الله عنه حين قال: "إيَّاكم والبطنة في الطَّعام والشَّراب؛ فإنَّها مفسدة للجسد مورثة للسَّقم

---

1 ــ ابن عاشور، التحرير والتنوير، مصدر سابق، ج12، ص287.

2 ــ قرموط نايف، الإدارة في سورة يوسف عليه السلام ــ دراسة موضوعية ــ، مرجع سابق، ص 218.

3 ــ الشعراوي، خواطر الشعراوي، مصدر سابق، ج6، ص3358.

مكسلة عَن الصَّلاة، وعليكم بالقصد فيها؛ فإنَّه أصلح للجسد، وأبعد من السَّرف، وإنَّ الله تعالى ليبغض الحبر السَّمين، وإنَّ الرَّجل لن يهلك حتَّى يؤثر شهوته على دينه" [1].

وقد أمر يوسف عليه السلام بانتهاج سياسة التَّرشيد لمواجهة الأزمة المقبلة عليهم، فأمرهم بإبقاء الحصاد في سنبله إلَّا القليل الذي يلزم للاستخدام، والواضح من الآية أنَّه يجب إبقاء الكثير في سنبله.

وبالتَّقدير يكون الثُّلث للاستهلاك، والثُّلثان للتَّخزين، وهذا غير مرتبط بكمِّيات محدودة؛ لأنَّ الإنتاج والاستهلاك غير ثابتين، ولارتباطهما بعدد السُّكان وزيادته، كما أن يوسف عليه السلام أشار عليهم بتقليل ما يأكلون في سنوات الخصب لادِّخار ما فَضُل عن ذلك لزمن الشِّدَّة [2].

يقول تعالى على لسان يوسف عليه السلام: ﴿ قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ ﴿٤٧﴾ ﴾ [يوسف: 47]. " أي: تدرسون قليلا للأكل، أمرهم بحفظ الأكثر، والأكل بقدر الحاجة" [3].

4- انتهاج سياسة الادِّخار.

الادِّخار هو: قرار يتَّخذه الفرد بأن يجنِّب جزءًا من دُخله مؤجَّلا إنفاقه إلى وقت آجل.

والادِّخار عبارة وردت في القرآن في قوله تعالى على لسان سيدنا عيسى عليه السلام: ﴿ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ ﴾ [آل عمران: 49]، وقوله تعالى أيضا على لسان سيدنا يوسف عليه السلام: ﴿ قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا

---

1 ــ الأصبهاني أحمد بن عبد الله، الطب النبوي، تح: مصطفى خضر دونمز التركي، ط1، دار ابن حزم، د م، 2006م، ص243.

2 ــ ينظر: اليازجي صبحي رشيد، إدارة الأزمات من وحي القرآن الكريم ــ دراسة موضوعية ــ، مرجع سابق، ص 341.

3 ــ البغوي، معالم التنزيل في تفسير القرآن، مصدر سابق، ج2، ص495.

﴿تَأْكُلُونَ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ ﴿٤٨﴾﴾ [يوسف: 47 – 48]، فذروه هنا: أي ادَّخروه، وتحصنون أيضا بمعنى: تدَّخرون.

ودوافع الادِّخار كثيرة أهمُّها: ما يدَّخره الإنسان لوقت الأزمة والطوارئ، وقد كان النَّبي ﷺ: «يحبس لأهله قوت سنتهم"[1]، كما تبث عنه ﷺ أيضا أنَّه أوصى سعد بن أبي وقاص بانتهاج سياسة الادِّخار مع أهله قائلا له: «إِنَّكَ أَنْ تَذَرَ وَرَثَتَكَ أَغْنِيَاءَ، خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَذَرَهُمْ عَالَةً يَتَكَفَّفُونَ النَّاسَ»[2].

والفرق بين الاكتناز والادِّخار أنَّ الأموال في حالة الاكتناز تحجب عن المجتمع ولا ينتفع بها، أمَّا في حالة الادِّخار فإنَّها تأخذ طريقها نحو وعاء من الأوعية المالية فلا تحجب عن التَّداول، ولا تعطِّل الدَّورة الاقتصادية، وينتفع بها المجتمع... وعن طريق غرس القيم الرُّوحية يشجِّع الاقتصاد الإسلامي على الادِّخار حتَّى يجذب الفرد المسلم إلى طريق للسُّلوك الادِّخاري.

فالاقتصاد الإسلامي يسعى جاهدًا لنشر السُّلوك الادِّخاري وتعميقه والوصول به إلى مستوى العادة اليومية المتكرِّرة بين أفراد المجتمع المسلم؛ لأنَّه كلَّما أصبح هذا النَّشاط عادة كلما اتَّسع فشمل أكبر عدد ممكن من أفراد المجتمع الإسلامي ازداد المجتمع المسلم قوَّة ويتناقص عدد المحتاجين فيه [3].

إذا فالادِّخار يجنِّب الأفراد والمجتمعات من ويلات ما تخفيه الأيَّام القادمة من الشَّدائد والأزمات التي لا يُعلم شدَّتها ومدَّتها إلا الله ﷻ، وقديما قيل: ادّخر درهمك الأبيض ليومك الأسود.

ومن هنا فقد أدرك يوسف عليه السلام خطورة الأمر فوجّه نداءه ـــ وهو يقبع في السِّجن ـــ إلى النَّاس بضرورة انتهاج سياسة الادِّخار حيث أراد منها أن تكون مبدءًا يسير

---

[1] ـــ الحديث مروي في البخاري. ينظر: البخاري، الجامع الصحيح، مصر سابق، كتاب النفقات، بَابُ حَبْسِ نَفَقَةِ الرَّجُلِ قُوتَ سَنَةٍ عَلَى أَهْلِهِ، وَكَيْفَ نَفَقَاتُ العِيَالِ، ج7، ص63، رقم الحديث: 5357.

[2] ـــ متفق عليه. البخاري، الجامع الصحيح، مصدر سابق، كتاب الوصايا، بَابُ أَنْ يَتْرُكَ وَرَثَتَهُ أَغْنِيَاءَ خَيْرٌ مِنْ أَنْ يَتَكَفَّفُوا النَّاسَ، ج4، ص3، رقم الحديث: 2742.

[3] ـــ ينظر: يسري محمد أبو العلا، علم الاقتصاد، مرجع سابق، ج2، ص ص: 649 ـــ 651.

عليه الجميع، فقال: ﴿ قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ ﴾[يوسف: 47 – 48].

وقد أشارت كل آية من هاتين الآيتين إلى تفعيل سياسة الادِّخار وذلك بالأمر عليه في الآية الأولى بقوله: ﴿ فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنۢبُلِهِۦٓ ﴾، وبالإخبار عنه في الثَّانية بقوله: ﴿ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾.، "فقوله: تُحْصِنُونَ من الإحصان بمعنى الإحراز والادِّخار، يقال أحصن فلان الشيء، إذا جعله في الحصن، وهو الموضع الحصين الذي لا يوصل إليه إلا بصعوبة"[1].

يقول الشعراوي في تفسير قوله تعالى: ﴿ فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنۢبُلِهِۦٓ ﴾: "أي: ما تحصدونه نتيجة الزرع بجِدٍّ واجتهاد؛ فلكم أنْ تأكلوا القليل منه، وتتركوا بقيته محفوظاً في سنَابله.

والحفظ في السَّنابل يُعلِّمنا قَدْر القرآن، وقدرة مَنْ أنزل القرآن سبحانه، وما آتاه الله جلَّ علاه ليوسف عليه السلام من علم في كلِّ نواحي الحياة، من اقتصاد ومقوِّمات التَّخزين، وغير ذلك من عطاءات الله، فقد أثبت العلم الحديث أنَّ القمح إذا خُزِّن في سنابله؛ فتلك حماية ووقاية له من السُّوس"[2].

ويقول ابن عاشور: "كان ما أشار به يوسف عليه السلام على الملك من الادِّخار تمهيدًا لشرع ادِّخار الأقوات للتَّموين، كما كان الوفاء في الكيل والميزان ابتداء دعوة شعيب عليه السلام وأشار إلى إبقاء ما فضل عن أقواتهم في سنبله ليكون أسْلم له من إصابة السُّوس الذي يصيب الحبَّ إذا تراكم بعضه على بعض فإذا كان في سنبله دفع عنه السُّوس، وأشار عليهم بتقليل ما يأكلون في سنوات الخصب لادِّخار ما فضل عن ذلك لزمن الشِّدَّة"[3].

---

[1] ــ طنطاوي، التفسير الوسيط، مصدر سابق، ج7، ص371.

[2] ــ الشعراوي، خواطر الشعراوي، مصدر سابق، ج11، ص6977.

[3] ــ ابن عاشور، التحرير والتنوير، مصدر سابق، ج12، ص287.

إذا فيوسف عليه السلام علَّم البشرية ولأوَّل مرَّة قانون الادِّخار، وأنَّه كيف يكون الإعداد في زمن الرَّخاء وإن طال لزمن الشِّدَّة الذي قد يطول مثله، وهل سمعت البشرية قبل ذلك وبعدها عن خبير يعدّ النَّاس للأزمة قبل بوادرها بسبع سنوات!!!؟؟؟

يقول الصَّلاَّبي: "إنَّ الذي يخطِّط له يوسف عليه السلام هو مضاعفة الإنتاج وتقليل الاستهلاك، لأنَّ الأزمات والظُّروف الاستثنائية تحتاج إلى سلوك استثنائي، ولأنَّ سلوك النَّاس في الأزمات غير سلوكهم في الظُّروف العادية استرخاء وبطالة؛ فإنَّ هذه الأمَّة تكون في حالة خلل خطير يحتاج إلى علاج ومعالج خبير"[1].

ومن خلال ما سبق تبيَّن لنا ما يأتي:

- ــ أوضح لنا يوسف عليه السلام أنَّ الأهداف العامَّة خلال خطَّة السَّبع السِّنين الرَّخاء تتمثَّل في تخزين الحبوب والغلال لمواجهة السَّبع سنين القحط التي ستصيب مصر والأماكن المجاورة لها.
- ــ يستلزم تخزين الحبوب والغلال بناء مستودعات ومخازن تكفي السَّبع السِّنين القحط.
- ــ قام يوسف عليه السلام بتقسيم أرض مصر وبنى في كل قسم مستودعات ومخازن تكفي لمدة السَّبع السِّنين العجاف.
- ــ أحاط يوسف عليه السلام بجميع علوم التَّخزين ودرسها دراسة معمَّقة، حيث أدرك أنَّه لتخزين الحبوب مدَّة سبع سنوات في مستودعات مغلقة يجب أن تراعى فيها شروط التَّخزين للمحافظة على الغلال من التَّسوس أو العفن أو من تأثير العوامل المناخية المتقلبة كالشَّمس، والرُّطوبة، والأمطار زمن الخصب... ضمانًا لها لاستهلاكها أثناء سنين العجاف.

---

[1] ــ الصَّلاَّبي علي محمد محمد، فقه النصر والتمكين في القرآن الكريم، مرجع سابق، ص327.

ويشهد لذلك ما دلَّت عليه الحفريات، واكتشاف المومياء المصرية المحنطة في مقابر قدماء المصريين من وجود طعامهم من الحبوب والغلال والتي ظلَّت محفوظة حتى عصرنا الحاضر...

- ــ نجح يوسف عليه السلام في اجتيازه السَّبع السِّنين العجاف بفضل انتهاج سياسة الادِّخار وإحراز الحبوب في المستودعات والمخازن الكبيرة في فترة سنوات الخصب... وفي هذا أكبر دليل على أنَّه كان بارعًا في مجال علم التَّخزين وحفظ الغلال في المستودعات [1].

ونخلص مما سبق أنَّ يوسف عليه السلام قد عمل جاهدًا على إبقاء النَّسل حيًّا سواء في ذلك البشري أو الحيواني، وكان هذا بفضل معرفته للقيمة النَّفعية عند ترك الحبِّ في سنبله حيث يتقوَّت منه الإنسان ويصنع منه الخبز وسائر العجائن، وأمَّا الحيوان فبالأغلفة المحاطة بالحبَّة (النُّخالة)، والتِّبن.

يقول الشَّعراوي: "إن المقصود هو تَرْك القمح في سنابله فقط؛ لأنَّ العيدان هي طعام الحيوانات.

ونحن نعلم أنَّ حبَّة القمح لها وعاءان؛ وعاء يحميها؛ وهو ينفصل عن القمحة أثناء عملية «الدَّرْس»؛ ثم يطير أثناء عملية «التَّذرية» مُنفصِلاً عن حبوب القمح.

ولحبَّة القمح وعاء ملازم لها، وهو القشرة التي تنفصل عن الحبَّة حين نطحن القمح، ونسميها «الرّدّة» وهي نوعان: «ردَّة خشنة» و «ردَّة ناعمة»،... فهذه القشرة الملازمة لحبَّة القمح ليست لحماية الحبَّة فقط؛ بل تحتوي على قيمة غذائية كبيرة... ويمتنُّ الله على عباده بذلك في قوله الحق: ﴿ وَٱلْحَبُّ ذُو ٱلْعَصْفِ وَٱلرَّيْحَانُ ﴿١٢﴾ ﴾ [الرحمن: 12]"[2].

"والعصف، هو أوعية هذا الحبّ التي تنفصل عنه عند نضجه، فتكون حطامًا وهشيمًا، كما

---

[1] ــ ينظر: الحليسي نواف بن صالح، المنهج الاقتصادي في التخطيط لنبي الله يوسف عليه السلام، ط4، د.م، 1994م، ص ص: 303 ــ 304.

[2] ــ الشعراوي، تفسير الشعراوي، مصدر سابق، ج11، ص ص: 6976 ــ 6977.

في قوله تعالى: «فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ»..." [1]، "وسمِّي بذلك لأنَّ الرِّياح تعصف به. أي: تطيِّره لخفَّته"[2].

5- استثمار العنصر البشري وتفعيله.

استدعى تطبيق الخطة السَّبعية الأولى تجنيد الكثير من القوى البشرية لتنفيذها، فاستخدمت هذه الطَّاقات في مختلف المجالات منها على سبيل المثال:

- ــ في مجال الزِّراعة: لما أمرهم يوسف عليه السلام بكثرة الزراعة في قوله: تزرعون، دلَّ ذلك على وجود آلة الزِّراعة وهي اليد العاملة؛ ذلك لأنَّ الزِّراعة تستنـــزف الكثير من الجهد، والوقت، والمال... فتحتاج إلى قوى بشرية عاملة كبيرة تقوم على حراثة الأرض، والزَّرع، والسَّقي...
- ــ في مجال حصاد المنتوج: لا شكَّ أن عملية حصاد القمح، وتجميعه، ونقله، وتخزينه... يحتاج إلى وفرة في اليد العاملة، ولذلك خاطبهم يوسف عليه السلام بضمير الجمع بقوله: ﴿حَصَدتُّمْ﴾ [يوسف: 47].
- ــ في مجال بناء المخازن: إنَّ عملية بناء المخازن والمستودعات لحفظ الغلال يستوجب توفر أيادٍ عاملة ماهرة، حيث تقوم ببنائها على أسس علمية وقواعد سلِيمة تضمن سلامة المخزون لمدَّة أربعة عشر عامًا، وقد دلَّ على هذا المعنى ما جاء في قوله تعالى: ﴿تُحْصِنُونَ﴾ [يوسف: 48].

لقد وضع يوسف عليه السلام العنصر البشري في خطَّته لعلمه أنَّه لا تنجح خطَّة ليس وراءها الإنسان الذي ينفذِّها، وأمَّا منهجه في التَّعامل مع الإنسان فقد ظهر في دعوته للسَّجينين للتَّوحيد وبذلك يكون منهجه في الارتقاء بالإنسان الذي هو عدَّة الحضارة، ومحرِّك النَّهضة، ومنفِّذ البرامج، ومنجز المشاريع دعوته للتَّوحيد وتعليمه حقيقة الإيمان بالله وهذا الكون وهذه الحياة.

---

[1] ــ الخطيب عبد الكريم، التفسير القرآني للقرآن، ج14، ص: 668.

[2] ــ طنطاوي، التفسير الوسيط، مصدر سابق، ج14، ص132.

إنَّ فائدة التَّغيير الخارجي تزول إذا لم يكن هناك إنسان أمين على منجزات التَّغيير الخارجي، ويحمل القيم الدَّاخلية التي تضمن استمراريَّة التَّغيير الخارجي، صحَّته، وصدقه وأمانته، إنَّ التَّغيير يجب أن يمارسه الإنسان في المحتوى النَّفسي، فيطوّر وينمّي ذاته باتجاه الأفضل ثم يجسِّد محتواه النَّفسي تغييرًا خارجيًّا، ويحوله إلى ممارسة وتطبيق وتحقيق؛ لأنَّ أحوال النَّاس وأوضاعها الاجتماعية من الفساد أو الخير لا تتغير إلا إذا تغير محتوى الإنسان، وما هو عليه من الحق أو الباطل، هذا هو منطق القرآن والحياة، لكي يرسي نظامًا لابدَّ أن يهيِّئ له إنسانًا أوَّلا.

إذا طوَّرنا النِّظام ومفاهيمه دون الإنسان ومفاهيمه فسرعان ما يتسرَّب الفساد من الإنسان إلى النِّظام فيقوِّضه أكثر مما يتسرَّب الإصلاح من النِّظام إلى الإنسان فيصلحه... لأنَّ الأنانيَّة، وحبَّ الذَّات، والجشع أقوى من نصوص القوانين والأنظمة ما لم تهذِّبها التَّربية الدَّاخلية العميقة والأخلاق الكريمة [1].

والإنسان المشوَّه المتخلِّف إذا أعطي قانونًا متحضِّرًا متطوِّرًا فسوف يكبو في حمل مسؤوليته، وينوء تحت وطئته، وسرعان ما يدسُّ من خلال تفسيراته المشوَّهة، وأهوائه السيِّئة، ويُسقط عليه أنانيته المنحرفة، فيحرِّفه شكلًا ومضمونًا أو تطبيقًا [2].

6- استغلال الوقت في مضاعفة الإنتاج.

أمر يوسف عليه السلام خلال السَّبع السِّنين الأولى من مرحلة الخصب بزيادة ساعات العمل، وزيادة استثمار الطَّاقة الإنتاجية للأمَّة وبلوغها إلى الحدِّ الأقصى، ويدلُّ على هذا قوله تعالى: ﴿ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا ﴾ [يوسف: 47]، والدَّأب يعني الدَّوام على الشَّيء بالجدِّ والاجتهاد دون انقطاع، فيوسف عليه السلام أوجب على النَّاس الشُّروع في زراعة القمح دائبين

---

[1] ــ من هذا المنطلق وغيره أحس الباحث بوجوب بيان الصفات الأخلاقية للقائد في ظل الأزمات، وخاصة وأن القرآن الكريم أشار إليها في ظل هذه الأزمة المدروسة، واعتبر هذه الأخلاق النبيلة عامل أساسي في نجاح إدارة الأزمة، وسنقوم ببيانها إن شاء الله تحت عنوان: السمات الشخصية لقائد الأزمة.

[2] ــ ينظر: عبد اللطيف بري، الإنماء الروحي والإصلاح الاجتماعي، ط1، دار التعارف، بيروت، 1979م، ص ص: 46 ــ 48. وينظر: نوفل أحمد، سورة يوسف دراسة تحليلية، مرجع سابق، ص ص: 418 ــ 419. وينظر: الصلابي، فقه النصر والتمكين في القرآن الكريم، مرجع سابق، ص ص: 328 ــ 329.

عليه دأبًا مستمرًّا لمدَّة سبع سنين وبلا انقطاع، كما قال تعالى: ﴿ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ دَآئِبَيۡنِۖ ﴾ [إبراهيم: 33]، وهذا يستدعى محاربة كلَّ أشكال البطالة والتَّقاعس عن العمل.

يقول الزين: "تزرعون بشكلٍ مستمرٍّ لتكون أعوام الخصب أعوام زراعة مركَّزة يستفاد منها بكلِّ ساعة في ساعاتها، ومن كلِّ شهر صالح للزِّراعة من الأراضي..."[1].

وبذل الجهد في إنتاج ما يُلبِّي حاجات البشر أمر مقصود عند خالق الكون، حيث أودع أرزاق البشر في مكامن الأرض، وأناط الحصول عليها بالجهد البشري بنوعيه الجسدي والعقلي، كما قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ ذَلُولٗا فَٱمۡشُواْ فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزۡقِهِۦۖ وَإِلَيۡهِ ٱلنُّشُورُ ١٥ ﴾ [الملك: 15]، ويبقى الجهد في العمل أثناء أوقات الأزمات مختلفًا عنه في أوقات الحالات العادية، إذ يكون مضاعفًا ودءوبًا، كما أنَّه لا يكفي في مواجهة الأزمات العامَّة مثل هذه الأزمة أن تقتصر المسؤولية على الدَّولة وحدها، بل يتقاسمها الجميع وإلَّا هلكوا جميعًا، ومن هنا نرى أنَّ يوسف عليه السلام لم يكلِّف فئة محدَّدة بالزِّراعة، بل أوعزَ المهمَّة إلى كافَّة النَّاس فقال: ﴿ تَزۡرَعُونَ سَبۡعَ سِنِينَ دَأَبٗا ﴾ [يوسف: 47].

7- تمكُّنه من العلوم المالية والمحاسبية.

إنَّ توسيع دائرة الزِّراعة وتفريغ جهود الجميع فيها، ولمدَّة سبع سنين يتطلَّب إمكانات مادِّية كبيرة على خزينة الدَّولة أن توفِّرها إذا أرادت أن تنجو من أزمة مدمِّرة؛ ذلك لأنّ النَّجاح في إنتاج أطنان من الحبوب الزِّراعية والتي تكفي لسدِّ حاجيات مصر وما جاورها من المدن ولمدَّة سبع سنين في أيَّام الأزمة والنُّدرة يتطلَّب دفع فاتورة باهضة تشمل أثمان المواد الأوَّلية من: بذور الزِّراعة، واستصلاح الأراضي، كما تشمل أجور العمَّال من: خدمات الحراثة، والسَّقي، والحصاد، والنَّقل، وبناء المخازن... كما تضمُّ صرف رواتب ومستحقَّات ممَّن يسعون في خدمة هذا المشروع الضَّخم وإنجاحه مثل مكاتب توزيع القمح،

[1] ــ الزين محمد بسام رشدي، مدرسة الأنبياء عبر وأضواء، ط1، دار الفكر المعاصر، بيروت، 2001، ص143.

ورجال الحراسة على المخازن أيَّام الأزمة... فكلُّ ذلك كان حاضرًا في ذهن يوسف عليه السلام بل متمكنًّا لهذه العلوم ومديرًا عليها ﴿ قَالَ ٱجۡعَلۡنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلۡأَرۡضِۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٞ ٥٥ ﴾ [يوسف: 55].

وفي الآية دليل على أنَّ يوسف عليه السلام عليم بالأمور المالية حفيظ لها، وبذلك طلب من الملك أن يجعله مسؤولاً على الخزينة العامَّة للدَّولة، لأنَّ مفهوم الخزائن وهي جمع خِزانة - بكسر الخاء-، هو البيت الذي يختزن فيه الحبوب والأموال، والتَّعريف في الأرض تعريف العهد، وهي الأرض المعهودة لهم، أي: أرض مصر.

والمراد من خزائن الأرض خزائن كانت موجودة، وهي خزائن الأموال إذ لا يخلو سلطان من خزائن معدودة لنوائب بلاده لا الخزائن التي زيدت من بعد لخزن الأقوات استعدادا للسَّنوات المعبَّر عنها بقوله: ممَّا تحصنون [1].

يقول الحليسي: "طبّق يوسف عليه السلام في خطَّته السَّبعية الأولى والثَّانية منهاج النِّظام الحسابي لحساب الجوانب المالية، وبناء المستودعات، والقوى العاملة البشرية، وما يلزمها من رواتب وكذلك أحْدث وظائف جديدة في الدَّولة من موظفي المخازن والمستودعات، وقوَّات الأمن الخاصَّة والحدود مما استلزم عمليات مالية ومحاسبية، كذلك يجب أن لا ننسى محاسبة المخزون من القمح والحبوب وعمليَّات البيع فيه يوميًّا، وتقدير احتياج مصر والشُّعوب المجاورة"[2].

[1] ــ ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، مصدر سابق، ج13، ص08.

[2] ــ الحليسي نواف بن صالح، المنهج الاقتصادي في التخطيط لنبي الله يوسف عليه السلام، مرجع سابق، ص339.

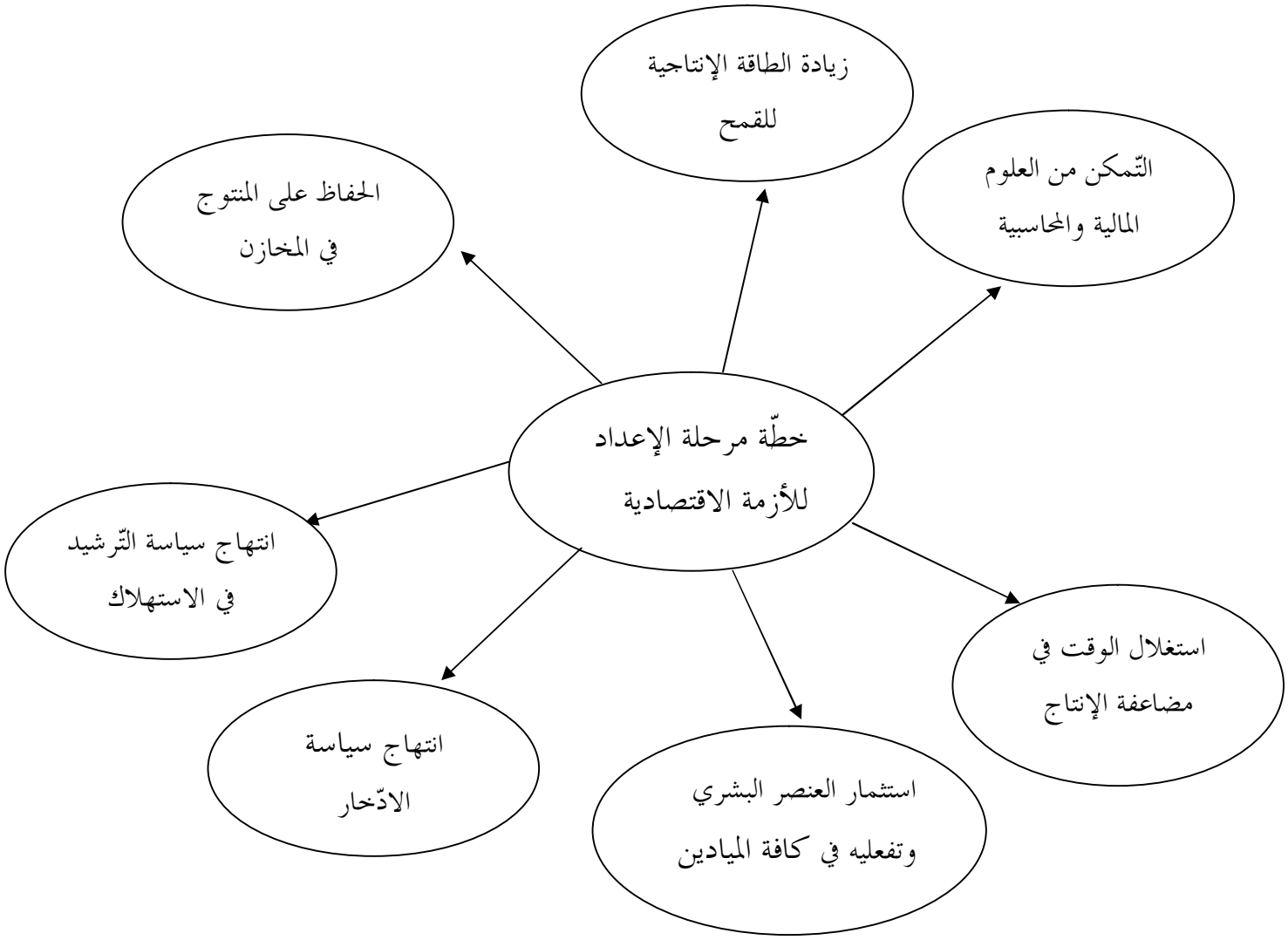

شكل يبيِّن خطَّة يوسف عليه السلام في مرحلة الإعداد للأزمة الاقتصادية

✓ ــ **المرحلة الثالثة: مرحلة مواجهة الأزمة.**

انقضت سِنوّ الخصب ودخلت سنوّ الجدب والقحط كما أخبر يوسف عليه السلام وتجلّت مكانته عليه السلام في حسن إدارة أمور البلاد في ظلِّ الأزمة ونال لقب العزيز، فقد كان معدًّا للأزمة ومخطِّطًا لتجاوزها قبل وقوعها بسبع سنين، إذ ملأ المخازن بالقمح المتروك في سنبله، وحقَّق فائضًا غذائيًّا لأقوات النَّاس ولأنعامهم [1] فجعل من المدن المجاورة يقصدونها وقت الأزمة سدًّا لخلَّتهم، وصارت بذلك مصر مخزن الطَّعام في المنطقة كلِّها، وقِبلة المحتاجين من جيرانها.

يقول سيد قطب: "أمَّا فعل الجدب فقد أبرزه السِّياق في مشهد إخوة يوسف، يجيئون من البدو من أرض كنعان البعيدة يبحثون عن الطَّعام في مصر، ومن ذلك ندرك اتِّساع دائرة المجاعة، كما ندرك كيف وقفت مصر- بتدبير يوسف- منها، وكيف صارت محطَّ أنظار جيرانها ومخزن الطَّعام في المنطقة كلِّها"[2].

وإزاء دخول أزمة القحط والجدب والتي ستمتد لسبع سنين؛ فإنَّ يوسف عليه السلام قد أعدَّ لها خطَّة عمليَّة مسبقة للتَّصدي لها، وقد تمثَّلت فيما يأتي:

1. ــ **مواجهة الأزمة بالاعتماد على المخزون من القمح.**

نبّه يوسف عليه السلام النَّاس قبل حلول الأزمة بسبع سنين أن يجِدّوا في الزِّراعة ويوفِّروا مخزونًا كبيرًا من القمح يكفيهم ويكفي غيرهم لمدَّة سبع سنين، وهذه السِّنون ستكون شديدة على النَّاس حيث وصفها لهم بأنَّها تأكل مع أنَّ الأصل هم الذين يأكلون؛ لأنَّ هذه السِّنين تكون سنين غير منتجة، فكأنَّها هي التي تأكل كل ما يقدم لهنَّ من الحبِّ المتروك في سنابله إلا قليلاً مما يدَّخر ويترك لبذور الزِّراعة بعد انقضاء الأزمة، يقول تعالى على لسان يوسف عليه السلام: ﴿ ثُمَّ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾ [يوسف: 48].

---

[1] ــ الناس يقتاتون من حبوب القمح، بينما أنعامهم تنتفع بكل ما بقي من سنبله.

[2] ــ سيد قطب، في ظلال القرآن، مصدر سابق، ج4، ص2015.

يقول الصَّلاَّبي: "فإذا ما انتهت سنوات الإنتاج السَّبع، بما فيها من جهد متَّصل دائب، واستهلاك محدود كان على الخطَّة أن تقابل تحديًّا ضخمًا هو: توفير الأقوات سبع سنين عجاف، وبعبارة أخرى: بعد الإنتاج والجهد الدَّائب في المرحلة الأولى سيأتي تحمُّل أيضًا في المرحلة الثانية وهو تحمُّل يحتاج إلى تنظيم دقيق يصل فيه الطَّعام إلى كلِّ فمٍ.

ومع هذا التَّحمل والتَّنظيم الدَّقيق، ينبغي ألا تأتي هذه السَّنوات العجاف على كلِّ المدَّخرات، وإنَّما كان يوسف عليه السلام واضحًا في قوله: ﴿ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ ﴾ فكان هذا الجزء المدَّخر هو: «الخميرة» التي تستطيع بها الأمَّة أن تقابل متطلَّبات البذر الجديد بعد السَّنوات العجاف، أي: إعادة استثمار المدَّخرات"[1].

2. ــ تضمين الكفاية من الأقوات لجميع النَّاس دون تقتيرٍ ولا تبذيرٍ.

لقد أحسن يوسف عليه السلام إدارة الأزمة طيلة سنوات الجَدْب فلم يشتك أهل مصر من مجاعة أو مخمصة بخلاف ما جاور مصر من المدن؛ فإنَّهم اشتكوا من الفاقة لعدم علمهم بالأزمة واحترازهم لها مسبقًا، وبذلك توافدوا على مصر لَمَّا سمعوا من عزيزها أنَّه يعطي مقدار كَيْل بعير لكلِّ شخص يكفيه قوت سنته من دون تقتير ولا تبذير...

يقول ابن عطية: "وكان أهل مصر قد استعدُّوا وادَّخروا من السِّنين الخصيبة، فكان النَّاس يمتارون من عند يوسف، وهو في رتبة العزيز المتقدِّم، وكان لا يُعطي الوارد أكثر من حمل بعير، يسوِّي بين النَّاس"[2].

ومن هنا فإنَّ يوسف عليه السلام قد أنقذ العباد والبلاد من مصر وما جاورها من أزمة القحط والجوع... إذ ضمِن الطَّعام لجميع الشَّعب المصري ومن وفد إليها، والدَّليل على ذلك ما قرأناه من تسليط القرآن الكريم الضَّوء على إخوة يوسف وهم يمتارون الطَّعام من مصر، وما هم في الحقيقة إلَّا كنموذج مصغَّر لبقيَّة الوافدين على مصر من أجل الميرة، ومثال ذلك ما ذكره القرآن الكريم من شأن القافلة التي امتارت الطَّعام من مصر وكان برفقتها

---

[1] ــ الصَّلاَّبي، فقه النصر والتمكين في القرآن الكريم، مرجع سابق، ص328.

[2] ــ ابن عطية، المحرر الوجيز، مصدر سابق، ج3، ص257.

إخوة يوسف ورجعوا محمّلين بالطَّعام إلى أهاليهم وذويهم: ﴿ وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِى كُنَّا فِيهَا وَٱلْعِيرَ ٱلَّتِىٓ أَقْبَلْنَا فِيهَا ﴾ [يوسف: 82].

3. ــ تحقيق العدالة في التَّوزيع.

لقد سلك يوسف عليه السلام مسلك العدل في توزيع الطعام على النَّاس في عزّ أزمة المجاعة والقحط، حتَّى لا يُحرم أحد من حصَّته في أخذ الطَّعام، كما صرَّح على نفسه بذلك قائلا: ﴿ أَلَا تَرَوْنَ أَنِّىٓ أُوفِى ٱلْكَيْلَ وَأَنَا۠ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ ﴾ [يوسف: 59]، "أي: ألا ترون أنِّي أعطي كلَّ ذي حقٍّ حقّه، ولا أبخس النَّاس أشياءهم، وأنِّي أنزلهم منازلهم، وأوفِّر لهم أسباب الأمن والرَّاحة؟..."[1].

فيوسف عليه السلام انصبَّت جهوده في هذه المرحلة على تنظيم وتوزيع المدَّخرات على النَّاس بالعدل طيلة سنوات السَّبع العجاف، لتغطية حاجات الاستهلاك فيها كلِّها، فقد رأى عليه السلام بعين النُّبوَّة من خلال رؤيا الملك البُعد الزَّمني لامتداد أزمة الجفاف؛ فلا بدَّ إذا من رسم خطَّة للتَّوزيع تكون عادلة كما فعل في خطَّة الإنتاج والادِّخار، ويتمُّ تطبيقها بدقَّة وحزم وعزم.

خطَّة يستطيع المحتاج بواسطتها أن يأخذ حاجته بالقِسط، دون أن يقف ساعات كثيرة في طوابير طويلة على أبواب مراكز التَّوزيع، كما هو الحال في كثير من المجتمعات في العصر الحاضر [2].

4. ــ متابعة مجريات الأمور بنفسه.

تعتبر وظيفة الرَّقابة من الوظائف المهمَّة في الإدارة، حيث إنَّها الوظيفة التي يمكن من خلالها التَّأكد من أنَّ ما تمَّ إنجازه مطابق لما هو مرغوب في تحقيقه [3].

فالرَّقابة التي مارسها سيدنا يوسف عليه السلام رقابة شاملة تشمل الرَّقابة على المخازن ومخرجاتها، كما تشمل الرَّقابة على نقاط البيع، والرَّقابة على المدخلات ــ الرِّبح ــ الذي

---

[1] ــ الخطيب عبد الكريم، التفسير القرآني للقرآن، مصدر سابق، ج7، ص11.

[2] ــ ينظر: طهماز عبد الحميد، الوحي والنبوة والعلم في سورة يوسف، مرجع سابق، ص88.

[3] ــ ينظر: التميمي حسين عبد الله، إدارة الإنتاج والعمليات، ط1، دار الفكر، عمّان، ص 601.

حقَّقه من بيع القمح، كما يشمل الرَّقابة على مداخل المدينة، والرَّقابة على القوافل التِّجارية[1]، والرَّقابة على الأسواق عمومًا منعًا للاحتكار، والغشِّ، والجشع، ورفع الأسعار... وذلك انصافًا للجميع، والدَّليل على هذه الرَّقابة التي كان يقوم بها يوسف عليه السلام قوله تعالى: ﴿ قَالَ ٱجۡعَلۡنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلۡأَرۡضِۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٞ ٥٥ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَتَبَوَّأُ مِنۡهَا حَيۡثُ يَشَآءُۚ نُصِيبُ بِرَحۡمَتِنَا مَن نَّشَآءُۖ وَلَا نُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٥٦ ﴾ [يوسف: 55 – 56]، فقوله: "اجعلني على..." فحرف الجرِّ على يفيد الفوقية لغة، كما يفيد الإشراف والرَّقابة إداريًّا، وقوله: "يتبوَّأ منها" تشمل حرِّية التَّصرف في الأمور، وأيضًا حرِّية الرَّقابة على الأمور..

إذا فالرَّقابة التي انتهجها يوسف عليه السلام هي ضمانٌ لتطبيق خطَّته الحكيمة، وتأكيد على تفعيلها لتحقيق نجاحها، وإلاَّ فإنَّ الأمور في ظل الأزمة كثيرًا ما تنفلت وتَتَدَهْور.

ونماذج هذه الرَّقابة في السُّورة كثيرة، يدلُّ عليها الأفعال التي كان يباشرها يوسف عليه السلام بنفسه دون غيره، وكذلك الجولات الميدانية الاستطلاعية التي أجراها بنفسه، فمن ذلك على سبيل المثال:

- ـــ مراقبته للأوزان والمكاييل ﴿ أَلَا تَرَوۡنَ أَنِّيٓ أُوفِي ٱلۡكَيۡلَ ﴾ [يوسف: 59].
- ـــ مباشرته بتجهيز الجَهاز للمكتالين ﴿ وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمۡ ﴾ [يوسف: 59].
- ـــ تفقُّده للأوعية بنفسه: ﴿ فَبَدَأَ بِأَوۡعِيَتِهِمۡ قَبۡلَ وِعَآءِ أَخِيهِ ثُمَّ ٱسۡتَخۡرَجَهَا مِن وِعَآءِ أَخِيهِۚ كَذَٰلِكَ كِدۡنَا لِيُوسُفَۖ مَا كَانَ لِيَأۡخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ ٱلۡمَلِكِ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ نَرۡفَعُ دَرَجَٰتٖ مَّن نَّشَآءُۗ وَفَوۡقَ كُلِّ ذِي عِلۡمٍ عَلِيمٞ ٧٦ ﴾ [يوسف: 76].

---

[1] ـــ أشار القرآن الكريم إلى هذا النوع من الرقابة من خلال ما نصح به يعقوب بنيه من أن يدخلوا من أبواب متفرقة ولا يدخلوا من باب واحد لأنها مراقبة من قبل الحراس: يقول تعالى: ﴿ وَقَالَ يَٰبَنِيَّ لَا تَدۡخُلُواْ مِنۢ بَابٖ وَٰحِدٖ وَٱدۡخُلُواْ مِنۡ أَبۡوَٰبٖ مُّتَفَرِّقَةٖۖ وَمَآ أُغۡنِي عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٍۖ إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۖ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُۖ وَعَلَيۡهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُتَوَكِّلُونَ ٦٧ ﴾ [يوسف: 67].

- ــ مباشرته لعملية المعاوضة والاكتيال: ﴿ فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَيۡهِ قَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهۡلَنَا ٱلضُّرُّ وَجِئۡنَا بِبِضَٰعَةٖ مُّزۡجَىٰةٖ فَأَوۡفِ لَنَا ٱلۡكَيۡلَ وَتَصَدَّقۡ عَلَيۡنَآۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَجۡزِي ٱلۡمُتَصَدِّقِينَ ٨٨ ﴾ [يوسف: 88].

يقول ابن عاشور: "ودخولهم عليه يدلُّ على أنَّه كان يراقب أمر بيع الطعام بحضوره وبإذا به في مجلسه خشية إضاعة الأقوات؛ لأنَّ بها حياة الأمة"[1].

يقول الحليسي: لقد استلزم تطبيق الخطَّة السَّبعية الثَّانية متابعة دقيقة ومتتالية، والمتابعة من الأمور المهمَّة التَّخطيطية الرَّئيسية لإنجاح أيِّ خطَّة عامَّة للدَّولة.

إنَّ أي خطَّة توضع لحلِّ وعلاج أزمة مَّا إن لم يكن لها متابعة دائمة ودورية؛ فإنَّها لا تسير بنظام بل إنَّها تتعثَّر.

...ومتابعة المحاصيل الزِّراعية المنتجة سنويًّا من مصر حتى يتسنَّى ليوسف احتساب استهلاك جزء من هذا المحصول، والآخر يحفظ في المستودعات التي بناها.

إنَّ متابعة النِّيل والزِّراعة وما إلى ذلك أدَّى بدوره إلى حسابات دقيقة دورية في غاية الأهمِّية، والمتابعة الدورية الحسابية لذلك ولمعرفة حركة المخزون من القمح سواء الوارد أو المنصرف طوال الشَّهر... فمعرفة رصيد المخزون عامل هام في إنجاح الخطَّة.

ولا يخفى على القارئ أهمية متابعة الخطَّة الأمنيَّة في البلاد لحفظ أمنها من العابثين..."[2].

ويقول أحمد نوفل: "وإنَّ جلوس يوسف للنَّاس ليعني أكثر من مسألة، منها أنَّه يتابع في مصر كلَّ الأمور، وخاصَّة ما يتعلق بضرورات النَّاس الحياتية، وعدالة توزيع معايشهم.

وثانيا: فتح أبوابه للنَّاس حتَّى يتمكَّن كلُّ أحد من الوصول إليه، والدُّخول عليه.

ثالثا: لعلَّه بتعليم الله له عَلِم أنَّ إخوته سيجيئون بحثًا عن الطَّعام، فهو جالس يتفقَّد كلّ قافلة ينتظر أن يرى إخوته"[3].

---

[1] ــ ابن عاشور، التحرير والتنوير، مصدر سابق، ج13، ص12.

[2] ــ الحليسي، المنهج الاقتصادي لنبي الله يوسف عليه السلام، مرجع سابق، ص ص: 324 ــ 325.

[3] ــ نوفل أحمد، سورة يوسف دراسة تحليلية، مرجع سابق، ص ص: 459 ــ 460.

5. ــ توظيف اليد العاملة الكُفأة لمواجهة الأزمة.

جنَّد يوسف عليه السلام طاقات شبابية لمعاونته في التَّصدي للأزمة؛ لأنَّهم هم الأقْدر والأكْفأ في تنفيذ خطَّته، فتعبئة الأوعية بالقمح وحَمْلِها وبيعها وكذا السَّهر على أمن حدود مصر، وحراسة المخازن...كلُّ ذلك يحتاج إلى أيادٍ عاملة، ونشطة، وقويَّة، وكُفأة، وقد ذكر القرآن الكريم جانبًا من ذلك حيث قال: ﴿ وَقَالَ لِفِتْيَٰنِهِ ٱجْعَلُوا۟ بِضَٰعَتَهُمْ فِى رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَآ إِذَا ٱنقَلَبُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾[يوسف: 62]."والفتيان: جمع فتى، والمراد بهم هنا من يقومون بخدمته ومساعدته في عمله"[1].

إذا فيوسف عليه السلام استعان لتنفيذ خطَّته بعدد كبير من الكوادر والعاملين الأكفَّاء لتنفيذ هذه الخطَّة وذلك بـــ:

- ــ إنشاء قسم إداري لتخزين الحبوب، وعمل دفاتر وكشوفات يومية وشهرية عن هذا الجانب من المخازن والمستودعات.
- ــ إنشاء قسم المحاسبة والإحصاء وذلك لتزويد يوسف عليه السلام بكل التَّقارير اليومية والشَّهرية عن الباقي من المخزون، والمخطَّط له سنويًا حسب الخطَّة.
- ــ إنشاء إدارة مالية لتحصيل الأموال، والمقايضات ثم حفظها في الخزينة العامة للدولة.
- ــ إنشاء جهاز اقتصادي لتوزيع القمح، أو التَّبادل التِّجاري مع الشُّعوب المجاورة لمصر.
- ــ إنشاء قسم لإدارة الإشراف والرَّقابة لمراقبة هذه المخازن، وكذلك الأسواق، والإشراف على المكاييل التي تعطي كل ذي حقٍّ حقَّه بواسطة المراقبة الإدارية، وكذا الإشراف على تنفيذ الخطَّة اليوسفية ومتابعتها [2].

إذا فتوظيف الإطارات الكفأة على مختلف الإدارات نابع من قول يوسف عليه السلام للملك: ﴿ ٱجْعَلْنِى عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ ۖ إِنِّى حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴾ [يوسف: 55].

---

[1] ــ طنطاوي، التفسير الوسيط، مصدر سابق، ج7، ص386.

[2] ــ ينظر: الحليسي، المنهج الاقتصادي لنبي الله يوسف عليه السلام، مرجع سابق، ص ص: 323.

6. ــ التَّصدِّي للعقبات النَّاشئة في أوقات الأزمة.

لا شك أنَّ الأزمات تمحِّص الرِّجال وتظهر معادنهم، وقد لوحظ أنّه عند حدوث أزمات وخاصَّة أزمة الجوع والقحط ــ وهي من أشدِّ الأزمات ــ؛ فإنَّه تفشو في المجتمع مظاهر وأخلاق سلبيَّة مثل: الغشُّ، السَّرقة، الاحتكار، الجشع، وربَّما يصل الأمر إلى الاقتتال من أجل الحصول على لقمة العيش كما هو حاصل في كثير من الدُّول الإفريقية الفقيرة حاليًّا.

ومن هنا فقد ارتأى يوسف عليه السلام من أجل إنجاح خطَّته، ومن أجل إظهار حقيقة ما قاله للملك بأنَّه حفيظ عليم، وبأنَّه قادر على إدارة أمور البلاد في وقت الأزمات، وكذلك من أجل تبرئة ذمَّته والتزاماته بينه وبين الله أوَّلاً ثم بينه وبين الملك والشَّعب ثانيا... أن يتَّخذ احتياطات أمنية، ويضع قوانين [1]، ويفرض تعزيزات أمنية مشدَّدة على الحدود، ومراقبة دائمة على المخازن والمستودعات... منعًا للعابثين، واللُّصوص، والتِّجارة السَّوداء، والغشِّ، والاحتكار، والجشع، والطَّمع، والتَّحايل...

وإذا كان المنهج الرَّبَّاني يحارب الطَّمع والجشع والأنانية والاحتكار... فقد أعطى هذا المنهج لأنبيائه ورسله من أجل أن يقيموا العدل بين النَّاس، فكان لهم الحق أن يتفقدوا الأسواق ليرفعوا الغبن عن المظلومين...

ومن جهة أخرى فإنَّ هذه الالتزامات والضَّوابط في ظلِّ الأزمات وغيرها الأولى بالقيام بها الأنبياء لأنَّهم الأسوة لأقوامهم، ومن هنا فإنَّ يوسف عليه السلام لم يفكِّر قطُّ في احتكار القمح أو الغلال لحساب الدولة...كما أنَّه لم يرفع الأسعار، بل قام بتوزيع هذه السِّلع الأساسية الضَّرورية في حياة النَّاس بالعدل والقسطاس على كلِّ أسرة مراعيًا الشُّعوب المجاورة لمصر؛ لأنَّ يوسف عليه السلام يعلم تمامًا أنَّ الاحتكار من المحظورات التي نهى الله تبارك

---

[1] ــ يظهر لنا من قوله تعالى: ﴿ كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ ۖ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ ﴾ [يوسف: 76]، أن لهم تشريعات وقوانين صارمة تردع المجرمين والمخالفين لقوانين الدولة، ومنها قانون تجريم السارق، فيوسف عليه السلام لم يأخذ إخوته بقانون مصر المعمول به ضد من وجد في رحله صواع الملك لحكمة أرادها، ولكنه أخذهم بما يحكمون به في أرضهم بكنعان وهو استرقاق السارق.

وتعالى عنها، كما أنَّه لم يغرِّق الأسواق بالسِّلع لما لذلك من أثر سيِّء على الاقتصاد؛ فلم يكن ليبيع أكثر من حمل بعير للنَّفر الواحد [1].

7. ــ الحفاظ على مكانة مصر الاقتصادية في ظلِّ الأزمة.

إنَّ الدُّول الصَّديقة يبرز دورها في أوقات الأزمات، فكثيرًا ما نرى في عالمنا المعاصر أزمات كالقحط والمجاعة، أو كوارث كفيضانات أو زلازل... تضرب دولاً معيَّنة، فتهبُّ الدُّول الصَّديقة لتقديم يد العون والمساعد للدَّولة المنكوبة لتتخطى الأزمة، ولتخرج منها في أسرع وقت.

ومن هنا فإنَّ يوسف عليه السلام قد قدَّم خدمات إنسانية جليلة للشَّعب المصري ولمن جاورها من المدن في فترة الأزمة العصيبة التي مسَّت المنطقة بأكملها ولمدَّة سبع سنين، فلم يغْلِق الحدود مع دول الجوار، كما لم يَعْمد إلى إنشاء مقاطعة اقتصادية متذرِّعًا بالظُّروف التي تمرُّ عليها مصر، أو يحتكر الطَّعام لأهل مصر وحدهم...كلَّا كلُّ هذا لم يفعله، ولم يفكِّر فيه؛ بل سعى إلى تحقيق الاكتفاء للشَّعب المصري طوال فترة الأزمة، مع المحافظة على مكانة مصر الاقتصادية إذ كانت مصدر الخير، ومقصد التّجّار قبل الأزمة كما يشهد لذلك كثرة توافد القوافل التِّجارية على مصر في أكثر من آية كقوله تعالى: ﴿ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا۟ يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِى غَيَـٰبَتِ ٱلْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ ٱلسَّيَّارَةِ إِن كُنتُمْ فَـٰعِلِينَ ﴿١٠﴾ ﴾[يوسف: 10]، وقد حصل بالفعل ما خطَّطوا له؛ لأنَّهم عرفوا أنَّ مصر هي قبلة لأرباب التِّجارة، حيث جاءت قافلة تجارية قاصدة مصر فاستَقوا من الجبِّ، فأخرجوا منها يوسف، وأخذوه معهم إلى مصر وباعوه هناك: يقول تعالى: ﴿ وَجَآءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا۟ وَارِدَهُمْ فَأَدْلَىٰ دَلْوَهُۥ ۖ قَالَ يَـٰبُشْرَىٰ هَـٰذَا غُلَـٰمٌ ۚ وَأَسَرُّوهُ بِضَـٰعَةً ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ ﴾ [يوسف: 19].

كما أنَّ مصر استمرَّت في عطائها أثناء الأزمة ولم تفقد توازنها ومكانتها الاقتصادية... وذلك بفضل السِّياسة الحكيمة، والقيادة الرَّشيدة التي كانت ممثلة في يوسف عليه السلام، إذ حكى لنا القرآن الكريم جانبًا من هذه القوافل وهي تتردَّد على مصر أثناء الأزمة

[1] ــ ينظر: الحليسي، المنهج الاقتصادي لنبي الله يوسف عليه السلام، مرجع سابق، ص ص: 327 ــ 331.

بقوله تعالى: ﴿ وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِى كُنَّا فِيهَا وَٱلْعِيرَ ٱلَّتِىٓ أَقْبَلْنَا فِيهَا ۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ [يوسف: 82]، "والعير أي: قوافل التِّجارة"[1].

يقول سيد قطب: "وواضح أنَّ يوسف عليه السلام عند ما سيطر على مقاليد الأمور في مصر، استمرَّ في دعوته للإسلام على هذا النَّحو الواضح الكامل الدَّقيق الشَّامل... ولا بدَّ أنَّ الإسلام انتشر في مصر على يديه – وهو يقبض على أقوات النَّاس وأزوادهم لا على مجرَّد مقاليد الحكم بينهم– وانتشر كذلك في البقاع المجاورة ممن كانت وفودها تجيء لتقتات مما تمَّ ادِّخاره بحكمته وتدبيره– وقد رأينا إخوة يوسف يجيئون من أرض كنعان المجاورة في الأردن ضِمن غيرهم من القوافل ليمتاروا من مصر ويتزوَّدوا، مما يصوِّر حالة الجدب التي حلَّت بالمنطقة كلِّها في هذه الفترة"[2].

يقول الحليسي: "وعندما أصبحت مصر في أزمة اقتصادية كانت تتعاون اقتصاديًّا مع الشُّعوب والقبائل المجاورة لها... فقد كان يوسف عليه السلام يتعامل مع الشُّعوب، والقبائل المجاورة في زمن القحط في خطته السَّبعية الثَّانية رغم الظُّروف العصيبة التي يمرُّ بها اقتصاد مصر، ذلك لأنَّه استعدَّ لهذه الفترة العصيبة بالتَّخطيط منذ السَّنوات السَّبع السِّمان لسنوات القحط، وبالتَّخطيط السَّليم ومن ثم رغم القحط استطاع بالتَّخطيط أن يعمل على دوام واستمرار العلاقات التِّجارية... قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ قَالُوا۟ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا ٱلضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَٰعَةٍ مُّزْجَىٰةٍ فَأَوْفِ لَنَا ٱلْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَجْزِى ٱلْمُتَصَدِّقِينَ ﴿٨٨﴾ ﴾ [يوسف: 88]"[3].

8. ــ إكرام المنـــزلين وقت الأزمة، وتقديم جعالات لمستحقِّيها قيمتها حمل بعير.

لقد أشار القرآن الكريم إلى مدى تغلُّب يوسف عليه السلام على الأزمة الاقتصادية التي اجتاحت مصر وما جاورها من المدن ولمدَّة سبع سنين،...فلم يكتف عليه السلام بتوفير الطَّعام للنَّازلين على مصر أيَّام القحط فحسب؛ بل قام بأمور لم يُعهد لدى النَّاس فعلها أيَّام الرَّخاء

---

[1] ــ طنطاوي، التفسير الوسيط، مصدر سابق، ج7، ص404.

[2] ــ سيد قطب، في ظلال القرآن، مصدر سابق، ج4، ص1960.

3 ــ الحليسي، المنهج الاقتصادي لنبي الله يوسف عليه السلام، مرجع سابق، ص ص: 379 ــ 380.

فكيف بفعلها أيَّام الأزمة!!؟، فلقد أحسن يوسف عليه السلام وِفادة المُنـــزلين أيَّام القحط والشِّدَّة، ووفّر لهم الإقامة الهنيئة، وسدَّ حاجياتهم التي من أجلها قدموا من الأماكن المتاخمة لمصر... يقول تعالى على لسان يوسف عليه السلام: ﴿ وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ قَالَ ائْتُونِي بِأَخٍ لَّكُم مِّنْ أَبِيكُمْ أَلَا تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي الْكَيْلَ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنزِلِينَ ﴿٥٩﴾ ﴾ [يوسف: 59]. "وأنا خير المنـــزلين فيه وجهان: أحدهما: يعني خير المضيِّفين ، قاله مجاهد. الثاني: وهو محتمل ، خير من نزلتم عليه من المأمونين. فهو على التَّأويل الأول مأخوذ من النّـــزل وهو الطّعام ، وعلى التَّأويل الثّاني مأخوذ من المنـــزل وهو الدَّار"[1].

يقول ابن عاشور: "ودلَّ قوله: خير المترلين على أنَّه كان ينـــزل الممتارين في ضيافته لكثرة الوافدين على مصر للميرة"[2].

وقد كان يوسف عليه السلام وأعوانه يقدِّمون مكافآت ثمينة لبعض النَّاس متى احتاج الأمر لذلك، وهذه المكافآت تتمثَّل في حمل بعير من الطَّعام الذي يكفي الفرد مؤونة سنة كاملة، فحِمْل بعير من الطَّعام في ظلِّ أزمة القحط والشدَّة تعتبر مكافأة ثمينة في هذه الظُّروف العصيبة، يقول تعالى: ﴿ قَالُوا نَفْقِدُ صُوَاعَ الْمَلِكِ وَلِمَن جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ ﴿٧٢﴾ ﴾ [يوسف: 72]، وفي الآية دلالة واضحة على أنَّ يوسف عليه السلام كان متغلِّبًا على الأزمة إذ كان يعطي هذه العطايا في هذا الوقت، وفي ذلك الظَّرف العصيب!!.

9. ــ الحرص على استتباب الأمن في مصر.

لم يقتصر نجاح يوسف عليه السلام في تحقيق الأمن الغذائي فحسب لأهل مصر وما جاورها؛ بل تعدَّى إلى أكثر من ذلك حيث حقَّق لهم الأمن المطلق بكلِّ ما توحيه هذه العبارة من معانٍ في ظلِّ الأزمة.

وقد تجلَّى مشهد تغلُّب يوسف عليه السلام على الأزمة ــ وهي في عزِّها ــ واضحًا، وذلك لمـــَّا دخل عليه إخوته واشتكوا له شدَّة الجوع والفاقة، وقلة بضاعتهم وطالبوه

---

1 ــ الماوردي علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري، النكت والعيون، د ط، تح: ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية، بيروت، د ت، ج3، ص 54.

2 ــ ابن عاشور، التحرير والتنوير، مصدر سابق، ج13، ص13.

بالتَّصدق عليهم قائلين: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهۡلَنَا ٱلضُّرُّ وَجِئۡنَا بِبِضَٰعَةٖ مُّزۡجَىٰةٖ فَأَوۡفِ لَنَا ٱلۡكَيۡلَ وَتَصَدَّقۡ عَلَيۡنَآۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَجۡزِي ٱلۡمُتَصَدِّقِينَ ﴿٨٨﴾ ﴾ [يوسف: 88].

فحينها وبعد أن كشف يوسف لأخوته عن أمره وأظهر لهم حقيقة ما كان مخفًى منذ أمد طويل... وبعد أن التمس إخوته الصَّفح عنهم جرَّاء ما اقترفوه من ذنب في حقِّه عليه السلام قابل عليه السلام كلَّ ذلك بالعفو والصَّفح عنهم، وطلب منهم وهو المكين الأمين أن يستقدموا أهاليهم وذويهم إلى مصر حيث الرَّخاء، والأمن، والغذاء، والعدالة... وعرَّفهم بأنَّ مصر وهي في ظلِّ القيادة اليوسفيَّة لم ولن تعرف بفضل الله الشِّدَّة والقحط والأزمة بخلاف جيرانها من المدن التي اجتاحتها الأزمة وأثَّرت فيهم سلبًا، وعن طلب هذا الاستقدام يقول تعالى: ﴿ وَأۡتُونِي بِأَهۡلِكُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٩٣﴾ ﴾ [يوسف: 93]. أي: "أولادكم، وعشيرتكم، وتوابعكم كلُّهم، ليحصل تمام اللِّقاء، ويزول عنكم نكد المعيشة، وضنك الرِّزق"[1].

وفي الآية دلالة واضحة على مدى سيطرة يوسف عليه السلام على الأزمة الاقتصادية التي حلَّت ببلدهم وامتدَّت لسنين، وعن مدى تغلُّبه عليها، وعن مدى توفيره للاحتياطات اللَّازمة والمدَّخرات الكافية التي تكفي مصر ومن سيجلبهم للإقامة فيها... حتَّى إنَّه عليه السلام طلب من إخوته على سبيل الأمر أن يأتوا بأهلهم أجمعين ولا يستثنون أحدًا.

فلمَّا قدم من استدعاهم إلى مصر قال لهم يوسف عليه السلام بكلِّ اقتدار وتمكّن: ﴿ ٱدۡخُلُواْ مِصۡرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ﴿٩٩﴾ ﴾ [يوسف: 99]. "أمنًا عامًّا شاملًا، على أنفسكم ومواشيكم من الجوع والخوف وسائر المكَاره، ولعلَّ سِنِيِّ القحط لم تكن انتهت بعدُ"[2].

يقول المراغي: "وقال لهم ادخلوا بلاد مصر إن شاء الله آمنين على أنفسكم وأنعامكم من الجوع والهلاك، فإنَّ سِنِيَّ القحط كانت لا تزال باقية، وذكر المشيئة في كلامه

---

[1] ــ السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، مصدر سابق، ج1، ص405.

[2] ــ مجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، مصدر سابق، ج5، ص384.

للتبرُّؤ من مشيئته وحوله وقوته إلى مشيئة الله الذي سخَّر ذلك لهم، وسخَّر ملك مصر وأهلها له ثمَّ لهم، وهذا من شأن المؤمنين ولا سيما الأنبياء والصِّدِّيقون"[1].

وفيما يأتي شكل يبيّن لنا البرنامج الذي اعتمده يوسف عليه السلام في مرحلة مواجهة الأزمة:

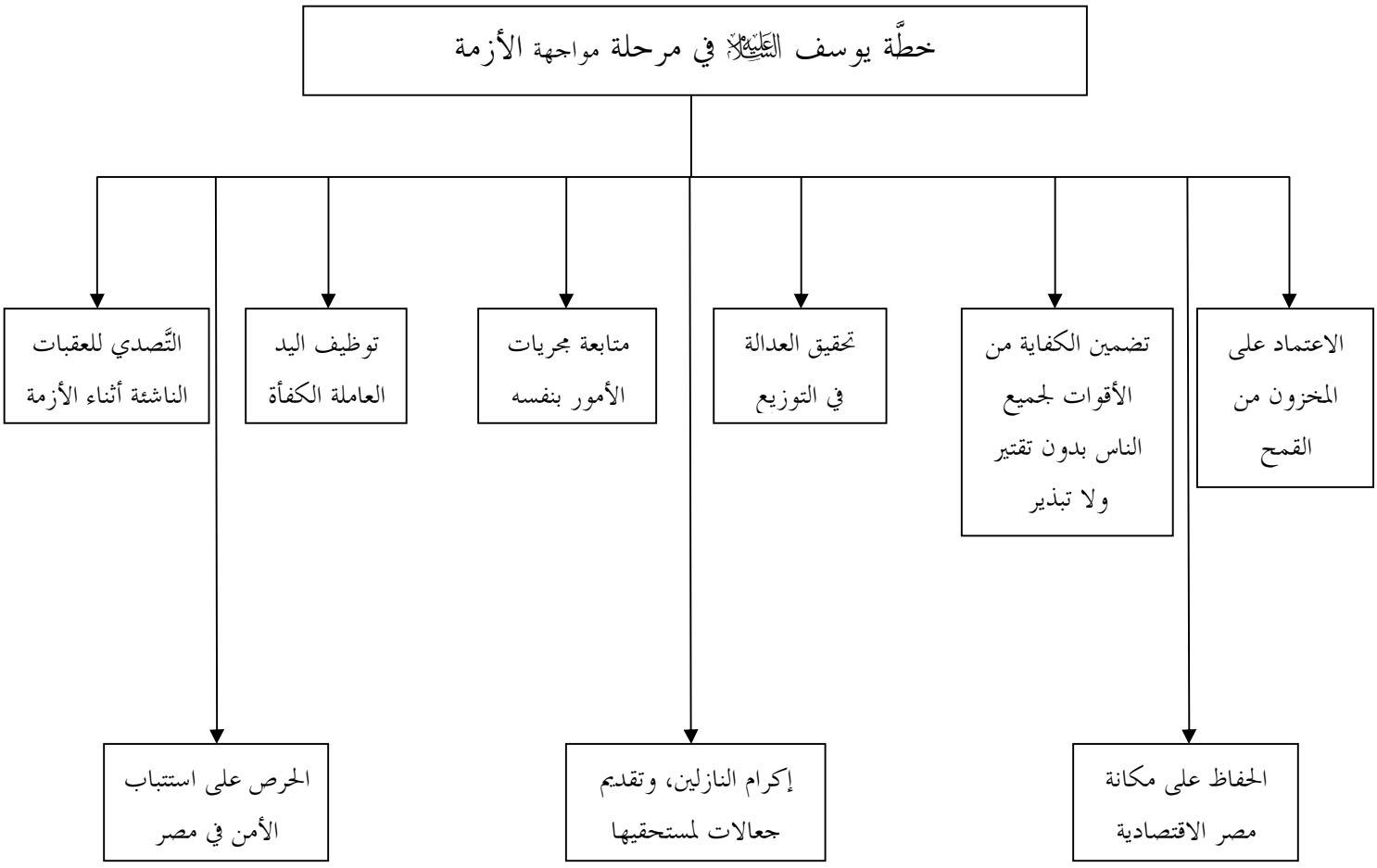

[1] ــ المراغي، تفسير المراغي، مصدر سابق، ج13، ص42.

✓ ــ **المرحلة الرابعة: مرحلة استعادة النَّشاط.**

وفي هذه المرحلة أشار يوسف عليه السلام إلى عودة الأمور إلى ما كانت عليه قبل الأزمة، حيث الحياة ترجع إلى حالتها الطَّبيعية التي يألفها النَّاس، لكنَّه عليه السلام أنبأهم أنَّ بداية انفراج هذه الأزمة الطَّويلة سيكون بحلول عام غير مألوف لدى النَّاس حيث يمتاز بوفرة العطاء وكثرة المنتوج، وكأنَّ الخير يفيض على النَّاس بدون جُهد ولا نكد، وعن هذه المرحلة يخبرنا تعالى على لسان يوسف بقوله: ﴿ ثُمَّ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾ [يوسف: 49].

وقد ذهب جمهور المفسِّرين إلى أنَّ هذه المرحلة هي إضافة من يوسف عليه السلام أوحاها الله إليه، وليست جزءًا من رؤيا الملك، فرؤيا الملك في نظرهم اقتصرت على السَّبع السِّنين السِّمان، والسَّبع السِّنين العجاف، أمَّا عام الغيث فهو إضافة أضافها يوسف عليه السلام لساقي الملك دون أن يراها الملك في منامه؛ لكن حقيقة الأمر أنَّ يوسف عليه السلام لم يزدْ حرفًا في تفسير رؤيا الملك بل تقيَّد بفكِّ رموزها، وفسَّرها بقدر معطياتها ولم يزد عن ذلك ولم ينقص، وبالتَّالي فهذه المرحلة جزء من رؤيا الملك وهي مستنبطة منها لكن إدراكها يحتاج إلى تدبُّر وتمعُّن.

يقول السَّعدي: "أي يحصل للنَّاس فيه غيث مغيث، تعيد الأراضي خصبها، ويزول عنها جدبها، وذلك مأخوذ من تقييد السِّنين المجدبات بالسَّبع؛ فدلَّ هذا القيد على أنَّه يلي هذه السَّبع ما يزيل شدَّتها، ويرفع جدبها؛ ومعلوم أنَّ توالي سبع سنين مجدبات لا يبقي في الأرض من آثار الخضر، والنَّوابت، والزُّروع ونحوها لا قليلاً ولا كثيرًا، ولا يرفع هذا الجدْب العظيم إلا غيْث عظيم؛ وهذا ظاهر جدًّا، أخذه من رؤيا الملك"[1].

✓ ــ **المرحلة الخامسة: مرحلة التَّعلم.**

إنَّ المقصد الأساسي من سوق هذه القصص، وهذه النَّماذج الإداريَّة في القرآن الكريم يكمن في أخذ العظة والاعتبار، وتعلُّم الدُّروس، ولا ينتفع من ذلك كلِّه إلَّا أصحاب

[1] ــ السعدي، فوائد مستنبطة من قصة يوسف عليه السلام، مرجع سابق، ص 18.

العقول الرَّاجحة، وذوو الأفكار الثَّاقبة لينتفعوا بها في أوقات الأزمات والشَّدائد فيتجنَّبوا بذلك العواقب الوخيمة، وحتَّى يكونوا دائمًا على بصيرة من أمرهم، مصداقًا لقوله تعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾ ﴾ [يوسف: 111].

وفيما يأتي بيان ما يمكن أن نتعلَّمه من دروسٍ وعبرٍ عن منهج سيِّدنا يوسف عليه السلام في إدارته للأزمة الاقتصادية المصريَّة في زمانه:

- ــ لقد كان منهج القرآن الكريم بحقٍّ مبيِّنا للوسائل النَّاجعة والطُّرق المثلى لإدارة الأزمة الاقتصادية.
- ــ في الأزمات وغيرها يجب تقديم المصلحة العامّة على المصلحة الخاصّة، فيوسف عليه السلام قدَّم تفسير رؤيا الملك لتعلُّقها بالمصلحة العامة للأمَّة على مصلحته الخاصَّة المتعلِّقة بسجنه مظلومًا، فلم يطالب بالإفراج عنه من السِّجن أوَّلا حتَّى يؤول لهم رؤيا الملك، وإنما أوَّل ثمَّ طالب.
- ــ إنَّ من إيجابيات وقوع الأزمة هو السَّماح بظهور قادة أكفَّاء يغيِّرون الأزمة من محنة إلى منحة، كما ينشرون في ظلالها الأخلاق الفاضلة، والمبادئ الرَّصينة، والقِيم الحميدة، والمثل العليا... لأجل تغيير نفوس النَّاس والأخذ بهم إلى جادَّة الصَّواب، فالأزمة تولِّد الرِّجال، وقد سنحت الفرصة لسيِّدنا يوسف عليه السلام أن يظهر في ظلِّ تواجد هذه الأزمة، وينشر مبادئ الدِّين الحنيف وقيَمه الفاضلة.
- ــ إنَّ اكتشاف مؤهِّلات القائد وقدراته لا يكون إلا في ظلِّ الأزمة والمحنة؛ فالأزمة بمثابة كيرٍ [1] للقائد تكشفه أهو معدن نفيس مثل الذَّهب، أو فقط مجرَّد معدن رديء مثل الفلزّ [2] كما يشبه هذا الأخير حال غالبية القادة اليوم.

---

1 ــ الْكِيرُ بِالْكَسْرِ زِقُّ الْحَدَّادِ الَّذِي يَنْفُخُ بِهِ وَيَكُونُ أَيْضًا مِنْ جِلْدٍ غَلِيظٍ وَلَهُ حَافَاتٌ وَجَمْعُهُ كِيَرَةٌ[الفيومي أحمد بن محمد، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، المكتبة العربية، بيروت، ج2، ص545].

2 ــ الْفِلِزُّ: خَبَثُ الْحَدِيدِ يَنْفِيهِ الْكِيرُ. [ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، مصدر سابق، ج4، ص451، مادة: فلز].

- ــ إنَّ دراسة التَّنبؤات والتَّوقعات المستقبليَّة أو ما يُعرف بعلم استشراف المستقبل والقائم أساسًا على إحصائيات دقيقة، وتجارب واقعيَّة، واستقراء سنن كونيَّة حتميَّة... أمرٌ يتوجَّب على المنظَّمات، والحكومات، والمؤسسات... أن تتعلَّمه وتفقهه وذلك قصد ضمان استقرار اقتصادها وأمْنها.
- ــ إنَّ أي أزمة قبل حدوثها قد أرسلت أنواعًا من الإشارات التَّحذيريَّة، فعلى المنظَّمات والحكومات أن تسعى لاكتشاف هذه الإشارات لجمعها وتحليلها ومعالجة الأمور قبل حلولها؛ لأنَّ هذا يعتبر أهمَّ جزء في إدارة الأزمة، حيث يُعرف مدى تقدُّم الدُّول بقدرتها على اكتشافها لهذه الإشارات لتئدها في مهدها قبل استفحال خطرها.
- ــ على ولَّاة أمور المسلمين أن يوَلُّوا أمور إدارة الأزمات خيارهم، وذلك من جمعت فيه صفتي الخبرة والعلم لأجل ضمان الخروج من الأزمة بشكلٍ سريع وآمن.
- ــ على المنظَّمات والحكومات في أوقات الرَّخاء يجب عليها أن تقتصد وتمارس سياسة التَّرشيد في الاستهلاك احتياطًا لما يستقبلها من أزمات.
- ــ كما على الدُّول والحكومات أن توفِّر مخازن واحتياطات هائلة لشعبها سواء من جانب العملة، أو الغذاء كالقمح والسُّكر والزّيت وغيره من المواد الأساسيَّة استعدادًا لما سيحلُّ بها من أزمات وكوارث.
- ــ وعلى الدُّول الصَّديقة أن تضع في حُسبانها ميزانيات احتياطيَّة تصْرِفها لخدمة الشُّعوب المجاورة، والصَّديقة، أو للإنسانية عامَّة في حال إصابتها بأزمات وكوارث، مثل ما فعل يوسف عليه السلام من تقديم معونات للدُّول المجاورة في عزِّ الأزمة.
- ــ وعلى الدُّول والحكومات أن تكون لها مخطَّطات مستقبليَّة واضحة المعالم والأبعاد تحمل في طيَّاتها كلَّ الاحتمالات (السيناريوهات) الإيجابية والسِّلبية حتى لا تُفاجأ بواقع صعب.

- ــ وعلى الدُّول والمنظَّمات أن تُولي اهتمامًا بالغًا بعلم إدارة الأزمات فتسعى على إيجاد فريق مختصٍّ ودائم يكون على جاهزية تامَّة لأيِّ طارئ وأزمة.
- ــ وعلى الجهات المسؤولة أن تنشر في الأوساط الاجتماعية سلوكيات التَّرشيد في النَّفقة، وانتهاج سياسة الادِّخار، والسَّعي على تثقيفهم إيجابًا بعلم الأزمات والكوارث، وتدريبهم على كيفيَّة تقبُّلها حال حدوثها حتى لا يصادموا ويفاجؤوا؛ لأنَّ دوام الحال من المحال ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾ [آل عمران: 140].
- ــ كما على الأفراد والمجتمعات أن تساعد حكوماتها ودولها على تجاوز أمثل لمرحلة الأزمة، وذلك بتحمُّل الجميع مسؤولية البناء، وعدم الإخلال بالأمن، ومضاعفة الإنتاج والدَّأب عليه، كما عليها أن تسهر على تنفيذ مخطَّطات القيادة الإدارية للأزمة.
- ــ يعتبر التَّخطيط المحكم المبني على قواعد علميَّة رصينة، مع وجود قيادة رشيدة هما أساس كلّ نجاح نحو تخطٍّ أمثل وأسرع وآمن لكلّ أزمة ومحنة.
- ــ يساهم التَّخطيط المبكِّر مع توفر قيادة رشيدة إلى التَّخفيف من وطأة الأزمة، والحدِّ من أخطارها الجسيمة.
- ــ إنَّ وظيفة التَّخطيط، والتَّنظيم، والتَّوجيه، وفرض الرَّقابة، والتَّوزيع العادل للموارد الطبيعيَّة، والاستعداد المسبق للأزمة لهو السَّبيل الأضمن للتَّجاوز الأمثل للأزمات الاقتصادية.

المبحث الثالث: السِّمات الشَّخصية اللَّازمة لقائد الأزمة، ومقوِّمات نجاح إدارة الأزمة.

المطلب الأول: السِّمات [1] الشَّخصيَّة لقائد الأزمة.

لم يغفل القرآن الكريم في أثناء بيانه للمنهج الأمثل لإدارة الأزمة عن ذكره للسِّمات الواجب توفُّرها في قائد الأزمة حتَّى يستطيع أن يوصل النَّاس بها إلى برِّ الأمان، لأنَّ أيَّ نظام عملي مدروس، وأيَّ تخطيط محكم غير مرتبط بأخلاقيات والتزامات هو محكوم عليه بالفشل لا محالة، وبالأخصِّ في ظلِّ الأزمات لتدهور القيم الأخلاقية والإنسانية فيها إذ تفشو فيها: السَّرقة، والغشُّ، والرَّشوة، والخديعة، والأنانيَّة، والطَّمع، والجشع، والتَّحايل.... ومن هنا فنجاح إدارة الأزمة متوقِّف على قيم الأخلاق الفاضلة، وأنَّ هذه الأخلاق ليست نافلة يمكن الاستغناء عنها بقدر ما هي جوهر نجاح حياة النَّاس العمليَّة.

يقول سيد قطب: "فالعمل والإنتاج والتَّوزيع، كلُّها في حاجة إلى ضمانة الأخلاق، والقانون الأرضي وحده عاجز كلَّ العجز عن تقديم الضَّمانات لسير العمل كما نرى في كلِّ مكان!"[2].

ومن هنا فإنَّ سورة يوسف عليه السلام كما أوْلت عناية كبيرة بتقديم مناهج إدارية لكيفية إدارة الأزمة؛ فإنَّها في المقابل اهتمَّت أيضًا ببيان سمات الشَّخصيَّة القيادية إذ سلَّطت الضَّوء عليها باعتبارها الآلة الفعَّالة التي تدير الأزمة، وفيما يأتي بيان سمات الشَّخصية القيادية للأزمة والمتمثِّلة في شخصية يوسف عليه السلام، وقد آثرنا تقسيمها إلى أربعة فروع كالآتي:

❖ــ الفرع الأول: المهارات الرُّوحيَّة.

يفتقد أغلب القادة في العصر الحالي إلى نظرهم للجانب الرُّوحي، حيث نجد أنَّ معظمهم يقرؤون الأزمات بالمنظار المادِّي البحت ــ مع أهمِّيته ــ فيتوصَّلون إلى وضع

---

[1] ــ السمة: تعني العلامة المميزة، واتَّسَمَ الرجلُ إذا جعل لنفسه سِمة يُعْرَف بها.[ينظر: لسان العرب، ابن منظور، مصدر سابق، ج12، ص635]. وقد آثرت استعمال كلمة السمات بدلا من الصفات، لأن الأولى تختص بفئات محدودة من الناس أما الصفات فيشترك فيها الكثير، زيادة على أن الأولى أكثر دقة في الدلالة على المعنى المقصود في بحثنا وهو العلامات المميزة لشخصية القائد.

[2] ــ سيد قطب، في ظل القرآن، مصدر سابق، ج2، ص934.

حلول ونتائج تعكس مادِّيتهم وتفتقر إلى الجانب الرُّوحي الغيبي، فالصَّحيح في تعاملنا مع الأزمات أن يُنظر إليها من الجانبين الرُّوحي والمادِّي، حتَّى تكتمل الصُّورة كما اكتملت صورة خلقة الإنسان الذي كوَّنه الله ﷻ وركَّبه من هذين الجانبين، إذ لا تتحقق إنسانيَّة إلَّا بالجسد والرُّوح معًا.

ومن أهمِّ المهارات الرُّوحيَّة المتجسِّدة في الشَّخصية اليوسفيَّة عليه السلام ما يأتي:

1) ــ تقوى الله ﷻ: والتَّقوى هي كلمة جامعة لكلِّ معاني الخير وتعني: "اتِّقاء كل ما لا يُرضي الله من ترك واجب، أو فعل محرَّم، واتِّقاء مخالفة سنن الله تعالى في خلقه من أسباب الصِّحَّة، والقوَّة، والنَّصر، والعزَّة، وسيادة الأمَّة"[1].

فالتَّقوى صفةٌ لازمة في المؤمن، وخاصَّة ممَّن تولى قيادة أمور المسلمين من أجل ما يُحاط بالقيادة من ملذَّات وشهوات كالمال والجاه والنُّفوذ... ومن أجل السَّلامة من أخطار القيادة ومخلَّفاتها السِّلبية من: جور، وظلم، وتعدٍّ، ومحسوبيَّة، وغشٍّ، ورشوة....

ومن هنا كان لزامًا على القائد أن يتشبَّع بالتَّقوى لأنَّها تورث في النَّفس مراقبة الله ﷻ والشُّعور به عند فعل كلِّ صغيرة وكبيرة، فيحاسب نفسه، ويراقبها في السِّرِّ والعلن.

وقد بلغ يوسف عليه السلام أعلى مراتب الإدارة، ومكّنه الله في الأرض حيث يتبوَّأ منها حيث يشاء وما كان هذا إلا بملازمته تقوى الله ﷻ، يقول تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَآءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَآءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ وَلَأَجْرُ ٱلْآخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾ [يوسف: 56 – 57].

يقول الفخر الرازي: "فكان هذا شهادة من الله تعالى على أنَّه عليه السلام كان في ذلك الوقت من المتَّقين، وأيضًا قوله: ولا نضيع أجر المحسنين شهادة من الله تعالى على أنَّه عليه السلام كان من المحسنين، وقوله: إنَّه من عبادنا المخلَصين شهادة من الله تعالى على أنَّه من المخلصين فثبت أنَّ الله تعالى شهد بأنَّ يوسف عليه السلام كان من المتَّقين، ومن المحسنين، ومن المخلَصين"[2].

---

[1] ــ المراغي، تفسير المراغي، مصدر سابق، ج11، ص130.

[2] ــ الرازي، مفاتيح الغيب، مصدر سابق، ج18، ص476.

ومن جهة أخرى فإنَّ يوسف عليه السلام علَّل المكانة التي بوَّأها الله له لأخوته بسبب التَّقوى والصَّبر، يقول تعالى: ﴿ قَالُوٓاْ أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُۖ قَالَ أَنَا۠ يُوسُفُ وَهَٰذَآ أَخِيۖ قَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡنَآۖ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصۡبِرۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٩٠ ﴾ [يوسف: 90].

يقول طنطاوي: "إنَّ من شأن الإنسان الذي يتَّقى الله تعالى ويصون نفسه عن كلِّ ما لا يرضاه، ويصبر على قضائه وقدره، فإنَّه تعالى يرحمه برحمته، ويكرمه بكرمه، لأنَّه سبحانه لا يضيع أجر من أحسن عملاً، وتلك سنَّته سبحانه التي لا تتخلَّف..."[1].

2) ــ شكر الـــمُنعم سبحانه: إنِّ جميع المواقف التي أبلى فيها يوسف عليه السلام البلاء الحسن، وأظهر فيها المواقف الإيجابية، وحقَّق فيها النَّجاحات الباهرة...كلُّها اتَّسمت بنكران الذَّات وإرجاع الفضل فيها إلى الله عزوجل وحده؛ إذ هو صاحب النِّعمة والتَّفضل والإكرام، وقد كان هذا مبدأ في دعوة يوسف عليه السلام، ومنهج يسير عليه في حياته، وأساسٌ يوجِّه النَّاس إليه، يقول تعالى: ﴿ وَٱتَّبَعۡتُ مِلَّةَ ءَابَآءِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۚ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشۡرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَيۡءٖۚ ذَٰلِكَ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ عَلَيۡنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشۡكُرُونَ ٣٨ ﴾ [يوسف: 38]. "أي: ذلك المنهج الذي سلكناه في عقيدتنا ناشئ من فضل الله علينا، حيث أيَّدنا بالنُّبوَّة وجعلنا أهلاً لتبليغ رسالته إلى النَّاس، وقيادتهم إلى الحقِّ وإلى صراط مستقيم ومن فضله على النَّاس أيضًا، حيث وفَّقنا لإرشادهم إلى توحيده، ولكنَّ أكثر النِّاس لا يشكرون الله بتوحيده وإجابة المرسلين إلى العمل بما جاءهم به، مع أنه تعالى أقام الأدلة والآيات في الأنفس والآفاق على استحقاقه وحده للعبادة"[2].

---

[1] ــ طنطاوي، التفسير الوسيط، مصدر سابق، ج7، ص412.

[2] ــ مجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، مصدر سابق، ج4، ص324.

فيوسف عليه السلام عالم بأنَّ الله وحده هو المتصرِّف في الأزمات، وهو المدير لها، والكاشف عنها، وأنَّ الإنسان لا يعلم منها إلا الظَّاهر اليسير، ويخفى عليه من حقائقها الشَّيء الكثير، ولا يملك من التَّصرف فيها شيئًا سواء دفعًا للمضرَّة، أو استجلابًا للمنفعة.

ومن هنا فإنَّ يوسف عليه السلام لم تغرُّه المناصب، أو الجاه، أو الجمال، أو العلم، أو النَّجاحات، أو نشوة الانتصار والغلبة... بل قابل كل ذلك بالتَّواضع لله سبحانه، ونسب الفضل إليه وحده أوَّلًا وأخيرًا، مصداقًا لما حكاه الله تعالى لنا على لسان يوسف بقوله: ﴿وَقَدْ أَحْسَنَ بِيٓ إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ ٱلسِّجْنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَٰنُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِيٓ ۚ إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٠٠﴾ ۞ رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِي مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّۦ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠١﴾﴾[يوسف: 100 -101].

يقول ابن عاشور: "أعقب ذكر نعمة الله عليه بتوجُّهه إلى مناجاة ربِّه بالاعتراف بأعظم نعم الدنيا، والنِّعمة العظمى في الآخرة، فذكر ثلاث نعم: اثنتان دنيويتان وهما: نعمة الولاية على الأرض، ونعمة العلم، والثَّالثة: أخرويَّة وهي نعمة الدِّين الحقِّ المعبَّر عنه بالإسلام، وجعل الذي أوتيه بعضًا من الملك ومن التَّأويل لأنَّ ما أوتيه بعض من جنس الملك وبعض من التَّأويل إشعارًا بأنَّ ذلك في جانب ملك الله وفي جانب علمه شيء قليل، وعلى هذا يكون المراد بالملك التَّصرف العظيم الشَّبيه بتصرُّف الملك إذ كان يوسف عليه السلام هو الذي يسيِّر الملك برأيه"[1].

3) ــ الإحسان: وكلمة الإحسان كلمة جامعة لكلِّ صنوف البرِّ والخير وهي تعني أساسًا الإتيان بالعبادة لله تعالى على الوجه الأكمل الذي يرضيه عنَّا مصداقًا لقوله عليه السلام في حديث جبريل المشهور: قَالَ:فَمَا الإِحْسَانُ؟ قَالَ: «أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنَّكَ إِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ، فَإِنَّهُ يَرَاكَ»[2].

---

1 ــ ابن عاشور، التحرير والتنوير، مصدر سابق، ج13، ص54.

2 ــ متفق عليه. مسلم، صحيح مسلم، مصدر سابق، كتاب الإيمان، بَابٌ: الْإِيمَانُ مَا هُوَ وَبَيَانُ خِصَالِهِ، ج1، ص39، رقم الحديث: 9.

وقد لازم وصف الإحسان سيِّدنا يوسف عليه السلام من بدايات السُّورة إلى نهايتها، إذ وصفه الله عز وجل بهذا الوصف في السُّورة في أكثر من مرَّة، ومن ذلك على سبيل المثال لا الحصر:

ـــ وصْفُ السَّجينين يوسفَ عليه السلام بالإحسان رغم سجنه مظلومًا ـــ أي أنَّه في أزمة ـــ إلا أنَّ إحسانه لمن في السِّجن لم ينقطع، يقول تعالى: ﴿ وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجْنَ فَتَيَانِۖ قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَعۡصِرُ خَمۡرٗاۖ وَقَالَ ٱلۡأٓخَرُ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَحۡمِلُ فَوۡقَ رَأۡسِي خُبۡزٗا تَأۡكُلُ ٱلطَّيۡرُ مِنۡهُۖ نَبِّئۡنَا بِتَأۡوِيلِهِۦٓۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٣٦ ﴾ [يوسف: 36].

ـــ لقد وصف إخوة يوسف عزيز مصر ـــ وهو يوسف بدون أن يشعروا به ـــ بالإحسان مؤكِّدين هذه الصِّفة فيه، وذلك حين رجوه قائلين له: ﴿ قَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡعَزِيزُ إِنَّ لَهُۥٓ أَبٗا شَيۡخٗا كَبِيرٗا فَخُذۡ أَحَدَنَا مَكَانَهُۥٓۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٧٨ ﴾ [يوسف: 78].

والإحسان ينفع صاحبه في ظلِّ الأزمة بكسب قلوب المرؤوسين، واستمالة النَّاس إليه، فلا يولِّد له ردود أفعال أو مواجهات من قبل خصومه، كما أنَّه يسعى في تنفيذ الخطط بأريحيَّة وبأسهل الطُّرق.

4) ـــ الإيمان: ومن أهمِّ صفات القائد الأزموي أن يكون مؤمنا حقًّا؛ لأنَّ في الإيمان طاقة كامنة تدفع بصاحبها بالمضي قُدُما نحو تحقيق أهدافه والوصول إلى الغايات رغم كلِّ التَّحديات والمعوِّقات، وفي هذا يقول تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَتَبَوَّأُ مِنۡهَا حَيۡثُ يَشَآءُۚ نُصِيبُ بِرَحۡمَتِنَا مَن نَّشَآءُۖ وَلَا نُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٥٦ وَلَأَجۡرُ ٱلۡأٓخِرَةِ خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ٥٧ ﴾ [يوسف: 56 – 57].

يقول سيد قطب: "فالإيمان حقيقة إيجابيَّة متحرِّكة. ما إن تستقر في الضَّمير حتى تسعى بذاتها إلى تحقيق ذاتها في الخارج في صورة عمل صالح.. هذا هو الإيمان الإسلامي.. لا يمكن أن يظلَّ خامدًا لا يتحرَّك، كامنًا لا يتبدَّى في صورة حيَّة خارج ذات المؤمن.. فإن لم يتحرَّك هذه الحركة الطبيعيَّة فهو مزيَّف أو ميِّت.

شأنه شأن الزَّهرة لا تمسك أريجها. فهو ينبعث منها انبعاثًا طبيعيًّا. وإلَّا فهو غير موجود! ومن هنا قيمة الإيمان.. إنَّه حركة وعمل وبناء وتعمير.. يتَّجه إلى الله.. إنَّه ليس انكماشًا وسلبيَّةً وانزواءً في مكنونات الضَّمير، وليس مجرَّد النَّوايا الطَّيِّبة التي لا تتمثَّل في حركة وهذه طبيعة الإسلام البارزة التي تجعل منه قوَّة بناء كبرى في صميم الحياة.

وهذا مفهوم ما دام الإيمان هو الارتباط بالمنهج الرَّبَّاني. وهذا المنهج حركة دائمة متَّصلة في صميم الوجود، صادرة عن تدبير، متَّجهة إلى غاية.

وقيادة الإيمان للبشرية هي قيادة لتحقيق منهج الحركة التي هي طبيعة الوجود. الحركة الخيرة النَّظيفة البانية المعمِّرة اللَّائقة بمنهج يصدر عن الله"[1].

❖ــ الفرع الثاني: المهارات الذَّاتية والشَّخصيَّة.

تتمثَّل المهارات الذَّاتية في ظهور بعض السِّمات المرتبطة بشخصيَّة القائد، وهي لازمة في بناء شخصيَّة الأفراد ليصبحوا قادة، مثل:

1) ــ القوَّة البدنيَّة: وتتمثَّل في القدرة على التَّحمُّل والنَّشاط والحيويَّة؛ لأنَّها تمكِّن القائد من أن يشيع الحيويَّة والنَّشاط في مرؤوسيه لتحقيق الأهداف المطلوبة [2].

فنجاح القائد في أداء دوره يعتمد على ما لديه من طاقة بدنية وعصبية عالية، وعلى مدى حيويته ونشاطه وصلابته وقدرته على التَّحمل... ولذلك كان منهج القرآن الكريم في اختيار القائد مبني على القوَّة الجسديَّة والعلميَّة كما قال تعالى: ﴿ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ ۖ وَٱللَّهُ يُؤْتِى مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٧﴾ ﴾ [البقرة: 247].

وقد وصف الله ﷻ نبيَّه يوسف عليه السلام ببلوغ أشُدِّه والذي يدلُّ على كمال صحَّته، وكمال قِواه، كما قال تعالى: ﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [يوسف: 22]. يقول الجوزي: "فأمَّا الأشُدُّ، فهو استحكام قوَّة الشَّباب والسِّنِّ. قال

---

[1] ــ سيد قطب، في ظلال القرآن، مصدر سابق، ج6، ص3967.

[2] ــ السكارنة بلال خلف، القيادة الإدارية الفعالة، ط1، دار المسيرة، عمّان، 2010م، ص: 45.

ابن قتيبة: ومعنى الآية: حتى يتناهى في النَّبات إلى حدِّ الرِّجال. يقال: بلغ أشدَّه: إذا انتهى منتهاه قبل أن يأخذ في النُّقصان"[1].

فالقوَّة البدنيَّة والعصبيَّة واجب توفُّرها لدى قائد الأزمة؛ لأنَّ القيادة عمل شاقٌّ يتطلَّب جهدًا مركَّزًا ومتواصلًا، كما يتطلَّب ساعات عمل أكثر مما يتطلَّبه العمل العادي بالإضافة إلى المواقف العارضة والأزمات التي تواجه القائد [2].

2) ــ العلم: يعتبر العلم من أهم السِّمات اللَّازمة للقائد، فلذلك عندما عرض يوسف عليه السلام على الملك أن يعهد إليه بإدارة أمور البلاد في وقت الأزمة علّل ذلك بأمرين هما: الحفظ والعلم، وقد جاء العلم على إطلاقه ليشمل كلَّ العلوم والفنون، وخاصَّة ما تعلَّق بالأزمة كعلم التَّخطيط، والتَّخزين، والتَّوزيع....وفي هذا يخبرنا تعالى بقوله: ﴿ قَالَ اجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الْأَرْضِ ۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴿٥٥﴾ ﴾ [يوسف: 55].

يقول جودت سعيد: "وبما أنَّه عرض نفسه للقيام بخدمة، فقد قرن هذا العرض ــ وهو أن يُجعل على خزائن الأرض ــ بمؤهِّلات من يناط به أمر الخدمة، وهما الحفظ والعلم.

فالحفظ فيه جانب الأمانة والإخلاص، والعلم فيه جانب الصَّواب والكفاءة والاقتدار، وقد كان عليه السلام كذلك عند التَّطبيق العملي"[3].

ويقول ابن عاشور: "وهذه صيغة تولية جامعة لكلِّ ما يحتاج إليه وليُّ الأمر من الخصال، لأنَّ المكانة تقتضي العلم والقدرة إذ بالعلم يتمكَّن من معرفة الخير والقصد إليه، وبالقدرة يستطيع فعل ما يبدو له من الخير والأمانة تستدعي الحكمة والعدالة، إذ بالحكمة يوثِّر الأفعال الصَّالحة ويترك الشَّهوات الباطلة، وبالعدالة يوصل الحقوق إلى أهلها"[4].

3) ــ الذّكاء: ويعتبر الذَّكاء من أهمِّ القدرات العقليَّة اللَّازمة للقيادة، وقد أثبتت الدراسات أنَّ هناك صلة بين سمة الذَّكاء والنَّجاح في القيادة.

---

[1] ــ الجوزي عبد الرحمن بن علي، زاد المسير في علم التفسير، مصدر سابق، ج2، ص92.

[2] ــ ينظر: نواف كنعان، القيادة الإدارية، مرجع سابق، ص 319.

[3] ــ جودت سعيد، العمل قدرة وإرادة، ط1، دار الثقافة، دمشق، 1980م، ص33.

[4] ــ ابن عاشور، التحرير والتنوير، مصدر سابق، ج13، ص8.

فالذَّكاء يساعد على تقديم حلول ناجعة للخروج من الأزمة، كما يساعد على العلم والتَّحصيل ونبذ المسلَّمات القائمة على الظُّنون والشُّكوك، كما يساعد على فهم أسباب الأزمة ومسبَّباتها وذلك من أجل اتِّخاذ قرارات مناسبة وفعَّالة للقضاء عليها.

وقد أشارت سورة يوسف إلى ملامح ذكاء النَّبي يوسف عليه السلام في أكثر من موضع ومن ذلك لما اكتمل اللِّقاء مع أبويه وأهله بعد فراق طويل قام فيهم خطيبًا حيث أوجز بعض المراحل التي مرَّت به، فذكر منها ما وقع بينه وبين إخوته من شنآن، فجعل مردَّ ذلك كلِّه إلى الشَّيطان الذي نزغ بينه وبين إخوته، رغم أنَّهم هم المعتدون، وأنَّه بريء من هذا التّصرُّف العدواني، وفي هذا تخفيف لأخوته من الجُرم الذي ارتكبوه في حقّه عليه السلام، ولأجل أن لَّا يثير حفيظة إخوانه من جديد، لأنَّ المقام مقام عفو وصفح، وليس مقام محاسبة وثأر وتشفٍّ، وهذا التَّصرُّف ينمُّ عن حدَّة ذكائه عليه السلام وكمال فِطنته.

يقول أبو زهرة: "ولم ينسب الشَّرَّ إلى إخوته، بل نسب النَّـــزْغ بأنَّه بينهم مع أنَّهم المعتدون وهو البريء المجني عليه، ولكنَّه الكريم ابن الكريم، يريد أن يمحو العداوة بالمودة، وعبر بالأخوة الرابطة، فقال: (نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي)"[1].

4) ــ الثِّقة في النَّفس: وذلك بالاستعداد الطَّبيعي لتحمُّل المسؤوليات وحلِّ المشكلات، وهذا ما نقرؤه بوضوح لما وثق من نفسه عليه السلام وطلب من الملك أن يجعله على خزائن الأرض، فقال تعالى على لسانه: ﴿ قَالَ اجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الْأَرْضِ ۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴿٥٥﴾ ﴾ [يوسف: 55].

5) ــ عزَّة النَّفس: على القائد النَّاجح أن يكون عزيز النَّفس، مُهاب الجَناب، وسليم العِرض، فلا يطمع بما في أيدي النَّاس، ولا يغترُّ بالدُّنيا وأهلها، ولا يقبل المساومة في دينه، أو ماله، أو عرضه من أجل حطام زائل...

ولقد أعطى يوسف عليه السلام النَّموذج في هذا، فلم يرض بالخروج من السِّجن إجابة لدعوة الملك له حتَّى يُفتح ملفُّه من جديد، ويُنصف في أمره القديم، ليظهر للنَّاس براءة ساحته ونزاهة جانبه؛ لأنَّه يعلم أنَّ القيادة تتطلب النَّزاهة، والسَّلامة من كلِّ ناقصة في

---

[1] ــ أبو زهرة، زهرة التفاسير، مصدر سابق، ج7، ص3862.

العِرض والشَّرف، وفي هذا الشأن يخبرنا تعالى بقوله: ﴿ وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِي بِهِۦٓ فَلَمَّا جَآءَهُ ٱلرَّسُولُ قَالَ ٱرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسْـَٔلْهُ مَا بَالُ ٱلنِّسْوَةِ ٱلَّٰتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ ۚ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ ﴿٥٠﴾ ﴾ [يوسف: 50].

يقول ابن عطية: "كان هذا الفعل من يوسف عليه السلام أناةً، وصبرًا، وطلبًا لبراءة السَّاحة، وذلك أنَّه فيما روي خشي أن يخرج وينال من الملك مرتبة ويسكت عن أمر ذنبه صفحًا، فيراه النَّاس بتلك العين أبدًا، ويقولون: هذا الذي راود امرأة مولاه، فأراد يوسف عليه السلام أن تبيَّن براءته وتتحقَّق منـــزلته من العفَّة والخير.."[1].

6) ـــ ضبط النَّفس: "وتعني الاتِّزان، وهو أن يكون القائد قادرًا على إدارة نفسه مثل إدارة الآخرين، وهذا يتطلَّب منه الهدوء ومقابلة الأزمات متى ظهرت بالهدوء والسَّيطرة على الأعصاب"[2].

والقائد النَّاجح هو الذي تكون لديه القدرة على إدارة نفسه قبل إدارة الآخرين، وهذا يتطلَّب منه أن يكون هادئًا، وذلك بفضل استجابته بكلِّ رزانة وهدوء للمثيرات المختلفة، وأيضًا تقبُّله للانتقادات الموجَّهة إليه من قِبل غيره، كما يتطلَّب منه مقابلة الأزمات متى ظهرت بهدوء، وأن يسيطر على أعصابه في أوقات الخطر، كما أنَّ هذه السِّمة تساعد القائد على حسن استخدام سائر القدرات الأخرى [3].

ولقد مرَّت على يوسف عليه السلام مواقف جدُّ حرجة أثناء الأزمة مع ما كان يحظى به من عزَّة وقوَّة، لكنَّه عليه السلام قابلها باتِّزانه، وضبطه لمشاعره وأحاسيسه، فمن ذلك على سبيل المثال لا الحصر:

- ـــ حين قابل إخوته أوَّل مرَّة فعرفهم وهم لم يعرفوه، فلم تصدر منه عليه السلام أيُّ فظاظة أو عقوبة أو أدنى إساءة ضدَّ إخوته رغم أنَّه عزيز مصر، وأنَّه مظلوم؛ بل وفَّى لهم كيلهم، وأنزلهم منـــزلة الضَّيف، وأكرم وِفادتهم، وحفظهم في أنفسهم

---

[1] ـــ ابن عطية، المحرر الوجيز، مصدر سابق، ج3، ص252.

[2] ـــ السكارنة بلال خلف، القيادة الإدارية الفعالة، مرجع سابق، ص 45.

[3] ـــ ينظر: كنعان نواف، القيادة الإدارية، مرجع سابق، ص326.

وأموالهم، ووفَّر لهم من أسباب الأمن والرَّاحة ما يستحقُّون، وفي هذا يقول تعالى: ﴿ وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنكِرُونَ ﴿٥٨﴾ وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ قَالَ ائْتُونِي بِأَخٍ لَّكُم مِّنْ أَبِيكُمْ أَلَا تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي الْكَيْلَ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنزِلِينَ ﴿٥٩﴾ ﴾ [يوسف: 58 – 59].

- ــ وحين افترى عليه إخوته واتَّهموه بالسَّرقة دون علمهم بأنَّه هو المتّهم، يقول تعالى: ﴿ قَالُوا إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُ مِن قَبْلُ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ قَالَ أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًا وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ﴿٧٧﴾ ﴾ [يوسف: 77]. "أي: تلقَّى يوسف منهم هذه التُّهمة، فأسرّها في نفسه، ولم يسألهم عنها، ولم يكشف لهم عن وجه يوسف الذي ألقوا إليه بهذه التُّهمة"[1].
- ــ وحين كشف اللِّثام عليه السلام عن وجهه فأخبرهم عن حقيقة نفسه، وأنّه أخوهم، فلم تأخذه عليه السلام عزّته بعقباهم أو المكر بهم، بل عفا عنهم. يقول تعالى: ﴿ قَالُوا أَإِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَٰذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٩٠﴾ قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَاطِئِينَ ﴿٩١﴾ قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿٩٢﴾ ﴾ [يوسف: 90 – 92]. يقول طنطاوي: "قال يوسف لإخوته على سبيل الصَّفح والعفو يا إخوتي: لا لوم، ولا تأنيب، ولا تعيير عليكم اليوم، فقد عفوت عمَّا صدر منكم في حقِّي، وفي حقِّ أخي من أخطاء وآثام وأرجو الله تعالى أن يغفر لكم ما فرَّط منكم من ذنوب وهو ــ سبحانه ــ أرحم الرّاحمين بعباده"[2].

7) ــ قوَّة الذَّاكرة: ومما يشير إلى تواجد هذه الصِّفة في شخص يوسف القائد عليه السلام قوله تعالى: ﴿ وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنكِرُونَ ﴿٥٨﴾ ﴾ [يوسف: 58].

---

[1] ــ الخطيب عبد الكريم، التفسير القرآني للقرآن، مصدر سابق، ج7، ص28.

[2] ــ طنطاوي محمد سيد، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، مصدر سابق، ج7، ص413.

يقول ابن عاشور: "وعرف يوسف عليه السلام إخوته بعد مضيِّ سنين على فراقهم لقوَّة فراسته وزكانة [1] عقله دونهم"[2].

8) ــ قوَّة الفطانة: لقد تفطَّن يوسف عليه السلام من أجل إبقاء أخيه معه إلى دسِّ صواع الملك في رحل أخيه، ثمَّ تطبيق حكم السَّارق على وفق ديانة إخوته، وفي هذا يقول تعالى: ﴿ فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَآءِ أَخِيهِ ثُمَّ ٱسْتَخْرَجَهَا مِن وِعَآءِ أَخِيهِۚ كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَۖ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ ٱلْمَلِكِ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُۗ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴿٧٦﴾ ﴾ [يوسف: 76].

يقول القاسمي: "فَبَدَأَ أي: فتى يوسف بِأَوْعِيَتِهِمْ أي: ففتشها قَبْلَ وِعاءِ أَخِيهِ... نفيًا للتُّهمة ثُمَّ اسْتَخْرَجَها أي: السِّقاية مِنْ وِعاءِ أَخِيهِ، كَذَلِكَ كِدْنا لِيُوسُفَ أي: دبَّرنا لتحصيل غرضه ما كانَ لِيَأْخُذَ أَخاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ أي: شرعه وقانونه... أي: ما صحَّ له أن يأخذ أخاه في قضاء الملك، فدبَّر تعالى ما حكم به إخوة يوسف على السَّارق، لإيصال يوسف إلى أربه، رحمة منه وفضلا، وفيه إعلام بأنَّ يوسف ما كان يتجاوز قانون الملك، وإلَّا لاستبدَّ بما شاء، وهذا من وفور فطنته وكمال حكمته"[3].

9) ــ حسن التَّدبير: لقد أشار يوسف عليه السلام على الملك برأيٍ سديد، وتدبير رشيد من أجل الحفاظ على أقوات النَّاس لمدَّة طويلة تزيد عن أربعة عشر سنة، وتمثَّل هذا التَّدبير في ترك الحبِّ في سنبله حتى لا يتسوَّس ولا يتعفَّن، وفي هذا يخبرنا تعالى بقوله: ﴿ قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ ﴿٤٧﴾ ﴾ [يوسف: 47].

يقول أبو حيان الأندلسي: "فذروه في سنبله إشارة برأي نافع بحسب طعام مصر وحنطتها التي لا تبقى عامين بوجه إلَّا بحيلة إبقائها في السُّنبل، فإذا بقيت فيها انحفظت"[4].

---

[1] ــ والإزْكانُ الفِطْنة، والــحَدْسُ الصادق. [ابن منظور، لسان العرب، مصدر سابق، ج13، ص199، مادة: زكن].

[2] ــ ابن عاشور، التحرير والتنوير، مصدر سابق، ج13، ص12.

[3] ــ القاسمي، محاسن التأويل، مصدر سابق، ج6، ص204.

[4] ــ أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، مصدر سابق، ج6، ص285.

❖ــ الفرع الثالث: المهارات الأخلاقية والإنسانيَّة.

هناك سمات وصفات أخلاقية يجب توفُّرها في رجل الإدارة حتَّى يؤثِّر إيجابًا على مرؤوسيه، وذلك لما للقدوة الحسنة من قوَّة تفرض نفسها في تغيير الواقع والتَّحكم فيه وكسب الثِّقة لدى الأفراد... ولأنَّ التَّعامل مع الأفراد والجماعات سبيله الوحيد هو اكتساب المهارات الأخلاقية أكثر من المهنية ومن غيرها، فهو تعامل مع الإنسانية لا مع الأشياء والجمادات.

"وقد أوضح تقرير لجمعية الإدارة الأمريكية " American Management Association"نتيجة دراسة أجرتها وشملت مائتي قائد لتنظيمات إدارية أمريكية كبيرة، أنَّ أغلبية القادة الذين شملتهم الدراسة قد اتَّفقت آراؤهم على أنَّ أهمَّ سمة للقادة النَّاجحين في الوقت الحاضر، هي كفاءة القائد في بناء علاقات إنسانية طيِّبة مع موظَّفيه، وسلوكه الجيِّد في التَّعامل معهم...وبيَّنت هذه الدراسة أنَّ هذه السِّمة أكثر أهمِّية للقائد من السِّمات الأخرى"[1].

وفيما يأتي بيان السِّمات الأخلاقيَّة والإنسانيَّة لسيِّدنا يوسف عليه السلام والتي ساعدته كثيرًا في إدارة الأزمة وتخطِّيها بنجاح، فمن ذلك:

1) ــ الصَّبر: وهو سمة بارزة في القادة والأئمَّة حيث إنَّهم لم يتبوَّؤوا هذه المنـــزلة الرفيعة إلا بعد اجتيازهم مراحل الصَّبر على الشَّدائد والأزمات والمشاقِّ مصداقًا لقوله تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [السجدة: 24].

فيوسف عليه السلام قابل جميع الأزمات التي مرَّ بها من إلقاء به في الجبِّ، وبيعه بعد استرقاقه، وسجنه مظلومًا لسنين، وتقلُّده لأعباء الأمَّة في مرحلة الأزمة....كلُّ ذلك يحتاج منه إلى كثير من الصَّبر والعزيمة القويَّة لاجتيازها، ولذلك علَّل لأخوته سبب وصوله إلى المكانة التي بوّأها الله له بالصَّبر، وذلك في قوله تعالى: ﴿ قَالُوا أَإِنَّكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا

[1] ــ نواف كنعان، القيادة الإدارية، ط1، دار الثقافة، عمّان، 2009م، ص: 335.

يُوسُفُ وَهَٰذَآ أَخِي قَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَآ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾ [يوسف: 90].

يقول عبد الكريم الخطيب: "ثمَّ أراهم يوسف أنَّ هذا الذي يرونه ولا يكادون يصدّقونه، هو من فضل الله عليه، وأنَّه سبحانه قد أحسن جزاءه، إذ كان ممن ابتلاهم فصبروا، وممن مكّن لهم فاتّقوا وأحسنوا..."[1].

2) ــ الصِّدق: وهو الكمال في الأفعال والأقوال والواقع، وليس صدق اللِّسان فحسب الذي هو ضدُّ الكذب، فأقول فلان صادق في أفعاله وصادق في مشروعه، أي: أنَّه أدَّى واجب ما عليه على الوجه الأكمل، فالقائد أو المسؤول إذا نفّذ وُعوده التي قطعها للنَّاس، واحترم الآجال والمقاييس فإنَّ هذا يعتبر صادقًا، وسيحظى بتقبُّل النَّاس له ولأرائه، ويأتمرون بأوامره وينتهون عن نواهيه، بخلاف ما إذا لم يلتزم ولم يفِ؛ فإنَّ مصداقيَّته ستتلاشى يومًا بعد يوم، وسيسقط من أعين النَّاس، ولا يكون له أيّ اعتبار لقيادته ولا لمسؤوليته.

إذا فصفة الصِّدق في الإداري صفة لها وزنها في نفوس النَّاس إذ يكون محلَّ ثقة في نفوسهم، ومحلَّ إعجابٍ، وإجلالٍ، وإكبارٍ، وانقيادٍ متى رأوا منه الصِّدق في الأقوال والأفعال، بخلاف ما إذا جرَّبوا عليه الكذب فإنَّه سيسقط من عيونهم لا محالة.

ومن هذا المنطلق فإنَّ يوسف عليه السلام اشتهر بالصِّدق ووصف به في السُّورة في أكثر من مرَّة حتى اقترن هذا الوصف باسمه فصار ينادى بـــ: "يوسف الصِّدِّيق": ومن ذلك على سبيل المثال:

❖ ــ شهود امرأة العزيز له بالصِّدق من خلال خبرتها ومعرفتها الطَّويلة به في قصر العزيز، وقد أكَّدت فيه هذه الصِّفة الخُلقية بعد اعترافها أخيرًا بالخطأ الذي ارتكبته في حقِّه عليه السلام، حيث قالت: ﴿ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْـَٰٔنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٥١﴾ ﴾ [يوسف: 51].

---

[1] ــ الخطيب عبد الكريم، التفسير القرآني للقرآن، مصدر سابق، ج7، ص41.

❖ ــ شهود صاحب السِّجن له بالصِّدق، وذلك بعد ملازمتهما لبعضهما في السِّجن، وبالأخصِّ لَّما فسَّر يوسف رؤيا السَّجين بأنه سيكون ساقيًا للملك فصار الأمر كما أخبره عليه السلام، ولذلك ناداه السَّاقي لَّما جاءه طالبًا تعبير رؤيا الملك: ﴿ يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ ﴾ [يوسف: 46].

3) ــ حسن الضيافة في عزّ الأزمة: لم يكتف يوسف عليه السلام بإحقاق العدل مع إخوته وذلك بإيفاء الكيل التّام لهم؛ بل تجاوز إلى درجة أكبر منها وهو الإحسان إليهم بإكرام وِفادتهم وحسن ضيافتهم عنده، يقول تعالى: ﴿ أَلَا تَرَوْنَ أَنِّيٓ أُوفِي ٱلْكَيْلَ وَأَنَا۠ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ ﴿٥٩﴾ ﴾ [يوسف: 59]. "أي وأنا على هذا خير المضيِّفين لضيوفه، فقد أحسن ضيافتهم، وجهَّزهم بالزَّاد الكافي لهم مدَّة سفرهم"[1].

4) ــ حسن الكرم في عزّ الأزمة: ومما يدل على تمكّن يوسف عليه السلام وتغلُّبه التَّام على الأزمة، أمْرُه عليه السلام لأخوته باستدعاء أهلهم وقرابتهم أجمعين، مما يشمل النِّساء، والولدان، والعاملون من خدمهم... فالأصل المعتاد أنَّ الدُّول في ظل الأزمات الاقتصادية الحالَّة بها أن تمنع كلَّ أشكال الزِّيارة والإقامة في بلدها المتأزِّم حتى لا يزداد سوءًا كما هو الحال حاليًا في اليونان فقد تعرَّضت لأزمة اقتصادية خانقة منعت من جرَّائها قدوم اللَّاجئين السُّوريين والعراقيين ودولًا أخرى، وذلك درءًا لتفاقم الأزمة فيها؛ لكنَّ يوسف عليه السلام خالف المألوف حيث أصدر أمرًا باستقطاب أهلهم أجمعين إلى بلده ليدفع عنهم نكد المعيشة وضيق الرِّزق، يقول تعالى على لسان يوسف عليه السلام: ﴿ وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٣﴾ ﴾ [يوسف: 93]. أي: "بنسائكم وذراريكم ومواليكم"[2].

5) ــ العفو عند المقدرة: من أبرز سمات العفو والصَّفح من قبل يوسف عليه السلام على الرَّغم من مكانته ومنصبه ومن مقدرته على المحاسبة وإيقاع أشدِّ العقوبات على إخوته نظرًا للجُرم الذي ارتكبوه في حقِّه؛ إلَّا أن ذلك لم يصدر منه عليه السلام؛ لأنَّه كما

---

1 ــ المراغي، تفسير المراغي، مصدر سابق، ج13، ص11.

2 ــ البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، مصدر سابق، ج3، ص176.

وصفه ﷺ: «الكَرِيمُ، ابْنُ الكَرِيمِ، ابْنِ الكَرِيمِ، ابْنِ الكَرِيمِ يُوسُفُ بْنُ يَعْقُوبَ بْنِ إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِمُ السَّلاَمُ »[1].

وفي هذا السِّياق يقول تعالى على لسان نبيِّه الكريم عليه السلام: ﴿ قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ ۖ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٩٢﴾ ﴾ [يوسف: 92].

يقول طنطاوي: "والتَّثريب: التَّعيير، والتَّوبيخ، والتَّأنيب...أي: قال يوسف لإخوته على سبيل الصَّفح والعفو يا إخوتي: لا لوم، ولا تأنيب، ولا تعيير عليكم اليوم، فقد عفوت عمَّا صدر منكم في حقِّي، وفي حقِّ أخي من أخطاء وآثام وأرجو الله تعالى أن يغفر لكم ما فرط منكم من ذنوب وهو سبحانه أرحم الراحمين بعباده"[2].

6) ــ الحلم عند الغضب: لقد تعرَّض يوسف عليه السلام إلى مواقف كثيرة كَظَمَ فيها غيظه، وأظهَرَ فيها حلمه، ومن تمام حلمه عليه السلام ترك المعاجلة بالعقوبة مع مقدرته المطلقة لأيقاعها، يقول تعالى: ﴿ قَالُوٓا۟ إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُۥ مِن قَبْلُ ۚ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِى نَفْسِهِۦ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ ۚ قَالَ أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًا ۖ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ﴿٧٧﴾ ﴾ [يوسف: 77].

يقول أبو السعود مفسِّرا الآية: "{فقد سرق أخ له من قبل} يريدون به يوسف عليه السلام... {فأسرَّها يوسف} أي: أكنَّ الحزازة الحاصلة مما قالوا {في نفسه} لا أنَّه أسرَّها لبعض أصحابه كما في قوله تعالى: {وأسررت لهم إسرارًا}، {ولم يبدها لهم} لا قولًا، ولا فعلًا صفحًا عنهم، وحلمًا وهو تأكيد لما سبق، {قال} أي: في نفسه، وهو استئناف مبني على سؤال نشأ من الإخبار بالإسرار المذكور كأنَّه قيل: فماذا قال في نفسه في تضاعيف ذلك الإسرار؟ فقيل، قال: {أنتم شرٌّ مكانًا} أي: منـــزلة حيث سرقتم أخاكم من أبيكم، ثم طفقتم تفترون على البريء..{والله أعلم بما تصفون}

---

[1] ــ سبق تخريجه ينظر: ص 183.

[2] ــ طنطاوي، التفسير الوسيط، مصدر سابق، ج7، ص 413.

أي: عالم علمًا بالغًا إلى أقصى المراتب بأنَّ الأمر ليس كما تصفون من صدور السَّرقة منَّا؛ بل إنَّما هو افتراء علينا"[1].

وهكذا ينبغي أن يكون القادة والمسؤولين عن الأعمال، عليهم أن يكونوا حلماء، يضبطون أنفسهم في مثل هذه المواقف الحرجة، وخاصَّة حين يوجَّه إليهم سؤال مُفحِم أو انتقادٌ مُحرج أمام أعين النّاس، فعليهم ألا ينفعلوا ولا يصدر منهم أيّ فعل يندمون عليه فيما بعد، وقد كان يوسف عليه السلام حليمًا ليس بسريع الغضب، ولا سريع الانفعال؛ بل هو هادئ يستمع ويصبر على ما يلاقي من الأذى، وعلى ما يسمع من الكلمات الشَّديدة اللَّاذعة.

❖ــ الفرع الرابع: المهارات الفنِّية.

"وهي التي تتعلَّق بالأساليب والطَّرائق التي يستخدمها القائد في ممارسته لعمله ومعالجته للمواقف التي يصادفها، وتتطلَّب المهارات الفنِّية توفُّر قدر ضروري من المعلومات والأصول العلميَّة والفنيَّة التي يتطلَّبها نجاح العمل الإداري"[2].

ومن جملة المهارات الفنِّية التي امتلكها يوسف عليه السلام هي:

1) ــ حسن التَّخطيط وتحديد الأولويات: لقد وضع يوسف عليه السلام خطَّة عمليّة لمدة خمسة عشر سنة بيّن فيها السِّياسات التي سينتهجها طيلة هذه المدَّة، كما حدّد فيها الأولويات من أجل تحقيق الأهداف... فهذا يعتبر من أبرز المهارات التي امتلكها القائد الإداري يوسف عليه السلام.

2) ــ التَّنبؤ بالمستقبل: لقد أوتي يوسف عليه السلام الاطِّلاع على المستقبل القريب والبعيد بفضل ما علَّمه الله عز وجل من علم تأويل الرُّؤيا، فكان مطَّلعا على التَّغيُّرات، ومتنبِّئا بطروء الأحداث الجديدة، فكانت لدية سعة أفق واطِّلاع يستشرف بها المستقبل ويضع وفقها الخطط والاستراتيجيات.

3) ــ قوَّة التَّنظيم: "وتتضمَّن معرفة النَّظريات التَّنظيمية، والتَّطوير التَّنظيمي، والاستعانة بها لتفسير الظَّواهر الإدارية، والتَّنبؤ باحتياجات التَّنظيم المستقبلي والقدرة على التَّنبؤ

---

[1] ــ أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، مصدر سابق، ج4، ص ص: 298 ــ 299.

[2] ــ السكارنة بلال خلف، القيادة الإدارية الفعالة، مرجع سابق، ص 47.

بالمشكلات والعوائق والأزمات ومعرفة طرق حلِّ الأزمات، والإبداع في حلِّ المشكلات والقدرة على السَّيطرة على المواقف، وتحليل المشكلات"[1].

4) ــ التَّحفيز: القائد شخص محفِّز ذاتيًّا، وهو يفهم ضرورة التَّحفيز ومدى قوَّته، لذا فهو يتصرَّف على أساس مجهودات كل شخص على حدة داخل فريقه ويأخذ في مدحها والثَّناء عليها مع الشَّخص بشكل منفرد، وأمام المجموعة كلها ودائما ينطوي على ذوي الأداء الجيِّد المتميِّز [2].

ولقد استخدم يوسف عليه السلام أسلوب التَّحفيز كما جاء ذلك على سبيل المثال في قوله تعالى: ﴿ قَالُواْ نَفۡقِدُ صُوَاعَ ٱلۡمَلِكِ وَلِمَن جَآءَ بِهِۦ حِمۡلُ بَعِيرٖ وَأَنَا۠ بِهِۦ زَعِيمٞ ٧٢ ﴾ [يوسف: 72].

وفي الآية تحفيز على من وجد صواع الملك قبل الشُّروع في التَّفتيش حمل بعير من الطَّعام مكأفاة له على إظهاره [3].

5) ــ الإيجابيَّة في العمل: "إنَّ القائد النَّاجح هو الذي يخلق جوًّا في العمل يوفر الانسجام، والمناخ الملائم للعاملين، ويعرف كيف يعمل على زيادة فاعلية وتعاون العاملين"[4].

وكذلك كان يلقب يوسف عليه السلام لأجل إيجابيته وانسجامه مع الآخرين بألقاب عدَّة منها: العزيز: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡعَزِيزُ ﴾ [يوسف: 78]، "والعزيز هو الملك القادر المنيع"[5].

ومنها المحسن: ﴿ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٧٨ ﴾ [يوسف: 78]."والمُحْسِن هو الذي يصنع شيئاً فوق ما طُلب منه"[6].

---

[1] ــ الحريري محمد سرور، إدارة الأزمات الاقتصادية وطرق حل المشكلات الإدارية، ط1، دار الوراق، عمّان، 2012م، ص 157.

[2] ــ العجمي محمد حسنين، الإتجاهات الحديثة في القيادة الإدارية، ط1، دار المسيرة، عمّان، 2008م، ص 47.

[3] ــ ينظر: الشوكاني، فتح القدير، مصدر سابق، ج3، ص50.

[4] ــ كلالدة ظاهر محمود، الاتجاهات الحديثة في القيادة الإدارية، ط1، دار زهران، عمّان، 2013م، ص23.

[5] ــ الرازي، مفاتيح الغيب، مصدر سابق، ج18، ص 503.

[6] ــ الشعراوي، خواطر الشعراوي، مصدر سابق، ج11، ص7003.

رسم يبيِّن سمات شخصية القائد يوسف عليه السلام:

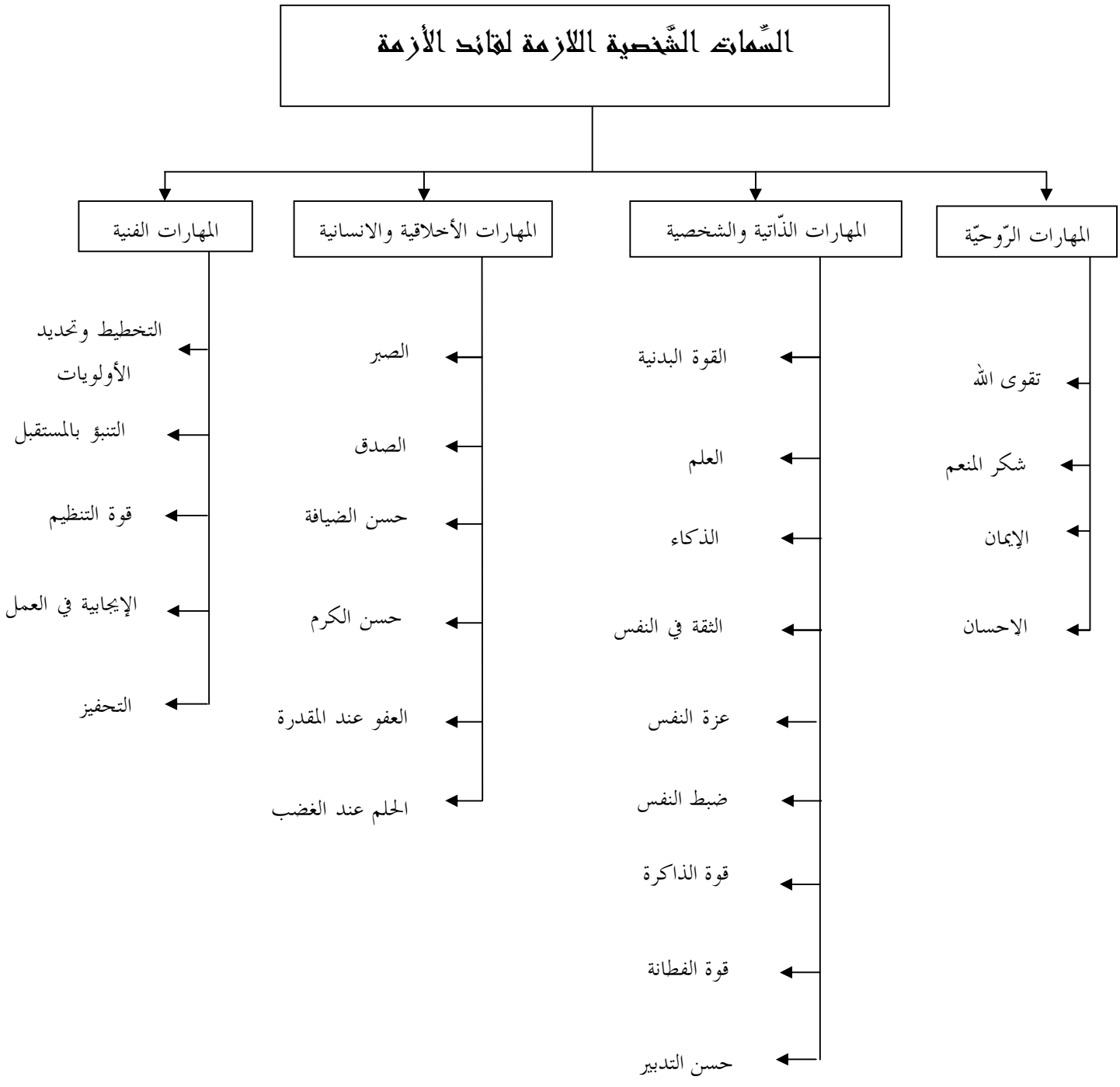

المطلب الثاني: مقوِّمات نجاح يوسف عليه السلام في إدارته للأزمة الاقتصادية.

إنَّ من أهم مقوِّمات نجاح يوسف عليه السلام في إدارته للأزمة الاقتصادية تمثَّلت فيما يأتي:

1) ــ تمتُّعه عليه السلام بمؤهِّلات عدَّة: لقد وهب الله تعالى يوسفَ عليه السلام مع حداثة سنِّه نعمًا كثيرةً أجلُّها نعمة النُّبوَّة، ثم معجزة تأويل الرُّؤى، والعلم، والحكمة، والملك، والفهم، والإدراك السَّليم للأمور، والجمال في الخَلْق والخُلُق... فهذه المواهب الرَّبَّانية المتعدِّدة لقائد الأزمة يوسف عليه السلام كفيلة بنجاحه في إدارته للأزمة، ذلك لأنَّ الأزمة بوصفها متعدِّدة الأسباب والخصائص، والأنواع... فلا بدّ أن تحتاج إلى قدرات متعدِّدة، ومهارات معيَّنة، ومواهب محدَّدة... وقد اجتمعت كلّها في شخص يوسف عليه السلام.

يقول تعالى ممتنًّا على عبده يوسف عليه السلام: ﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًاۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [يوسف: 22]، كما قابل يوسف الشَّكور عليه السلام جميع هذه المؤهِّلات بإسنادها للمُنعم المتفضِّل سبحانه قائلا: ﴿ ۞ رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِى مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِى مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّۦ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِۖ تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠١﴾ ﴾ [يوسف: 101].

يقول سيد قطب: "ويدل تصرُّف يوسف في سِنِيِّ الخصب والجدب على مهارة واضحة في الإدارة والاقتصاد، فقد أشرف على المالية والتَّموين أربع عشرة سنة، لا على تموين مصر وحدها؛ بل على تموين البلاد القريبة المجاورة، التي أجدبت كذلك، وجاءت مصر تستجدي الخبز والحياة سبع سنين.....وهذه كلُّها تصرُّفات الرَّجل الواعي الحصيف"[1].

2) ــ وضوح الرُّؤية المستقبلية لديه: إنَّ وضوح الرُّؤية المستقبلية هي بمثابة الجهاز العصبي لإدارة الأزمة، فيوسف عليه السلام قد وضحت الرُّؤية المستقبلية لديه لما

1 ــ سيد قطب، التصوير الفني في القرآن، ط11، دار المعارف، القاهرة، 1994م، ص 170.

سيحدث للشَّعب المصري لأزيد من خمس عشرة سنة بالدِّقة والمصداقية المتناهية، وهذا طبعًا من وحي الله له ﴿ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ﴾ [يوسف: 101]، ووفق هذه الرُّؤية المستقبلية ــ والتي هي بمثابة أنظمة للإنذار المبكِّر ــ حدَّد يوسف عليه السلام الأبعاد، ووضع المعالم، وسطَّر البرامج والمخطَّطات حتّى يجتاز بالأزمة إلى برِّ الأمان.

3) ــ تبوُّؤه عليه السلام للمنصب الأليق لإدارة الأزمة: "وضع الرَّجل المناسب في المكان المناسب":

إنَّ سوء اختيار الأفراد الذين تناط بهم مهمَّة إدارة الأزمة حتمًا سيؤدي إلى تفاقمها وازدياد حجمها، ومن هنا أدرك يوسف عليه السلام خطر المنصب، وحجم المسؤولية وأنَّها تكليف وليست بتشريف أو بترجُّل، فأقْدم عليها إقْدام الواثق من نفسه بنجاحه في إدارة الأزمة.

يقول تعالى: ﴿ قَالَ ٱجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ ۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴿٥٥﴾ ﴾ [يوسف: 55].

يقول سيد قطب: "ولم يكن يوسف يطلب لشخصه وهو يرى إقبال الملك عليه فيطلب أن يجعله على خزائن الأرض.. إنَّما كان حصيفاً في اختيار اللَّحظة التي يستجاب له فيها لِينهض بالواجب المرهق الثَّقيل ذي التَّبعة الضَّخمة في أشدِّ أوقات الأزمة وليكون مسؤولاً عن إطعام شعبٍ كامل وشعوب كذلك تجاوره طوال سبع سنوات، لا زرع فيها ولا ضرع، فليس هذا غنماً يطلبه يوسف لنفسه؛ فإنَّ التَّكفل بإطعام شعبٍ جائعٍ سبع سنوات متوالية لا يقول أحد إنَّه غنيمة، إنَّما هي تبعة يهرب منها الرِّجال، لأنَّها قد تكلِّفهم رؤوسهم، والجوع كافر، وقد تمزِّق الجماهير الجائعة أجسادهم في لحظات الكفر والجنون"[1].

4) ــ استعانته عليه السلام بالعنصر البشري الفعّال: من المسلَّم أنَّه لا ينهض مشروع، أو ينفَّذ تخطيط إلَّا بوجود قوى بشرية فعَّالة، فالعنصر البشري النَّظيف هو أساس النَّجاح الإداري، ولقد اهتمَّ يوسف عليه السلام بهذه الطَّاقة البشريَّة سواء في مجال

1 ــ سيد قطب، في ظلال القرآن، مصدر سابق، ج4، ص2005.

الزِّراعة، أو البناء، أو الحراسة، أو التَّشغيل، أو الإدارة، أو التَّوزيع....لأنَّه يعلم أنَّ إنقاذ شعب من أزمة مهلكة، وممتدَّة لمدة سبع سنين يحتاج إلى قاعدة بشريَّة قويَّة وأمينة.

يقول عبد اللطيف بري: "إنَّ التَّغيير يجب أن يمارسه الإنسان في المحتوى النَّفسي، فيطوِّر وينمي ذاته باتِّجاه الأفضل، ثم يجسِّد محتواه النَّفسي تغييرًا خارجيًّا، ويحوِّله إلى ممارسة وتطبيق وتحقيق، لأنَّ أحوال النَّاس وأوضاعها الاجتماعية من الفساد أو الخير لا تتغيَّر إلا إذا تغيَّر محتوى الإنسان، وما هو عليه من الحق أو الباطل، هذا هو منطق القرآن والحياة، لكي يرسي نظاما لابد أن يهيئ له إنسانا أولا.

إذ طوَّرنا النِّظام ومفاهيمه دون الإنسان ومفاهيمه فسرعان ما يتسرَّب الفساد من الإنسان إلى النِّظام، فيقوِّضه أكثر مما يتسرَّب الإصلاح من النِّظام إلى الإنسان فيصلحه؛ لأنَّ الأنانيَّة، وحبُّ الذَّات، والجشع أقوى من نصوص القوانين والأنظمة ما لم تهذِّبها التَّربية الدَّاخلية العميقة، والأخلاق الكريمة المبنيَّة على معرفة الله وحبِّه والخوف منه" [1].

5) ــ إشرافه بنفسه عليه السلام على متابعة الخطّة وتنفيذها: إنَّ أهمَّ ما يضمن لنا تنفيذ الخطط، وتطبيق البرامج هو المتابعة والإشراف المباشر على سير الأمور من قبل الإداري، وهو عين ما جسَّده يوسف عليه السلام من خلال الأفعال الكثيرة التي نُسبت إليه حيث سجَّل القرآن الكريم جانبًا كبيرًا منها فمن ذلك على سبيل المثال لا الحصر: قوله تعالى: ﴿ وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ قَالَ ائْتُونِي بِأَخٍ لَّكُم مِّنْ أَبِيكُمْ أَلَا تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي الْكَيْلَ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنزِلِينَ ﴿٥٩﴾ ﴾ [يوسف: 59]، وقوله: ﴿ فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِن وِعَاءِ أَخِيهِ كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴿٧٦﴾ ﴾ [يوسف: 76].

---

1 ــ بري عبد اللطيف، الإنماء الروحي والإصلاح الاجتماعي، ط1، دار التعارف، لبنان، 1979م، ص ص: 46 ــ 47.

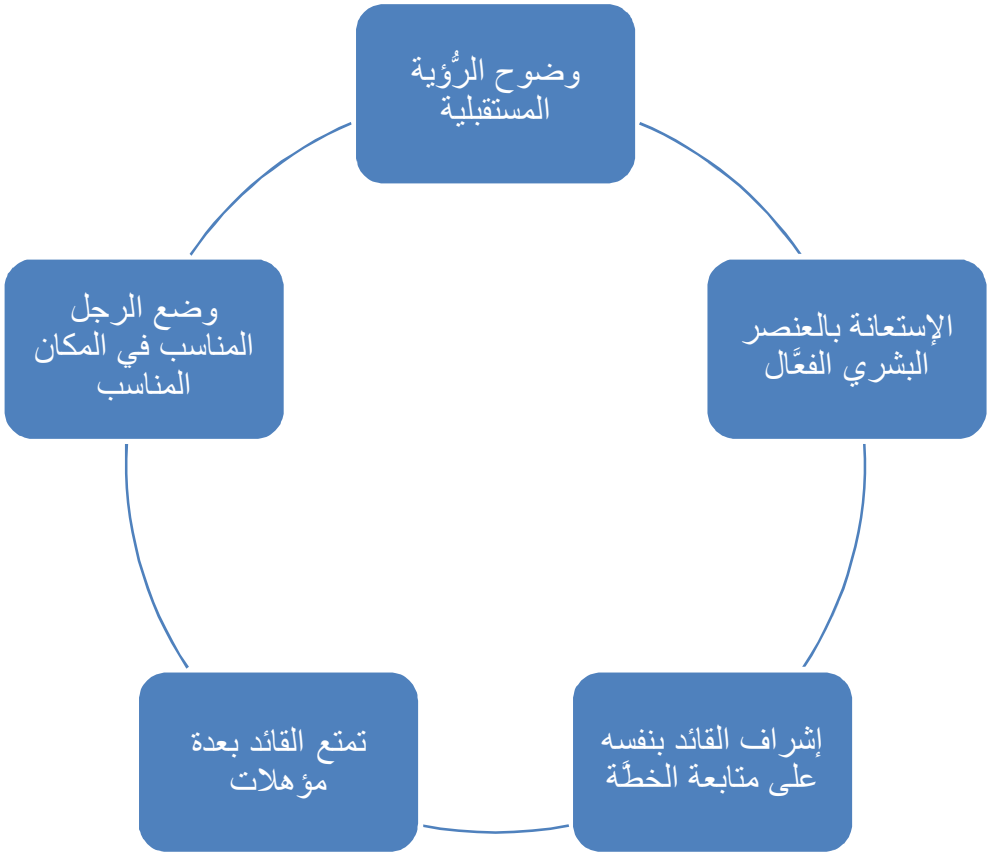

شكل يبيِّن مقوِّمات نجاح يوسف عليه السلام في إدارته للأزمة الاقتصادية

الفصل الرابع: منهج القرآن الكريم في إدارة الأزمة السِّياسية ــ قصَّة سليمان عليه السلام مع ملكة سبأ نموذجاــ

المبحث الأول: قصَّة سليمان عليه السلام وملكة سبأ نموذج لمنهج القرآن الكريم في إدارة الأزمة السياسية.

المبحث الثاني: مراحل الأزمة السياسية بين المملكتين، وبيان خطوات إدارتها.

المبحث الثالث: معالم القيادة الراشدة في إدارتها للأزمة السياسية، وبيان أسس نجاحها.

الفصل الرابع: منهج القرآن الكريم في إدارة الأزمة السِّياسية ــ قصَّة سليمان عليه السلام مع ملكة سبأ نموذجا ــ

يتحدَّث هذا الفصل عن نموذج من نماذج القرآن الكريم في إدارته للأزمة السِّياسية، وقد تمَّ اختيار الأزمة السِّياسية الواقعة بين المملكتين العظيمتين: مملكة سليمان عليه السلام، ومملكة ملكة سبأ؛ إذ تعدُّ نموذجًا عمليًّا لإدارة هذا النَّوع من الأزمة، حيث وردت حيثياتها في سورة النَّمل في معرض قوله تعالى: ﴿ وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ فَقَالَ مَالِيَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ ﴿٢٠﴾ لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَا۟ذْبَحَنَّهُۥٓ أَوْ لَيَأْتِيَنِّى بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢١﴾ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾ إِنِّى وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَىْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾ أَلَّا يَسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿٢٥﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢٦﴾ ۞ قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾ ٱذْهَب بِّكِتَٰبِى هَٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَٱنظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ إِنِّىٓ أُلْقِىَ إِلَىَّ كِتَٰبٌ كَرِيمٌ ﴿٢٩﴾ إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَّا تَعْلُوا۟ عَلَىَّ وَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَفْتُونِى فِىٓ أَمْرِى مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ ﴿٣٢﴾ قَالُوا۟ نَحْنُ أُو۟لُوا۟ قُوَّةٍ وَأُو۟لُوا۟ بَأْسٍ شَدِيدٍ وَٱلْأَمْرُ إِلَيْكِ فَٱنظُرِى مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴿٣٣﴾ قَالَتْ إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا۟ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوٓا۟ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً ۖ وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٣٤﴾ وَإِنِّى مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌۢ بِمَ يَرْجِعُ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا جَآءَ سُلَيْمَٰنَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُم بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ ﴿٣٦﴾ ٱرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَآ أَذِلَّةً وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴿٣٧﴾ قَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَيُّكُمْ يَأْتِينِى بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ ۖ وَإِنِّى عَلَيْهِ لَقَوِىٌّ أَمِينٌ ﴿٣٩﴾ قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ۚ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ ﴿٤٠﴾ قَالَ نَكِّرُوا۟ لَهَا عَرْشَهَا نَنظُرْ أَتَهْتَدِىٓ أَمْ تَكُونُ مِنَ ٱلَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٤١﴾ فَلَمَّا جَآءَتْ قِيلَ أَهَٰكَذَا عَرْشُكِ

قَالَتْ كَأَنَّهُۥ هُوَ ۚ وَأُوتِينَا ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ ﴿٤٢﴾ وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعْبُدُ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمٍ كَٰفِرِينَ ﴿٤٣﴾ قِيلَ لَهَا ٱدْخُلِى ٱلصَّرْحَ ۖ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا ۚ قَالَ إِنَّهُۥ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ ۗ قَالَتْ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٤﴾ ﴾ [النمل: 20 – 44].

ويعبَّر عن هذه الأزمة المذكورة في هذه الآيات بالتَّعبير المعاصر بـــ: الأزمة السِّياسية الدّولية وهي: "ذلك الجزء الحاسم من الصِّراع الدّولي الذي يتَّسم باحترام تصاعد وتائره نتيجة مساسها بالمصالح القومية، والقِيم، والمثل العليا، بحيث يشعر صنَّاع القرار بتهديدها، وتعرُّضها للخطر مما يتطلَّب سرعة الرَّدِّ، وتبرز احتمالية اندلاع الحرب خلالها نتيجة المفاجأة التي يحدثها مثل هذه التَّهديد، ويمكن تطوُّرها بأحد اتِّجاهين: إما نحو التَّصعيد والوصول بها إلى حافَّة الحرب، وإما باتِّجاه التَّخفيض، وامتصاص وتائرها، وتلاشيها" [1].

وتعرف الأزمة السِّياسية الدّولية بأنَّها موقف سياسي مفاجئ يشكِّل تهديدًا سياسيًّا للأهداف القوميَّة، مع وجود مدَّة محدودة من الوقت لاتِّخاذ القرار، أي: أنَّ هناك ثلاثة عناصر تتميَّز لها الأزمة وهي: المفاجأة، التَّهديد، قصر الوقت، وتتطلَّب الأزمة اتِّخاذ قرارات سريعة [2].

المبحث الأول: قصة سليمان عليه السلام وملكة سبأ نموذج لمنهج القرآن الكريم في إدارة الأزمة السياسية.

المطلب الأول: التَّعريف بالمملكتين، وبيان سبب اختيار القصَّة كنموذج لإدارة الأزمة السياسية.

حتَّى تتَّضح لدينا الصُّورة عن المملكتين لا بدَّ أن نعرِّج على تعريفهما مع بيان قوَّتهما، قبل البدء في ذكر الأزمة السياسية الواقعة بينهما، حتَّى نتمكَّن من تصنيفها في الأخير بين الأزمات السِّياسية الدّولية.

✓ ــ الفرع الأول: التَّعريف بمملكة سليمان عليه السلام.

1) ــ التَّعريف بسليمان عليه السلام:

---

1 ــ شكارة نادية، اتخاذ القرار في الأزمة الدولية، جامعة بغداد، كلية العلوم السياسية، 1996م، ص12.

2 ــ ينظر: محمد السيد سليم، تحليل السياسة الخارجية، د. ط، دار الجيل، بيروت، 2001م، ص: 272.

هو نبيٌّ من أنبياء الله ﷻ، وقد ورد ذكره في القرآن الكريم بوصفه نبيًّا في قوله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيۡمَٰنَۚ وَءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ زَبُورٗا ١٦٣ ﴾ [النساء: 163].

كما جاء ذكر نبيِّ الله سليمان عليه السلام في القرآن الكريم سبعة عشر مرَّة في سبع سور[1].

وسليمان هو ابن داود عليهما السَّلام كما أخبر بذلك تعالى بقوله: ﴿ وَوَهَبۡنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيۡمَٰنَۚ نِعۡمَ ٱلۡعَبۡدُۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٞ ٣٠ ﴾ [ص: 30]، "يعني: أعطينا لداود سليمان. وروي عن ابن عباس أنَّه قال: أولادنا من مواهب الله ﷻ، ثم قرأ: ﴿ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثٗا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ٤٩ ﴾ [الشورى: 49]"[2].

ومن هنا فإنَّنا نجد في القرآن الكريم غالبًا ما يذكر هذه الصِّلة بين الوالد وولده، حيث يأتي الحديث عن سليمان عليه السلام بعد الحديث عن داود عليه السلام مباشرة كما في سورة الأنبياء، وسورة النمل، وسورة سبأ، وسورة ص.

أمَّا عن نسَبه فلا يوجد في القرآن الكريم أيُّ تفصيل لنسب هذا النَّبي ولا لغيره من الأنبياء؛ لأنَّ القرآن الكريم منهجه عدم الاهتمام بالتَّدقيقات والتَّفصيلات التي لا ترجع بالفائدة للقارئ، ومن هنا فقد قصد القرآن إهمال نسب هذا النَّبي لخلوِّه من الفائدة والعبرة، ولو كان فيها عظيم فائدة ترتجى لذكرها القرآن الكريم [3].

---

1 ــ ينظر: محمد فؤاد عبد الباقي، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، ط1، دار الفكر، د.م، 1986م، ص ص: 357 ــ 358.

2 ــ السمرقندي نصر بن محمد بن أحمد، بحر العلوم، مصدر سابق، ج3، ص166.

3 ــ مع العلم أن كثيرا من المفسرين أقحموا أنفسهم فيما لا فائدة فيه، حيث ذكروا في هذا الموطن نسب هذا النبي، ولم يتفقوا على نسب موحد فيما بينهم، فالأصل أن لا نسمي المبهمات في القرآن إلا ما ثبت في المصادر الموثوقة كالأحاديث الصحيحة مثلا، ومن هنا فإن الباحث لا يثبت تسمية ملكة سبأ بأنها بلقيس لسكوت القرآن عنها. ومن المفسرين الذين ذكروا نسب سليمان عليه السلام هم: [ينظر: الزمخشري، الكشاف، مصدر سابق، ج1، ص355. وينظر: البيضاوي، أنوار التنزيل، مصدر سابق، ج2، ص13. وينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، مصدر سابق، ج1، ض629].

وما أجمل كلام قطب حين قال: "ولسنا في حاجة إلى كلِّ هذه الرِّوايات، ولا إلى تحديد الزَّمان والمكان، فالقصَّة كما وردت في القرآن كافية لأداء الغرض منها في سياق السُّورة، ولتقرير القيم والقواعد التي جاءت لتقريرها، ولو كان تحديد زمانها، ومكانها، وملابساتها يزيد في دلالتها شيئًا ما ترك تحديدها، فلنستعرضها إذا في صورتها القرآنية، بعيدة عن تلك الرِّوايات التي لا طائل وراءها..."[1].

إلا أنَّ الذي نطمئن إليه هو أنَّ سليمان من نسل سيِّدنا إبراهيم الخليل عليهما السَّلام، وهذا حسب ما أشار إليه القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ ﴾ [الأنعام: 84]. فالضمير في "ذريته" يعود إلى إبراهيم، لأنَّ السِّياق والكلام في شأنه، وفي شأن النِّعم التي منحها الله إيَّاه؛ وإنَّما ذكر نوحًا لأنَّه جدُّه فهو يرشد إلى فضل الله عليه في أصوله وفروعه [2]، وإلى هذا الرَّأي ذهب غالبية المفسِّرين [3].

2) ــ التَّعريف بمملكة سليمان عليه السلام:

مما ميَّز سليمان عليه السلام أنَّ والده داود عليه السلام جمع الله له من النُّبوَّة، والملك، والحكمة، والقوَّة.. يقول تعالى: ﴿ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ ﴾ [البقرة: 251]. وقد ورثه من بعده ابنه سليمان عليه السلام، مصداقًا لقوله تعالى: ﴿ وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ ﴾ [النمل: 16]. فكانت وراثته له من جانب النُّبوَّة، والملك، الحكمة، والعلم، والقوَّة، والقضاء...لا من جانب المال.

---

[1] ــ سيد قطب، في ظلال القرآن، مصدر سابق، ج5، ص2710.

[2] ــ ذكرت هذا لأن بعض المفسرين يرجع الضمير في "ذريته" إلى نوح وليس إلى إبراهيم. [ينظر مثلا: الطبري، جامع البيان في تأويل آي القرآن، مصدر سابق، ج11، ص507].

[3] ــ ينظر: محمد رشيد رضا، تفسير المنار، مصدر سابق، ج7، ص488. وينظر: المراغي، تفسير المراغي، مصدر سابق، ج7، ص181. وينظر: طنطاوي، التفسير الوسيط، مصدر سابق، ج5، ص119.

يقول ابن كثير: " أي: ورثه في النُّبوَّة والملك، وليس المراد ورثه في المال، لأنَّه قد كان له بنون غيره، فما كان لِيُخَصَّ بالمال دونهم، ولأنَّه قد ثبت في الصِّحاح من غير وجه عن جماعة من الصَّحابة أنَّ رسول الله ﷺ قال: " لا نورث ما تركنا فهو صدقة " وفي لفظة: "نحن معاشر الأنبياء لا نورث " فأخبر الصَّادق المصدوق أنَّ الأنبياء لا تورث أموالهم عنهم كما يورث غيرهم، بل تكون أموالهم صدقة من بعدهم على الفقراء وَالْمَحَاوِيجِ لا يخصُّون بها أقرباؤهم، لأنَّ الدُّنيا كانت أهون عليهم وأحقر عندهم من ذلك كما هي عند الذي أرسلهم واصطفاهم وفضَّلهم" [1].

أما وراثته للنُّبوَّة فهي مجاز عن قيامة مقامه؛ وإلا فالنُّبوَّة لا تورث، كما قال ابن عجيبة: "وراثته للنُّبوَّة: انتقالها إليه بعد أبيه، وإلا فالنُّبوَّة لا تورث" [2].

إذا فسليمان عليه السلام ورث ملكًا من أبيه داود عليه السلام، وقد وصف القرآن الكريم لنا هذا الملك الذي آتاه الله عز وجل سليمان عليه السلام بأوصاف منها:

- ـــ أنّه ملك عظيم:

وذلك في قوله تعالى: ﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۖ فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا ﴿٥٤﴾ ﴾ [النساء: 54]، فقد أشارت الآية كما قال ابن عباس: أنَّ الله عز وجل آتى سليمان بن داود ملكًا عظيمًا وهو من نَّسل إبراهيم وعقِبه [3].

- ـــ أنَّه ملك لم يؤته أحد من بعده:

دعا سليمان عليه السلام ربَّه عز وجل بعدما أناب إليه، أن يهبه ملكًا لا يُدانيه ملك أحد، ولا يُعرف في الدُّنيا ملك أعظم منه... فاستجاب الله دعوته ووهب

---

[1] ـــ ابن كثير، قصص الأنبياء، تح: مصطفى عبد الواحد، ط1، دار التأليف، القاهرة، 1968م، ج2، ص284.

2 ـــ ابن عجيبة، البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، مصدر سابق، ج4، ص181.

[3] ـــ ينظر: الماوردي، النكت والعيون، مصدر سابق، ج1، ص497. وينظر: أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، مصدر سابق، ج3، ص678.

له ملكًا لم يهبْه لأحد من بعده، كما أخبر بذلك تعالى بقوله: ﴿ قَالَ رَبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَهَبۡ لِي مُلۡكٗا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِيٓۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡوَهَّابُ ٣٥ ﴾ [ص: 35].

يقول الزمخشري: "كان سليمان عليه السلام ناشئًا في بيت الملك، والنُّبوّة، ووارثًا لهما، فأراد أن يطلب من ربِّه معجزة، فطلب على حسب ألفه ملكًا زائدًا على الممالك زيادةً خارقةً للعادة بالغةً حدَّ الإعجاز، ليكون ذلك دليلًا على نبوّته قاهرًا للمبعوث إليهم، وأن يكون معجزة حتى يخرق العادات... فاستوهبه بأمر من الله على الصِّفة التي علم الله أنَّه لا يضبطه عليها إلَّا هو وحده دون سائر عباده"[1].

- ــ أنَّه ملك لم يُنقص منه شيء:

تحدَّث سليمان عليه السلام بنعم الله عز وجل عليه أمام النَّاس بأنَّ الله أتمّ له ملكه، و لم يُنقصه منه شيء، كما سخَّر له كلّ ما يحتاجه إليه ملكه، قال تعالى: ﴿ وَوَرِثَ سُلَيۡمَٰنُ دَاوُۥدَۖ وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمۡنَا مَنطِقَ ٱلطَّيۡرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيۡءٍۖ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡمُبِينُ ١٦ ﴾ [النمل: 16].

"ومعنى: "وأوتينا من كلِّ شيء" كلُّ شيء تدعو إليه الحاجة: كالعلم، والنُّبوَّة، والحكمة، والمال، وتسخير الجنِّ والإنس والطَّير والرِّياح والوحش والدَّوابِّ، وكل ما بين السَّماء والأرض"[2].

ويقول ابن كثير: " ﴿ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيۡءٍۖ ﴾ أي: من كلِّ ما يحتاج الْمَلِكُ إليه من العدد، والآلات، والجنود، والجيوش، والجماعات من الجنِّ، والإنس، والطُّيور، والوحوش، والشَّياطين السَّارِحَاتِ، والعلوم، والفهوم، والتَّعبير عن ضمائر المخلوقات من النَّاطقات، والصَّامتات..."[3].

ونخلص من هنا إلى أنَّ مملكة سليمان عليه السلام عظيمة، ومتكاملة، وقويَّة، وقيادتها مؤمنة بالله عز وجل.

---

[1] ــ الزمخشري، الكشاف، مصدر سابق، ج4، ص95.

[2] ــ الشوكاني، فتح القدير، مصدر سابق، ج4، ص150.

[3] ــ ابن كثير، قصص الأنبياء، مصدر سابق، ج2، ص285.

أما عن مكان تواجد القصر الملكي السُّليماني الذي يحوي على عرشه، وتصدر منه الأوامر تجاه مختلف الجنود فإنَّها بمدينة " أورشليم " حيث كان مقرُّه، وهي التي تقع بالأرض المباركة بالشَّام، بيت المقدس وما حوله [1]، يقول تعالى: ﴿ وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِى بِأَمْرِهِۦٓ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا ۚ وَكُنَّا بِكُلِّ شَىْءٍ عَٰلِمِينَ ﴿٨١﴾ ﴾ [الأنبياء: 81].

3) ــ مظاهر القوَّة التي امتلكها سليمان عليه السلام:

لقد شدَّ الله عزوجل ملك سليمان عليه السلام وقوّاه بجنود لم يؤتها ملك من قبله ولا بعده، ومن مظاهر هذه القوَّة ما يأتي:

- ــ عُلِّم منطق الطَّير والحيوانات مع تسخيرها له:

أما عن تعليم الله عزوجل لسليمان منطق الطَّير فهو واضح من قوله تعالى: ﴿ وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ ۖ وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٦﴾ ﴾ [النمل: 16]، أما عن تسخير الطَّير لسليمان عليه السلام لتلبِّي له كلَّ ما يطلبه، فهو مذكور بنصِّ قوله تعالى: ﴿ وَحُشِرَ لِسُلَيْمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ [النمل: 17].

ويمكن أن نقارن هذه القوَّة بما هو موجود حاليًّا؛ إذ أنَّ سليمان عليه السلام استخدم الطَّير لعمليَّات التَّجسُّس، والتَّحكم عن بعد، ولنقل المراسلات، وحمل الأخبار... أما حاليًّا فالدُّول المتقدِّمة استعملت نفس القوَّة التي استخدمها سليمان عليه السلام لكن ليس باستخدام الطَّير، وإنَّما بالطَّائرات من دون طيَّار فهي تقوم بالتَّحليق لمسافة عالية وبعيدة بحيث لا يراها الخصم، فتقوم بالجوسسة، وتسجيل الأحداث، والتقاط الصُّور وإرسالها إلى مركز العمليات، وإذا استدعى الأمر فإنَّها تقوم باستهداف وتدمير مواقع الخصم من خلال تلك التَّسجيلات...

---

[1] ــ ينظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، مصدر سابق، ج1، ص528. وينظر: أبو زهرة، زهرة التفاسير، مصدر سابق، ج9، ص4903.

يقول سيد قطب: "فأما ما وهبه الله لسليمان عليه السلام فكان شأنًا خاصًّا به على طريق الخارقة التي تخالف مألوف البشر، لا على طريق المحاولة منه، والاجتهاد لتفهُّم وسائل الطَّير وغيره في التَّفاهم، على طريق الظَّنِّ والحدس، كما هو حال العلماء اليوم..." [1].

- ــ سُخِّر له الرِّيح تجري بأمره:

إنَّ من أشدِّ قوَّة على وجه الأرض هي: قوَّة الرِّيح، فقد تدمِّر مدنًا وقرى بأكملها، كما يمكن لها أن تهيِّج البحر فتحدث فيه الأمواج العالية ليصل ارتفاعها أكثر من 20 مترا، فتبتلع بذلك السُّفن والبوارج العملاقة... وقد سلَّط الله عز وجل قوَّة الرِّيح [2] في إهلاك المكذِّبين كما جاء في قوله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحٗا صَرۡصَرٗا فِي يَوۡمِ نَحۡسٖ مُّسۡتَمِرّٖ ١٩ تَنزِعُ ٱلنَّاسَ كَأَنَّهُمۡ أَعۡجَازُ نَخۡلٖ مُّنقَعِرٖ ٢٠ ﴾ [القمر: 19 – 20].

وتسخير قوَّة الرِّيح لسليمان عليه السلام جاء ذكرها في القرآن الكريم في ثلاث مواضع، حيث بيَّن موضع أنَّ هذه الرِّيح مأمورة من قبله، فكانت تنقله إلى أيِّ مكان شاء، وتقطع به المسافات الطَّويلة في ساعات معدودة، يقول تعالى: ﴿ فَسَخَّرۡنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجۡرِي بِأَمۡرِهِۦ رُخَآءً حَيۡثُ أَصَابَ ٣٦ ﴾ [ص: 36].

فالرِّيح تجري بأمره بلِينَة مع قوَّتها وشدَّتها، حتَّى لا تضرَّ بأحد، وتحمله بعسكره وجنوده وموكبه حيث أراد [3].

إذا فسليمان عليه السلام مؤمَّن من جهة تنقلاته، ومتحكِّم في المجال الجوِّي بقدرة الله عز وجل.

---

1 ــ سيد قطب، في ظلال القرآن، مصدر سابق، ج5، ص2634.

2 ــ إذا وردت كلمة: "الريح" في القرآن الكريم فإنها تحمل القوة لهلاك الناس ودمار ما يملكون، بخلاف ما إذا وردت كلمة: "الرياح" فإنها تحمل البشر والرحمة للناس كما في قوله تعالى: ﴿ وَأَرۡسَلۡنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ فَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَسۡقَيۡنَٰكُمُوهُ وَمَآ أَنتُمۡ لَهُۥ بِخَٰزِنِينَ ٢٢ ﴾ [الحجر: 22].

3 ــ ينظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، مصدر سابق، ج15، ص205.

● ــ سخِّر له الجنُّ والشَّياطين:

بيَّن القرآن الكريم في كثير من المواطن أنَّ قوَّة الجنِّ خارقة، حيث تقوم بأعمال يعجز عنها الإنسان، ومثاله: الغوص في البحار، وبناء القصور العالية، وكطلب العفريت الجنِّي من سليمان عليه السلام بإحضار عرش ملكة سبأ قبل أن ينفضَّ المجلس وهو على أداء هذه المهمَّة قويٌّ أمين...

يقول تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٢﴾ يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَٰتٍ ۚ ٱعْمَلُوٓا۟ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا ۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ ﴿١٣﴾ ﴾ [سبأ: 12 – 13]. أي: أنَّ هذه الجماعة من الجنِّ، التي سخَّرها الله لسليمان، تعمل له ما يشاء: «من محاريب» أي: بيوت عبادة،.. وتماثيل» أي: صور كائنات وأشياء مجسَّدة، يزيِّن بها ما يبنى من دور وقصور، وبيوت عبادة، «وجفان كالجواب» الجفان جمع جفنة، وهي القصعة الكبيرة يوضع فيها الطَّعام للآكلين... وفي وصف الجفان بهذه الضَّخامة والاتِّساع، ووصف القدور بهذه الأحجام العظيمة دليل على سعة ملك سليمان، وما بسط الله له من رزق، حتى ليطعم على مائدته هذه الأعداد الكثيرة من النَّاس، التي أعدَّت لها تلك الأواني والأدوات، لتهيئة الطَّعام لها.. [1].

فمن جهة وفرة اليد العاملة التي تمتاز بالقوَّة والسُّرعة في الأداء، وتوفُّر المرافق والأبنية والعمائر، وتحقيق الاكتفاء الذاتي في مجال الغذاء والتَّموين، والتَّحكم في الأسطول البحري...أمور ميسَّرة لسليمان عليه السلام.

● ــ إسالة عين القطر له:

أخبر تعالى أنَّ من بين النِّعم التي أفاضها على سليمان عليه السلام، إسالة عين القطر له، لقوله تعالى: ﴿ وَأَسَلْنَا لَهُۥ عَيْنَ ٱلْقِطْرِ ۖ ﴾ [سبأ: 12]، وقد جاءت هذه الآية في معرض تعداد النِّعم التي أعطيها سليمان عليه السلام، وليست هذه النِّعمة بأمر غريب على الأسرة السُّليمانيَّة

[1] ــ الخطيب عبد الكريم، التفسير القرآني للقرآن، مصدر سابق، ج11، ص ص: 789 ــ 790.

الحاكمة، فوالده داود عليه السلام أُعطي نعمة مشابهة له وهي إلانة الحديد لغرض صناعة المعدَّات الحربية به [1].

وفي الآية إشارة إلى مدى قوَّة سليمان عليه السلام في مجال إنتاج الآلات الحربيَّة، والمعدَّات اللَّازمة للدِّفاع، إذ تُصنع أساسًا من المواد الأولية كالحديد والنُّحاس، فكان يستعملهما في قضاء مصالحه، كما يستعمل الماء.

- ــ امتلاكه للخيل الحربيَّة المدرَّبة:

أشار القرآن الكريم إلى قوَّة أخرى امتلكها سليمان عليه السلام وهي قوَّة الخيل التي كان لها الدَّور البارز في حسم المعارك، وهي تعادل الآن القوَّة البرِّية من دبابات، وناقلاتٍ حربية..

وقد عُرضت على سليمان عليه السلام هذه الخيل على شكل استعراض عسكري طِيلة عشيَّة كاملة كان الغرض منها ــ والله أعلم ــ تقوية أركان مملكته، وإلقاء الرُّعب في قلوب خصومه، وتهيئة جنوده للغزو كل وقت وحين [2]، كما يقوم الملوك والرُّؤساء حاليًا بالاستعراض العسكري.

يقول تعالى: ﴿ إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِنَاتُ الْجِيَادُ ﴿٣١﴾ فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّي حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ ﴿٣٢﴾ رُدُّوهَا عَلَيَّ ۖ فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ ﴿٣٣﴾ ﴾ [ص: 31 – 33].

يقول الخالدي: "إنَّنا نعلم أنَّ سليمان عليه السلام كان رجل جهاد، وأنَّه خاض معارك إيمانيَّة ضدَّ الكفار، وكانت الخيل من أسلحة الحرب المعروفة، ولذلك كان سليمان محبًّا للخيل لهذا الهدف الجهادي العظيم الذي يحقِّق له الخير، وكان يعتبر حبَّه للخيل وإعدادها

---

[1] ــ ينظر: همام حسن يوسف سلوم، سليمان عليه السلام في القرآن الكريم، رسالة ماجستير، إشراف: خالد علوان، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين، 2006م، ص: 102.

2 ــ ينظر: المرجع ذاته، ص: 202.

للجهاد صورة من صور ذكره لربِّه، وكان يعدُّ الخيل للجهاد دائمًا، ويحرص على لياقتها البدنيَّة الجهاديَّة ويُبقيها في المِضمار والميدان تعدو وتسبح"[1].

● ــ امتلاكه لقوَّة عسكريَّة هائلة:

لما ردَّ سليمان عليه السلام هدية ملكة سبأ، أمر رسولها أن يذعنوا للحقِّ ويستلموا قبل أن يحرِّك إليهم جيوشًا جرَّارة، ويرسل عليهم جنوده من الجنِّ والإنس والطَّير وغير ذلك، فيخرجهم من مملكتهم أذلَّة وهم صاغرون بالأسر والاستعباد بعد أن كانوا أعزَّة، وفي المقابل فإنَّ الملكة مستيقنة من أنَّ الملوك إذا دخلوا قرية أذلُّوا كبراءها، يقول تعالى: ﴿ ٱرۡجِعۡ إِلَيۡهِمۡ فَلَنَأۡتِيَنَّهُمۡ بِجُنُودٖ لَّا قِبَلَ لَهُمۡ بِهَا وَلَنُخۡرِجَنَّهُم مِّنۡهَآ أَذِلَّةٗ وَهُمۡ صَٰغِرُونَ ٣٧ ﴾ [النمل: 37].

يقول الرازي: " أما قوله تعالى: لا قبل أي: لا طاقة، وحقيقة القبل المقاومة والمقابلة، أي لا يقدرون أن يقابلوهم.

... والضَّمير في (منها) لسبأ، والذُّلُّ أن يذهب عنهم ما كان عندهم من العزِّ والملك، والصَّغار أن يقعوا في أسر واستعباد، ولا يقتصر بهم على أن يرجعوا سوقة بعد أن كانوا ملوكًا"[2].

نخلص في الأخير أنَّ مملكة سليمان عليه السلام مملكة عظيمة، لا نظير لها من جميع الجوانب، وأنَّها تمتلك أنواعًا من القوى المتعددة: كالقوَّة العسكريَّة، والجوِّية، والبحريَّة، والبشريَّة، والعمرانيَّة، والمعدنيَّة،...وحتى الحيوانيَّة، وصدق الله حين أنطق سليمان عليه السلام بقوله: ﴿ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيۡءٍۖ ﴾ [النمل: 16].

✓ ــ **الفرع الثاني: التَّعريف بمملكة ملكة سبأ:**

1)ــ التَّعريف بمملكة سبأ:

---

1 ــ الخالدي صلاح عبد الفتاح، القصص القرآني، عرض وقائع وتحليل أحداث، ط، دار القلم، دمشق، 1998م، ج3، ص487.

2 ــ الرازي، مفاتيح الغيب، مصدر سابق، ج24، ص556.

من خلال وقوفنا عند تفسير قوله تعالى: ﴿ إِنِّي وَجَدتُّ ٱمۡرَأَةٗ تَمۡلِكُهُمۡ وَأُوتِيَتۡ مِن كُلِّ شَيۡءٖ وَلَهَا عَرۡشٌ عَظِيمٞ ﴿٢٣﴾ ﴾ [النمل: 23]، فإنَّ الباحث وجد أنَّ غالبية المفسِّرين أثناء تناولهم لتفسير هذه الآية ذكروا أشياء كثيرة عن هذه المرأة: كتسميتها، ونسبها، وترتيبها في ذيل الحكم، وبعض القصص الأسطوريَّة الخياليَّة عنها... فضربنا صفحًا عن كلِّ هذه الإسرائيليات والخرافات التي أفسدت جمال هذه التَّفاسير [1]، وخاصَّة بعض التَّفاسير بالمأثور؛ حيث إنَّها تضاربت تضاربًا كبيرًا في المعلومات التي حُكيت عن هذه الملكة.

يقول ابن عاشور: " وفي ترتيبها مع ملوك سبأ، وتعيين اسمها، واسم أبيها اضطراب للمؤرِّخين" [2].

ويقول فضل حسن عباس: "والذي يقرأ في الكتب الدِّينية القديمة عن داود وسليمان عليهما السَّلام يجد الغرائب والمنكرات، ولقد تسرَّب شيء كثير من هذا إلى التُّراث الإسلامي بعامَّة، وكتب التَّاريخ والتَّفسير والقصص بخاصَّة، والقرآن الكريم جريًا على منهجه، وسنَّته لا يفصِّل كثيرًا من الأحداث والجزئيات؛ بل يذكر بعض الإشارات في موطن العبرة، ولمَّا كانت النُّفوس توَّاقة إلى تفصيل الأحداث، متشوِّقة إلى معرفة الجزئيات وجدنا كثيرًا من الإخباريِّين يتزيَّدون في ذكر هذه التَّفصيلات البعيدة عن الحقِّ المنافية في كثير من الأحيان لعصمة الأنبياء، وكثير منها ــ ولا حول ولا قوَّة إلَّا بالله ــ نقله بعض المفسِّرين لا قديمًا فحسب، بل وجدنا ذلك في كتب بعض المحدثين" [3].

ومن هنا فإنَّ الثَّابت حول هذه المرأة أنَّها: ملكة، وأنَّها عاصرت سليمان عليه السلام، وأنَّ مملكتها تقع بسبأ، وأنَّ شخصيتها قويَّة، وأنَّ نظرتها ثقيبة وبعيدة، وأنَّها تعرف إدارة دفَّة الحكم وخاصَّة في ظل الأزمات حيث جنَّبت أمّتها حربًا مدمِّرة بفضل حنكتها، وأنَّها ذات

---

1 ــ من بين الإسرائيليات التي نسجت حول قصة هذه الملكة: أن: " أحد أبويها من الجن مؤخر إحدى قدميها مثل حافر الدابة وكانت في بيت مملكة.[ينظر: ابن أبي حاتم الرازي عبد الرحمن بن محمد بن إدريس، تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم، تح: أسعد محمد الطيب، ط3، مكتبة نزار مصطفى الباز، السعودية، 1419هـ، ج9، ص2865. وابن كثير، تفسير القرآن العظيم، مصدر سابق، ج6، ص168].

2 ــ ابن عاشور، التحرير والتنوير، مصدر سابق، ج19، ص252.

3 ــ فضل حسن عباس، قصص القرآن الكريم، مرجع سابق، ص645.

رأي وعقل حصيف، وأنَّها تتربَّع على عرش عظيم، وأنَّ لديها مستشارين أكفَّاء.... أما الباقي عنها فلا يضرُّنا معرفته، ولا يزيد في إيماننا شيئًا [1].

ومن هنا فالقرآن الكريم عرّف لنا ملكة سبأ بصفاتها وأفعالها لا باسمها، ومن ذلك أنها:

- ــ امرأة حاكمة:

أخبر الهدهد سليمان عليه السلام بقوله: ﴿ إِنِّي وَجَدتُّ ٱمۡرَأَةً تَمۡلِكُهُمۡ ﴾ [النمل: 23]، فقول الهدهد: (إنِّي وجدت)، ولم يقل: إنِّي رأيت، أو سمعت، أو علمت، وذلك تأكيدًا على حقيقة ما جاء به من خبر الملكة، لأنَّ (وجدت) تعني العلم بجميع الحواسِّ بالرُّؤية، والسَّماع، والمعاينة، وليتأكدَّ سليمان أنَّ ما جاء به الهدهد هو عين الحقيقة، لا يحتمل الشَّكَّ، أو الظَّنَّ، وهذا بخلاف ما لو قال: سمعت فقط، أو رأيت فقط، فالسَّمع قد يكذِّب الرُّؤية أحيانًا[2].

وتنكير المرأة مع تقديمها في الكلام (امرأة تملكهم)، يراد به التَّعجب، كقولهم، بقرة تكلَّمت، لأنَّ المراد حكاية أمرٍ عجيب عندهم أن تكون امرأة مَلِكة على قوم، ولذلك لم يقل: وجدتهم تملكهم امرأة [3].

وقال إنَّها: تملِكهم للإشارة إلى أنَّ خضوعهم لها كخضوع العبيد لمن يملكهم... وهذا يفيد أنَّ قومها آتوها أمرهم، ووضعوا رِقابهم تحت سلطانها [4].

---

[1] ــ أتخيل لو أن علماء الآثار والحفريات نقبوا في أورشليم أو في غيره من أرض فلسطين المباركة، فوجدوا نقشا فيه كتابات تعود إلى عهد الملك سليمان عليه السلام، ولما قرءوا الكتابة المنقوشة وجدوا أن تسمية الملكة التي تحكم سبأ في عصر سليمان اسمها ليس بلقيس، فما الذي نكذب يا ترى؟؟؟ إذا رجعنا إلى القرآن الكريم ــ وهو الكتاب الذي يضم في ثناياه الإعجاز التاريخي الغيبي ــ فسيقول لنا لم أحدثكم عن تسميتها، دوِّروا عمّن قدم لكم تسميتها. ولذلك كان الأجدر بنا أن نقف حيث وقف القرآن ونسكت عما سكت عنه القرآن، ولا نزيد على النص قيد أنملة.

2 ــ ينظر: الخطيب فايز وضاح، الإعجاز القرآني البياني في آيات قصة سليمان عليه السلام مع ملكة سبأ، مجلة جامعة دمشق، المجلد 17، العدد 2، 2001م، ص: 311.

3 ــ ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، مصدر سابق، ج19، ص252.

4 ــ ينظر: أبو زهرة، زهرة التفاسير، مصدر سابق، ج10، ص5446.

- ــ امرأة أوتيت كلَّ شيء:

قال تعالى: ﴿ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ ﴾ [النمل: 23]. "أي: وأُعطيت من كلِّ شيء من الأشياء التي يحتاج إليها الملوك من أسباب الدُّنيا من سعة المال، وكثرة الرِّجال، ووفرة السِّلاح والعتاد" [1].

وقوله: ﴿ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ ﴾ كأنَّ الهدهد ساوى مع قوَّة سليمان عليه السلام: ﴿ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ ﴾، فالمملكتان تتَّفقان في العظمة، وضخامة ما أوتي الإثنان، ولكن هذا يبقى مع الفارق في الجوهر والمضمون، "فهي مثله فيما يناسب أمثالها من الملوك لا في النُّبوَّة وحَمْل المنهج"[2].

- ــ امرأة عرشها عظيم:

قال تعالى: ﴿ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ ﴾ [النمل: 23]. أي: أنّ كرسيَّ ملكها الذي تجلس عليه عرش هائل، وعِظَم العروش تدلُّ على عظمة المملكة، وقوَّة السُّلطان، وكثرة رجال الشُّورى، كما يدلُّ على سعة غناها وترفها، ورقيِّ مملكتها في الصِّناعة..[3].

- ــ امرأة كافرة:

لمـــَّا فرغ الهدهد من تعداد الأمور الدُّنيوية التي حازتها الملكة، شرع بعدها في بيان الأمور الدِّينية، قائلاً لسليمان عليه السلام: ﴿ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [النمل:24]. " أي: وجدتها وقومها في ضلال مبين، فهم يعبدون الشَّمس لا ربّ الشمس، وخالق الكون المحيط بكلِّ شيء علما، وزيَّن لهم الشَّيطان قبيح أعمالهم، فظنُّوا حسنًا ما ليس بالحسن، وصدَّهم عن الطَّريق

---

1 ــ الصابوني محمد علي، صفوة التفاسير، مصدر سابق، ج2، ص ص: 373 ــ 374.

2 ــ الشعراوي، خواطر الشعراوي، مصدر سابق، ج17، ص10777.

3 ــ ينظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، مصدر سابق، ج1، ص604. وينظر: طنطاوي، التفسير الوسيط، مصدر سابق، ج10، ص318.

القويم الذي بعث به الأنبياء والرسل وهو إخلاص السُّجود والعبادة لله وحده"[1].

إذا فالهدهد عرّف بالملكة، وأفصح عنها في عشر قضايا غابت عن نبي الله سليمان عليه السلام وهي:

الأولى: إدراكه أنَّه أحاط بما لم يكن في علم سليمان.

الثانية: معرفته لسبأ بعينها دون غيرها، ومجيئه منها بنبأ يقين لا شكَّ فيه.

الثالثة: معرفته لتولية المرأة عليهم مع إنكاره ذلك عليهم.

الرابعة: إدراكه ما أوتيته ملكة سبأ من متاع الدُّنيا من كلِّ شيء.

الخامسة: أنَّ لها عرش عظيم.

السادسة: إدراكه ما هم عليه من السُّجود للشَّمس من دون الله.

السابعة: إدراكه أنَّ هذا شرك بالله تعالى.

الثامنة: أنَّ هذا من تزيين الشَّيطان لهم أعمالهم.

التاسعة: أنَّ هذا ضلال عن السَّبيل القويم.

العاشرة: أنَّهم لا يهتدون [2].

- ــ امرأة حكيمة ذات رأي:

لـــمَّا بعث سليمان عليه السلام بالكتاب إلى ملكة سبأ وأُلقي إليها دون علم بها عن المُلقي، أخذت الكتاب وقرأت محتواه وعقدت من أجله مجلسًا استشاريًّا لتخبرهم بالمستجدِّ الذي حصل، فقرأت الكتاب على مسامعهم، ووصفته بأنَّه كتاب كريم، وهذا ينمُّ عن حكمتها في التَّصرف، وعدم تهوُّرها في إدارة أمور البلاد، مع أنَّ الكتاب في حقيقته كريم حيث تضمَّن وجازة العبارة، واتِّضاح المعنى، ويهدف إلى الدَّعوة للسَّلام والإسلام.

---

1 ــ المراغي، تفسير المراغي، مصدر سابق، ج19، ص132.

2 ــ ينظر: الشوكاني، فتح القدير، مصدر سابق، ج8، ص8.

يقول تعالى: ﴿ قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ إِنِّىٓ أُلْقِىَ إِلَىَّ كِتَٰبٌ كَرِيمٌ ﴿٢٩﴾ إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَّا تَعْلُوا۟ عَلَىَّ وَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣١﴾ ﴾ [النمل: 29 – 31].

يقول سيد قطب: "وفي هذا تبدو سمة الملكة الأريبة فواضح منذ اللحظة الأولى أنَّها أخذت بهذا الكتاب الذي ألقي إليها من حيث لا تعلم، والذي يبدو فيه الحزم والاستعلاء. وقد نقلت هذا الأثر إلى نفوس الملأ من قومها وهي تصف الكتاب بأنَّه «كريم» وواضح أنَّها لا تريد المقاومة والخصومة، ولكنَّها لا تقول هذا صراحة، إنَّما تمهِّد له بذلك الوصف" [1].

- ـــ امرأة غير متغطرسة:

ومِمَّا يؤكِّد لنا بوضوح حزم الملكة، ورجاحة عقلها، وعدم استبدادها بالرَّأي والانفراد به... ما قامت به من جمع لكبراء مملكتها ومشاورتها لهم، حيث قالت: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَفْتُونِى فِىٓ أَمْرِى مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ ﴿٣٢﴾ ﴾ [النمل: 32].

يقول الخطيب: "إنَّها لم تدعهم إليها لتلقي إليهم بهذا الخبر لمجرَّد العلم به، وإنَّما ليشاركوها الرَّأي فيه، وليشيروا عليها بما ينبغي أن تواجه به هذا الموقف... فصورة كريمة، للحاكم الحكيم.. الذي يتوخَّى الخير، والأصلح لرعيَّته.. فلا يُبرم أمرًا إلا عن رأي ومشورة، يشارك فيها أهل الرَّأي والمشورة.. «ما كُنْتُ قاطِعَةً أَمْراً حَتَّى تَشْهَدُونِ» أي: حتى تشهدوا معي هذا الأمر، وتَرَوْا فيه رأيكم..." [2].

- ـــ امرأة مُهابة في حكمها ومُطاعة:

لـــمَّا أدلى المستشارون برأيهم، أسندوا كلمة الفصل الأخيرة إلى رأيها في القضيَّة، وهذا إن دلَّ على شيء فإنَّه يدلُّ على مكانتها في نفوسهم، والولاء الخالص لها من قبلهم، وخاصَّة وأنَّها خالفت المجلس كلَّه في قراره الطَّموح

---

1 ـــ سيد قطب، في ظلال القرآن، مصدر سابق، ج5، ص2639.

2 ـــ الخطيب عبد الكريم، التفسير القرآني للقرآن، مصدر سابق، ج10، ص241.

للقتال، وجنحت إلى السِّلم والمداراة، يقول تعالى: ﴿ قَالُوا نَحْنُ أُولُو قُوَّةٍ وَأُولُو بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانْظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [النمل: 33]. " أي: إذا كان الأمر إليك فانظري ماذا تأمرين، أي: انظري في نفسك الذي تأمرين به؛ لأنَّ الاستعداد كامل لتنفيذ الذي تأمرين به كاملًا غير منقوص. قالت لهم بعد أن دبَّرت أمرها، وتعرَّفت مآل أمرها، وحالها"[1].

- ـــ امرأة عالمة بشؤون الدُّول والملوك:

لـــمَّا أسنَد المجلس الاستشاري الأمر إليها أجابتهم بكلِّ حنكة وتجربة، فقالت لهم: ﴿ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٣٤﴾ ﴾ [النمل: 34].

يقول الرازي: "اعلم أنَّها لـــمّا عُرضت الواقعة على أكابر قومها وقالوا ما تقدَّم أظهرت رأيها، وهو أنَّ الملوك إذا دخلوا قرية بالقهر أفسدوها، أي: خرَّبوها وأذلُّوا أعزَّتها، فذكرت لهم عاقبة الحرب" [2].

يقول عرفات محمد: "فقالت قولًا يدلُّ على خبرتها بأمور الملك، والحُكم، والسِّياسة، حيث أخبرتهم أنَّ الملوك من عادتهم إذا دخلوا قرية من القرى أن يخرِّبوا عامر البلدة بعد تغلبهم على أهلها بالحرب والقوَّة، ثم يُهينوا أشرافها ورؤساءها، ويصيِّروهم أذلَّة بعد أن كانوا في عزَّة [3]" [4].

---

1 ـــ أبو زهرة، زهرة التفاسير، مصدر سابق، ج10، ص 5452.

2 ـــ الرازي، مفاتيح الغيب، مصدر سابق،ج 24، ص 555.

3 ـــ لما قالت الملكة تلك المقولة العادلة التي وصفت فيها حال الملوك، أكدها الوحي بقوله: "وكذلك يفعلون"، فما نلاحظه اليوم من دخول الملك سلمان على اليمن ومنها قرية سبأ حيث خربها ودمرها وجعل أعزة أهلها أذلة، لدليل على صدق كلام ربنا، فلا يسعنا إلا أن نزيد إيمانا وتصديقا بهذا الكتاب المعجز.

4 ـــ عرفات محمد، من معالم القيادة والجندية الصالحة في القرآن الكريم قصة سليمان وقصة ذي القرنين، بحث مصور منشور على الأنترنت، واكتفى الباحث بذكر مهنته دون باقي المعلومات، وهو أستاذ مساعد في قسم الدراسات القرآنية بكلية المعلمين بالمدينة المنورة، ص: 131.

- ــ امرأة ذات حنكة وسياسة عالية:

أرادت ملكة سبأ أن تُغري سليمان عليه السلام بالهديَّة فإن قبلها فإنَّها تستطيع محاربته، ومقاومته، والتَّغلب عليه، وإن ردَّها فليس بها قدرة عليه؛ لأنَّه ليس بمَلِك كبقيَّة الملوك.

فهذا الرَّأي من الملكة ينمُّ عن حصافة، وفكر، ورويٍّ، وحكمة، وما أضيع الشُّعوب التي لا تملك رأيًا، ولا تستطيع التَّصرف حينما تقبل الأزمات، وما أضيع الشُّعوب التي تحرِّم هذا الرَّأي، وما أضيع الشعوب التي تسلِّم زمامها لفرد أو فئة، فلا تستطيع أن تصدر عن شيء وهو قدَر الأمَّة العربية الإسلامية، فهل من مستيقظ؟ [1].

قال تعالى: ﴿ وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [النمل: 35].

يقول الزحيلي: "أي: وإني ألجأ إلى هذه التَّجربة وهي بعث هدية إليه، تليق بمثله، وأختبر أمره، أهو نبيٌّ أم مَلِك؟ وأنظر ماذا يكون جوابه بعدئذ، فلعلَّه يقبل ذلك منَّا ويكفُّ عنَّا، أو يفرض علينا خراجًا نرسله إليه في كلِّ عام، فنأمن جانبه، ويترك قتالنا ومحاربتنا.

قال قتادة رحمه الله: ما كان أعقلها في إسلامها وشركها، علمت أنَّ الهديَّة تقع موقعًا من النَّاس"[2].

- ــ امرأة ذكيَّة:

أمر سليمان عليه السلام بإحضار عرش الملكة قبل أن تصل إليه مذعنة، ولـــمَّا وصل إليه عرشها بلمح البصر غيَّر فيه وعدَّل، ثمَّ أدخلها لتشاهده: ﴿ فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكِ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ ﴿٤٢﴾ ﴾ [النمل: 42]."أي: عُرض عليها عرشها، وقد غُيِّرَ وَنُكِّر، وزيد فيه ونقص منه، فكان فيها ثبات وعقل، ولها لُبٌّ ودهاء، وحزم، فلم تُقْدِم على أنَّه هو لبعد مسافته عنها، ولا أنَّه غيره لِمَا رأت من آثاره وصفاته، وإن غُيِّرَ وَبُدِّلَ

---

1 ــ ينظر: فضل حسن عباس، قصص القرآن الكريم، مرجع سابق، ص ص: 660 ــ 661.

2 ــ الزحيلي، التفسير المنير، مصدر سابق، ج19، ص294.

وَنُكِّرَ، فقالت: {كأنَّه هو} أي: يشبهه ويقاربه، وهذا غاية في الذَّكاء والحزم" [1].

- ــ امرأة مذعنة للحقِّ:

لـــمَّا رأت الملكة تلك المعجزات والخوارق التي تدلُّ على نبوَّة سليمان عليه السلام حينها أعلنت إسلامها لله رب العالمين، وبذلك تكون الملكة قد جنَّبت شعبها أزمة حربية مدمِّرة، وذلك بفضل حسن إدارتها للأزمة، فخرجت منها سالمة، مسلمة لله عز وجل: ﴿ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٤﴾ ﴾ [النمل: 44].

يقول سيد قطب: "ووقفت الملكة مفجوءة مدهوشة أمام هذه العجائب التي تُعجز البشر، وتدلُّ على أنَّ سليمان مسخَّر له قوى أكبر من طاقة البشر، فرجعت إلى الله، وناجَتْه معترفةً بظلمها لنفسها فيما سلف من عبادة غيره، معلنة إسلامهاَ معَ سُلَيْمانَ، لا لسليمان، ولكنِ للَّهِ رَبِّ الْعالَمِينَ" [2].

2) ــ التَّعريف بمملكة الملكة سبأ:

وصف القرآن الكريم بإيجاز مملكة الملكة سبأ، حيث أبرز فيها وصفين أساسيَّن وهما:

- ــ جسامة عرش الملكة:

يقول تعالى: ﴿ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ ﴾ [النمل: 23].

يقول الإمام عبد الحميد بن باديس في بيانه لعظمة المملكة ما نصُّه: ".. وقد كانت ملكة عظيمة على مملكة عظيمة راقية.

---

1 ــ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، مصدر سابق، ج6، ص175.

2 ــ سيد قطب، في ظلال القرآن، مصدر سابق، ج5، ص2643.

والهدهد الذي شاهد ملك سليمان وعظمته، قد استعظم ملكها وعرشها، وعظمة العرش عنوانُ عظمة الملك، فلذا خصَّصه الهدهد بالذِّكر، ورغَّب سليمان في الإتيان به" [1].

- ــ وقوع العرش في مدينة سبأ:

حدّد الهدهد لسليمان عليه السلام البلد الذي تحكمه الملكة الكافرة بقوله: ﴿وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾ إِنِّي وَجَدتُّ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ﴾[النمل:22 – 23]. و" سبإ" اسم مدينة تعرف بمأرب باليمن بينها وبين صنعاء مسيرة ثلاثة أيام [2].

ومن هنا فإنَّ مملكة سبإ تقع باليمن، ومملكة سليمان عليه السلام تقع بفلسطين وهذا بخلاف ما ذهب إليه بعض المفسرين من أنَّ مملكة سليمان عليه السلام تقع أيضًا باليمن بصنعاء وبين المملكتين مسافة قصيرة تقدر بمسيرة ثلاث أيام [3]، والدَّليل على وقوع مملكة سليمان عليه السلام بفلسطين قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ ﴿١٨﴾﴾ [سبأ: 18].

يقول عبد الكريم الخطيب: "والقرى التي بارك الله فيها، هي قرى أرض الشَّام، التي كان يرحل إليها أهل سبأ، ويتَّجرون معها، وسمِّيت قرى مباركة، لأنَّها في الأرض المباركة، المقدَّسة، كما يقول الله تعالى على لسان موسى: ﴿يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ﴾ [المائدة: 21]، والقرى الظَّاهرة، التي كانت بينهم وبين القرى المباركة، هي ما كان يلقاهم على طريقهم من اليمن إلى الشَّام، من منازل، وقرى، حيث يجدون فيها الأمن والرَّاحة..."[4].

ويضيف التميمي قائلًا: "وينطبق وصف القرآن الكريم لقوم سبأ، وعرش ملكتهم، وثروتهم على السَّبئيين في جنوب شبه الجزيرة العربية، ولا نجد مثل ذلك الوصف ينطبق على

---

1 ــ ابن باديس عبد الحميد، في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1995م، ج1، ص273.

2 ــ القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، مصدر سابق، ج13، ص181.

3 ــ ينظر: ابن أبي حاتم، تفسير القرآن العظيم، مصدر سابق، ج13، ص 787. وينظر: الزمخشري، الكشاف، مصدر سابق، ج3، ص361.

4 ــ الخطيب عبد الكريم، التفسير القرآني للقرآن، مصدر سابق، ج11، ص800.

أي الأقوام العربية في شمال شبه الجزيرة العربية ممن جاء الحديث عنهم في التَّوراة [1] بأنَّهم سبئيُّون يعيشون بالقرب من مملكة النَّبي سليمان عليه السلام، ودليلنا هو وجود آثار عرش سبئي في العاصمة السَّبئية القديمة (مأرب)، بجنوب شبه الجزيرة العربية،...وعن آثار هذا العرش في مأرب كتب الأثريون والمؤرخون مشهداتهم التي نستشهد بها"[2]. وذكر الباحث شواهد كثيرة يرجع إليها في بحثه.

3 ــ مظاهر القوَّة التي امتلكتها ملكة سبأ:

لم يتعرَّض القرآن الكريم كثيرًا إلى بيان مظاهر قوَّة مملكة ملكة سبأ، بخلاف مملكة سليمان عليه السلام حيث عدّد كثيرًا من مظاهر قوَّته، والسَّبب ربَّما راجع إلى أنَّه الشَّخصية الأساسيَّة في السُّورة، وأنَّه المقصود الرَّئيسي من سرد أحداث القصَّة، وذلك تبيانًا لما منحه الله عز وجل من النِّعم العظام التي لم يمنحها لأحد من بعده.

ومن هنا فإنَّ القرآن الكريم اقتصر على ذكر قوَّة مملكة الملكة سبأ على لسانين:

- ــ على لسان الهدد: وذلك عند قوله لسليمان عليه السلام: ﴿ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ ﴾ [النمل: 23]، أي: أوتيت من كلِّ ما يُؤتاه الملوك من الأموال، والسِّلاح، والجنود، والحصون، والقلاع، ونحو ذلك[3].
- ــ على لسان مستشاريها: وذلك حين جمعت الملكة رؤوس مملكتها، واستشارتهم في أمرها، وفي شأن الكتاب الذي أُلقي إليها، فردُّوا عليها قائلين: ﴿ قَالُوا نَحْنُ أُولُوا قُوَّةٍ وَأُولُوا بَأْسٍ شَدِيدٍ ﴾ [النمل: 33].

يقول الزمخشري: "أرادوا بالقوة: قوّة الأجساد وقوّة الآلات والعدد. وبالبأس: النَّجدة والبلاء في الحرب"[4].

---

1 ــ التوراة، الإصحاح الأول، آية20. وأيوب، الإصحاح السادس، آية 19. [وهذا التوثيق نقلا عن الباحث].

2 ــ التميمي عبد الله كرامة، تحديد موطن مملكة سبأ في القرآن الكريم والمصادر الأخرى، مجلة جامعة الشارقة للعلوم الشرعية والقانونية، المجلد 5، العدد1، فبراير 2008م، ص230.

3 ــ ينظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، مصدر سابق، ج1، ص604.

4 ــ الزمخشري، الكشاف، مصدر سابق، ج3، ص364.

وأُطلقت القوَّة في الآية لتشمل جميع وسائل القوَّة، كما في قوله تعالى: ﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ ﴾ [الأنفال: 60]، أي: وسائل القدرة على القتال والغلبة، ومن القوَّة كثرة القادرين على القتال والعارفين بأساليبه.

والبأس: الشِّدَّة على العدوِّ، قال تعالى: ﴿ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِي ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ﴾ [البقرة: 177]، أي: في مواقع القتال، وهذا الجواب تصريح بأنَّهم مستعدُّون للحرب للدِّفاع عن مملكتهم وتعريض بأنَّهم يميلون إلى الدَّفع بالقوَّة إن أراد أن يكرههم على الدُّخول تحت طاعته؛ لأنَّهم حملوا ما تضمنَّه كتابه على ما قد يفضي إلى هذا [1].

ونخلص في نهاية هذا المطلب أنَّنا بين قوَّتين عظيمتين تستوجب من قيادتهما أن يسلكا منهجًا سليمًا في إدارة الأزمة القائمة بينهما، وإلَّا سيؤدِّي بهما الأمر إلى ما لا تحمد عقباه.

✓ ــ الفرع الثالث: بيان سبب اختيار القصَّة كنموذج لإدارة الأزمة السياسية في القرآن الكريم.

لقد شمل القرآن الكريم العديد من الأزمات السِّياسية، ومن هذه الأزمات على سبيل المثال لا الحصر: أزمة سيِّدنا سليمان عليه السلام مع ملكة سبأ، وأزمة سيدنا موسى عليه السلام مع فرعون بخصوص ملف المستضعفين من بني إسرائيل، وأزمة قصَّة طالوت وجالوت...

وقد تمّ اختيار قصَّة سيدنا سليمان عليه السلام مع ملكة سبأ كنموذج تطبيقي لمنهج القرآن الكريم في إدارته للأزمة السياسية، نظرًا لحيازتها على عدَّة أمور منها:

- ــ توفُّرها على أهمِّ مراحل الأزمة: شملت الأزمة الواقعة بين المملكتين على جميع مراحل الأزمة، حيث بدأت الأزمة بمعرفة سليمان عليه السلام خبر مملكة سبأ وأنّهم كانوا يعبدون الشّمس من دون الله، وكانت هذه المعرفة تمَّت عن طريق الهدهد، ثم تفاقمت الأزمة وتصاعدت بإرسال سليمان عليه السلام

1 ــ ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، مصدر سابق، ج19، ص264.

بالكتاب إلى الملكة، وهذه الأخيرة أرسلت إليه بالهدية لتختبره، ثم بلغت الأزمة ذروتها وشأوها بالتَّلويح باستخدام القوَّة المفرطة من كِلا الطرفين، ثمَّ ختمت الأزمة بخضوع الملكة واستسلامها لله رب العالمين، ومن هنا تكون القصَّة قد حقَّقت دورة كاملة لحياة الأزمة، وسيأتي الحديث عن مراحلها في المبحث اللَّاحق إن شاء الله.

بخلاف الأزمات الأخرى المذكورة في القرآن الكريم فإنَّ بعض المراحل منها لم يتم تسليط الضوء عليها، وخاصَّة المراحل الأولى لأهداف مقصودة.

- ــ حساسيَّة الأزمة وتداعياتها الخطيرة على المستوى المحلِّي والإقليمي: تكمن حساسيَّة الأزمة في كونها واقعة بين مملكتين عظيمتين لهما من القوَّة والإمكانات الهائلة ما يجعلهما تخوضان حربًا يتولَّد عنها خسائر جسيمة في الجانبين البشري والمادِّي، ولكن حسن إدارة الأزمة جنَّب الدّولتان مخاطر الحروب، ومآسي الدّمار والخراب.
- ــ تمتُّع كِلا المملكتين على قيادة حكيمة: وهذا سبب مهمٌّ يجعل الباحث يدرس هذه القصَّة من أجل الوقوف على ملامح القيادة الرَّشيدة، والتي كانت السبَّب الرَّئيس في نجاح إدارة الأزمة.
- ــ تعارض المبادئ: إنَّ الأخطر في هذه الأزمة كون كلٍّ من المملكتين تدين بديانة مختلفة تمامًا عن الأخرى، فسليمان عليه السلام يدين بدين التَّوحيد لله عزوجل، بينما ملكة سبأ على العكس من ذلك، فقد كانت عبادتها وثنيَّة محضة تسجد لمخلوق من مخلوقات الله عليه السلام وهي الشَّمس، ومكمن الخطر أنَّه يتوجَّب على نبيِّ الله سليمان عليه السلام دعوة الملكة إلى التَّوحيد الخالص لله عزوجل بالسِّلم أوَّلا: ﴿ أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ﴿٣١﴾ ﴾ [النمل: 31]، فإن استجابت تركها ومملكتها، وإلَّا لزم عليه الأمر استخدام القوَّة لكسر دابر الشِّرك، لتصل دعوة التَّوحيد إلى رعيّتها: ﴿ ارْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾[النمل: 37].

- ـــ احتواء الأزمة على طرق دبلوماسية [1] فعَّالة: احتوت الأزمة الواقعة بين المملكتين على آليات دبلوماسيَّة قلَّلت من انفجار الأزمة بينهما، حيث مورست هذه الآليات وفق خطَّة عملية مدروسة اتَّسمت بالدِّقة وبالتَّدرُّج فيها وفق ما يأتي:

- أولا: التَّثبت من خبر ملكة سبأ.
- ثانيا: استعمال الحكمة من كلا الطرفين مع أنّهما يمتلكان قوَّة هائلة.
- ثالثا: استعمال سليمان عليه السلام لدبلوماسية الرِّسالة، بينما استعملت ملكة سبأ دبلوماسية الهدية.
- رابعا: انتهاج سياسة الإختراق: حيث اخترق الهدهد قصر الملكة الحصين، متخطِّيا بذلك كلَّ العقبات والحواجز، لغرض تحقيق هدفه: ﴿ ٱذْهَب بِّكِتَٰبِى هَٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَٱنظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ [النمل: 28]، واعترفت الملكة بالاختراق رغم ما تمتلكه من قوَّة وحرس وحجّاب، وهذا بمثابة أوَّل تفوُّق ظاهر من سليمان عليه السلام على ملكة سبأ ﴿ قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ إِنِّىٓ أُلْقِىَ إِلَىَّ كِتَٰبٌ كَرِيمٌ ﴿٢٩﴾ ﴾ [النمل: 29].
- خامسا: الحرب النَّفسية فيها: يكاد لا تخلو أزمة سياسية بين دولتين من حرب نَّفسيَّة وممارسات استفزازية، وذلك قصد التَّأثير في الخصم سلبًا فتنهار قواه الدَّاخلية وتتحطّم معنويَّاته، ويُحبط نفسيًّا، كما يهدف من ورائها إلى إخضاع الخصم، والتَّحكم فيه، والسَّيطرة على مواقفه، ومن هنا فإنَّ سليمان عليه السلام مارس هذا الأسلوب مع الملكة في أكثر من مرَّة والتي

1 ـــ الدبلوماسية هي: عملية سياسية تستخدمها الدولة في تنفيذ سياستها الخارجية في تعاملها مع الدول والمنظمات والحكومات الأخرى، قصد إدارة علاقتها والنجاح في إدارتها، ضمن نظام دولي. [ينظر: علاء أبو عامر، العلاقات الدولية، ط1، دار الشروق، د.م، 2004م، ص 164].

كانت السَّبب المباشر في كسر هيبتها وكبريائها وإخضاع سلطانها للإسلام الحنيف كما سيأتي الحديث عن هذا لاحقًا.

- ــ والأهمُّ من ذلك كلِّه أنَّ هذه الأزمة وقف عليها القرآن الكريم كثيرًا مبيِّنا فيها ــ كما سيأتي ــ أسباب الأزمة، وخصائصها، كما لم يغفل عن بيانه للعلوم الإدارية المختلفة والتي استخدمت في إدارة الأزمة مثل علم الهندسة المعمارية، وعلم الجوسسة، وعلم الصِّناعات الحربيَّة، وعلم كيفية إدراج الخصم من دون ردود أفعال سلبيَّة منه، وعلم الرِّياح، وعلم لغة الحيوانات...
- ــ كما أنَّ هذه القصَّة بين المملكتين كانت ناجحة إلى حدٍّ بعيد في إدارتهما للأزمة، حيث جنَّبتهما ــ بفضل سياستهما الحكيمة للأمور ــ ويلات الحرب ومخلَّفاته.

يقول الزحيلي: "وأحداث قصَّة الملكة بلقيس مَثَلٌ يحتذى من الدِّبلوماسيَّة الرَّشيدة، وإعمال الفكر والأناة، والظَّفر بتحقيق النَّتائج السِّلمية، وصوْن البشريَّة من إراقة الدِّماء، وحفظ الأنفس، لأنَّ البعد عن الأهواء والشَّهوات وعن الغطرسة يؤدي إلى اتّخاذ موقف الحكمة والسّداد"[1].

المطلب الثاني: أسباب نشوء الأزمة السياسية بين المملكتين، وخصائصها.

✓ ــ الفرع الأول: أسباب نشوء الأزمة السِّياسية بين المملكتين:

من الغريب في الأمر أنَّ كتب إدارة الأزمات عند حديثها عن أسباب نشوء الأزمات السِّياسية فإنَّهم يذكرون أسبابًا مختلفة وكثيرة عنها، لكنَّهم لا يلِّمحون إلى السَّبب الدِّيني الذي هو في الغالب منشأ أغلب الأزمات عندنا معشر المسلمين، إذ أحيانًا تنشأ أزمة بين زوجين، أو شريكين، أو دولتين (وخاصَّة بين المسلمة والكافرة)... فلا يكون سببها إلَّا دينيًّا، سواء انتهاك حرمة من حرمات الله كما حدث في أزمة الدنمارك لـــمَّا سخروا بالنَّبي

1 ــ الزحيلي، التفسير الوسيط، مصدر سابق، ج2، ص1873.

ﷺ برسوم كاريكاتورية، أو استخفاف بحكم شرعي مقطوع بثبوته كقضية تحريم لبس الحجاب في بعض الدول الغربية، أو تحليل شرب الخمور، أو تحليل الرِّبا... فتنشأ من خلالها أزمة قويَّة، تبدأ بالاحتجاجات، ثم تنتقل إلى التَّخريب... وبعدها الاعتقالات، وفرض القوَّة.

وهذه الأزمة الواقعة بين المملكتين العظيمتين لم يكن سببها قضية ترسيم الحدود، أو انتهاك السِّيادة، أو طمع طرف في ثروات الآخر... بل كان سببها ديني محض، وذلك أنَّ الهدهد لـــمَّا أخبر سليمان عليه السلام بخبر ملكة سبأ بأنَّها تسجد للشَّمس من دون الله، هناك ثارت حفيظته، فتولَّدت أزمة بينهما.

يقول الشَّعراوي: "هكذا حدَّث الهدهُد سليمانَ فيما يخصُّ ملكة سبأ من حيث الملك الذي تشبه فيه سليمان كملك، ثم يُحدِّثه بعد ذلك عن مسألة تتعلَّق بالنُّبوَّة والإيمان بالله، وهذه المسألة التي غار عليها سليمان، وثار من أجلها: ﴿ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ [النمل: 24]" [1].

فلمَّا علم سليمان عليه السلام بخبر الملكة، قامت الحجّة لديه لدعوتها إلى توحيد الله عزوجل؛ لأنَّها هي الوظيفة الأساسيَّة التي من أجلها بُعث ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾ ﴾ [الأنبياء: 25]، فبدأ أوَّلَ تحرُّكاته بكتاب كتبه إلى الملكة يدعوه فيها إلى ترك عبادة المخلوق، والتَّحوُّل إلى عبادة ربِّ المخلوقات: ﴿ إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَّا تَعْلُوا۟ عَلَىَّ وَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣١﴾ ﴾ [النمل: 30 – 31].

يقول سيد قطب: فلغة الكتاب فيها استعلاء وحزم وجزم، وفحواه في غاية البساطة والقوَّة وهو مناسب للمقام لخطورة أمر العقيدة حيث إنَّها لا تقبل أنصاف الحلول، ولا الهزل، ولا التَّمييع، ولا التَّنازل عن شيء...إذ لا سبيل فيها لغير الجدِّ والحقِّ [2].

1 ــ الشعراوي، خواطر الشعراوي، مصدر سابق، ج10، ص10772.

2 ــ ينظر: سيد قطب، في ظلال القرآن، مصدر سابق، ج1، ص76.

✓ ــ **الفرع الثاني: خصائص هذه الأزمة:**

تبيَّن لنا من خلال وقوفنا على الأزمة السِّياسية الواقعة بين سيدنا سليمان عليه السلام وملكة سبأ أنَّها تتوفَّر على جملة من الخصائص وهي:

1- المفاجأة: تتَّسم الأزمات بحدوثها بشكل مفاجئ غير منتظر، وهذا لعدم توقع حدوثها من حيث المبدأ، أو لعدم الإحاطة بالأمور.

وقد فاجأ هذان السَّببان سليمان عليه السلام، ذلك لأنَّه لم يتوقع بوجود ملكة تمتلك عرشًا بقدر ما يمتلكه، وعلاوةً على ذلك عدم إحاطته وعلمه بذلك العرش، وبديانة تلك الملكة، فلنستمع لمقولة الهدهد وهو يفاجئ سليمان عليه السلام بهذا النَّبأ الصَّادق، يقول تعالى: ﴿ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾ إِنِّى وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَىْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [النمل: 22 – 24].

إذا فهذه المعلومات الدَّقيقة بشأن ملكة سبأ والتِّي نقلها الهدهد إلى سليمان عليه السلام قد غابت عنه عليه السلام تمامًا، وقد شكَّلت لديه مفاجأة بهذا النَّبأ العظيم، وخاصَّة وأنَّه أوتي ملكًا لم يُؤْته أحد من العالمين !!!

يقول عبد الحميد ابن باديس: "لا يعلم أحد من الأنبياء- عليهم السَّلام- شيئاً ممَّا غاب عنه إلاّ بإعلام الله، فليس لهم كشف عام عن جميع ما في الكون، وإنَّما يعلمون منه ما أطلعهم الله عليه.

ومن مدارك ذلك هذه القصَّة: فإنَّ سليمان عليه السلام، لم يكن يعلم من مملكة سبأ شيئاً حتَّى أطلعه الله عليه بواسطة الهدهد.

وإذا كان هذا حال الأنبياء عليهم الصَّلاة والسَّلام، فغيرهم من عباد الله الصالحين من باب أحرى وأوْلى" [1].

1 ــ ابن باديس عبد الحميد، في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، مصدر سابق، ج1، ص270.

2- ضيق الوقت المتاح لمعالجة الأزمة:

إنَّ الأزمة الواقعة بين المملكتين كان عامل الوقت فيها ضيِّقًا جدًّا، وهذا واضح من خلال الأوامر التي كان يُصدرها سليمان عليه السلام في أثناء علاجه للأزمة، ومن ذلك:

- ـــ أنَّ سليمان عليه السلام لم ينتظر بمجيء شاهد يشهد بصدق خبر الهدهد، بل كلَّفه مباشرة بمهمَّة نقل الكتاب إلى الملكة لأنَّ الوقت لا يسمح بذلك.
- ـــ استخدم سليمان عليه السلام في أوامره التي وجَّهها إلى الهدهد الفاء التي تفيد التَّعجيل، حيث قال له: ﴿ ٱذْهَب بِّكِتَٰبِى هَٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَٱنظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ [النمل: 28].
- ـــ ولما ردّ عليه السلام هدية الملكة عقّب بعدها مباشرة بفاء معجِّلة بإرسال جنود إلى سبأ لا قِبل لهم بها ﴿ ٱرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَآ أَذِلَّةً وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾[النمل: 37].
- ـــ وممَّا يشهد بضيق وقت الأزمة طلب سليمان عليه السلام من ملئه استقدام عرش ملكة سبأ بأقصر وقت ممكن ﴿ قَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَيُّكُمْ يَأْتِينِى بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣٨﴾ ﴾ [النمل: 38]. فحينها يقوم عفريت من الجن ويقول لسليمان عليه السلام: ﴿ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ ۖ وَإِنِّى عَلَيْهِ لَقَوِىٌّ أَمِينٌ ﴿٣٩﴾ ﴾ [النمل: 39]، ولكنَّ الذي عنده علم من الكتاب شعر بأنَّ الإتيان بالعرش في المدَّة التي عرضها العفريت طويلة بالنِّسبة للقوَّة التي يمتلكها الأوَّل، فأراد أن يقلِّص من المدَّة لضيق الوقت، فردَّ على العفريت قائلًا له: ﴿ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ۚ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ ﴿٤٠﴾ ﴾ [النمل: 40].

3- نقص المعلومات:

إنَّ المعلومات التي أوردها الهدهد لسليمان عليه السلام ينقصها معيار التَّثبت ذلك لأنَّه خبر آحاد يفيد الظَّنَّ ولا يفيد القطع بصحَّة الخبر، ولا يمكن لسليمان عليه السلام في ظلِّ ظروف نقص المعلومات الكافية عن الملكة، وفي ظلِّ عدم تيقُّنه من هذه الأخبار أن يتَّخذ قرارًا عسكريًّا كإرسال الجيوش، وإنَّما غاية ما في الأمر ما دام أنَّ الخبر لا زال في مرحلة التَّمحيص والتَّثبت أن يرسل كتابًا إلى الملكة لجسِّ النَّبض، وفي هذا يخبرنا تعالى بقوله: ﴿قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾ ٱذْهَب بِّكِتَٰبِى هَٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَٱنظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [النمل: 27 -28].

يقول الشوكاني في معرض تفسيره لهذه الآية ما نصُّه: "وفيه إرشاد إلى البحث عن الأخبار، والكشف عن الحقائق، وعدم قَبول خبر المخبرين تقليدًا لهم، واعتمادًا عليهم، إذا تمكَّن من ذلك بوجه من الوجوه"[1].

4- ظهور حالة من الخوف والارتباك لدى الملكة:

لاشك أنَّ الكتاب الذي أُلقي على الملكة شكَّل لها حالة من الخوف والذُّعر، لأنَّها لم تُفصح لقومها عن الطّريقة التي جاءت بها هذه الرِّسالة، ولم تكشف عن وجه الرَّسول الذي حملها إليها.. بل ألقت إليهم الخبر مجهّلاً هكذا: ﴿قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ إِنِّىٓ أُلْقِىَ إِلَىَّ كِتَٰبٌ كَرِيمٌ ﴿٢٩﴾﴾ [النمل: 29][2]،

يقول سيد قطب: "فهي تخبرهم أنَّه ألقي إليها كتاب... ولو كانت تعرف أن الهدهد هو الذي جاء به- كما تقول التَّفاسير- لأعلنت هذه العجيبة التي لا تقع كلَّ يوم.

ولكنَّها قالت بصيغة المجهول. مما يجعلنا نرجِّح أنَّها لم تعلم كيف ألقي إليها ولا من ألقاه"[3].

---

1 ــ الشوكاني، فتح القدير، مصدر سابق، ج4، ص157.

2 ــ ينظر: الخطيب عبد الكريم، التفسير القرآني للقرآن، مصدر سابق، ج10، ص240.

3 ــ سيد قطب، في ظلال القرآن، مصدر سابق، ج5، ص2639.

5- تداخل وتسارع الأحداث:

وهذا واضح من خلال تصاعد حدَّة الأزمة بين المملكتين بوتيرة متسارعة، وذلك حسبما صرَّح به القرآن الكريم، وهي على النَّحو الآتي:

- أولا: إرسال كتاب من سليمان عليه السلام إلى ملكة سبأ.
- ثانيا: إرسال ملكة سبأ بالهدية إلى الملك سليمان عليه السلام.
- ثالثا: رفض الهدية من قبل سليمان عليه السلام.
- رابعا: طرد رسل الملكة من قِبل سليمان عليه السلام.
- خامسا: العزم من كلا الطَّرفين على استخدام القوَّة المفرطة ضدَّ الآخر، فمستشارو الملكة قالوا: ﴿ نَحْنُ أُوْلُواْ قُوَّةٍ وَأُوْلُواْ بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [النمل: 33]، أمَّا سليمان عليه السلام فقال: ﴿ ارْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾ [النمل: 37].

6- اتِّسام الموقف بالضَّبابيَّة، وعدم وضوح صورة مملكة سليمان عليه السلام لدى ملكة سبأ، وهذا الذي جعلها ترسل بالهدية من أجل التَّعرف أكثر على موقف الخصم من خلال قَبول الهدية فإذا قبلها فإنّها تحكم عليه حينئذ بأنَّه رجل دنيَا ويمكن غلبته، أو احتمال رفض الهدية فتعرف بأنَّه رجل مبادئ وقيم؛ وبل صاحب نبوَّة ورسالة فلا يمكن مغالبته، قال تعالى: ﴿ وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [النمل: 35].

يقول القرطبي: " أي: إني أجرِّب هذا الرَّجل بهديَّة، وأعطيه فيها نفائس من الأموال، وأغرب عليه بأمور المملكة، فإن كان ملكًا دنياويًا أرضاه المال وعملنا معه بحسب ذلك، وإن كان نبيًّا لم يرضه المال ولازمنا في أمر الدِّين، فينبغي لنا أن نؤمن به ونتَّبعه على دينه" [1].

1 ــ القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، مصدر سابق، ج13، ص196.

المبحث الثاني: مراحل الأزمة السياسية بين المملكتين، وبيان خطوات إدارتها.

مرَّت الأزمة السياسية الواقعة بين المملكين، على مراحل شأنها في ذلك شأن أي أزمة تبدأ بالميلاد ثم يعقبها مرحلة النُّمو، ثم تصل إلى درجة البلوغ والتَّمام، ثم الانحدار والتَّلاشي.

والوقوف على هذه المراحل يساعدنا في اكتشاف مدى تعامل القيادة السُّليمانية عليه السلام مع كلِّ مرحلة، كما تبيِّن لنا مدى متابعته عليه السلام لهذه المراحل والإحاطة بها وذلك قصد السَّيطرة عليها، والنَّجاح في إدارتها.

المطلب الأول: مراحل الأزمة السياسية بين المملكتين.

اشتملت هذه الأزمة على أربع مراحل أساسية هي:

1) ــ المرحلة الأولى: مرحلة اكتشاف الأزمة:

لا توصف هذه المرحلة من الأزمة بالميلاد؛ وإنَّما توصف بالاكتشاف، وهذا ما يفسِّر لنا أنَّ الأزمة كانت قديمة حيث إنَّ قوم سبأ كانوا يعبدون الشَّمس من دون الله منذ قرون، وإنَّما اكتشاف الأزمة من قبل سليمان عليه السلام يعدُّ جديدًا، ذلك لأنَّه عليه السلام لم يكتشف هذه الأزمة إلا بعدما أطلعه الهدهد عليها، فبذلك تكون معرفة سليمان عليه السلام لهذه الأزمة رغم قِدمها الزَّمني يعدُّ بداية لظهور أزمة جديدة بين المملكتين، يتوجَّب على نبيِّ الله سليمان عليه السلام التَّحرك من أجل علاجها.

إذا فالأزمة بدأت بين المملكتين بمجرَّد وصول المعلومة إلى سيدنا سليمان عليه السلام لأوَّل مرَّة، وفحواها أنَّ الملكة وقومها يسجدون للشَّمس من دون الله.

يقول تعالى: ﴿ وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ فَقَالَ مَالِيَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ ﴿٢٠﴾ لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَاْذْبَحَنَّهُۥٓ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢١﴾ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾ إِنِّي وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [النمل: 20 – 24].

يقول القشيري مبيِّنا قِدم أزمة العبودية للشمس ما نصُّه: " وصدَّها عن الإسلام العادة التي كانت عليها، لأنَّها نشأت على ذلك ورُبِّيت، ولم تعرف إلا قوماً يعبدون الشَّمس" [1].

أما عن بداية ظهور الأزمة بين المملكتين فيقول الشعراوي: "وهذه المسألة التي غار عليها سليمان، وثار من أجلها"[2].

2) ــ المرحلة الثانية: مرحلة تنامي الأزمة وتصاعدها:

في هذه المرحلة شعرت ملكة سبأ بالأزمة، وأدركت عِظم مآلها وذلك لـــمَّا أخذت الكتاب وقرأت مضمونه الذي يتعارض مع مبادئها ومُثُلها، إذ الكتاب يدعو إلى وحدانية الله والإذعان له وحده سبحانه، بينما هي عبادتها تُخضعها لمخلوق مثلها.

ومن هنا فإنَّ الملكة أحسّت بالأزمة، ولم تتجاهلها، كما لم تبخس من شأنها؛ بل شرعت مباشرة في اتِّخاذ خطوات عمليَّة حرصًا منها على مصالحها، وخوفًا منها من بلوغ الأزمة مرحلة التَّصادم مع مملكة سليمان فتلحق بها خسائر مادِّية وبشرية جسيمة، ومن جملة هذه الخطوات التي باشرتها هي:

أ- اهتمامها بشأن الكتاب فلم تمزِّقه، أو تحرقه، أو تلقي به في زاوية منسيَّة، بل فتحته وقرأته رغم عدم معرفة رَسول الكتاب.

ب- اهتمامها بمضمون الكتاب مع وصفها الكتاب بأنَّه كتاب كريم، رغم ما فيه من دعوتها وقومها إلى عبادة الخالق الواحد، ونبذ عبادة المخلوق، وأيضًا ما فيه من أسلوب التَّرهيب في قوله: "ألّا تعلوا عليّ".

ت- دعوتها لوجهاء قومها في مملكتها لأجل إطلاعهم على الكتاب، والفصل في القضيَّة.

ث- جدّيتها في التَّعامل مع القضيَّة المستجدَّة، ويظهر ذلك من إضافة الأمر إليها في قوله تعالى: ﴿ قَالَتۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَؤُاْ أَفۡتُونِي فِيٓ أَمۡرِي ﴾ [النمل: 32]، رغم أن

---

1 ــ السمرقندي، بحر العلوم، مصدر سابق، ج2، ص584.

2 ــ الشعراوي، خواطر الشعراوي، مصدر سابق، ج17، ص 10772.

الأمر يعمُّ الجميع ويهمُّهم، فهم في الأمر سواء بدليل قول سليمان: ﴿ أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ﴿٣١﴾ ﴾ [النمل: 31]، فلم يخاطبها هنا بمفردها كقوله: ألا تتعالي عليّ وأتني مسلمة، وفي هذا اهتمام أبلغ لهذه القضيَّة من الملكة حتَّى خصَّتها بنفسها.

يقول ابن عاشور: إضافة الأمر إلى ضميرها؛ لأنَّها المضطلعة بما يجب إجراؤه من شؤون المملكة وعليها تبعة الخطأ في المنهج الذي تسلكه من السِّياسة[1].

ج- إرسالها لهدية عظيمة حافلة تليق بالملوك، لغرض تجميد نموِّ الأزمة، وإيقافها عند المستوى الذي وصلت إليه، وعدم السَّماح بتطوُّرها: ﴿ وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [النمل: 35].

ونخلص من هذه الخطوات التي تدخلت فيها الملكة بنفسها أنَّها أحسّت بالأزمة وبتطوُّراتها وعواقبها، وأرادت بفعل هذه الخطوات أن لَّا توصل بالأزمة إلى مرحلة النُّضج والقوَّة.

3) ــ المرحلة الثالثة: مرحلة بلوغ الأزمة ذروتها:

لقد كان تصرُّف الملكة ببعث الهدية إلى الملك سليمان دون أن تعرف عن إيمانه وشخصيَّته وملكه... سببًا مباشرًا في بلوغ الأزمة ذروتها، ذلك لأنَّ هديَّة الملكة لسليمان عليه السلام أرادت منه أن لا يبسط سلطانه على مملكتها، وأن يسكت عن عبادتها، فاعتبرها سليمان عليه السلام من قبيل الرَّشوة وبيع الحقِّ بالباطل[2].

وبناء على هذا التَّصرف من الملكة نتج عنه تعقُّدًا للأزمة أكثر بين المملكتين بلغت ذروتها، ووصلت إلى حدٍّ خطير، حيث ولَّد ردَّة فعل قويَّة من الملك سليمان عليه السلام تمثَّلت فيما يأتي:

---

1 ــ ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، مصدر سابق، ج19، ص ص261 ــ 262.

2 ــ ينظر: الزحيلي، التفسير المنير، مصدر سابق، ج19، ص298.

أ- ردُّ هديَّة الملكة: قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا جَآءَ سُلَيْمَٰنَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُم بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾ [النمل: 36].

يقول ابن كثير: "والظَّاهر أنَّ سليمان عليه السلام لم ينظر إلى ما جاءوا به بالكلِّية، ولا اعتنى به، بل أعرض عنه. وقال مُنكِرًا عليهم أتمدُّونن بمال؟ أي: أتُصانعونني بمال لأترككم على شرككم، ومُلككم؟ فما آتاني الله خير مما آتاكم، أي: الذي أعطاني الله من الملك، والمال، والجنود خير مما أنتم فيه؛ بل أنتم بهديتكم تفرحون، أي: أنتم الذين تنقادون للهدايا، والتُّحف، وأمَّا أنا فلا أقبل منكم إلَّا الإسلام، أو السَّيف"[1].

ويقول سيد قطب: "وفي الرَّدِّ استهزاء بالمال، واستنكار للاتِّجاه إليه في مجال غير مجاله. مجال العقيدة والدعوة: «أَتُمِدُّونَنِ بِمالٍ؟» أتقدِّمون لي هذا العرض التَّافه الرَّخيص؟ «فَما آتانِيَ اللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا آتاكُمْ» لقد آتاني من المال خيرا مما لديكم.

ولقد آتاني ما هو خير من المال على الإطلاق: العلم والنُّبوَّة، وتسخير الجنِّ والطَّير، فما عاد شيء من عرض الأرض يُفرحني «بَلْ أَنْتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ». وتهشُّون[2] لهذا النَّوع من القيم الرَّخيصة التي تعني أهل الأرض، الذين لا يتَّصلون بالله "[3].

ب- ـــ طرد سفير الملكة: ويعتبر طرد السَّفير أو مبعوث دولة مَّا هو إهانة لدولة ذلك السَّفير، وهذا ما سيزيد حتمًا من توتُّر العلاقات بين البلدين، كما يعني أنَّ المرحلة وصلت إلى طريق الانسداد، وأنَّ قنوات التَّواصل والحوار مغلقة فلم يبق إلا الانتقال إلى مرحلة استخدام القوَّة، وهو عين ما حدث بين المملكتين، حيث إنَّ سيدنا سليمان عليه السلام لما طرد مبعوث الملكة، حمّله أيضًا رسالة التَّهديد باستعمال القوَّة المفرطة في جانبهم، وعن هذا يخبرنا

---

1 ـــ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، مصدر سابق، ج6، ص172.

2 ـــ (هَشَّ) بِهِ يَهَشُّ بالفَتْحِ (هَشَاشَة) إذا خَفَّ إِلَيْهِ وَارْتَاحَ لهُ. [الرازي، مختار الصحاح، مصدر سابق، ج1، ص326، مادة: هَشَشَ].

3 ـــ سيد قطب، في ظلال القرآن، مصدر سابق، ج5، ص2640.

تعالى بقوله: ﴿ ٱرۡجِعۡ إِلَيۡهِمۡ فَلَنَأۡتِيَنَّهُمۡ بِجُنُودٖ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخۡرِجَنَّهُم مِّنۡهَآ أَذِلَّةٗ وَهُمۡ صَٰغِرُونَ ٣٧ ﴾ [النمل: 37].

يقول الشَّعراوي: "وهكذا دخلت المسألة في طَوْر المواجهة؛ لأنَّ كلامنا كلامُ النُّبوَّة التي لا تقبل المساومة، لا كلام الملك الذي يسعى لحطام الدُّنيا" [1].

ت- توعَّدهم بإرسال جنود لا يقدرون مقابلتهم: ﴿ فَلَنَأۡتِيَنَّهُمۡ بِجُنُودٖ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا ﴾ [النمل: 37] " أي: فوالله لنأتينَّهم بِجُنُودٍ لا قِبَلَ لَهُمْ بِها. أي: لا طاقة لهم بمقاومتها، ولا قدرة لهم على مقابلتها" [2].

ث- تهدَّدهم بإخراجهم من بلدهم أذلَّة وهم صاغرون: ﴿ وَلَنُخۡرِجَنَّهُم مِّنۡهَآ أَذِلَّةٗ وَهُمۡ صَٰغِرُونَ ٣٧ ﴾ [النمل: 37]، " أي: ووالله لنخرجنَّ هذه الملكة وقومها من بلاد سبأ، حالة كونهم أذلَّة، وحالة كونهم مهزومين مقهورين، بعد أن كانوا في عزَّة وقوَّة"[3].

وقد أكَّد سليمان عليه السلام هذا التَّهديد والوعيد بلام القسم، والنُّون الثَّقيلة مرَّتين، وذلك في قوله:" فَلَنَأۡتِيَنَّهُمۡ " و"وَلَنُخۡرِجَنَّهُمۡ" وهذا ليُعلِم الملكة وحاشيتها أنَّ الأمر ليس بالهزل، وأنَّ العقيدة لا تقبل المساومات، والمفاوضات، والتَّنازلات، وأنَّ مقولتها: ﴿ قَالَتۡ إِنَّ ٱلۡمُلُوكَ إِذَا دَخَلُواْ قَرۡيَةً أَفۡسَدُوهَا وَجَعَلُوٓاْ أَعِزَّةَ أَهۡلِهَآ أَذِلَّةٗۖ وَكَذَٰلِكَ يَفۡعَلُونَ ٣٤ ﴾ [النمل: 34] قد جاء يوم تنفيذها.

4) ــ المرحلة الرابعة: مرحلة انحسار الأزمة ونهايتها:

وهي مرحلة استسلام الملكة وخنوعها وخضوعها، حيث تخلَّت عن مبادئها التي ورثتها من آبائها، وتحلَّت بمبادئ جديدة حرّرتها من عبادة المخلوقات إلى عبادة ربِّ المخلوقات.

---

1 ــ الشعراوي، خواطر الشعراوي، مصدر سابق، ج17، ص10782.

2 ــ الألوسي، روح المعاني، مصدر سابق، ج10، ص195.

3 ــ طنطاوي، التفسير الوسيط، مصدر سابق، ج10، ص324.

ومن المظاهر الدَّالة على انحسار الأزمة ما يأتي:

أ- خروج ملكة سبأ من موطنها وقصدها مملكة سليمان عليه السلام لإعلان استسلامها لله رب العالمين ﴿قَبْلَ أَن يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ﴿٣٨﴾﴾ [النمل: 38].

ب- طلب سليمان عليه السلام من ملئه بأن يأتوا بعرش الملكة قبل أن تصل إليه، وحدَّد زمن الإتيان بهذا العرش ﴿قَبْلَ أَن يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ﴿٣٨﴾﴾ [النمل: 38]، وقصد الإتيان بالعرش بالذَّات دون غيره، زيادة في إخضاعها واستسلامها لربِّ سليمان عليه السلام؛ لأنَّ العرش علامة الملك والقوَّة والغلبة... فإذا رأت الملكة عرشها حاضرًا خضعت، وأذعنت للحقِّ، وأدركت أنَّ القوَّة التي يمتلكها سليمان عليه السلام إنَّما هي قوَّة غيبيَّة إلهيَّة. وهذا الفعل من سليمان عليه السلام يعرف عند أهل إدارة الأزمات بـــ: مرحلة سلب وابتزاز الطَّرف الآخر.

والإمام الرَّازي يبيِّن غرض سليمان عليه السلام من إحضار ذلك العرش قائلًا:

- ـــ أنَّ المراد أن يكون ذلك دلالة للملكة على قدرة الله تعالى، وعلى نبوَّة سليمان عليه السلام.
- ـــ أراد أن يُؤتى بذلك العرش فيغيِّر وينكِّر فيه، ثم يُعرض عليها لينظر أتعرفه أو تنكره، والمقصود بهذا اختبار عقلها.
- ـــ أنَّ العرش سرير المملكة، فأراد أن يعرف مقدار مملكتها قبل وصولها إليه[1].

ت- إعداد سليمان عليه السلام مفاجآت خارقة ليتمَّ عرضها على الملكة حتَّى إذا رأتها علمت أنَّها معجزة إلهية، وليس ذلك من قدرة البشر، فتعلن بذلك إسلامها، لتنتهي الأزمة بينهما سِلميًّا وبشكل دائم، وهذه الطَّريقة تدعى بطريقة احتواء الأزمة.

---

1 ـــ ينظر: الرازي، مفاتيح الغيب، مصدر سابق، ج24، ص556.

ومن هذه المفاجآت ما جاء في قوله تعالى: ﴿ قِيلَ لَهَا ٱدۡخُلِي ٱلصَّرۡحَۖ فَلَمَّا رَأَتۡهُ حَسِبَتۡهُ لُجَّةٗ وَكَشَفَتۡ عَن سَاقَيۡهَاۚ قَالَ إِنَّهُۥ صَرۡحٞ مُّمَرَّدٞ مِّن قَوَارِيرَۗ قَالَتۡ رَبِّ إِنِّي ظَلَمۡتُ نَفۡسِي وَأَسۡلَمۡتُ مَعَ سُلَيۡمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٤٤﴾ ﴾ [النمل: 44].

يقول عبد الكريم الخطيب: "والصَّرح هو البناء العالي المزخرف، وسمِّي بذلك لأنَّه صريح خالص من الشَّوائب والعيوب.. والممرَّد: الأملس، ومنه الأمرد، وهو الذي لم ينبت شعر عارضيه..

إنَّ هذا الصَّرح الذي دعاها سليمان إلى دخوله، والذي حسبته- لصفائه ونقاء جوهره- لجَّة ماء رَقْراق، هذا الصَّرح لا يمكن أن يقوم بيد بشريَّة، ولا يمكن أن يكون من صنع بشر.. إنَّه من قوَّة فوق قوَّة الإنسان، ومن تدبير فوق تدبيره.. وإذا فهي أمام معجزة قاهرة.. لا يستطيع العقل السَّليم إلا أن يسلِّم بها..وإذا فلا بدَّ من التَّسليم.. وقد سلّمت.."[1].

1 ــ الخطيب عبد الكريم، التفسير القرآني للقرآن، مصدر سابق، ج10، ص248.

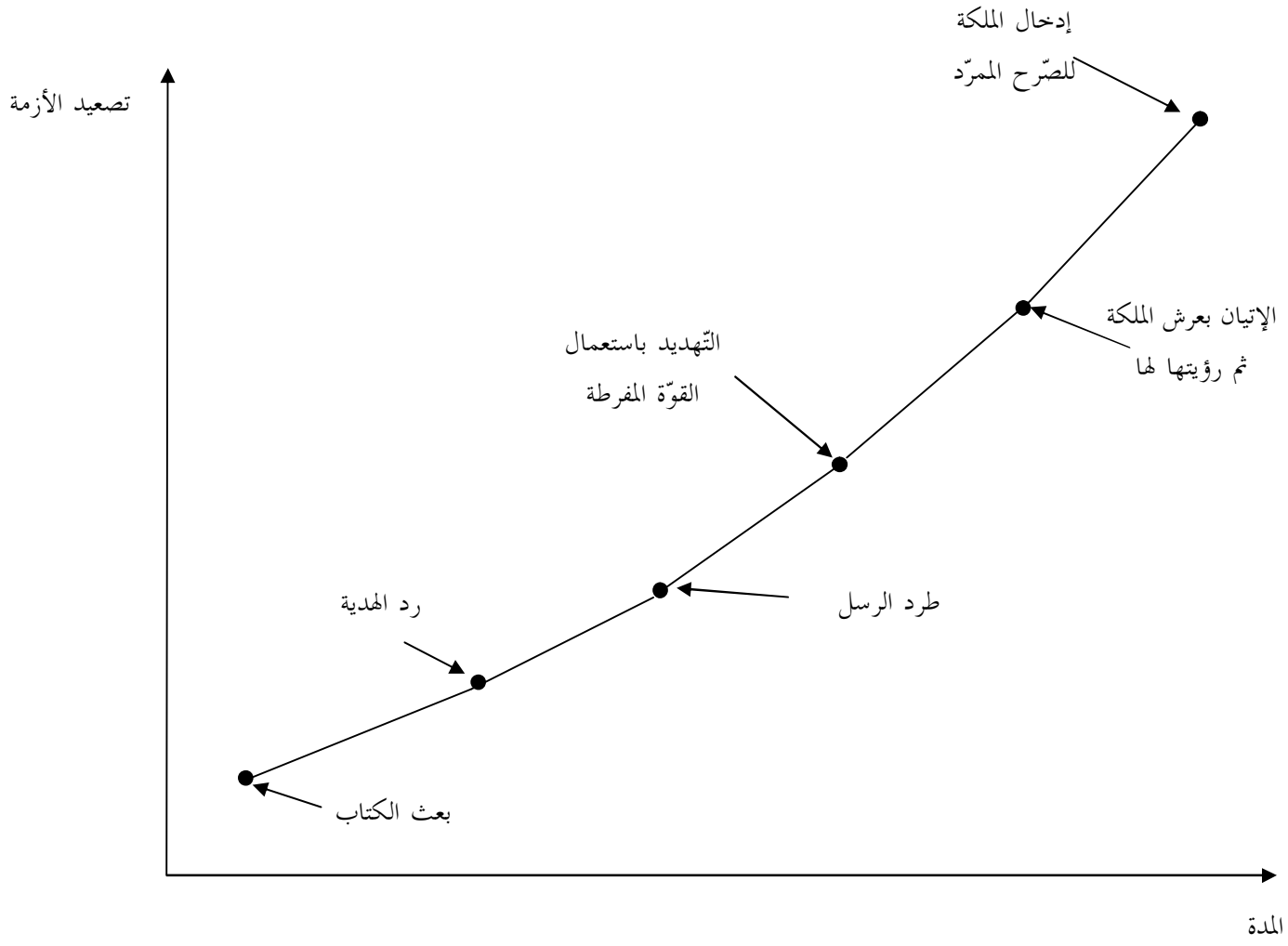

منحنى يبين طريقة سليمان عليه السلام في تصعيده للأزمة على ملكة سبأ لأجل إخضاعها للاستسلام لربِّ العالمين

المطلب الثاني: خطوات إدارة الأزمة.

يتطلَّب إدارة الأزمات الدّولية كفاءات عالية، وخبرات ميدانيَّة واسعة، وإجراءات حكيمة، وذلك قصد السَّيطرة على الأحداث وتطوُّراتها، وتفادي تطوُّر المواقف إلى نزاع مسلَّح مباشر.

ومن هنا فإنَّ خطوات إدارة الأزمات الدَّولية تعني: "كيفيَّة التَّعامل والتَّغلُّب على الأزمة بالأدوات العلميَّة المختلفة، وتجنُّب سلبياتها، والاستفادة منها مستقبلًا"[1].

وبالتَّالي فإنَّ الغرض الأساسي لإدارة الأزمات الدّولية، هو تجنّب وصول كِلتا الدَّولتين إلى مرحلة الصِّراع المسلَّح؛ فإذا وقعت الحرب بينهما فهو إيذان بفشل الإدارة في تحقيق أهدافها.

وفيما يأتي بيان ما انتهجه سليمان عليه السلام من إدارته للأزمة السِّياسية الواقعة بينه وبين ملكة سبأ:

1- التَّوظيف الإعلامي في إدارة الأزمة:

لا يمكن لإدارة الأزمات الدّولية أن يُكتب لها النَّجاح من دون توظيف إعلامي هادف، ومن هنا فإنَّ سليمان عليه السلام بدأ أوَّل خطوة عملية في إدارة الأزمة بينه وبين ملكة سبأ بعنصر الإعلام، الذي هدَفَ عليه السلام من خلاله إلى إيصال رسالة إعلامية إلى ملكة سبأ بشكل سريع، مبيِّنا فيها مطالبه للملكة بشكل واضح ومركَّز، وقبل ذلك أخذ سليمان عليه السلام معلومات كافية ووافية عن ملكة سبأ.

يقول الدليمي: "إنَّ الإعلام من العناصر الثَّابتة، والملحوظة في استراتيجية إدارة الأزمات الدَّولية، ولا سيما في مرحلة الحرب الباردة، وذلك لما يمتلكه الإعلام من دور في تطويع المتغيِّرات، والقوى في التَّعامل الدّولي... وعلى هذا فإنَّ تأثيره، وخطورته لا تقل أهميَّة عن بقيَّة أدوات إدارة الأزمة الأخرى، ولهذا شاع استخدام وسائل الإعلام في إدارة الأزمات بدلا من استخدام القوَّة، فضلاً عن كونها وسيلة تخفي خلفها أدوات إدارة الأزمة الأخرى.

---

1 ــ الشافعي محمد،، إدارة الأزمات، ط1، مركز المحروسة للبحوث والتعريب والنشر،1999م، ص:10.

ومن هنا تنبع أهمية التَّحركات الإعلامية في إدارة الأزمات الدّولية بوصفها العمليَّات ذات الصِّلة بالغزو الفكري الهادف إلى خلق قناعة منطقيَّة داخليًّا أو خارجيًّا بدعوى معيَّنة أو قضيَّة جوهريَّة..."[1].

فسليمان عليه السلام كان يهدف من هذه الأزمة دعوة ملكة سبأ إلى الإسلام بالطُّرق السِّلمية دون تفكير بالدُّخول معها في استعمال القوَّة، وهذا ملاحظ من خلال البرقيَّة التي أبْرقها إليها ﴿ إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَّا تَعْلُوا۟ عَلَىَّ وَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣١﴾ ﴾ [النمل: 30 –31]، حيث تضمَّنت ما يأتي:

أ- مضمون الكتاب كلُّه كريم، وهذا الوصف جاء من الملكة نفسها حيث وصفت الكتاب المُرسَل إليها بأنَّه كريم، ولم تصفه بالكتاب الخطير، أو الحقير، يقول تعالى على لسانها: ﴿ قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ إِنِّىٓ أُلْقِىَ إِلَىَّ كِتَٰبٌ كَرِيمٌ ﴿٢٩﴾ ﴾ [النمل: 29].

يقول الشَّوكاني: "وصفت الكتاب بالكريم، لكونه من عند عظيم في نفسها، فعظَّمته إجلالًا لسليمان، وقيل: وصفته بذلك لاشتماله على كلام حسن، وقيل: وصفته بذلك لكونه وصل إليها مختومًا بخاتم سليمان، وكرامة الكتاب ختمه" [2].

ب- اهتمَّ الكتاب بتعظيم الله حيث جاء مفتتحًا بذكره عزوجل، "وهو استفتاح شريفٌ بارع فيه إعلان الرُّبوبيَّة لله ثمَّ الدَّعوة إلى توحيد الله والانقياد لأمره"[3].

ت- توخَّى فيه الاقتصار على الهدف الرَّئيسي، وهو دعوتها إلى وحدانية لله عزوجل، ونبذ عبادة الشَّمس.

---

1 ــ الدليمي عبد الرزاق، الإعلام وإدارة الأزمات، مرجع سابق، ص200.

2 ــ الشوكاني، فتح القدير، مصدر سابق، ج4، ص158.

3 ــ الصابوني، صفوة التفاسير، مصدر سابق، ج2، ص374.

فتحديد الهدف يمثل أوَّل مراحل عمليَّة صنع القرار، كما يؤثِّر في النَّتيجة النِّهائية للقرار [1].

يقول سيد قطب: "وفحوى الكتاب في غاية البساطة والقوَّة، فهو مبدوء باسم الله الرَّحمن الرَّحيم. ومطلوب فيه أمر واحد: ألَّا يستكبروا على مرسله ويستعصوا، وأن يأتوا إليه مستسلمين لله الذي يخاطبهم باسمه"[2].

ويقول الرازي: "إنّ الأنبياء عليهم السَّلام لا يطيلون بل يقتصرون على المقصود، وهذا الكتاب مشتمل على تمام المقصود" [3].

ث- تضمّن الكتاب النَّهي عن الانقياد لغير الله ﷻ اتِّباعًا للهوى أو طاعة للنَّفس.

يقول الزحيلي: في الكتاب النَّهي عن التَّرفع الذي يحجب وصول الحقِّ إلى النُّفوس، والنَّهي عن الانقياد للأهواء[4].

ج- كما اشتمل الكتاب الحثَّ على الإيمان بالقلب، والإسلام بالجوارح.

يقول الألوسي: "والمراد بالإسلام الإيمان، أي: وأتوني مؤمنين، وقيل: المراد به الانقياد، أي: ائتوني منقادين مستسلمين. والدَّعوة على الأوَّل دعوة النُّبوة، وعلى الثَّاني دعوة الملك واللَّائق بشأنه عليه السلام هو الأوَّل" [5].

ح- إخفاء القوَّة العسكرية في خطابه رغم امتلاكه لها من بابها الواسع، فلم يصرِّح عليه السلام بقوَّته في الخطاب بل أسرَّها حتَّ لا يكون دخول الملكة في الإسلام تحت قوَّة السَّيف، ومن جهة أخرى أراد عليه السلام من هذا الإخفاء إلقاء الذُّعر والخوف في نفسيَّة الملكة لعدم علمها بما يمتلكه سليمان عليه السلام من قوَّة، فلا تزال تهابه، وتخشى ردَّة فعله، وتحسب له ألف حساب.

---

1 ــ ينظر: الخزرجي، العلاقات السياسية الدولية، مرجع سابق، ص369.

2 ــ سيد قطب، في ظلال القرآن، مصدر سابق، ج5، ص ص: 2639 ــ 2640.

3 ــ الرازي، مفاتيح الغيب، مصدر سابق، ج24، ص554.

4 ــ ينظر: الزحيلي، التفسير المنير، مصدر سابق، ج19، ص292.

5 ــ الألوسي، روح المعاني، مصدر سابق، ج10، ص191.

ومن هنا نخلص إلى ما خلص إليه المراغي حيث قال: "ونصُّ هذا الكتاب على وجازته يدل على أمور:

- ـــ إنَّه مشتمل على إثبات الإله ووحدانيته وقدرته وكونه رحمانًا رحيمًا.
- ـــ نهيهم عن اتِّباع أهوائهم، ووجوب اتِّباعهم للحقِّ.
- ـــ أمرهم بالمجيء إليه منقادين خاضعين.

وبهذا يكون الكتاب قد جمع كل ما لا بدَّ منه في الدِّين والدُّنيا"[1].

2- انتهاج عمليَّة الاختراق لغرض السَّيطرة على الخصم:

يرى علماء إدارة الأزمات أنَّ ممارسة عمليَّة الاختراق من طرف أصحاب القرار ضدَّ خصومهم تعدُّ أهمَّ مرحلة للسَّيطرة عليهم، ذلك لأنَّ الأزمة تمثِّل لغزًا، أو صندوقًا مغلقًا لا يُعرف ما بداخله، ومن ثمَّ فإنَّ أيَّ قرار قد يُتَّخذ بشأنها سوف يحمل نسبة مرتفعة من عدم التَّأكد، ومن ثم تكون احتمالات نجاحه محدودة.

ومن هنا يتعيَّن أن يتمَّ اختراق هذه الجدران للنَّفاذ وراءها لمعرفة كُنْه الأزمة ومضمونها، فعمليَّة الاختراق تساعد على فكِّ الرُّموز، ومعرفة ما بداخل صندوق الألغاز.

كما أنّ عملية الاختراق تجتاز حصن الأزمة من خلال أضعف ركن في جدار الأزمة.

وتكمن أهميَّة استخدام عملية الاختراق في جانبين أساسين هما:

أ- عمليَّة البحث: وتهتمُّ هذه العمليَّة ببحث موضوع الأزمة، والتَّعرف على عناصرها، وأسبابها، والعوامل المؤثِّرة في إيجادها، والارتباطات والعلاقات بين عناصرها، والعناصر الخارجيَّة، ومن ثمَّ يصل متَّخذ القرار إلى تشخيص واقعي للأزمة، وتصوُّر شامل لأبعادها.

ب- عمليَّة التَّقييم: وتعني عمليَّة التقييم، قيام متَّخذ القرار بالحكم على الأزمة بطريقة شاملة، ومعرفة جوانبها السَّلبية والإيجابية، وتحديد دقيق لمن يعمل في حلِّ الأزمة [1].

---

1 ـــ المراغي، تفسير المراغي، مصدر سابق، ج19، ص135.

فمن خلال هذه الإيضاحات نخلص إلى أنَّ سليمان عليه السلام مارس عمليَّة اختراق كاملة ضدّ ملكة سبأ وبكلِّ احترافيَّة، وهذا وِفق ما أشارت إليه الآية الكريمة: ﴿ ٱذْهَب بِّكِتَٰبِى هَٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَٱنظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ إِنِّىٓ أُلْقِىَ إِلَىَّ كِتَٰبٌ كَرِيمٌ ﴿٢٩﴾ ﴾ [النمل: 28 – 29]، وفيما يأتي بيان خطوات عمليَّة الاختراق:

أ- اختراق الهدهد لقصر الملكة من أضعف نقطة منه، رغم الإحاطة الشَّديدة للقصر من كلِّ جوانبه ونواحيه بالحرّاس والحجّاب والبوَّابين، وهذا ما أوحته لنا كلمة: ﴿ فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ﴾.

يقول البيضاوي: ودخل الهدهد على الملكة وكانت مستلقية في بيت مغلقة الأبواب، وألقاه الكتاب على نحرها بحيث لم تشعر به [2].

ب- إلقاء كتاب سليمان عليه السلام على الملكة دون معرفتها بالمُلقي: ﴿ قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ إِنِّىٓ أُلْقِىَ إِلَىَّ كِتَٰبٌ كَرِيمٌ ﴿٢٩﴾ ﴾ [النمل: 29].

وفي مدلول كلمة "ألقي إليَّ" تصريح واعتراف من الملكة بعمليَّة اختراقها.

يقول عبد الكريم الخطيب: "وفي هذا التَّجهيل للمصدر الذي جاء بالكتاب، ما فيه من إيحاءات كثيرة بأنَّها الملكة السَّاهرة على رعيَّتها، الحافظة لأمن دولتها، وأنَّها تملك من القوى الخفيَّة التي لا يراها قومها- ما يعينها على ضبط أمورها وحياطة شعبها... وهكذا يضفى على الملكة بهذه الحركة البليغة البارعة، جلال فوق جلالها، وروعة فوق روعة سلطانها..." [3].

ت- قيام الهدهد بعملية استخباراتية على الملكة وذلك لتحقيق عمليَّتي البحث والتّحقيق، والتي تتضمَّن معرفة ردَّة فعل الملكة تجاه الكتاب الملقى عليها، ومعرفة مواطن الضُّعف والقوَّة فيها، والإحاطة أكثر بكل مجريات ما يُخطَّط ويُناقش على

---

1 ــ فاروق السيد عثمان، التفاوض وإدارة الأزمات، ط1، دار الأمين، الجيزة، القاهرة، 2004م، ص ص: 136 ــ 137. وينظر: الخضيري محسن أحمد، إدارة الأزمات، مصدر سابق، ص ص: 318 ــ 321.

2 ــ ينظر: البيضاوي، أنوار التنزيل، مصدر سابق، ج4، ص159.

3 ــ الخطيب عبد الكريم، التفسير القرآني للقرآن، مصدر سابق، ج10، ص240.

طاولة الحكم... وهذا ما أفاده لنا حرف "ثمّ" الذي يدل على التَّراخي وقضاء مدَّة ليست باليسيرة يتمُّ فيها جمع المعلومات، والتقاط التَّحركات، وتسجيل الأحداث في ذاكرة الهدهد ليتمَّ نقلها إلى سليمان عليه السلام.

يقول الرازي: "ثم تولَّ عنهم أي: تنحَّ عنهم إلى مكان قريب تتوارى فيه ليكون ما يقولونه بمسمع منك"[1].

ويقول طنطاوي: " ثمَّ انصرف عنهم إلى مكان قريب منهم، فَانْظُرْ ماذا يَرْجِعُونَ أي: فتأمَّل ماذا يقول بعضهم لبعض، وبماذا يراجع بعضهم بعضًا، ثم أخبرني بذلك" [2].

ث- وفي الأخير إيصال كلِّ هذه التَّقارير المفصَّلة عن الملكة إلى الملك سليمان عليه السلام.

يقول تعالى: ﴿ قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَؤُا إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ ﴿٢٩﴾ ﴾ [النمل: 29].

يقول الألوسي: " قالَتْ أي: بعد ما ذهب الهدهد بالكتاب فألقاه إليهم وتنحَّى عنهم حسبما أمر به، وإنَّما طوى ذكره إيذانًا بكمال مسارعته إلى إقامة ما أمر به من الخدمة، وإشعارًا بالاستغناء عن التَّصريح به لغاية ظهوره" [3].

رسم يبين عمليَّة الاختراق:

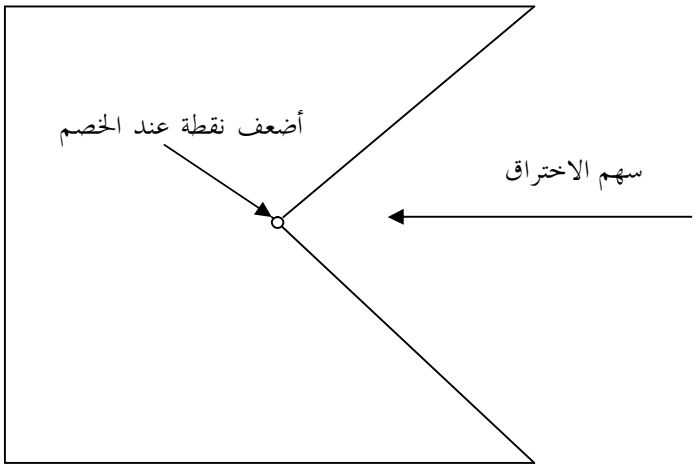

1 ــ الرازي، مفاتيح الغيب، مصدر سابق، ج24، ص554.
2 ــ طنطاوي، التفسير الوسيط، مصدر سابق، ج10، ص321.
3 ــ الألوسي، روح المعاني، مصدر سابق، ج10، ص189.

3- استخدام الحرب النَّفسيَّة:

تعدُّ الحرب النَّفسيَّة أو ما يسمَّى بحرب الأعصاب أداة فعَّالة من أدوات إدارة الأزمات، إذ يعمدُ مفتعلها إلى تحطيم المعنويات الدَّاخلية لخصمه، فيحبط من عزائمه، ويُفقده الثِّقة بنفسه، فيصير بذلك مهزومًا من داخله، كما يزرع في نفسيَّة الخصم الخوف والذُّعر واليأس والقنوط...

تقول سميسم: "وتهدف الحرب النَّفسية إلى التَّأثير على سلوك العدوِّ أو الخصم، بشكل يتجاوز التَّأثير المباشر للوسائل الجسمانية، لذا فإنَّ تطبيقها يتمُّ في أوضاع عديدة ومتنوِّعة، ومستويات مختلفة" [1].

ويقول عبد الكريم الخطيب: "وليست الحرب النَّفسيَّة سلاحًا يتحصَّن به المحاربون، ضدَّ عوامل الوهن والضُّعف، التي تدخل عليهم في ميدان القتال، وإنَّما هي سلاح أيضًا يستخدمه المحاربون في التّدسُّس إلى عدوّهم، وإشاعة الرُّعب فى نفوسهم، وإشعال نار الفتن بينهم.. وذلك مجال فسيح للعمل والتَّدبير، يحتاج إلى العقل الذَّكي، والبصيرة النَّافذة، والنَّظر المتفحِّص، وإلا ارتدَّ هذا السِّلاح إلى اليد التي تضرب به.. ذلك أنَّ المعركة هنا هي معركة داخل النَّفس البشريَّة، التي لا ساحل لها، ولا نهاية لأعماقها، والتي هي دائمًا في معرض التَّقلُّب والتَّحوُّل، وفي معاناة المدّ والجزر.. فمن جاءها على حال غير مواتية لها، غير جارية مع الرِّيح التي تجرى فيها، لم يبلغ منها شيئًا، بل ربما انقلبت حربًا عليه"[2].

ولأهمية الحرب النَّفسيَّة وفاعليَّتها فإنَّ سليمان عليه السلام لجأ إليها أثناء إدارته للأزمة الواقعة بينه وبين ملكة سبأ، والتي كانت السَّبب الرَّئيس في استسلام الملكة وخضوعها لله ربِّ العالمين، وذلك لِما رأت من عزَّة وقوَّة في شخصيَّة سليمان عليه السلام في مقابل ذلك ما كانت تجده في نفسها من انهزام وانكسار وإحباط نفسي...

ومن مظاهر الحرب النَّفسيَّة التي شنَّها سليمان عليه السلام على ملكة سبأ ما يأتي:

---

1 ــ سميسم حميدة، الحرب النفسية، ط1، الدار الثقافية، القاهرة، 2005م، ص 12.

2 ــ الخطيب عبد الكريم، التفسير القرآني للقرآن، مصدر سابق، ج13، ص379.

أ- طريقة إلقاء الكتاب، وعدم العلم بالمُلقي: فقد شكّل هذان الأسلوبان لدى الملكة صدمة نفسيَّة، والسَّبب راجع في ذلك إلى أنَّ هذا الأسلوب غير معهود في مخاطبة الملوك والعظماء؛ إذ الأصل أن يمرَّ الكتاب مع ناقله عبر قنوات معروفة ليصل إلى المعني، أمّا أن يجتاز الكتاب كلَّ هذه الأعراف والخطوات ثم يلقى إلقاءً، فهذا أمر لا بدَّ أن يترك أثرًا عميقًا في نفسيَّة الملكة، علاوة على ذلك جهلها بملقي الكتاب.

وأتخيَّل أنَّ الملكة ألقت أسئلة كثيرة بحجم الكتاب الملقى عليها، فمن تلك الأسئلة: من أين دخل المُلقي؟ وكيف دخل؟ وفي أيِّ وقت دخل؟ فهذه المرَّة دخل بالكتاب فلربَّما في المرَّة القادمة سيدخل عليَّ بالسَّيف؟ وأين دور الحرَّاس والبوّاب والحجّاب؟...فهذه الأسئلة وغيرها يتوجَّب على الملكة طرحها، وقد تركت أثرًا نفسيًّا عميقًا لدى الملكة، بدليل قوله تعالى: ﴿ قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَؤُا إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ ﴿٢٩﴾ ﴾ [النمل: 29]. فكلمة "ألقي" وردت بصيغة المجهول، أمَّا حرف "إنِّي" فيدل على التَّوكيد، أما قولها: "إليّ" فيدلُّ على اختصاصها بالإلقاء دون غيرها، وهذا كلُّه يدلُّ على أنَّها لا تعلم من ألقى إليها الكتاب؟ ولا كيف أُلقي؟

يقول سيد قطب: وهذا يجعلنا نرجِّح أنَّها لم تعلم كيف ألقي إليها، ولا من ألقاه[1].

ب- رد الهدية:

أرادت ملكة سبأ أن تختبر سليمان عليه السلام في موقفه، وأن ترطِّب أجواء الأزمة بينهما، فجمعت بذلك مستشاريها معلنة لهم وبكلِّ توكيد أنَّها مرسلة بهديَّة عظيمة تليق بمقام الملوك، يقول تعالى: ﴿ وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [النمل: 35]، والهديَّة بالطَّبع تُلين القلب، وتُعلن الودَّ، وتُضعف من حدَّة الأزمة، وقد تفلح في دفع القتال، وذلك مصداقًا لقول النَّبي ﷺ: «تَهَادَوْا، فَإِنَّ الْهَدِيَّةَ تُذْهِبُ وَغَرَ الصَّدْرِ» [2].

---

1 ــ ينظر: سيد قطب، في ظلال القرآن، مصدر سابق، ج5، ص2639.

2 ــ أحمد، مسند الإمام أحمد، مسند أبي هريرة رضي الله عنه، ج15، ص141، رقم الحديث: 9250. قال الزيلعي: "رواه أحمد في مسنده، قال ابن القطان في كتابه: وأبو معشر هذا مختلف فيه، فمنهم من يضعفه، ومنهم من يوثقه،

ولكن كلَّ هذه الجهود الجبَّارة التي بذلتها الملكة من جمع ملئها، واقتناءٍ للهديَّة النّفيسة، وبعث الرُّسل بها إلى سليمان عليه السلام من أجل استرضائه، وكسب ودِّه.. أقول كلُّ هذا وغيره قوبل من سليمان عليه السلام بـــ: الرَّفض القاطع لقبول الهدية، مع الاستهزاء بها!!. حيث يقول تعالى: ﴿ فَلَمَّا جَآءَ سُلَيۡمَٰنَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٖ فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ خَيۡرٞ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُم بَلۡ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمۡ تَفۡرَحُونَ ٣٦ ﴾ [النمل: 36]. وهذا الرَّدُّ من سليمان عليه السلام شكّل صدمة نفسيَّة كبيرة لدى ملكة سبأ، حيث اعتبرت أنَّ رأيها، وملأها، وهديَّتها، ورسلها...كلُّهم في مهبِّ الرِّيح.

يقول أبو زهرة: فلمَّا جاء وفد ملكة سبأ، وقابل سليمان، ومعه الهدية التي أرسلتها الملكة، خاطب نبي اللَّه وملك الأرض الوفد مستحقرًا الهديَّة، ومستهينًا بتفكير مرسليها (أَتمِدُّونَنِ بِمَالٍ)، أي: أتجعلون المدَدَ الواصل بيني وبينكم مالًا، والمال هيِّن عليَّ، وهو عندي بل عندي ما هو خير منه، (فَمَا آتَانِيَ اللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا آتَاكُمْ) آتاني الملك العظيم القويَّ، وآتاني العلم بكلِّ شيء، ومن شؤون الدُّنيا آتاني علم منطق الطير والأحياء، وآتاني من كلِّ شيء، (بَلْ أَنتم بِهَدِيَّتِكمْ تَفْرَحُونَ)، بل للإضراب الانتقال وردٍّ للهديَّة، أنتم تفرحون بهديَّتكم، ولا تفرحون بغيرها، لأنَّكم ماديِّون، لَا تفرحون إلا بالمادَّة وما يتَّصل بها من أمثالها [1].

ويقول سيد قطب: "وفي الرَّدِّ استهزاء بالمال، واستنكار للإتِّجاه إليه في مجال غير مجاله. مجال العقيدة والدعوة: «أَتُمِدُّونَنِ بِمالٍ؟» أتقدمون لي هذا العرض التَّافه الرَّخيص؟ «فَما آتانِيَ اللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا آتاكُمْ» لقد آتاني من المال خيرا مما لديكم...

ويسدل السِّتار على هذا المشهد العنيف وينصرف الرُّسل، ويدعهم السِّياق لا يشير إليهم بكلمة كأنَّما قضي الأمر، وانتهى الكلام في هذا الشَّأن" [2].

فهذا التَّصرُّف من نَّبيِّ الله سليمان عليه السلام أراد أن يبعث برسالة قويَّة إلى الملكة، لتترك أثرا نفسيًّا عميقًا في داخلها، مفاد هذه الرِّسالة أنَّ سليمان عليه السلام قد سدَّ جميع أبواب المفاوضات، والمساومات، والتَّنازلات في وجه الملكة. وأبقى على باب وحيد مفتوح وهو:

فالحديث من أجله حسن، انتهى. [الزيلعي عبد الله بن يوسف، نصب الراية لأحاديث الهداية، تح: محمد عوامة، ط1، مؤسسة الريان، بيروت، 1997م، ج4، ص121].

1 ــ ينظر: أبو زهرة، زهرة التفاسير، مصدر سابق، ج10، ص5453.

2 ــ سيد قطب، في ظلال القرآن، مصدر سابق، ج5، ص2640.

أن يأتوه مسلمين، خلافَ ذلك فإنَّه لا يُجدي معه نفعًا؛ ولو أمدَّت سليمان ملء الأرض ذهبًا.

ت- طرد رسل الملكة:

وهذه صدمة نفسية عنيفة تضاف إلى سابقاتها، لكن هذه المرَّة بشكل أوسع؛ لأنَّ فيها إهانة للملكة ولوفدها. يقول تعالى: ﴿ بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ ﴿٣٦﴾ ارْجِعْ إِلَيْهِمْ ﴾ [النمل: 36 –37]. "وخاطب المفرد هاهنا بعد خطابه للجماعة فيما قبل، إمَّا لأنَّ الذي سيرجع هو الرَّسول فقط، أو خصَّ أمير الرُّسل بالخطاب هنا، وخاطبهم معه فيما سبق افتنانًا في الكلام"[1].

يقول ابن كثير: "فلمَّا رجعت إليها رسلها بهديَّتها وبما قال سليمان سمعت وأطاعت هي وقومها، وأقبلت تسير إليه في جنودها خاضعة ذليلة، معظِّمة لسليمان ناوية متابعته في الإسلام" [2].

ث- تهديد سليمان عليه السلام لرُسُل ملكة سبأ: وذلك بقوله لهم: ﴿ ارْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾ [النمل: 37].

فهديَّة الملكة، والرُّسل الذين جاءوا بالهديَّة إلى سليمان عليه السلام قوبلوا برفض هديَّتهم وبطردهم، زيادة على ذلك تحميلهم لرسالة تهديد باستعمال القوَّة المفرطة في حقِّهم؛ فهذا لعمري شكّل لهم صدمة نفسيَّة عنيفة، اهارت بها جميع قواهم، وتبخَّرت بها أحلامهم التي أعلنوها لملكتهم بقولهم لها: ﴿ نَحْنُ أُولُوا قُوَّةٍ وَأُولُوا بَأْسٍ شَدِيدٍ ﴾ [النمل: 33]، فرجعوا إلى ملكتهم منكّسة رؤوسهم، وقد غشيتهم الذِّلَّة والمسكنة.

يقول عبد الكريم الخطيب: "من أساليب الحرب النفسيَّة- تخويف العدوِّ وإرهابه، بما يرى في جيش المجاهدين من أمارات القوَّة، ووسائل الغَلَب.. وشبيه بهذا ما تقوم به الأمم من عرض قوَّتها في تلك العروض العسكرية، التي تكشف بها عن بعض عدَّتها وعتادها، على حين أنَّها إذ تكشف عن بعض قوَّتها، فإنَّها تشير إلى أنَّ وراء هذا الذي أعلنته قوى كثيرة

---

1 ــ الشوكاني، فتح القدير، مصدر سابق، ج4، ص159.

2 ــ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، مصدر سابق، ج6، ص172.

خفيَّة، أشدُّ أثرًا، وأقوى فتكًا، من هذا الذي عرف النَّاس أمره، وأنَّ ذلك سرّ من أسرارها الحربيَّة، التي لا تظهر إلا عند الحرب!!.

ولهذا الجانب من الحرب النَّفسية أثر كبير في كسر شوكة العدو، وفي قتل مطامعه في النّيل من عدوه، فلا يُقدم على العدوان وهو يرى هذه القوى المهيَّأة للحرب، الرَّاصدة لكلِّ عدوٍّ.."[1].

ج- إحضار سليمان عليه السلام لعرش ملكة سبأ ثمَّ التَّنكير فيه:

لـــمَّا علم سليمان عليه السلام بخروج ملكة سبأ إليه، وأنَّها آتية إليه مذعنة طائعة، قال لملأه: ﴿ قَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَيُّكُمْ يَأْتِينِى بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣٨﴾ ﴾ [النمل: 38].

وفي إحضار العرش الذي هو رمزٌ للملك، والقوَّة، والعزَّة، والسِّيادة... لَيشكِّل صدمة نفسيَّة قويَّة لدى الملكة، مما يسبِّب لها انهزامًا نفسيًّا في داخلها، وهذا يجعلها تذعن للحقِّ الذي عند سليمان عليه السلام.

يقول طنطاوي: "ولعلَّ سليمان عليه السلام قد طلب إحضار عرشها من بلاد اليمن إلى بيت المقدس حيث مقرّ مملكته، ليطلعها على عظيم قدرة الله تعالى، وعلى ما أعطاه سبحانه له من ملك عريض، ومن نّعم جليلة، ومن قوّة خارقة، حيث سخّر له من يحضر له عرشها من مكان بعيد في زمن يسير.

ولعلَّ كل ذلك يقودها هي وقومها إلى الإيمان بالله رب العالمين.."[2].

ح- اختبار سليمان عليه السلام ملكة سبأ في عرشها:

لـــمّا وصلت ملكة سبأ إلى الأرض المقدَّسة عند سليمان عليه السلام أراها عرشها بعد التَّنكير فيه، فطُرح عليها السُّؤال المحرج: فقيل لها: أهذا العرش الذي أمامك شبيه بعرشك الذي باليمن؟؟ وهنا تصدم الملكة نفسيًّا، وتحبط داخليًّا، وهذا أمر منطقي، فالملكة تركت عرشها في اليمن وها هو يصل قبلها، فأين حرَّاس العرش باليمن؟ وكيف تمَّ تفكيكه؟ ومن الذي جاء به؟ وبأي طريقة وصل؟...

---

1 ــ الخطيب عبد الكريم، التفسير القرآني للقرآن، مصدر سابق، ج13، ص384.

2 ــ طنطاوي، التفسير الوسيط، مصدر سابق، ج10، ص325.

يقول تعالى: ﴿ فَلَمَّا جَآءَتْ قِيلَ أَهَٰكَذَا عَرْشُكِ قَالَتْ كَأَنَّهُۥ هُوَ وَأُوتِينَا ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ ﴿٤٢﴾ ﴾ [النمل: 42].

يقول سيد قطب: "إنَّها مفاجأة ضخمة لا تخطر للملكة على بال. فأين عرشها في مملكتها، وعليها أقفالها وحرَّاسها.. أين هو من بيت المقدس مقرُّ ملك سليمان؟ وكيف جيء به؟ ومن ذا الذي جاء به؟

ولكنَّ العرش عرشها مَنْ وراء هذا التَّغيير والتَّنكير! ترى تنفي أنَّه هو بناء على تلك الملابسات؟ أم تراها تقول: إنَّه هو بناء على ما تراه فيه من أمارات؟ وقد انتهت إلى جواب ذكيٍّ أريب: «قالَتْ: كَأَنَّهُ هُوَ» لا تنفي ولا تثبت، وتدلُّ على فراسة وبديهة في مواجهة المفاجأة العجيبة"[1].

خ- إدخالها للصَّرح الممرَّد من قوارير:

أمر سليمان عليه السلام الجنَّ أن تبني له قصرًا من زجاج، بحيث تكون أرضيَّته من زجاج نقيٍّ صافٍ كالبِلَّور، بحيث يرى النَّاظر ما يجرى تحته من ماء.

فلمَّا وصلت ملكة سبأ إلى مملكة سليمان استُقبلت في ذلك القصر الزُّجاجي الذي بُني على الماء، فلمَّا دخلته حسبته لصفائه ونقاء جوهره لجَّة ماء رقراق، فكانت ردَّة فعلها أن جمعت ثيابها وشمَّرتها، فكشفت عن ساقيها، وذلك ظنًّا منها أنَّها تمشي على ماء ؟.

وهنا أزال سليمان عليه السلام دهشة الملكة بقوله لها: لا داعي لتشمير الثِّياب، والكشف عن السِّيقان، لأنَّ الذي تمشين عليه إنَّما هو صرح ملس من الزُّجاج وناعم وشفَّاف، وهو مُقام على ماء.

إذا فهذه المفاجأة من سليمان عليه السلام لملكة سبأ كانت بمثابة صدمة نفسيَّة كبيرة، أقنعت الملكة " أنَّ هذا الصَّرح لا يمكن أن يقوم بيد بشرية، ولا يمكن أن يكون من صنع بشر.. إنَّه من قوَّة فوق قوَّة الإنسان، ومن تدبير فوق تدبيره.. وإذا فهي أمام معجزة

1 ــ سيد قطب، في ظلال القرآن، مصدر سابق، ج5، ص2642.

قاهرة.. لا يستطيع العقل السَّليم إلا أن يسلِّم بها..وإذا فلا بد من التَّسليم.. وقد سلّمت"[1].

فآمنت الملكة بسبب الرِّسالة الحضارية العلميَّة التي تركت في نفسها أثرًا عميقًا، بعد إعراضها في الأوّل عن الرِّسالة الخطِّية التي وصلت إليها عبر الهدهد.

4- التَّهديد باستعمال القوَّة العسكرية:

تُعَدُّ القوَّة العسكريَّة الأداة الرَّئيسيَّة لفرض الإرادة على الغير، ولكي تحقِّق دورها في إدارة الأزمات، يجب أن يكون هناك استعداداً كاملاً من جانب قائد الأزمة، مع امتلاكه للقوَّة الماديَّة، والبشريَّة، والحربيَّة ما تجعله قادرًا على التَّحكم في الأمور، والسَّيطرة على الخصم.

وقد كان سيدنا سليمان عليه السلام كذلك، إذ كان يمتلك من القوَّة العسكريَّة ما تجعله متفوِّقًا على خصمه الملكة في عدَّة مجالات، ففي جانب العدد فقوَّته لا تقتصر على القوَّة البشريَّة، بل تتعدَّى إلى أكثر من ذلك لتشمل القوَّة الجنِّيَّة والحيوانية، علاوة على ذلك امتلاكه لأنواع من العدَّة الحربيَّة سواء المستخدمة منها في المجال البرِّي [2] أو الجوِّي [3] أو البحري [4].

فقائد الأزمة قد يلجأ إلى التَّهديد باستعمال القوَّة، أو استخدامها فعلًا إذا كان توازن القوَّة في صالحه، بحيث يجد نفسه مضطرًّا إلى اختيار الممكن من بين عدَّة بدائل قد تكون صعبة وسيِّئة بناء على منطق معادلة الرِّبح والخسارة.

ومن هنا فَّإن سليمان عليه السلام رغم امتلاكه لأنواع من القوَّة الهائلة، وأنَّ توازن القوَّة في صالحه قطعًا؛ فإنَّه عليه السلام لم يوظِّفها في أزمته؛ وإنَّما لوَّح باستخدامها، وهدّد بها الملكة، فهذا هو عين التَّفوُّق في إدارة الأزمة السياسية بين دولتين لأنَّ الهدف الأساسي من إدارتها

---

1 ــ الخطيب عبد الكريم، التفسير القرآني للقرآني، مصدر سابق، ج10، ص248.

2 ــ مثال ذلك: ما كان يمتلكه عليه السلام من كثرة الخيل الصافنات الجياد.

3 ــ أما في المجال الجوي: فالطيور بألوانها وأشكالها مسخرة لخدمته، وأيضا امتلاكه لقوة الريح.

4 ــ أما في المجال البحري: فالشياطين خادمة له في مجال الغوص.

هو التَّوصل إلى حلول سليمة تُرضي الطَّرفين دون اللُّجوء إلى استعمال أيِّ شكل من أشكال القوَّة، بما في ذلك الوقوع في الحرب.

يقول تعالى: ﴿ ٱرۡجِعۡ إِلَيۡهِمۡ فَلَنَأۡتِيَنَّهُمۡ بِجُنُودٖ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخۡرِجَنَّهُم مِّنۡهَآ أَذِلَّةٗ وَهُمۡ صَٰغِرُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾ [النمل: 37].

يقول كعباش: توعَّدهم وتهدَّدهم بإرسال جنود لا يقدرون على مواجهته، وأكَّد تهديده بلام القسم ونون التَّوكيد الثَّقيلة مرَّتين وذلك في قوله: فلنأتينَّهم، ولنخرجنَّهم، وقد أشار في ردِّه هذا إلى ما ذكَّرت به الملكة قومها من فَعَلة الملوك، ليعلموا أنَّ غايته هي أن ينقادوا لدين الله، وإلَّا سيلقون جزاءهم من القتل، والأسر، والهوان [1].

5-توظيف أنواع من المهارات لأجل إخضاع الخصم:

وظَّف سليمان عليه السلام أثناء إدارته للأزمة القائمة بينه وبين ملكة سبأ أنواعًا من العلوم والمعارف مكَّنته من تحقيق هدفه من الأزمة وهو السَّعي لإدخال ملكة سبأ وقومها تحت عبودية الله عزوجل، من دون استعمال قوَّة لإكراهها في الدُّخول في الإسلام.

ومن جملة هذه العلوم التي استخدمها لأجل تلبية هذا الغرض ما يأتي:

أ- تفوُّقه في المجال الإعلامي: لم يغفل سيدنا سليمان عليه السلام عن دور الإعلام وأهميَّته في إدارة الأزمة القائمة بينه وبين ملكة سبأ، وقد أوقفنا القرآن الكريم على جوانب إعلامية استُخدمت أثناء إدارة الأزمة، فمن ذلك:

❖ــ أنَّ وسائل الإعلام والاتِّصال ساهمت بشكل فعَّال في توضيح الصُّورة العامَّة عن أحوال ملكة سبأ، وعن موقعها، وعن وصف عرشها، وعن بيان عبادتهم... وقد استخدم القرآن الكريم مفردات إعلامية مبيِّنا لنا دورها في معالجة الأزمات، فمن ذلك استخدامه لمصطلح:

---

1 ــ كعباش محمد بن إبراهيم، نفحات الرحمن في رياض القرآن، د ط، المطبعة العربية، غرداية، الجزائر، 2010م، ج10، ص 126.

- ــ أحطت: وذلك في قوله تعالى: ﴿ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾ ﴾ [النمل: 22].

والإحاطة بالشَّيء علمًا: أن يعلم من جميع جهاته لا يخفى منه معلوم، والإحاطة بالمعلومات الكثيرة ابتلاء له عليه السلام في علمه، وتنبيهًا على أنّ في أدنى خلقه، وأضعفه من أحاط علمًا بما لم يحط به، لتتحاقر إليه نفسه ويتصاغر إليه علمه، ويكون لطفًا له في ترك الإعجاب الذي هو فتنة العلماء، وأعظِم بها فتنة [1].

- ــ وجدت: وقد ورد هذا الفعل على لسان الهدهد مرَّتين وذلك في قوله تعالى: ﴿ إِنِّى وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَىْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [النمل: 23 – 24].

وفعل "وجدت" يشترك فيه الحواسّ الخمس مفترقة أو مجتمعة، فقولك: وجدت أبْلغ من قولك: رأيت أو سمعت أو لمست...وقد عبّر الهدهد بفعل وجدت لتأكيد صحَّة خبره الذي لا يحتمل الشَّكَّ، أو الظَّنَّ، بخلاف ما لو قال: سمعت، أو رأيت، فإنَّ السمع قد يكذِّب الرُّؤية أحيانًا [2].

- ــ بنبأ يقين: قال تعالى: ﴿ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾ ﴾ والنَّبأ هو: "خبر ذو فائدة عظيمة يحصل به علم أو غَلَبَة ظنّ، ولا يقال للخبر في الأصل نَبَأٌ حتَّى يتضمّن هذه الأشياء الثّلاثة"[3].

فالهدهد من خلال الآية حدَّد جهة الخبر، فأخبر عن المكان الذي يتعلَّق به الحدث الذي تمَّ تصويره في منطقة سبأ، وأعلمه أنَّ كلامه ليس افتراء أو إشاعة في الإعلام، فحصل

---

1 ــ ينظر: الزمخشري، الكشاف، مصدر سابق، ج3، ص359. وينظر: أبو السعود، إرشاد العقل السليم، مصدر سابق، ج6، ص280.

2 ــ ينظر: الخطيب فايز وضاح، الإعجاز القرآني البياني في آيات قصة سليمان عليه السلام مع ملكة سبأ، مرجع سابق، ص311.

3 ــ الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، مصدر سابق، ص ص: 788 ــ 789.

لدينا خبر موجز في منتهى الأهمِّية، مع الدِّقَّة والأمانة في نقله، وهذه قيمة إعلامية تصلح لأن تكون مقياسًا في ثقافات الشُّعوب الإعلامية [1].

❖ــ فعاليَّة الدَّور الإعلامي في ظلِّ الأزمة:

لقد وظَّف سليمان عليه السلام وسائل الإعلام المختلفة لجمع المعلومات، وذلك لغرض استخدامها في علاج أزمة عبودية الشَّمس من دون الله التي تدين بها ملكة سبأ وقومها.

يقول مناصرة: إنَّ الآية الكريمة ﴿ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾ ﴾ [النمل: 22]، ذكرت مبدأ من مبادئ الاستخبارات وهو مبدأ جمع المعلومات، حيث إنَّ الظروف التي جمعت فيها المعلومات هي ظروف حرب بدليل قوله تعالى: ﴿ وَحُشِرَ لِسُلَيْمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ [النمل:17]، نلحظ في هذه الآية تطبيق عناصر الاستخبارات التي هي:

- – إقرار مبدأ الحصول على المعلومات: إذ أقرَّ سليمان عليه السلام الهدهد ثمَّ أرسله مرة أخرى: ﴿ قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾ [النمل: 27]، ثم قال: ﴿ ٱذْهَب بِّكِتَٰبِى هَٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَٱنظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ [النمل: 28].
- – عرض المعلومات المجمعة:

قال تعالى: ﴿ إِنِّى وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَىْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [النمل: 23 – 24].

- – تقييم المعلومات المعروضة وتقرير مدى صحَّتها:

﴿ قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾ [النمل: 27].

---

1 ــ الخضر زكريا علي محمود، القيم الحضارية في قصة سيدنا سليمان عليه السلام مع ملكة سبأ، المجلة الأردنية للدراسات الإسلامية، المجلد 6، العدد 1، سنة: 2010م، ص: 97.

- – تحليل ودراسة المعلومات واستخلاص النَّتائج المفيدة منها: ﴿ فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ ۚ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ ﴾ [الأنبياء: 79].
- – إمداد المسؤولين وإطلاع القادة على المعلومات:

فالهدهد كجندي من جنود سليمان رأى أن من واجبه أن يأتي بما حصل عليه من معلومات إلى مسؤوله وهو سليمان عليه السلام: ﴿ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾ ﴾ [النمل: 22][1].

❖ــ معرفة سليمان عليه السلام بقدوم ملكة سبأ إليه:

يقول تعالى: ﴿ قَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَيُّكُمْ يَأْتِينِى بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣٨﴾ ﴾ [النمل: 38].

لقد علم سليمان عليه السلام من خلال وسائل إعلامية بأنَّ ملكة سبأ وملأها قد خرجوا إليه، وأنَّهم أرادوا الدُّخول في زمرته، فقرَّر سليمان عليه السلام أن يفاجئ الملكة عند وصولها إلى حضرته بأمر يُبرز قدرة الله الواحد الأحد، الذي يدعوها إلى الإيمان به، كما يُبرز لها ولقومها ما أكرمه الله به من تسخير قوى الطَّبيعة وطاقاتها في أقل من لمح البصر، دون جيش ولا حرب، واختار أن يكون ذلك الأمر هو نقل عرشها بالذَّات إلى تحت مملكته، قبل وفادتها عليه [2].

ب- تفوقه في المجال العسكري:

لقد ورث سليمان من أبيه داود عليهما السَّلام مختلف الصِّناعات الحربيَّة بما في ذلك الدُّروع، والألبسة الواقية من ضربات الحديد، يقول تعالى: ﴿ وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ ۖ فَهَلْ أَنتُمْ شَٰكِرُونَ ﴿٨٠﴾ ﴾ [الأنبياء: 80]. " أي: علَّم الله داود عليه السلام، صنعة الدُّروع، فهو أوَّل من صنعها وعلَّمها وسارت صناعته إلى من بعده، فَأَلَانَ الله

1 ــ ينظر: مناصرة عبد الله علي السلامة، الاستخبارات العسكرية في الإسلام، ط2، مؤسسة الرسالة، لبنان، 1991م، ص: 108.

2 ــ ينظر: الناصري محمد المكي، التيسير في أحاديث التفسير، مصدر سابق، ج4، ص430.

له الحديد، وعلَّمه كيف يسردها والفائدة فيها كبيرة، {لِتُحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ} أي: هي وقاية لكم، وحفظ عند الحرب، واشتداد البأس" [1].

ومن مظاهر تمكُّنه عليه السلام في المجال العسكري ما جمعه الله له من مختلف أنماط القوَّة الكثيرة، من قوَّة الجن، والإنس، والحيوانات، يقول تعالى: ﴿ وَحُشِرَ لِسُلَيْمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ [النمل: 17].

يقول ابن كثير: "أخبر سليمان بنعم الله عليه فيما وهبه له من الملك التَّام والتَّمكين العظيم، حتَّى إنَّه سخِّر له الإنس والجنَّ والطَّير، وكان يعرف لغة الطَّير والحيوان أيضًا، وهذا شيء لم يُعطه أحد من البشر فيما علمناه مما أخبر الله به ورسوله"[2].

ويقول أبو السعود: "وتقديم الجنِّ على الإنس في البيان للمسارعة إلى الإيذان بكمال قوَّة ملكه، وعزَّة سلطانه من أوَّل الأمر؛ لما أنَّ الجنَّ طائفة عاتية وقبيلة طاغية ماردة بعيدة من الحشر والتَّسخير. {فهم يوزعون} أي: يحبس أوائلهم على أواخرهم. أي: يوقف سلاف العسكر حتى يلحقهم التَّوالي فيكونوا مجتمعين لا يتخلَّف منهم أحد، وذلك للكثرة العظيمة" [3].

ومظاهر القوَّة الأخرى وما أكثرها كقوَّة الرِّيح، وقوَّة الصَّافنات الجياد...كلُّها داخلة في قوله تعالى: ﴿ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٦﴾ ﴾ [النمل: 16].

ت- تفوُّقه في مجال الهندسة المعمارية:

أشار القرآن الكريم إلى أنَّ ملكة سبأ استُقبلت في البلاط السُّليماني، والذي هو عبارة عن قصر زجاجي أبيض أملس، وكان بفنائه بركة فيها ماء كثير عميق، وقد غطِّيت بالزُّجاج الأبيض الصَّافي، والأسماك تسبح في مياهها كأنَّما تسبح في بحر أو نهر، بحيث يُرى الماء تحت الزُّجاج في منتهى الصَّفاء، ولا يميَّز بين الزُّجاج والماء، فلمَّا طلبوا من ملكة سبإ وُلوج تلك البركة ضمَّت أطراف ملابسها، وكشفت عن ساقيها، على عادة كل من يخوض

---

1 ــ السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، مصدر سابق، ج1، ص528.

2 ــ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، مصدر سابق، ج6، ص165.

3 ــ أبو السعود، إرشاد العقل السليم، مصدر سابق، ج6، ص277.

غمرات الماء، ظنًّا منها أنَّ البركة عارية من كلِّ غطاء، لكن سليمان عليه السلام لـــمَّا رأى منها ذلك، وأحسَّ دهشتها وحذَرَها قال لها: إنَّه صرح مصنوع من الزُّجاج الأملس الشَّفَّاف، وأنَّه من أجل ذلك يبدو الماء على غاية الصَّفاء، بالرَّغم من ذلك الغطاء، فلا تحذري ولا تخافي بللًا [1].

وإلى هذا المشهد المثير يشير قوله تعالى هنا في إيجاز وإعجاز: ﴿ قِيلَ لَهَا ٱدۡخُلِي ٱلصَّرۡحَۖ فَلَمَّا رَأَتۡهُ حَسِبَتۡهُ لُجَّةٗ وَكَشَفَتۡ عَن سَاقَيۡهَاۚ قَالَ إِنَّهُۥ صَرۡحٞ مُّمَرَّدٞ مِّن قَوَارِيرَۗ قَالَتۡ رَبِّ إِنِّي ظَلَمۡتُ نَفۡسِي وَأَسۡلَمۡتُ مَعَ سُلَيۡمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٤٤ ﴾ [النمل: 44].

يقول الخضر زكريا: فهذه الآية تظهر ملامح البنيان والعمارة العالية، والمستوى الحضاري في استخدام العناصر الطبيعيَّة... فالعلم هنا يستثمر في البناء والمدنيَّة؛ لأنَّه قيمة وأساس، لتكون المدنية ذات قيمة.

فالبناء لم يُرِدْه سليمان عليه السلام للتَّرف والبذخ [2]؛ بل أراده لإظهار نعمة الله تعالى وفضله عليه، ولِيُرِيَ ملكة سبأ جانبًا من إنعام الله تعالى عليه، كما أفاد أيضًا أنَّ سليمان عليه السلام أراد بالعمران والبناء تحقيق السَّبيل في الدَّعوة إلى الله...وقد أثمرت هذه الدعوة إلى الله عز وجل بالعلم والمعرفة وتحقيق العمران البنّاء: ﴿ قَالَتۡ رَبِّ إِنِّي ظَلَمۡتُ نَفۡسِي وَأَسۡلَمۡتُ مَعَ سُلَيۡمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٤٤ ﴾ [النمل: 44].

فمن خلال هذا التَّفوُّق العمراني فإنَّ ملكة سبأ رضي الله عنها أعلنت إسلامها، لأنَّها اكتشفت التَّباين الحضاري بين مُلكها ومُلك سليمان عليه السلام، وأنَّ حضارة سيِّدنا سليمان عليه السلام تجمع بين الرُّوح والمادَّة، وبين قوَّة الإيمان ومُنتهى التَّقدُّم، وأنَّ ما كانت عليه الملكة هو

---

1 ــ ينظر: بيوض إبراهيم بن عمر، في رحاب القرآن، المطبعة العربية، غرداية، الجزائر، 2000م، ج8، ص ص: 86 ــ 87. وينظر: الناصري محمد المكي، التيسير في أحاديث التفسير، المصدر نفسه، ج4، ص438.

2 ــ أدهش سليمان عليه السلام ملكة سبأ بالصرح الزجاجي دون غيره من الأشياء، لأن عادة الملوك يقضون أغلب أوقاتهم في القصور، كما أنهم يحبون الترف والبذخ، ولذلك ناسب بناء الصرح مع ما تهويه ملكة سبأ.

وهن حضاري لا يملك مقوِّمات البناء، فشتَّان بين حضارة ماديَّة قلقة، وحضارة إيمانية تجعل من المادَّة طريقًا إلى الحقِّ [1].

ث- تفوُّقه في مجال سرعة التَّنقُّل والحركة:

قال تعالى: ﴿ قَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَيُّكُمْ يَأْتِينِى بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ ۖ وَإِنِّى عَلَيْهِ لَقَوِىٌّ أَمِينٌ ﴿٣٩﴾ قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ۚ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ ﴿٤٠﴾ ﴾ [النمل: 38 – 40].

يمتاز هذا العصر الحديث بتقدُّمه في مجال النَّقل والمواصلات، ولهذا أُطلق عليه بعصر السُّرعة واختصار المسافة، لكن رغم كل هذا التَّقدُّم العلمي في مجال المواصلات والتَّنقُّلات فإنَّه لا زال عاجزًا أمام نقل بضاعة من مسافة تقدر بـــ 3000كلم في غضون ثوانٍ معدودة.

فسليمان عليه السلام أكرمه الله عز وجل بأن سخَّر له قوى الطَّبيعة وطاقاتها وهي تحت رهن إشارته، فحيث يطلب سليمان عليه السلام شيئًا، إلا وتتزاحم بين يديه القوى القادرة على تنفيذه فيؤتى بذلك الشَّيء في أقلّ من لمح البصر.

وهذه الآيات الكريمة التي بين أيدينا تُظهر لنا مدى ما وصل إليه سليمان عليه السلام من تمكُّن وتفوُّق في مجال تقريب البعيد، وفي أقصر وقت ممكن، فهذا من منن الله عز وجل عليه، ومن عطائه له: ﴿ هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٩﴾ ﴾ [ص: 39].

يقول المراغي: لكن سليمان رأى حين قرُبت الملكة من الوصول إليه أن يحضر سرير ملكها قبل مقْدمها، ليكون في ذلك دلالة على قدرة الله وإثبات نبوَّته وتتظاهر عليها الأدلَّة من كلِّ أوب، فسأل أعوانه: أيُّكم يستطيع أن يحضره قبل وصولها إلينا، فأجابه عفريت من الجنِّ بأنَّ في استطاعته أن يحضره قبل قيامه من مجلس الحكم والقضاء، فقال هو: بل أنا

1 ــ الخضر زكريا علي محمود، القيم الحضارية في قصة سيدنا سليمان عليه السلام مع ملكة سبأ، مرجع سابق، ص: 106.

آتيكم به كلمح البصر، وقد كان كما قال: فرأى العرش حاضرًا أمامه فشكر ربَّه على ما آتاه من النِّعم العظام الذي لا يستطيع إيفاء حقِّها من الشُّكر [1].

ما المقصود بقوله: الذي عنده علم من الكتاب؟

للإجابة عن هذا السُّؤال: أقول ليس عندنا أي خبر يقيني من الوحيَيْن يحدِّد لنا طبيعة الذي عنده علم من الكتاب، ولكنَّ المفسِّرين، والرُّواة، والقُصَّاص الذين لم يتركوا شيئا إلا وتكلَّموا فيه قد اختلفوا في تعيينه فمنهم من قال بأنَّه: جبريل أو مَلك أيَّده الله به، ومنهم من قال: بأنَّه الخضر، وبعضهم قال: هو آصف بن برخيا وهو من الإنس وكان وزير سليمان وكاتبه، ويوجد من قال بأنَّه: سليمان نفسه...

والذي يظهر للباحث من خلال التَّمعن أنَّه سليمان عليه السلام ــ والله أعلم ــ فيكون معنى الآية حينئذ أنَّ سليمان عليه السلام قال للعفريت من الجنِّ إذا كنت تعزم أنَّك تأتي بعرش الملكة قبل انقضاء هذا المجلس، فأنا آتيك به قبل أن يرتدَّ إليك طرفك، فكأنَّه استبطأ ما قاله العفريت فقال له: – على سبيل التَّحقير– أنا آتيك به قبل أن يرتدَّ إليك طرفك؛ وإنَّما لم يأْت سليمان عليه السلام بالعرش ابتداءً رغم أنَّه صاحب الحاجة، بل استفهم أوَّلًا، ثم قال ما قال، وأَتى به بطرفة عين وذلك ليتحدَّاهم بهذه المعجزة، وليبيِّن للعفريت الذي تصدَّى لدعوى القدرة على الإتيان به من بين الحاضرين أنَّه يتأتَّى له من سرعة الإتيان بالعرش ما لا يتهيَّأ للعفريت، وقد مال إلى هذا الرَّأي جماعة من المفسِّرين [2]، حيث استدلُّوا بما يأتي:

أولًا: أنَّ الموصول موضوع في اللُّغة لشخص معيَّن بمضمون الصِّلة المعلومة عند المخاطب، وهذا هو سليمان عليه السلام.

ثانيًا: إحضار العرش في تلك اللَّحظة اللَّطيفة درجة عالية فلو حصلت لأَحد من أمَّته دونه لاقتضى تفضيله على سليمان عليه السلام، وهذا غير جائز؛ لأنَّ سليمان عليه السلام في بداية القصَّة حمد الله تعالى بأن جعله مفضَّلا على عباده المؤمنين ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ عِلْمًا ۖ وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥﴾ ﴾ [النمل: 15].

---

1 ــ ينظر: المراغي، تفسير المراغي، مصدر سابق، ج19، ص140.

2 ــ ينظر: الخطيب عبد الكريم، التفسير القرآني للقرآن، مصدر سابق، ج10، ص ص: 243 ــ 244.

ثالثا: لو افتقر سليمان في إحضاره إلى أحد من أُمَّته لاقتضى قصورَ حَاله في أَعين النَّاس.

رابعًا: أنَّ سليمان عليه السلام قال: "هذا من فضل ربي ليبلوني أأشكر أم أكفر"، وظاهره يقتضي أن يكون ذلك المعجز قد أظهره الله تعالى بدعاء سليمان، وفي هذا إقرار بفضل الله عليه، أن آتاه هذا العلم، الذي صنع به هذه المعجزة!

خامسا: أنَّ الله عز وجل قد ذكر في آية سابقة أنَّه آتى داود وسليمان علمًا، فقال تعالى: «وَلَقَدْ آتَيْنا داوُدَ وَسُلَيْمانَ عِلْماً..» فبهذا العلم فَعَل سليمان ما فعل، وبهذا العلم اتَّصل سليمان بالعوالم الأخرى، فعرف لغة الطَّير، وسمع همس النَّملة، واطَّلع على ما يجري في محيطها.

سادسا: سياق القصَّة كلُّه حديث عن منن الله تعالى على عبده سليمان عليه السلام وما أكثرها، وهذه من جملتها.

سابعا: تصريح سليمان عليه السلام على نفسه بقوله: ﴿ وَأُوتِينَا ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا ﴾ [النمل: 42]. بعد الإتيان بالعرش في طرفة عين، ليدلَّنا على أنَّ سليمان عليه السلام أوتي علم الكتاب، كما ورث ذلك من أبيه داود عليه السلام الذي أوتي علم التَّوراة.

ثامنا: استجابة الله تعالى لدعاء سليمان عليه السلام لـــمَّا دعاه بقوله: ﴿ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٣٥﴾ ﴾ [ص: 35]، وهذا الملك الذي أعطيَه سليمان عليه السلام يقتضي أن يكون سابقًا في العلوم والمهارات لا مسبوقًا، ومتفوِّقًا لا ينافسه أحد.

مرحلة التَّعلم:

إنَّ ما انتهجه سليمان عليه السلام من خطوات علميَّة عمليَّة لإدارة الأزمة السِّياسية القائمة بينه وبين مملكة سبأ، والتي حقَّق فيها نجاحات باهرة تجعل الباحث يقف على كثير من الدُّروس والعبر، والعظات، وخاصَّة فيما تعلَّق بجانب إدارة الأزمة، ومن ذلك:

- ـــ أن الله تعالى قد أغدق على عبده سليمان عليه السلام نعمًا عظيمة، على رأسها نعمَّة النُّبوة، والملك، وفنون العلم النَّافعة، وصنوف القوَّة

الفاعلة...وقد استغلَّها بحكمة في إدارة الأزمة السِّياسية مع ملكة سبأ، و لم يتجاوز بها إلى انتهاك سيادة مملكة سبأ، ومن هنا فإنَّه يجب على قائد الأزمة أن يسخِّر كلَّ الوسائل، والمعارف، والعلوم، وحتَّى المعدَّات... التي يمتلكها لعلاج الأزمة.

- ــ كانت الإدارة السُّليمانية للأزمة السِّياسية مفعمة بروح الحكمة، والتَّعقل، والتَّدرُّج في الأمور، رغم كلِّ ما يمتلكه من أسباب النُّفوذ، والسُّلطة، والقوَّة.
- ــ اتَّسمت الإدارة السِّياسية بين المملكتين على احترام سيادة كلٍّ من المملكتين، وعدم تسجيل خروقات قانونية بينهما، مع إبقاء قنوات التَّواصل مفتوحة بينهما طيلة مدَّة الأزمة، كالمراسلات، والهدايا، والحوار، والزِّيارة... رغم اختلاف الدِّين!!.
- ــ متابعة قائد الأزمة للأمور بنفسه، والإشراف على العمليَّات بفعله يعتبر من أهمِّ مقوِّمات النَّجاح في إدارة الأزمة.
- ــ الحصول على المعلومات الصَّحيحة، والدَّقيقة أمر أساسي في تشخيص الأزمة، وعلى وفقه تتَّخذ الإجراءات اللاَّزمة لعلاج الأزمة.
- ــ تتطلَّب الإدارة السِّياسية سرعة اتخاذ القرار الصَّائب، وتحديد الموقف المناسب، وذلك درءًا لتفاقم الأزمة وانفجارها.
- ــ لا بدَّ أن يكون قائد الأزمة على قدر عالٍ من المسؤولية واليقظة، وأن يحيط بكلِّ صغيرة وكبيرة عمَّا يحدث في مملكته سواء كان ذلك قبل الأزمة، أو أثناءها.
- ــ لا بدَّ أن يكون قائد الأزمة عادلًا وحازمًا، وذلك بتطبيق العدالة والمحاسبة من أضعف فرد في المملكة إلى قمَّة الهرم، والكلُّ عنده تحت طائلة المُساءلة.

- ــ في ظلِّ الأزمات السِّياسية يجب أن لَّا يُستحقر بجانب المعلومات، والاستخبارات، ولو نقلها أضعف جندي في المملكة مادامت أنَّها تتوفَّر على الصِّدق والمصداقيَّة.
- ــ لابدَّ لقائد الأزمة أن يهتمَّ بالأجهزة الأمنيَّة، وأن يترصَّد الأخبار والمعلومات ليوظِّفها في إدارة الأزمة.
- ــ وضوح الهدف من الأزمة مع تسخير كامل الجهود؛ هو ضمانٌ لحلِّ الأزمة بشكل سلمي، وبأقصر وقت.
- ــ إنَّ فتح باب الاستشارة من قائد الأزمة، وتشاوره مع أهل الرَّأي والدِّراية في ما يهمّ أمر الأمّة، ينتج عنه حلولًا كثيرة تساعد على تخطِّي الأزمة.
- ــ بيَّنت القصَّة أنَّ من أهمِّ علاج الأزمات السِّياسية بالطُّرق السِّلمية هو تحدِّي الخصم في المجال العلمي والتَّقدم الحضاري، لأنَّ هناك دول ومماليك تتَّبع الحقَّ بسبب قوَّة أهله، وسبْقِهم في معارفهم وعلومهم، وتمكُّنهم من أمور دنياهم، ووفرة أمورهم، ورغد معيشتهم.
- ــ التَّلويح باستخدام القوَّة المفرطة دون استخدامها أسلوب من أساليب إدارة الأزمات؛ إذ يُرعب الخصم، ويُذعنه للاستسلام وقَبول المطالب.
- ــ يعتبر الثَّبات على المبدأ، والتَّمسُّك بالمواقف وبالمطالب المشروعة أمر ضروري للوصول إلى الهدف المنشود لحلِّ الأزمة، فقَبول أنصاف الحلول، أو التَّنازل عن المبادئ، أو قَبول الهدايا... يعتبر ضعفًا في شخصيَّة قائد الأزمة، فيفقده المصداقية في تعاملاته وقراراته.
- ــ إنَّ امتلاك القوَّة العلميَّة والعسكريَّة ليسَا كفيلين بحلِّ الأزمة إلا إذا وُظِّفا في مكانهما، وأُديرَا من قبل قيادة رشيدة.

- ــ إنَّ الاهتمام بالجانب الإعلامي في إدارة الأزمات السِّياسية يعتبر حلقة وصل بين المملكتين، إذ به تحصل المعرفة، والوعي، والإدراك، والإحاطة الشَّاملة...كما يعتبر واسطة لانفراج الأزمة إذا استخدم بحكمة وعقلانية.
- ــ إنَّ ممارسة الحرب النَّفسية على الخصم في الأزمات السِّياسية الدّولية بشكل مدروس، يُخضع الخصم للاستسلام.
- ــ كما أنَّ ممارسة عمليَّة اختراق الخصم لدليل على تفوُّق المخترِق، وهذا ما يساعده على مراقبة تحرُّكات الخصم لأجل التَّحكم فيه، وبسط السَّيطرة عليه.
- ــ كما أنَّ الأزمات السِّياسية القائمة بين دولتين مهما بلغت ذروتها، ووصلت إلى حدِّ التَّعقيد [1] فإنَّه يمكن حلُّها بطرق سلميَّة، بشرط توفُّر عنصرين أساسين هما: قيادة رشيدة، ومنهج إداري قويم.

المبحث الثالث: معالم القيادة الراشدة في إدارتها للأزمة السياسية، وبيان أسس نجاحها.

إنَّ نجاح أيَّ أزمة وخاصَّة الأزمات الدّولية؛ فإنَّه لا يأتي عن طريق المصادفة، أو العشوائية أو الارتجالية؛ بل يرجع ذلك أساسًا إلى توفُّر مقوِّمات في الشَّخصيَّة القياديَّة لمدير الأزمة من ناحية، ومن ناحية أخرى وجود استراتيجية حكيمة متَّبعة في إدارة الأزمة.

ومن هنا فإنَّ السُّورة الكريمة سورة النَّمل وأثناء تعرُّضها للأزمة القائمة بين المملكتين لم تغفل عن ذكر عوامل النَّجاح والتي حقَّقت النَّتائج المرجوَّة جرَّاء هذه الأزمة، وجنّبت الصِّدام بين المملكتين، كما أبانت السُّورة عن معالم القيادة الرَّشيدة التي كانت أداة فعَّالة في إدارة الأزمة.

1 ــ مثل أزمة الصواريخ الكوبية 1962م، وأزمة الملف النووي الإيراني 2015م.

المطلب الأول: معالم القيادة الرَّاشدة في إدارتها للأزمة السياسية.

إنَّ حسن اختيار قائد المهام الأزموية يعدُّ أحد المقوِّمات الأساسيَّة في نجاح مهمَّة الفريق ومعالجته للأزمة، بل إنَّ كثيرًا ما يكون فشل الفريق وفشل إيجاد حلول للأزمة مرَدُّه إلى سوء اختيار القائد.

ومن هنا فإنَّ القائد الذي يتمُّ اختياره لا بد أن يتمتَّع بخصائص، ومواصفات، وهي بمثابة معالم تجعله صالحًا وناجحًا في قيادة فريق المهام الأزمويَّة، لما لهذه المعالم من أكبر الأثر على قيادة هذا الفريق، وفي إنجاح إدارته للأزمة؛ نظرًا لما يتحمَّله من كامل المسؤولية الملقاة على عاتقه، وفيما يأتي بيان أهمِّ هذه المعالم:

✓ ــ **الفرع الأول: الجانب الروحي:**

وهو معلم رئيسي ركَّز عليه القرآن الكريم كثيرًا، بينما أغفلت عنه كتب إدارة الأزمات الحديثة؛ والسَّبب في تركيز القرآن الكريم على الجانب الرُّوحي؛ لأنَّه بمثابة صمَّام أمان لكلِّ الخروقات، والتَّجاوزات الإنسانيَّة والقانونيَّة، فهو يفرض رقابة داخليَّة دائمة في نفسيَّة القائد، كما ويحرِّك فيه وازع النُّصح واستجلاب المصالح والمنافع لأمَّته، ودرء المفاسد والمهالك عنهم، كما يذكِّر الجانب الرُّوحي القائد دوما بالمساءلة والمحاسبة أمام الله ﷻ عن كلُّ صغيرة وكبيرة يُقْدِم عليها.

ومن بين أهمِّ الجوانب الرُّوحية التي جعلت من سيِّدنا سليمان عليه السلام قائدًا ملهمًا، وإداريًّا ناجحًا ما يأتي:

1- الإيمان:

إنَّ قوَّة الإيمان بالله ﷻ قولًا، وفعلًا، واعتقادًا هو دعامة الانتصار على كلِّ شيء، لأنَّ القرآن الكريم يعتبر المؤمن الحقيقي هو المتوكِّل على الله في كلِّ شيء، وآخذ بأسباب كلِّ شيء، فهو دائمًا تصاحبه قوَّتان هما:

- ــ قوَّة الإيمان: قال تعالى: ﴿ إِن تَسْتَفْتِحُوا۟ فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ ۖ وَإِن تَنتَهُوا۟ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَإِن تَعُودُوا۟ نَعُدْ وَلَن تُغْنِىَ عَنكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْـًٔا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٩﴾ ﴾ [الأنفال: 19].

- ــ وقوَّة العدد والعدَّة: قال تعالى: ﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٦٠﴾ ﴾ [الأنفال: 60].

يقول الشعراوي: " قوَّة الإيمان تدعو دائماً إلى أن يكون هناك استعداد مستمر للقتال، وهذا الاستعداد يخيف الكفَّار ويمنع عدوانهم واستهتارهم بالمؤمنين أوَّلاً، كما أنَّه ثانياً يجعل المؤمنين قادرين على الرَّد والرَّدع في أي وقت. ويعطي ثالثاً شيئاً من اليقين للمجتمع المؤمن عندما يرى أنَّ هناك من يضرب على يد الكافرين إذا استهانوا بمجتمع الإيمان وحاولوا أن يستذلُّوا المؤمنين"[1].

وتتجلَّى مظاهر الإيمان عند نبيِّ الله سليمان عليه السلام من خلال القصَّة فيما يأتي:

أ- تحرُّكه السَّريع من أجل قضيَّة الإيمان: فسليمان عليه السلام بمجرَّد سماعه من الهدهد عن قصَّة ملكة سبأ بأنَّها تعبد الشمس من دون الله مع قومها، سارع إلى تنفيذ خطوات عمليَّة جادَّة في سبيل دعوتها إلى الإيمان الخالص لله عزوجل، ونبذ الشِّرك عنه.

يقول القرطبي عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ ٱذْهَب بِّكِتَـٰبِى هَـٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَٱنظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ [النمل: 28]، ما نصُّه: "في هذه الآية دليل على إرسال الكتب إلى المشركين وتبليغهم الدَّعوة، ودعائهم إلى الإسلام. وقد كتب النَّبي ﷺ إلى كسرى، وقيصر، وإلى كلِّ جبَّار" [2].

ب- أقام سليمان عليه السلام مملكته على أسس من الإيمان بالله، والإسلام له:

يقول الصَّابوني: "اعتبر سليمان مُلكه مفخرة عن ملك بلقيس ليس لامتداده وسعته وتفوُّقه فحسب، ولكن لأنَّ ملك سليمان قام على العلم وأسِّس على الإيمان فقال: ﴿ وَأُوتِينَا

1 ــ الشعراوي، خواطر الشعراوي، مصدر سابق، ج8، ص5106.

2 ــ القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، مصدر سابق، ج13، ص191.

﴿ ٱلۡعِلۡمَ مِن قَبۡلِهَا وَكُنَّا مُسۡلِمِينَ ﴿٤٢﴾ وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعۡبُدُ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ إِنَّهَا كَانَتۡ مِن قَوۡمٖ كَٰفِرِينَ ﴿٤٣﴾ ﴾ [النمل: 42 – 43]، وإنَّنا لنلمح من خلال القرآن أنَّ دولة سليمان عليه السلام كانت مفعمة بالحيويَّة، مائجة بالحركة، وكان عليه السلام قائمًا بواجب العبودية إلى جانب القيام بمهام الملك، ومسؤوليات الحكَّام، وإعمار الدُّنيا بطاعة الله، حتى دانت له الأرض جميعًا" [1].

2- الإنابة إلى الله:

على قائد الأزمة أن يكون أوّابًا إلى الله عزوجل، حتَّى يحفظه من مضلَّات الفتن، ويعصمه من ظلمات الأزمات، فالقائد الأوّاب يجمع في نفسه الكثير من الصِّفات التي يحتاج إليها في إدارة الأزمات مثل: الاستغفار عن كلِّ تقصير صدر منه أثناء إدارته للأزمة، فلربَّما جانب الأوْلى و لم يتحرَّ الصَّواب، وأن يعترف بالخطأ الذي ارتكبه في ظل الأزمة فيتداركه بالتَّصحيح ولا يقيم عليه، كما يتَّصف دائمًا بمحاسبة نفسه، ومراجعة أعماله من حين لآخر؛ لأجل تنقيتها وتنقيحها من كلِّ شائبة، كما يوصف بتقبُّل الانتقادات البنَّاءة الموجَّهة إليه بصدر رحب، ولا يستنكف عنها.

وسليمان عليه السلام من هذا الصِّنف، فقد كان وثيق الصِّلة بربِّه، فلم يُلهه ملكه العظيم، و لم تُغره قوَّته الهائلة، و لم يُطغه ماله... عن أوْبه إلى الله، وهذا بشهادة الله له بقوله: ﴿ وَوَهَبۡنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيۡمَٰنَۚ نِعۡمَ ٱلۡعَبۡدُۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٞ ﴿٣٠﴾ ﴾ [ص: 30].

" أي: رجَّاع إلى الله في جميع الأمور بالإنابة إليه، بالحبِّ والتَّألُّه، والخوف والرَّجاء، وكثرة التَّضرُّع والدُّعاء، رجَّاع إليه عندما يقع منه بعض الخلل، بالإقلاع والتَّوبة النَّصوح"[2].

3- شكر المُنعم:

فقائد الأزمة مهما نال من نجاحات، وحقَّق من إنجازات فإنَّه يُرجع ذلك إلى الله وحده المنعم المتفضِّل الذي هيّأ له الأسباب لذلك.

---

1 ــ الصلابي، علي محمد، تبصير المؤمنين بفقه النصر والتمكين في القرآن الكريم، مرجع سابق، ص150.
2 ــ السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، مصدر سابق، ج1، ص711.

فسليمان عليه السلام كان عبدًا شكورًا لله، وقد أطلعنا القرآن الكريم على جانب من شكره لله عز وجل في موقفين:

- ــ الموقف الأول: وذلك لــمَّا أتى سليمان عليه السلام على واد من النَّمل، وأسمعه الله عز وجل مقالة النَّملة التي تقود قافلتهم، وتبسَّم ضاحكًا من أجل قولها الذي حَمَل كامِل الاعتذار لسليمان وجنوده من أنَّ مقصودهم ليس هو الاعتداء على النَّمل وتحطيمهنَّ، وإنَّما السَّهو وعدم الشُّعور بهنَّ، وهذه نعمة استوقفت سليمان عليه السلام وقابلها بشكر الله عليها بالقول والعمل، لا بالتَّكبُّر والتَّجبُّر، يقول تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوۡاْ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمۡلِ قَالَتۡ نَمۡلَةٞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمۡلُ ٱدۡخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمۡ لَا يَحۡطِمَنَّكُمۡ سُلَيۡمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ١٨ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكٗا مِّن قَوۡلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوۡزِعۡنِيٓ أَنۡ أَشۡكُرَ نِعۡمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنۡ أَعۡمَلَ صَٰلِحٗا تَرۡضَىٰهُ وَأَدۡخِلۡنِي بِرَحۡمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ١٩ ﴾ [النمل: 18 – 19].

يقول طنطاوي: "وهكذا جمع سليمان عليه السلام في هذا الدُّعاء البليغ المؤثِّر، أسمى ألوان الخشية من الله تعالى، والشُّكر له سبحانه على نعمه، والرَّجاء في رضاه وعطائه الجزيل" [1].

- ــ الموقف الثاني: وذلك لما طلب سليمان عليه السلام بإحضار عرش ملكة سبأ، وأوتي به بقدر لمح البصر، فلما رآه حاضرًا أمامه، مستقرًّا في موضعه، حينها قابل النِّعمة بالشُّكر لا بالكفر والاستعلاء والطُّغيان، فنجح في الامتحان، وفاز في الرِّهان، يقول تعالى: ﴿ قَالَ ٱلَّذِي عِندَهُۥ عِلۡمٞ مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبۡلَ أَن يَرۡتَدَّ إِلَيۡكَ طَرۡفُكَۚ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسۡتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا مِن فَضۡلِ رَبِّي لِيَبۡلُوَنِيٓ ءَأَشۡكُرُ أَمۡ أَكۡفُرُۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشۡكُرُ لِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٞ ٤٠ ﴾[النمل: 40].

1 ــ طنطاوي، التفسير الوسيط، مصدر سابق، ج10، ص316.

يقول سيد قطب: استشعر سليمان عليه السلام أنَّ النِّعمة- على هذا النَّحو- ابتلاء ضخم مُخيف يحتاج إلى يقظة منه ليجتازه، ويحتاج إلى عون من الله ليتقوَّى عليه ويحتاج إلى معرفة النِّعمة والشُّعور بفضل المنعم، ليعرف الله منه هذا الشُّعور فيتولَّاه. والله غنيٌّ عن شكر الشَّاكرين، ومن شكر فإنَّما يشكر لنفسه، فينال من الله زيادة النِّعمة، وحسن المعونة على اجتياز الابتلاء [1].

✓ ــ **الفرع الثاني: الجانب الأخلاقي:**

1- التَّواضع وعدم الاغترار بقوَّة النَّفس وكثرة الجند وسعة السُّلطان:

فسليمان عليه السلام رغم ما أوتي من ملك، وقوَّة، وعلم، ومال، وتسخير... فقد كان مع ذلك متواضعًا لله عز وجل، ومتواضعًا لأدنى مخلوقات الله عز وجل، فلم تأخذه قوَّته بالاعتداء ولو على مملكة النَّمل مع أنَّ الجيوش الجرَّارة تزحف من ورائه؛ بل سمع كلامها، وتفهَّم شكواها، فرحمها وأخواتها، كما لم تأخذه سلطته بالإثم حين افتقد الهدهد، رغم عدم استئذانه من سليمان عليه السلام، بل استمع إلى تبرير غيابه، وقبل منه عذره... وصدق رسول الله ﷺ حين قال: « وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ إِلَّا رَفَعَهُ اللَّهُ»[2].

2- الأدب في الخطاب:

أدب الخطاب وخصوصًا في مجال الدَّعوة إلى الله تعالى أمر مطلوب شرعًا، فسليمان عليه السلام لـــمَّا كتب الكتاب الذي بعث به إلى الملكة كان يتضمَّن حُسن الخطاب، وفي هذا يقول تعالى: ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦۖ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ١٢٥ ﴾ [النحل: 125]، وقوله لموسى وهارون عليهما السَّلام: ﴿ ٱذۡهَبَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ٤٣ فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ ٤٤ ﴾ [طه: 43 – 44].

---

1 ــ ينظر: سيد قطب، في ظلال القرآن، مصدر سابق، ج5، ص2642.

2 ــ مسلم، صحيح مسلم، مصدر سابق، كتاب البر والصلة والأدب، بَابُ اسْتِحْبَابِ الْعَفْوِ وَالتَّوَاضُعِ، ج4، ص2001، رقم الحديث: 2588.

ويظهر هذا جليًّا في الكتاب الذي بعث به سليمان عليه السلام إلى الملكة، وقد وصفته بأنَّه كتاب كريم لما تضمَّن من لِين القول، والموعظة في الدَّعوة إلى عبادة الله عز وجل، وحسن الاستعطاف، والاستلطاف من غير أن يتضمن سبًّا ولا لعنًا [1].

3- التَّعفف عن أموال النَّاس:

إنَّ على القائد أن يتعفَّف عن أموال رعيَّته، وأن يزهد في أخذ أجر في مقابل عمل عمله، ويكتفي بالرَّاتب الذي قُطع له؛ لأنَّ في ذلك حفظ لكرامته، وصون لمصداقيَّته، وشغف لمحبَّته.

فملكة سبأ عرضت على سليمان عليه السلام هديَّة ظنًّا منها أن يتركهم سليمان وعبادتهم، وقصدًا منها اختبار سليمان، أنبي هو أم ملك، لكنَّ سليمان عليه السلام تعفَّف عن قبول هديَّتها، وردَّها قائلًا: ﴿بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [النمل: 36].

يقول طنطاوي: "إنَّ الهدية إذا لمس المهدى إليه من ورائها، عدم الإخلاص في إهدائها، وأنَّ المقصد منها صرفه عن حقٍّ يقيمه، أو عن باطل يزيله...؛ فإنَّ الواجب عليه أن يردَّ هذه الهديَّة لصاحبها، وأن يمتنع عن قبولها...

ألا ترى إلى سليمان عليه السلام قد ردَّ الهديَّة الثَّمينة التي أهدتها بلقيس إليه، حين أحسَّ أنَّ من وراء هذه الهديَّة شيئًا، يتنافى مع تبليغ وتنفيذ رسالة الله تعالى التي أمره بتبليغها وتنفيذها، ألا وهي: الأمر بإخلاص العبادة لله تعالى، والنَّهي عن الإشراك به"[2].

4- قَبول رأي المعتذر:

لم يستنكف سليمان عليه السلام من الاستماع إلى عذر الهدهد رغم خروجه من دون إذا، وتأخره عن نَّوبته؛ فقبل عذره ورفع عنه العقوبة، ومن هنا فإنَّ سليمان عليه السلام استفاد من تأخُّر الهدهد، ومن قبول عذره في اختبار قُدُراته ومهاراته في معالجة الأزمة، واستفادت معه ملكة سبأ وقومها بدخولهم في الإسلام، كما استفدنا نحن أيضًا من استخلاص الدُّروس والعبر.

---

1 ــ ينظر: الزحيلي، التفسير المنير، مصدر سابق، ج19، ص295.

2 ــ طنطاوي، التفسير الوسيط، مصدر سابق، ج10، ص334.

يقول ابن العربي: "وكذلك يجب على الوالي أن يقبل عذر رعيَّته، ويدْرأ العقوبة عنهم في ظاهر أحوالهم بباطن أعذارهم، ولكن له أن يمتحن ذلك إذا تعلَّق به حكم من أحكام الشَّريعة، كما فعل سليمان؟ فإنَّه لما قال له الهدهد: ﴿ إِنِّي وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ ﴾ [النمل: 23]، لم يستفزه الطَّمع، ولا استجرَّه حبُّ الزِّيادة في الملك إلى أن يعرض له، حتى قال: ﴿ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ [النمل: 24]، حينئذ غاظه ما سمع، وطلب الانتهاء إلى ما أخبر، وتحصيل علم ما غاب من ذلك، حتَّى يغيِّره بالحقِّ، ويردَّه إلى الله تعالى" [1].

✓ ــ **الفرع الثالث: الجانب العلمي:**

افتتح الله سبحانه وتعالى قصَّة سليمان عليه السلام في سورة النَّمل ببيان أبرز النِّعم التي أنعم الله بها عليه وهي نعمة العلم، وفي هذا إشعار بفضيلة العلم، وأنَّها صفة بارزة في شخصيَّة سليمان عليه السلام، إذ فُضِّل بالعلم، وارتفع به وتمكَّن، فهو أساس رُقيِّه،حيث يقول تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ عِلْمًا ۖ وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥﴾ ﴾ [النمل: 15].

يقول أبو زهرة: أكَّد اللَّه سبحانه أنَّه أعطى داوود وابنه سليمان علمًا، بـــ: "اللام" وبـــ: "قد"، فإنَّها تدلُّ على التَّحقيق، ونكَّر سبحانه (عِلْمًا) للإشارة إلى أنَّه علمٌ عظيمٌ لَا يقدر قدره... وكان تفضيله أوَّلًا بالعلم، وثانيا بالسُّلطان والحكم، وهذا يستوجب الحمد والشُّكر لَا الظلم والطُّغيان [2].

ومن مظاهر التَّفوُّق العلمي عند سليمان عليه السلام ما يأتي:

---

1 ــ ابن العربي محمد بن عبد الله أبو بكر، أحكام القرآن، تح: محمد عبد القادر عطا، ط3، دار الكتب العلمية، بيروت، 2003 م، ج3، ص484.

2 ــ ينظر: أبو زهرة، زهرة التفاسير، مصدر سابق، ج10، ص 5442.

1- التّفوُّق في مجال البناء والهندسة المعماريَّة: يقول تعالى: ﴿ قِيلَ لَهَا ٱدۡخُلِي ٱلصَّرۡحَۖ فَلَمَّا رَأَتۡهُ حَسِبَتۡهُ لُجَّةٗ وَكَشَفَتۡ عَن سَاقَيۡهَاۚ قَالَ إِنَّهُۥ صَرۡحٞ مُّمَرَّدٞ مِّن قَوَارِيرَۗ قَالَتۡ رَبِّ إِنِّي ظَلَمۡتُ نَفۡسِي وَأَسۡلَمۡتُ مَعَ سُلَيۡمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٤٤﴾ ﴾ [النمل: 44].

يقول زكريا الخضر: "في هذه الآية تظهر ملامح البنيان والعمارة العالية، والمستوى الحضاري في استخدام العناصر الطَّبيعية، واستثمار الفلزِّ [1] في الأرض على نحو يحقق للإنسان الحياة ونظام العيش، والبحث في محتويات الأرض والبيئة، والكشف عن ثرواتها بما يحقِّق النَّفع للإنسان والمجتمع، فالعلم هنا يستثمر في البناء والمدنيَّة؛ لأنَّه قيمة وأساس، لتكون المدنية ذات قيمة" [2].

2- التَّفوُّق في مجال التَّنقُّل والحركة: يقول تعالى: ﴿ قَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَؤُاْ أَيُّكُمۡ يَأۡتِينِي بِعَرۡشِهَا قَبۡلَ أَن يَأۡتُونِي مُسۡلِمِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ عِفۡرِيتٞ مِّنَ ٱلۡجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبۡلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَۖ وَإِنِّي عَلَيۡهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٞ ﴿٣٩﴾ قَالَ ٱلَّذِي عِندَهُۥ عِلۡمٞ مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبۡلَ أَن يَرۡتَدَّ إِلَيۡكَ طَرۡفُكَۚ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسۡتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا مِن فَضۡلِ رَبِّي لِيَبۡلُوَنِيٓ ءَأَشۡكُرُ أَمۡ أَكۡفُرُۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشۡكُرُ لِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٞ ﴿٤٠﴾ ﴾ [النمل: 38 – 40].

يقول الزحيلي: " فجيء بعرش بلقيس بسرعة خاطفة، وكان هذا العالم بإقدار الله وتوفيقه أقدر من عفريت الجن- وهو القويُّ المارد- الذي استعدَّ للإتيان به، في زمن أطول، ولكنَّه سريع وقريب وقصير أيضًا، إذ كان في مدَّة زمن القضاء اليومي، وأمَّا زمن العالم فهو بمقدار إطباق الأجفان وفتحها.

وفي هذا دلالة على سموِّ مرتبة العلم ورفعة العلماء في الدُّنيا والآخرة إذا عملوا بعلمهم صالحات الأعمال"[3].

---

1 ــ الفِلِزّ بالكسر وتشديد الزاي: خَبَثُ ما أُذيب من الذهب والفضَّة والحديد وما يَنْفِيهِ الكِيرُ مما يذاب من جواهر الأرض. [ابن منظور، لسان العرب، مصدر سابق، ج5، ص392].

2 ــ الخضر زكريا علي محمود، القيم الحضارية في قصة سيدنا سليمان عليه السلام مع ملكة سبأ، مرجع سابق، ص105.

3 ــ الزحيلي، التفسير المنير، مصدر سابق، ج19، ص306.

✓ ــ **الفرع الرابع: الجانب الإداري:**

1- حسن تفقُّد الجيوش:

والتَّفقُّد: هو البحث عن الفقد ليعرف بذلك أنَّ الشيء لم ينقص، ومن واجبات ولَّاة الأمور تفقُّد أحوال الرَّعية، وتفقُّد العمَّال ونحوهم بنفسه.

وتفقُّد الجند من شعار الملك والأمراء وهو من مقاصد حشر الجنود وتسييرها [1]، وقد كان سليمان عليه السلام كذلك، حيث أخبرنا القرآن الكريم بشأنه قائلاً: ﴿ وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيۡرَ فَقَالَ مَالِيَ لَآ أَرَى ٱلۡهُدۡهُدَ أَمۡ كَانَ مِنَ ٱلۡغَآئِبِينَ ﴿٢٠﴾ ﴾ [النمل: 20].

يقول الزحيلي: "القائد يتفقَّد عادةً جيشه وجنوده، وقد فعل ذلك سليمان عليه السلام أثناء مسيره ومروره بوادي النَّمل، فتفقَّد جنس الطَّير وجماعتها التي كانت تصحبه في سفره، وتظلُّه بأجنحتها. وكان سبب تفقُّده ما تقتضيه عادة العناية بأمر الملك، والاهتمام بعناصر الجيش وبكلِّ جزء منها، كما دلَّ ظاهر الآية"[2].

ويقول القرطبي: "في هذه الآية دليلٌ على تفقُّد الإمام أحوال رعيَّته، والمحافظة عليهم، فانظر إلى الهدهد مع صِغره كيف لم يخف على سليمان حاله، فكيف بعظام الملك"[3].

2- الحزم والعقوبة:

لابدَّ للدّولة من قوانين حتَّى تضبط الأمور بحيث يعاقب المسيء، ويحسن للمحسن، ولابدَّ من مراعاة التَّدرُّج في تقرير العقوبة، وأن تكون على قدر الخطأ وحجم الجُرم، وهذا عين العدالة، ولهذا لم يقطع سليمان عليه السلام بقرار واحد في العقاب عند ثبوت الخطأ؛ بل جعله متوقِّفًا على حجم الخطأ.

---

1 ــ ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، مصدر سابق، ج19، ص245.

2 ــ الزحيلي، التفسير المنير، مصدر سابق، ج19، ص289.

3 ــ القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، مصدر سابق، ج13، ص178.

وقد رتَّب سليمان عليه السلام إيقاع العقوبة على الهدهد بقدر ذنبه، وترقى من الشِّدة إلى الأشدِّ بقدر ما يحتاجه إلى إصلاح الخلل، يقول تعالى: ﴿ لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَاْذْبَحَنَّهُۥٓ أَوْ لَيَأْتِيَنِّى بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢١﴾ ﴾ [النمل: 21] [1].

يقول كعباش: لقد كان سليمان حازمًا وعادلًا في معاملته لرعيَّته، ذلك بأنَّه:

أ- لم يتوان في إدراك موضع الخلل في صفوف جيشه، وعندما تعيَّن المتسبِّب فيه، وهو غياب الهدهد، لم يتردَّد في إصدار عقوبات زاجرة تُقام على الهدهد حال مُثوله وعدم تقديمه لتبرير مقنع؛ لأنَّ السكوت على ذلك تنجرُّ عنه تحدِّيات أخرى تُفضي إلى الفوضى والَّامبالاة.

ب- عدله في تنويع العقوبة حتَّى تكون وفق حجم الجريمة المرتكبة، وذلك لا يتأتَّى للقاضي إلا بالنَّظر الحصيف في ملابسات الخطأ المرتكب.

ت- إعطاؤه الفرصة للجاني بالدِّفاع عن نفسه بما يكون له عذرًا مقبولًا، فقال بعد التَّهديد ﴿ لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَاْذْبَحَنَّهُۥٓ أَوْ لَيَأْتِيَنِّى بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢١﴾ ﴾ [النمل: 21][2].

3- السُّرعة في اتِّخاذ القرار:

لم يضيِّع سليمان عليه السلام الفرصة لـــمَّا سمع من الهدهد مقالته؛ بل سارع إلى إصدار قرار حاسم، وصائب تمثَّل في إرسال برقية إلى الملكة عن طريق الهدهد يدعوه فيها إلى عبادة الخالق، ونبذ عبادة ما سواه. قال تعالى: ﴿ ٱذْهَب بِّكِتَٰبِى هَٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَٱنظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ [النمل: 28].

يقول الزحيلي: "دلَّت الآية على سرعة الهدهد في تبليغ الكتاب إليهم، وعلى إيتائه قوَّة المعرفة وفهم كلامهم، وأنَّ الملكة فهمت الكتاب فورًا بواسطة مترجم، وعلى حسن آداب الرُّسل أن يتنحَّوا عن المرسل إليهم بعد أداء الرِّسالة، للتَّشاور فيها"[1].

---

1 ــ ينظر: الصلابي، علي محمد، تبصير المؤمنين بفقه النصر والتمكين في القرآن الكريم، مرجع سابق، ص: 155.

2 ــ ينظر: كعباش محمد بن إبراهيم، نفحات الرحمن في رياض القرآن، مصدر سابق، ج10، ص117.

4- مشاورة أهل الرأي:

إنَّ القائد الحكيم هو الذي يستشير من هو أهل للاستشارة في الأمور التِّي تهمُّ الأمَّة، ويتأكَّد الأمر بالشُّورى عند حلول الأزمات لغرض التَّوصل إلى أفضل الآراء وأَصْوبها للخروج من الأزمة بطرق آمنة ومن دون خسائر في الأموال والأرواح.

ومن هنا فإنَّ ملكة سبأ عند ما جاءها كتاب سليمان عليه السلام جمعت وجوه قومها، واستشارتهم في الأمر النَّازل بها، وقالت لهم كما حكى القرآن الكريم عنها: ﴿ قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَفْتُونِى فِىٓ أَمْرِى مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ ﴿٣٢﴾ ﴾ [النمل: 32].

يقول القرطبي: وفي هذه الآية دليل على صحَّة المشاورة.. وقد قال الله تعالى لنبيِّه ﷺ: ﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ﴾ [آل عمران: 159]، وقد مدح الله الفضلاء بقوله: ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾ [الشورى: 38]، والمشاورة من الأمر القديم وخاصَّة في الحرب، فهذه بلقيس امرأة جاهليَّة كانت تعبد الشمس من دون الله قالت: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَفْتُونِى فِىٓ أَمْرِى ﴾... لتختبر عزمهم على مقاومة عدوهم.

وربما كان في استبدادها برأيها وهن في طاعتها، وكان في مشاورتهم وأخذ رأيهم عون على ما تريده من شوكتهم، وشدَّة مدافعتهم، ألا ترى إلى قولهم في جوابهم: ﴿ قَالُوا۟ نَحْنُ أُو۟لُوا۟ قُوَّةٍ وَأُو۟لُوا۟ بَأْسٍ شَدِيدٍ وَٱلْأَمْرُ إِلَيْكِ فَٱنظُرِى مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [النمل: 33] [2].

المطلب الثاني: أسس نجاح سليمان عليه السلام في إدارة الأزمة.

إنَّ السِّر في نجاح إدارة هذه الأزمة السِّياسية الواقعة بين المملكتين القويَّتين والتي تمَّ التَّوصل فيها إلى تحقيق الأهداف المنشودة منها، دون دخول في صراع أو توتُّر بين الطَّرفين، يكمن أساسًا في امتلاك الإدارة السُّليمانية لأربع قوى أساسيَّة.

فالقادة يستخدمون أنواع القوَّة لغرض تسهيل إنجاز أهدافهم، فالذي يمتلك القوَّة هو الذي يحدِّد نمط القرارات وآليتها في المنظَّمة [1].

---

1 ــ الزحيلي، التفسير المنير، مصدر سابق، ج19، ص289.

2 ــ ينظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، مصدر سابق، ج13، ص ص: 194 ــ 195.

وفيما يأتي بيان القوى التي كانت السَّبب في نجاح سليمان عليه السلام في إدارته للأزمة:

1 ــ القوَّة الإيمانية:

يعتبِر القرآن الكريم أنَّ القوَّة الإيمانية هي دعامة الانتصار وسرُّ التَّفوُّق على الخصم في جميع المجالات سواء في إدارة الأزمات، أو في الحروب والقتال.

والقرآن الكريم من خلال آياته البيِّنات أكَّد كثيرًا على أنَّ القوَّة الإيمانية يعقبها النَّصر المبين لا محالة، فمن ذلك على سبيل الاختصار: قوله تعالى: ﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾ [الروم: 47]، وقوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴿٧﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَتَعْسًا لَّهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٨﴾ ﴾ [محمد: 7 – 8]، وقوله: ﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴿٥١﴾ ﴾ [غافر: 51]، فالقيام بجميع الواجبات، والابتعاد عن جميع المحرَّمات من أعظم أسباب النَّجاح في إدارة الأزمات.

فالقرآن الكريم بيّن لنا أنَّ سليمان عليه السلام أقام مملكته على أسس من الإيمان بالله، والإسلام له، ولهذا اعتبر سليمان مُلكه مفخرة عن ملك ملكة سبأ ليس لامتداده، وسعته وتفوقه فحسب؛ ولكن لأنَّ ملك سليمان قام على العلم، وأسِّس على الإيمان فقال: ﴿ وَأُوتِينَا ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ ﴿٤٢﴾ وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعْبُدُ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمٍ كَٰفِرِينَ ﴿٤٣﴾ ﴾ [النمل: 42 – 43].

وإنَّنا لنلمح من خلال القرآن أنَّ دولة سليمان عليه السلام كانت مفعمة بالحيوية، مائجة بالحركة، وكان عليه السلام قائمًا بواجب العبودية إلى جانب القيام بمهام الملك، ومسؤوليات الحكام، وإعمار الدنيا بطاعة الله، حتى دانت له الأرض جميعًا، وجاء على المعمورة وقت لم يكن فيها لسليمان ندٌّ منازع في الحكم، والملك، ولا شبيه مماثل في العلم، والحكمة [2].

2 ــ القوَّة العلمية:

---

1 ــ ينظر: القريوتي محمد قاسم، السلوك التنظيمي: دراسة السلوك الإنساني الفردي والجماعي في المنظمات الإدارية، د ط، دار الصفاء، عمّان، 2000م، ص183.

2 ــ ينظر: الصلابي علي محمد، تبصير المؤمنين بفقه النصر والتمكين في القرآن الكريم، مرجع سابق، ص ص: 150 ــ 151.

يقول تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ عِلْمًا ۖ وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥﴾ ﴾ [النمل: 15].

يقول الإمام عبد الحميد بن باديس: " قد ابتدأ الحديث عن الملك العظيم بذكر (العلم)، وقدّمت النّعمة به على سائر النّعم، تنويهًا بشأن العلم، وتنبيهاً على أنّه هو الأصل الذي تنبني عليه سعادة الدنيا والأخرى، وأنّه هو الأساس لكل أمر من أمور الدّين والدّنيا، وأنّ الممالك إنّما تنبني عليه وتشاد، وأنّ الملك إنّما ينظّم به ويساس، وأنّ كل ما لم يُبن عليه فهو على شفَا جرُفٍ هارٍ، وأنّه هو سياج المملكة ودرعها، وهو سلاحها الحقيقي، وبه دفاعها، وأنّ كل مملكة لم تُحم به فهي عرضة للانقراض والانقضاض"[1].

فسليمان عليه السلام رغم ما أوتي من قوّة العلم والمعرفة إلا أنّه لم يستبد بها و لم يطغ؛ بل قابلها بشكر المنعم قولاً وفعلاً، ووظّفها في خدمة الدِّين والإنسانية بأخذ أيديهم إلى عبادة الواحد الأحد. ومن هنا فإنَّ قوّة العلم إذا لم تقترن بقوّة الإيمان فإنَّها ستكون وبالًا على صاحبها وعلى الإنسانية جمعاء، وما أجمل كلام قطب حين قال: "ولقد انتهت البشرية اليوم إلى مرحلة جيِّدة من مراحل العلم. بتحطيم الذَّرَّة واستخدامها. ولكن ماذا جَنَت البشرية حتَّى اليوم من مثل هذا العلم الذي لا يذكر أصحابه الله، ولا يخشونه، ولا يحمدون له، ولا يتوجهون بعلمهم إليه؟ ماذا جنت غير الضَّحايا الوحشيَّة في قنبلتي «هيروشيما». و«ناجازاكي» وغير الخوف والقلق الذي يؤرِّق جفون الشَّرق والغرب ويتهدَّدهما بالتَّحطيم والدَّمار والفناء؟" [2].

3 ــ القوَّة العسكريَّة:

يأمرنا الله سبحانه وتعالى في كتابه بإعداد القوَّة بشكل عام، سواء منها القوَّة الإيمانية، والقوَّة العلمية، والقوَّة الاقتصادية، والقوَّة النِّظامية، وبالأخص القوَّة العسكرية التي تردع الذين يقفون أمام الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى... وفي هذا يقول المولى عزّ وجلّ: ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ ﴾ [الأنفال: 60].

---

1 ــ ابن باديس عبد الحميد، في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، مصدر سابق،، ج1، ص254.

2 ــ سيد قطب، في ظلال القرآن، مصدر سابق، ج5، ص ص:2633 ــ 2634.

يقول صاحب المنار: "فالواجب على المسلمين في هذا العصر بنصِّ القرآن صنع المدافع بأنواعها، والبنادق، والدَّبَّابات، والطَّيَّارات، والمناطيد، وإنشاء السُّفن الحربيَّة بأنواعها، ومنها الغوَّاصات التي تغوص في البحر، ويجب عليهم تعلُّم الفنون والصِّناعات التي يتوقف عليها صنع هذه الأشياء وغيرها من قوى الحرب بدليل: ما لا يتمُّ الواجب المطلق إلا به فهو واجب "، وقد ورد أنَّ الصحابة استعملوا المنجنيق مع رسول الله ﷺ في غزوة خيبر وغيرها "[1].

ولقد أعطى الله ﷻ لسليمان عليه السلام جانبًا كبيرًا من أسباب القوَّة، والمنعة، والظَّفر...، ما جعله يستخدمها في صالح الإنسانيَّة، وذلك بتحريرهم من عبوديتهم واسترقاقهم إلى العبودية المحضة المتجسِّدة في عبادة الواحد الأحد.

يقول صاحب الظلال: والقرآن يأمر بأعداد القوَّة على اختلاف صنوفها وألوانها وأسبابها،... فلابدَّ للإسلام من قوَّة ينطلق بها في الأرض لتحرير الإنسان.

وأهمِّية القوَّة بالنسبة للدَّعوة إلى الله ﷻ تتلخص في أمور:

الأمر الأول: أن تؤمِّن الذين يختارون هذه العقيدة على حرِّيتهم في اختيارها فلا يُصدُّون عنها، ولا يُفتنون كذلك بعد اعتناقها.

الأمر الثاني: أن ترهب أعداء هذا الدِّين فلا يفكِّروا في الاعتداء على دار الإسلام التي تحميها تلك القوَّة..

ــ الأمر الثالث: أن يبلغ الرُّعب بهؤلاء الأعداء أن لا يفكِّروا في الوقوف في وجه المدِّ الإسلامي، وهو ينطلق لتحرير الإنسان كلِّه في الأرض كلِّها..

ــ الأمر الرابع: أن تحطِّم هذه القوَّة كل قوَّة في الأرض تتَّخذ لنفسها صفة الألوهية، فتحكم النَّاس بشرائعها هي وسلطانها، ولا تعترف بأنَّ الألوهية لله وحده؛ ومن ثمَّ فالحاكمية له وحده سبحانه.. [2].

4 ــ القوَّة التَّنظيمية:

---

1 ــ محمد رشيد رضا، تفسير المنار، مصدر سابق، ج10، ص ص: 53 ــ 54.

2 ــ ينظر: سيد قطب، في ظلال القرآن، مصدر سابق، ج3، ص1543.

لقد حقَّق سليمان عليه السلام النَّجاح الباهر في إدارة الأزمة السياسية مع ملكة سبأ بفضل القوَّة التَّنظيمية، التي حوّل فيها الأزمة من مرحلة الخطر إلى مرحلة التَّعايش والسِّلم.

والقوَّة التَّنظيمية تنجم عن مصدرين هما: قوَّة القائد، وقوَّة وحداته التَّنظيمية التي يديرها، ولكي نضمن قوَّة تنظيمية عالية يتوجَّب علينا السَّعي إلى تأمين مصادر قوَّة القادة الإداريين، ومصادر قوَّة الوحدات التَّنظيمية [1].

وسليمان عليه السلام كان قائدًا قويًّا، وقد جمع إلى جانب هذه القوَّة حسن التَّنظيم، والتَّحكم في إدارة الأمور مع حرِّيته الكاملة في اتِّخاذ القرارات.

والمثال الذي يمكن الاستشهاد به على القوَّة التَّنظيمية هو قوله تعالى: ﴿ وَحُشِرَ لِسُلَيۡمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ وَٱلطَّيۡرِ فَهُمۡ يُوزَعُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ [النمل: 17].

فالآية تدل على أنَّ سليمان عليه السلام جمع له من جنوده المكونة من: عالم الجنِّ، وعالم الإنس، وعالم الطَّير... وتمَّ استعراضهم على سليمان عليه السلام بنظام وترتيب متناهٍ، بحيث لا يتقدم فيه أحد عن منـــزلته، ولا يتأخّر أحد عن مرتبته، وكل صنف منهم يجري عرضه وفق طبيعته[2]، وهذا لئلا يتفرَّقوا وتشيع فيهم الفوضى. فهو حشد عسكري في غاية التَّنظيم[3].

يقول طنطاوي: "فَهُمْ يُوزَعُونَ أي: فهم محبوسون ومجموعون بنظام وترتيب، بحيث لا يتجاوز أحدهم مكانه أو منـــزلته أو وظيفته المسؤول عنها.

فالتَّعبير بقوله: يُوزَعُونَ، يشعر بأنَّ هؤلاء الجنود مع كثرتهم، لهم من يزعهم عن الفوضى والاضطراب، إذ الوازع في الحرب، هو من يدير أمور الجيش، وينظِّم صفوفه، ويردُّ من شذَّ من أفراده إلى جادَّة الصواب" [4].

---

1 ــ ينظر: جواد حسين، القوة التنظيمية للقادة الإداريين، مجلة الإدارة والاقتصاد، معهد الإدارة بالرصافة، العدد: 75، سنة: 2009م، ص 118.

2 ــ ينظر: الناصري محمد، التيسير في أحاديث التفسير، مصدر سابق، ج4، ص416.

3 ــ ينظر: سيد قطب، في ظلال القرآن، مصدر سابق، ج5، ص2636.

4 ــ طنطاوي، التفسير الوسيط، مصدر سابق، ج10، ص314.

ويقول زكريا الخضر: "فهم يوزعون"، هذا هو التَّقسيم الوظيفي، فكلٌّ له غايته، وكلٌّ له وظيفته وطبيعة عمله المنوط به، والموكل إليه، وكلٌّ حسب طبيعته وطاقاته، فما يحسنه بعض الخلق لا يحسنه بعضهم الآخر.

ويُظهر النَّظم من خلال هذا التَّرتيب: الجنّ، ثم الإنس، ثم الطَّير، أنَّ الأقدر والأقوى والأكثر تأثيرًا: هم الجنُّ أوَّلًا ولذلك تقدَّموا في الذِّكر، ثم ذكر الإنس، وتَلَتْهم الطَّير، فهذا ترتيب طبيعي منطقي يدلُّ على عظم ملك سليمان عليه السلام وقوَّته في امتلاكهم، وقوَّته في تنظيمهم وتسييرهم.

وفي هذا مؤشِّر على أنَّ المُلْك القويم يمتاز بحسن التَّقسيم، وتوخِّي الدِّقة في إدارة السُّلطة، وهذا بلا ريب من حسن إدارة النِّظام، ومن عوامل نجاح الحكم، وهو ما يمكن أن يطلق عليه اليوم بالمفهوم المعاصر: التَّوزيع الإداري، أو التَّقسيم الوظيفي [1].

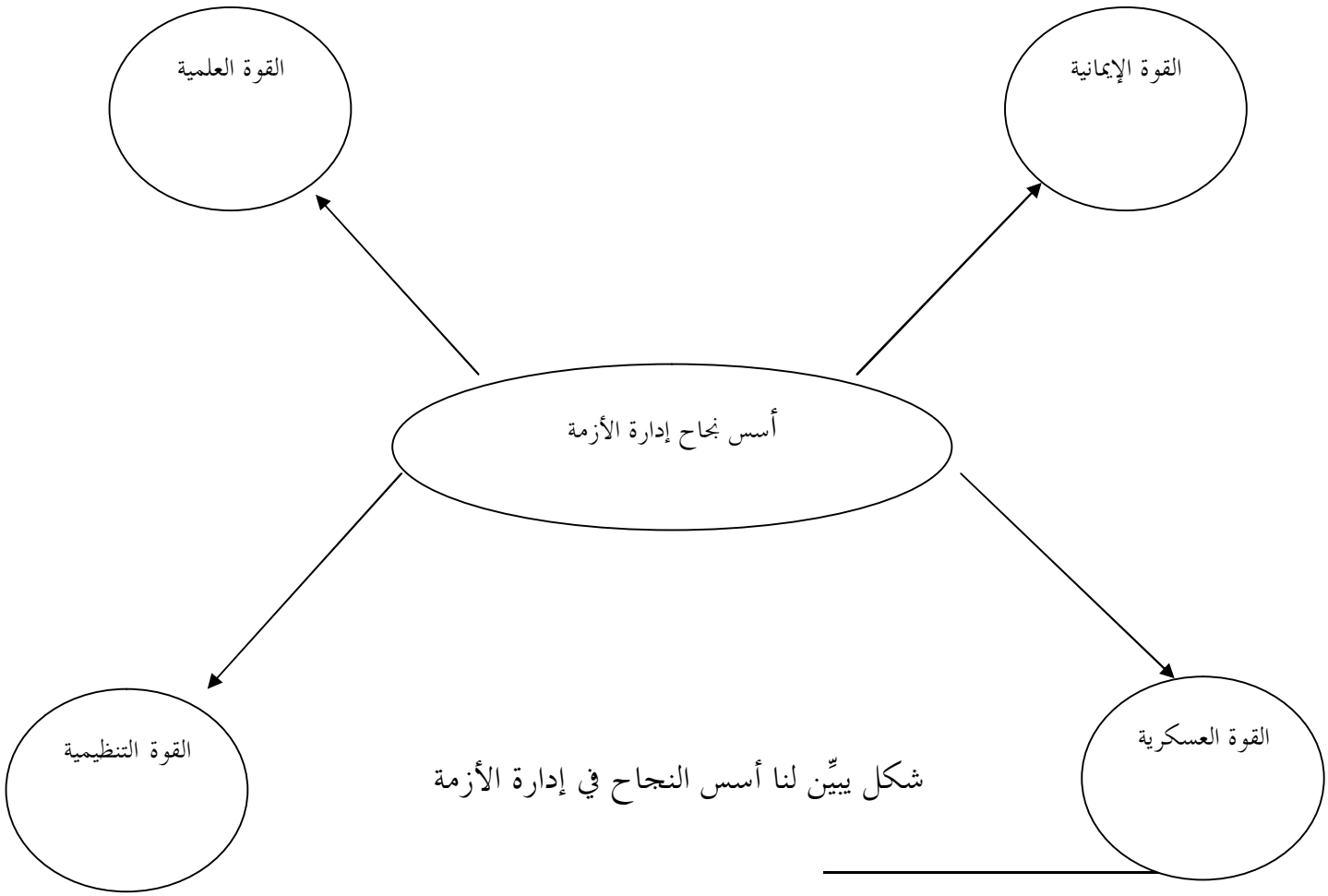

شكل يبيِّن لنا أسس النجاح في إدارة الأزمة

1 ــ ينظر: الخضر زكريا علي محمود، القيم الحضارية في قصة سيدنا سليمان عليه السلام مع ملكة سبأ، مرجع سابق، ص ص: 94 ــ 95.

الفصل الخامس: منهج القرآن الكريم في إدارة الأزمة العسكرية

ـــ غزوة الأحزاب نموذجاـــ

المبحث الأول: أزمة غزوة الأحزاب: تعريفها، أسبابها.

المبحث الثاني: أزمة الأحزاب: خصائصها، مراحلها.

المبحث الثالث: إدارة أزمة الأحزاب، وبيان صفات القائد العسكري.

الفصل الخامس: منهج القرآن الكريم في إدارة الأزمة العسكرية

ـ غزوة الأحزاب نموذجا ـ

تعتبر الغزوات المذكورة في القرآن الكريم على كثرتها بمثابة منهج قرآني ربَّاني يبيِّن لنا كيفيَّة إدارة الأزمات العسكرية...لأنَّ فيها استجلاء الدُّروس، والعبر، والعظات لتكون نبراسًا للأمَّة في رحلة حياتها، وهدايةً لها ورشادًا في علاج هذا النَّوع من الأزمة حال حدوثها؛ إذ لا تكاد تسلم أمَّة، وجيل من هذا النَّوع من الأزمات، مصداقًا لما قاله تعالى في أعقاب أزمة غزوة أحد: ﴿ إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٠﴾ ﴾ [آل عمران: 140].

والأيَّام في الآية إشارة إلى أيَّام الحروب، كقولهم: يوم بدر، ويوم حنين، ويوم بِعاث... والمداولة: نقل الشَّيء من واحد إلى آخر، يقال: الدُّنيا دُوَل؛ أي: تنتقل من قومٍ إلى آخرين، ثم عنهم إلى غيرهم [1].

فالغزوات التي سجَّلها القرآن الكريم ــ والتي تنحصر في القسم المدني لشروع الجهاد في السَّنة الثانية بعد الهجرة النبوية، ــ هي:

1. ــ غزوة بدر ودروسها في سورة الأنفال.
2. ــ غزوة أحد ودروسها في ستِّين آية من سورة آل عمران.
3. ــ غزوة الأحزاب (الخندق)، وبنو قريظة ودروسهما في سورة الأحزاب.
4. ــ أحداث الحديبية، وفتح مكَّة ودروسهما في سورة الفتح.
5. ــ غزوة حنين، وتبوك دروسهما في سورة التوبة.
6. ــ غزوة بني النَّضير ودروسها في سورة الحشر.
7. ــ غزوة بني المصطلق وتسمَّى بغزوة المريسيع ودروسها في سورة المنافقون.

---

1 ــ ينظر: جماعة من العلماء، التفسير الوسيط، مصدر سابق، ج2، ص665.

ولقد تمَّ اختيار أزمة غزوة الأحزاب [1] كنموذج عملي يبيِّن لنا منهج القرآن الكريم في إدارته للأزمة العسكريَّة من بين باقي الغزوات الأخرى نظرًا لما يأتي:

1- هي الغزوة الوحيدة في القرآن الكريم التي سمِّيت باسمها سورة وهي سورة الأحزاب.

2- كما أنَّها الغزوة الوحيدة التي اجتمعت فيها قوى الشَّرِّ ضدَّ المؤمنين، ففي الغزوات السَّابقة واللَّاحقة كان المؤمنون يقاتلون كلّ قوّة على حدة، أمّا في هذه الغزوة فقد خرجت جموع الأحزاب من يهود خيبر، ويهود بني النّضير، وكفّار قريش، وغطفان... وكان قوامهم عشرة آلاف، لقتال المؤمنين الذين لا يتعدَّى عددهم ثلاثة آلاف.

3- خطورة الغزوة وشدَّتها على المؤمنين، إذ أحاط بهم العسكر من جميع الجهات والنَّواحي.

4- تعتبر غزوة الأحزاب الغزوة الفاصلة بين مرحلتين رئيسيتين من مراحل حياة الدَّعوة الإسلامية، وقد كانت إيذانًا لنهاية أسلوب الدِّفاع، والانتقال إلى أسلوب المباغتة والهجوم.

---

1 ــ يرى بعض المتأخرين أن لا نطلق اسم الغزوة على وقعة الأحزاب لأنه لم يحدث فيها قتال أصلا، فالغزو في رأيهم هو: هجوم وانتقال جيش المسلمين إلى عقر دار عدوهم، وهذا مأخوذ من التعاريف اللغوية للغزو، فمعركة الخندق لم يغزو فيها المسلمين بل اعتدي عليهم وكانوا مدافعين عن المدينة وليسوا غزاة.
فيمكن أن يجاب على هؤلاء بما يأتي:
ــ قد يطلق الغزو إذا كان من جهة العدو فقط: مثل ما وقع في غزو أحد. فعلى صحة تعريفهم فلا يطلق حتى على أحُد بغزوة أحُد لأن المسلمين لم ينتقلوا إلى عقر دار عدوهم.
ــ أطبق علماء السير والمغازي على إطلاق الغزوة على غزوة الأحزاب.
ــ رواة الحديث أنفسهم سموها بغزوة الخندق، ففي الجامع الصحيح قد بوّب في كتاب المغازي بابا سمّاه بـــ: بَابُ غَزْوَةِ الخَنْدَقِ وَهِيَ الأَحْزَابُ. [ينظر: البخاري، الجامع الصحيح، مصدر سابق، ج5، ص107].
ــ تبث عن النبي ﷺ أنه قال يوم الأحزاب: «الآنَ نَغْزُوهُمْ وَلا يَغْزُونَنَا، نَحْنُ نَسِيرُ إِلَيْهِمْ» [البخاري، الجامع الصحيح، مصدر سابق، كتاب المغازي، بَابُ غَزْوَةِ الخَنْدَقِ وَهِيَ الأَحْزَابُ، ج5، ص110، رقم الحديث: 4110].

5- كانت بحقٍّ غزوة الأحزاب غزوة الأزمات لما اجتمع فيها من الـــمِحن، والخوف، والابتلاء، والزَّلزلة، والتَّعب... وصدق الله العظيم الذي وصف حال هذه الغزوة بقوله: ﴿ إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَـٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ﴿١٠﴾ هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴿١١﴾ ﴾ [الأحزاب: 10 - 11].

المبحث الأول: أزمة غزوة الأحزاب، تعريفها، أسبابها.

المطلب الأول: التعريف بأزمة غزوة الأحزاب.

جاء ذكر غزوة الأحزاب في سورة الأحزاب في قوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٩﴾ إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَـٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ﴿١٠﴾ هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴿١١﴾ وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَـٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢﴾ وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ يَـٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَٱرْجِعُوا۟ ۚ وَيَسْتَـْٔذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ ٱلنَّبِىَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِىَ بِعَوْرَةٍ ۖ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴿١٣﴾ وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِم مِّنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا۟ ٱلْفِتْنَةَ لَـَٔاتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُوا۟ بِهَآ إِلَّا يَسِيرًا ﴿١٤﴾ وَلَقَدْ كَانُوا۟ عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ ٱلْأَدْبَـٰرَ ۚ وَكَانَ عَهْدُ ٱللَّهِ مَسْـُٔولًا ﴿١٥﴾ قُل لَّن يَنفَعَكُمُ ٱلْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ ٱلْمَوْتِ أَوِ ٱلْقَتْلِ وَإِذًا لَّا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٦﴾ قُلْ مَن ذَا ٱلَّذِى يَعْصِمُكُم مِّنَ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوٓءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً ۚ وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٧﴾ ۞ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَٱلْقَآئِلِينَ لِإِخْوَٰنِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا ۖ وَلَا يَأْتُونَ ٱلْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٨﴾ أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ ۖ فَإِذَا جَآءَ ٱلْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَٱلَّذِى يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ ۖ فَإِذَا ذَهَبَ ٱلْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى ٱلْخَيْرِ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا۟ فَأَحْبَطَ ٱللَّهُ أَعْمَـٰلَهُمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٩﴾ يَحْسَبُونَ ٱلْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا۟ ۖ وَإِن يَأْتِ ٱلْأَحْزَابُ يَوَدُّوا۟ لَوْ أَنَّهُم بَادُونَ فِى ٱلْأَعْرَابِ يَسْـَٔلُونَ عَنْ أَنۢبَآئِكُمْ ۖ وَلَوْ كَانُوا۟ فِيكُم مَّا قَـٰتَلُوٓا۟ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢٠﴾ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ وَلَمَّا رَءَا

﴿ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ لِّيَجْزِىَ ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٤﴾ وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا۟ خَيْرًا ۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴿٢٥﴾ وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴿٢٦﴾ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَٰرَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَـُٔوهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا ﴿٢٧﴾﴾ [الأحزاب: 9 – 27].

فهذه الآيات الكريمة نزلت في شأن غزوة الأحزاب حيث تعرَّضت في مجملها لذكر المشاهد الكبيرة، والأحداث المثيرة إذ ركَّزت على ذكر المشاهد والمواقف دون ذكر الأشخاص والأماكن، ودون سرد الجزئيات والتَّفصيلات، لأجل أن تمتدَّ أهداف القصَّة خارج حدود الزَّمان والمكان الذي وقعت فيه، فالأزمنة تتجدَّد، والأمكنة تتجدَّد، والأحداث والأسلوب يتجدَّد معها؛ ولكنَّ السُّنن لا تتغيَّر ولا تتبدَّل، وكأنَّه يخاطب واقعنَا بالأمس واليوم وغدًا [1].

وفيما يأتي تعريف موجز عن غزوة الأحزاب وقد أُخذ من بعض كتب التَّفسير، والسِّير، والمغازي:

1- زمن وقوع الغزوة: يقول ابن كثير: "وقد كانت غزوة الخندق في شوال سنة خمس من الهجرة. نصَّ على ذلك ابن إسحاق، وعروة بن الزبير، وقتادة، والبيهقي، وغير واحد من العلماء، سلفًا وخلفًا" [2].

2- مكان وقوع الغزوة: أشار القرآن الكريم على لسان بعض المنافقين عن مكان حدوث الغزوة وهي يثرب، حيث قال: ﴿ وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ

1 ــ ينظر: محمد الحسن علي الأمين، واقعية غزوة الأحزاب في القرآن الكريم قراءة في أسلوبها ودلالاته، جامعة أم درمان الإسلامية، بحث منشور في الأنترنت بصيغة pdf، ص: 29.

2 ــ ابن كثير، البداية والنهاية، مصدر سابق، ج4، ص 107.

يَٰٓأَهۡلَ يَثۡرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمۡ فَٱرۡجِعُواْۚ وَيَسۡتَـٔۡذِنُ فَرِيقٞ مِّنۡهُمُ ٱلنَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوۡرَةٞۛ وَمَا هِيَ بِعَوۡرَةٍۛ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارٗا ﴿١٣﴾ ﴾ [الأحزاب: 13].

يقول القرطبي: " و"يثرب" هي المدينة، وسمَّاها رسول الله ﷺ طيبة، وطابة"[1].

3- مدَّة الغزوة: يقول الطَّبري عند تأويل قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ جَآءَتۡكُمۡ جُنُودٞ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحٗا وَجُنُودٗا لَّمۡ تَرَوۡهَاۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٩﴾ ﴾ [الأحزاب: 9]. "نزلت هذه الآية يوم الأحزاب وقد حُصر رسول الله ﷺ شهرًا"[2].

ويقول ابن القيم: " أقام المشركون محاصرين رسول الله ﷺ شهرًا، ولم يكن بينهم قتال لأجل ما حال الله به من الخندق بينهم وبين المسلمين" [3].

4- عدد الأحزاب: يقول الواقدي: "وكان القوم جميعًا الذين وافوا الخندق من قريش، وسليم، وغطفان، وأسد، عشرة آلاف"[4].

5- عدد المؤمنين: وخرج رسول الله ﷺ يوم الأحزاب في ثلاثة آلاف من المسلمين، فجعلوا ظهورهم إلى جبل سلع فتحصَّنوا به، والخندق بينهم وبين الكفار [5].

6- مشهد الأزمة: يصف القرآن الكريم مشهد الأزمة قائلاً: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ جَآءَتۡكُمۡ جُنُودٞ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحٗا وَجُنُودٗا لَّمۡ تَرَوۡهَاۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٩﴾ إِذۡ جَآءُوكُم مِّن فَوۡقِكُمۡ وَمِنۡ أَسۡفَلَ مِنكُمۡ وَإِذۡ

---

1 ــ القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، مصدر سابق، ج14، ص148.

2 ــ الطبري محمد بن جرير، جامع البيان في تأويل القرآن، مصدر سابق، ج20، ص216.

3 ــ ابن قيم الجوزية محمد بن أبي بكر بن أيوب، زاد المعاد في هدي خير العباد، ط27، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1994م، ج3، ص243.

4 ــ الواقدي، المغازي، مصدر سابق، ج2، ص444.

5 ــ ينظر: ابن هشام، السيرة النبوية، مصدر سابق، ج2، ص220. وينظر: المباركفوري، الرحيق المختوم، مرجع سابق، ص 280.

زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا ﴾[الأحزاب: 9 – 10].

ومعنى: {إِذْ جَآءُوكُمْ مِّن فَوْقِكُمْ} يعني: من فوق الوادي وهو أعلاه من قبل المشرق، جاء منه عوف بن مالك في بني النَّضير، وعيينة بن حصين في أهل نجد، وطلحة بن خويلد الأسدي في بني أسد. {وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ} يعني: من بطن الوادي من قِبل المغرب أسفل أي: تحتاً من النَّبي ﷺ، جاء منه أبو سفيان بن حرب على أهل مكة، ويزيد بن جحش على قريش فنـــزلوا قريبًا من أحد، وجاء أبو الأعور السُّلمي ومعه حييُّ بن أخطب اليهودي في يهود بني قريظة مع عامر بن الطُّفيل من وجه الخندق، وخرج رسول الله ﷺ ومن معه من المسلمين وهم نحو ثلاثة آلاف، فأسندوا ظهورهم إلى سلع ووجوههم إلى نحو العدوِّ، والخندق حفير ليس فيه ماء ليحجب الخيالة، والرِّجال أن تصل إليهم، وجعل النِّساء، والذَّراري في آطام المدينة [1].

والفوقية والسُّفلية في الآية ليست على حقيقتها؛ وإنَّما المراد أنَّ في المدينة مداخل من الجهة العليا، ومداخل من الجهة السُّفلى، وقد حوصرت كلُّها [2].

وبمجرد ملاحظة عامَّة حول مشهد الأحزاب نرى أنَّ المشركين من قريش وغطفان واليهود من بني قريظة قد أطبقوا على المسلمين، وطوَّقوهم من كلِّ جهة، وشدُّوا عليهم الخناق، وسدّوا عليهم منافذ النَّجاة... ناهيك عن العدُوِّ الدَّاخلي وهم المنافقون الذين ينشرون القلاقل والأراجيف داخل صفوف المؤمنين.

7- ما حقَّقه المؤمنون: بعد عرض مشهد الأحزاب الذي ابتلي فيه المؤمنون، والأزمة التي محَّصت إيمانهم وأبانت عن موقفهم، تأتي بعد ذلك النَّتائج والثَّمرات، التي حقَّق المؤمنون فيها النَّصر من جانبين:

---

1 ــ ينظر: الماوردي، النكت والعيون، مصدر سابق، ج4، ص379. وينظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، مصدر سابق، ج6، ص343.

2 ــ ينظر: بيوض إبراهيم بن عمر، في رحاب القرآن، مصدر سابق، ج12، ص215.

✓ ــ الجانب الدُّنيوي: فقد آتاهم الله ثواب الدُّنيا المتمثِّل في ردِّ كيد الكافرين، وأنَّهم لم ينالوا خيرًا، وأوْرَث الله المؤمنين أرض أهل الكتاب، وديارهم، وأموالهم، وأرضًا لم يطئوها وهي خيبر يقول تعالى: ﴿ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَئُوهَا ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ﴿٢٧﴾ ﴾ [الأحزاب: 27].

✓ ــ الجانب الأخروي: وهو حسن الثَّواب في الآخرة جزاء صدقهم الذي صدقوا الله ورسوله عليه، فمدحهم الله في كتابه الخالد بقوله: ﴿ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ لِّيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ ﴾ [الأحزاب: 23 – 24]، فهؤلاء هم المؤمنون الذين امتحن الله قلوبهم، وملأها تقوًى، وصدقًا، وحبًّا لله ورسوله، وهم قد أيقنوا بوعد الله ونصره ينصر من يشاء، جعلنا الله منهم [1].

8- ما حقَّقته الأحزاب: رجعت الأحزاب بخفَّي حنين، ولم يحقِّقوا نصرًا ولا ظفرًا؛ بل أكثر من ذلك فقد ألحق النَّبي ﷺ أقصى العقوبات على الذين نقضوا العهد معه وهم بنو قريظة فقتل البالغين منهم: ﴿ وَأَنزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴿٢٦﴾ ﴾ [الأحزاب: 26]. وأمَّا الذين ألّبوا الأحزاب وهم يهود بنو النَّضير الذين لجأوا إلى خيبر فقد سار إليهم النَّبي ﷺ بعد ذلك وحاصرها وفتحها سنة سبعٍ للهجرة [2].

---

1 ــ ينظر: بولقصاع محمد، النبي ﷺ في ضوء سورة الأحزاب، رسالة ماجستير، المشرف: محمد علي زغول، جامعة آل البيت، الأردن، 2010م، ص: 104.

2 ــ ينظر: الواقدي، المغازي، مصدر سابق، ج2، ص634. وينظر: ابن هشام، السيرة النبوية، مصدر سابق، ج2، ص330.

صورة توضح لنا مشهد الأحزاب وتمركز الجنود على طول شريط الخندق

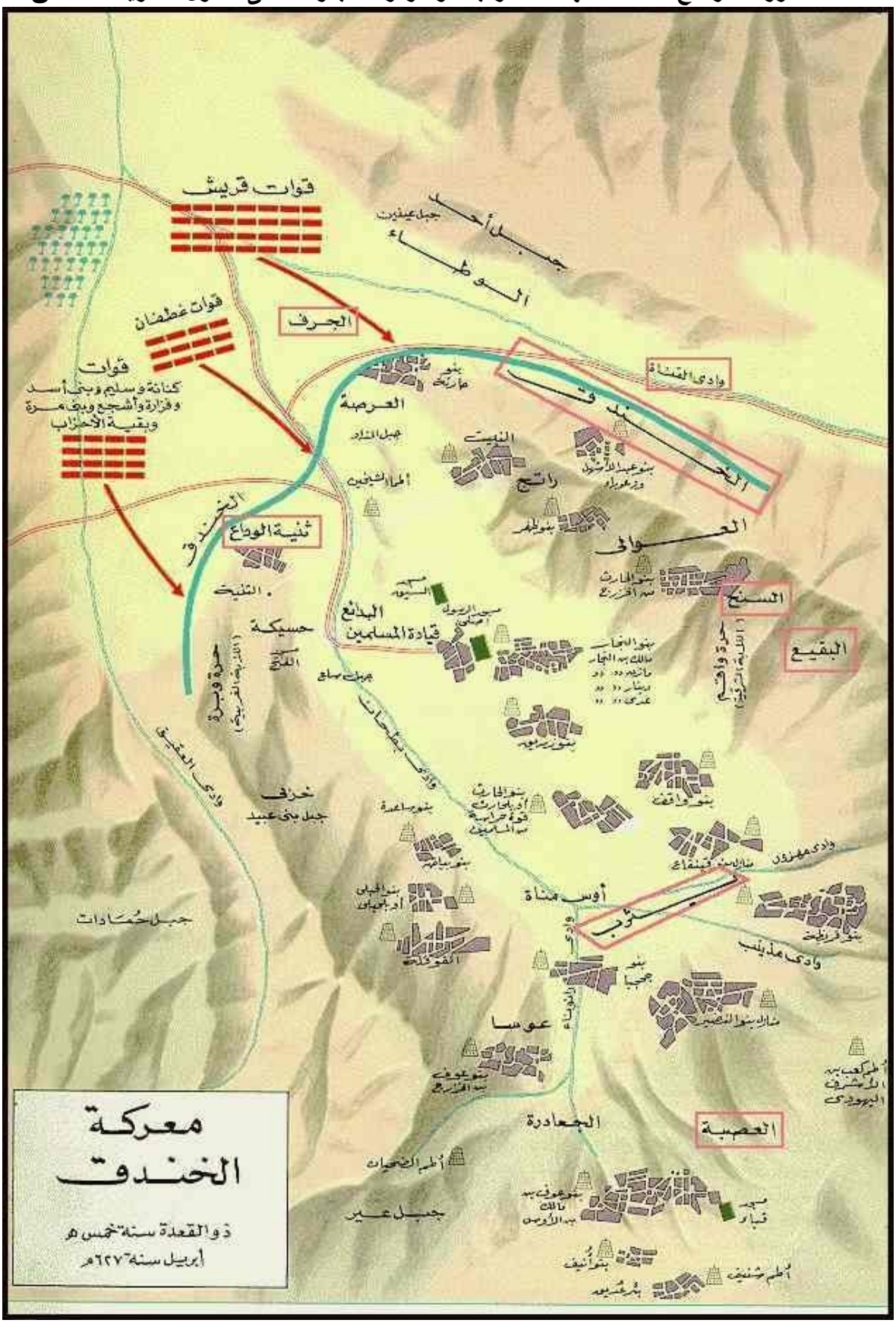

المطلب الثاني: سبب أزمة الأحزاب.

ذكر القرآن الكريم في سورة الأحزاب أنَّ سبب اجتماع الأحزاب الكافرة رغم اختلاف مِلَلهم، ونِحَلهم راجع أساسًا إلى الغيظ والحقد الذي يكنُّونه دائمًا ضدَّ النَّبي ﷺ وأتباعه؛ ولكنَّهم رغم تخطيطهم وتدبيرهم، واجتماع عَدَدهم وعُدَّتهم لم يشفوا غيظهم، ولم يحقِّقوا هدفهم؛ بل ردَّهم الله ﷻ مدحورين لم ينالوا خيرًا، وكفى الله المؤمنين القتال.

يقول تعالى: ﴿ وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُواْ خَيْرًا ۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴿٢٥﴾ ﴾ [الأحزاب: 25].

والرَّدُّ: الإرجاع إلى المكان الذي صدر منه، والباء في بغيظهم للملابسة، فهم خرجوا من ديارهم بغيظهم وحنقهم [1]، ورُدُّوا بذلك [2].

يقول عبد الكريم الخطيب: "فقد ردّ الله الأحزاب «بغيظهم» فهذا الغيظ هو محصّلهم من هذه الغزوة التي كانوا يمنّون أنفسهم فيها بالنَّصر والغنيمة.. فبدلًا من أن يعودوا إلى أهليهم محمّلين بالغنائم، وبأهازيج الفرح والزَّهو، عادوا يحملون الغيظ والكمد، ويتلفَّعون بالخزي والذِّلَّة... "[3].

ولتأكيد ما سبق يمكن أن نسوق ما ذكرته لنا كتب السيرة، والمغازي عن سبب هذه الأزمة باختصار وهي:

عندما أجلى النَّبي ﷺ يهود بني النَّضير من المدينة سنة أربع من الهجرة وذلك بسبب غدرهم، وخيانتهم، ودسائسهم...وساروا إلى خيبر [4]، فحينها بدأت مؤامرتهم من جديد، وخاصَّة وهم يرون أنَّ دولة الإسلام الفتيَّة بدأت في السَّيطرة على قبائل العرب الواحدة تلْوَ الأخرى، وازداد توسُّعها ونفوذها في الجزيرة العربية، فحينها بدأ التَّآمر على المسلمين.

---

1 ــ الــحَنَقُ: شدّة الاغْتِــياظِ [ابن منظور، لسان العرب، مصدر سابق، ج10، ص69]

2 ــ ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، مصدر سابق، ج21، ص310.

3 ــ الخطيب عبد الكريم، التفسير القرآني للقرآن، مصدر سابق، ج11، ص683.

4 ــ ينظر تفاصيل الحادثة في سيرة ابن هشام. [ينظر: عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري، السيرة النبوية لابن هشام، تح: مصطفى السقا وآخرون، ط2، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، 1955م، ج2، ص ص: 190 ــ 195]

فمن هذا المنطلق خرج نفر من زعماء يهود بني النَّضير حتَّى قدموا مكة، فحرَّضوا قريشًا على غزو الرَّسول ﷺ وواعدوهم بالوقوف في صفِّهم، وقالوا لهم إنَّ ما أنتم عليه خير من دين محمد، ففيهم نزل قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ هَٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ سَبِيلًا ﴿٥١﴾ ﴾ [النساء: 51]، فأجابتهم قريش لذلك بعد أخذ وردٍّ [1].

ثم خرج أولئك النَّفر من اليهود حتَّى جاؤوا غطفان فدعوهم إلى مثل ما دعوا قريشًا إليه، ولم يزالوا بهم حتَّى وافقوهم على ذلك ثم التقوا ببني فزارة وبني مرَّة، وتمّ لهم مع هؤلاء جميعًا تواعد في الزَّمان والمكان لحرب رسول الله ﷺ، وبذلك نجح ساسة اليهود وقادتهم في تأليب أحزاب الكفر على النَّبي ﷺ ودعوته.

وفعلًا خرجت من الجنوب قريش وكنانة وحلفاؤهم من أهل تهامة- وقائدهم أبو سفيان- في أربعة آلاف، ووافاهم بنو سليم بمر الظَّهران، وخرجت من الشَّرق قبائل غطفان: بنو فزارة، يقودهم عيينة بن حصن، وبنو مرة، يقودهم الحارث بن عوف، وبنو أشجع يقودهم مسعر بن رخيلة كما خرجت بنو أسد وغيرها.

فاجتمعت قوى الكفر من المشركين واليهود من خارج المدينة، والمنافقون من داخلها رغم اختلاف عقائدهم تحت رايةٍ واحدةٍ، وهدف واحد وهو: استئصال شأفة المسلمين في عقر دارهم، وسلب أموالهم وديارهم. فحشدوا العَدَدَ والعتادَ، وجاءوا بخيلهم ورجلهم، زادُهم الحقدُ الدَّفينُ، وشعارِهُمُ التَّربصُ بهذا الدِّين، وغايتُهم أن يَدُكُّوا حصون العقيدة ويُخْمِدُوا نور الإيمان فلا تقومُ للحقِّ قائمةٌ: ﴿ يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ [التوبة: 32].

واتَّجهت هذه الأحزاب، وتحرَّكت نحو المدينة على ميعادٍ كانت قد تعاقدت عليه.

وبعد أيَّام تجمَّع حول المدينة جيش عرمرم بلغ عدده عشرة آلاف مقاتل، جيش ربَّما يزيد عدده على جميع من في المدينة من النِّساء، والصِّبيان، والشَّباب، والشُّيوخ.

---

1 ــ ينظر سبب نزول الآية عند الواحدي. [الواحدي علي بن أحمد بن محمد، أسباب النزول، تح: الحميدان عصام بن عبد المحسن، ط2، دار الإصلاح، الدمام، 1992م، ص ص: 155 ــ 156].

وقبل وصول جموع الأحزاب إلى المدينة وصل الخبر إلى الرَّسول ﷺ ومن آمن معه وأدركوا الخطر المحدق بهم، فسارع ﷺ إلى عقد مجلس استشاري أعلى رسموا من خلاله الخطَّة التي يدفعون بها عن دعوتهم ودولتهم، وكانت خطَّة فريدة لم تسمع العرب بمثلها، وهم الذين لا يعرفون إلا قتال الميادين المكشوفة، وبعد مشاورات ومناقشات اتَّفقوا على قرار قدَّمه الصَّحابي النَّبيل سلمان الفارسي رضي الله عنه. قال سلمان: يا رسول الله، إنَّا كنَّا بأرض فارس إذا حُوصرنا خندقنا علينا... [1].

فنخلص من سَوْق هذه الحادثة إلى أنَّ سبب الأزمة يتلخَّص في: الغيظ، والحقد، والحسد، والكراهيَّة ضد الإسلام والمسلمين، وصدق الله العظيم حين كشف سريرتهم بقوله: ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَٱعْفُوا۟ وَٱصْفَحُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٩﴾ ﴾ [البقرة: 109]، وقوله تعالى: ﴿ وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟ ۚ ﴾ [البقرة: 217].

---

1 ــ ينظر: ابن هشام عبد الملك، السيرة النبوية لبن هشام، مرجع سابق، ج2، ص ص: 214 ــ 215. وينظر: الواقدي، المغازي، مصدر سابق، ج2، ص ص: 440 ــ 445. وينظر: المباركفوري صفي الرحمن، الرحيق المختوم، مرجع سابق، ص ص: 275 ــ 278. وينظر: الغزالي محمد، فقه السيرة، مرجع سابق، ص ص: 297 ــ 298. وينظر: البوطي محمّد سَعيد رَمضان، فقه السيرة النبوية مع موجز لتاريخ الخلافة الراشدة، مرجع سابق، ص: 213.

المبحث الثاني: أزمة الأحزاب: خصائصها، مراحلها.

المطلب الأول: خصائص الأزمة.

تميَّزت أزمة الأحزاب عن نظيراتها في القرآن الكريم بمميِّزات كثيرة، كما اجتمعت فيها من الأهوال، والشَّدائد ما لم تجتمع في غيرها، حتَّى قالت أمُّ سلمة رضي الله عنها: شهدت مع النَّبي ﷺ مشاهد فيها قتال وخوف مثل: المريسيع، وخيبر، وكنَّا بالحديبية، وفي الفتح، وحُنين لم يكن من ذلك أتعب لرسول اللَّه ﷺ ولا أخوف عندنا من الخندق، ولم تَحدث لنا شدَّة بقدر الشِّدَّة التي أصبناها يوم الخندق، وذلك أنَّ المسلمين كانوا في مثل الحرجة، وأنَّ قريظة لا نأمنها على الذَّراري، فالمدينة تُحرس حتَّى الصَّباح، نسمع تكبير المسلمين فيها حتى يصبحوا خوفًا، حتى ردَّهم اللَّه بغيظهم لم ينالوا خيرًا [1].

ومن أهمّ خصائص أزمة الأحزاب ما يأتي:

1. ــ صوَّر الله لنا في كتابه العظيم مشهد أزمة الأحزاب وكأنَّه مشهد من مشاهد يوم القيامة، حيث قال: ﴿ إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ﴿١٠﴾ هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴿١١﴾ ﴾ [الأحزاب: 10 – 11]، فمشاهد الأحزاب التي تطابق مشاهد القيامة هي:

أ- زيغ الأبصار: قال تعالى: ﴿ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴾، قارب ذلك قوله تعالى: ﴿ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٣٧﴾ ﴾ [النور: 37]، وزيغ الأبصار وتقلُّبها علامة للاضطراب والخوف والهلع.

---

1 ــ ينظر: المغازي، الواقدي، مصدر سابق، ج2، ص467. وينظر: المقريزي، إمتاع الأسماع، مصدر سابق، ج1، ص235.

يقول بيوض: عندما يُصاب المرء بخوفٍ شديدٍ فإنَّ عينيه تزيغان، فيصبح يلتفت يمينًا وشمالًا، وكلَّما اشتدَّ الخوف ازداد النَّظر زيغانًا، وهذه طبيعة يعرفها النَّاس من أنفسهم، ويعرفونها من بعضهم بعضًا.

فالمؤمنون أُصيبوا بزوغان البصر، فلا يدرون أين يلتفون، فاليهود من جهة، وغطفان من جهة أخرى، وقريش من جهة ثالثة، فهم قد أُخِذوا من جميع الجهات [1].

ب- بلوغ القلوب الحناجر: فعندما وصف الله ﷻ مشهد الأحزاب بقوله: ﴿ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ ﴾، وافق ذلك التَّصوير مشهد يوم القيامة، يقول تعالى: ﴿ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْآزِفَةِ إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ ﴾ [غافر: 18].

يقول الرازي: "وبلغت القلوب الحناجر كناية عن غاية الشِّدَّة، وذلك لأنَّ القلب عند الغضب يندفع، وعند الخوف يجتمع فيتقلَّص فيلتصق بالحنجرة وقد يفضي إلى أن يسدَّ مجرى النَّفس فلا يقدر المرء أن يتنفس ويموت من الخوف، ومثله قوله تعالى: ﴿ فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ﴿٨٣﴾ ﴾ [الواقعة: 83]" [2].

ت- تزلزلهم الشَّديد: يقول تعالى: ﴿ وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴿١١﴾ ﴾، وهذا مطابق لقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ ۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ ﴿١﴾ ﴾ [الحج: 1].

يقول الصابوني: وحرِّك المؤمنون تحريكاً عنيفاً من شدَّة ما دهاهم، حتَّى لكأنَّ الأرض تتزلزل بهم وتضطرب تحت أقدامهم، وأصل الزَّلزلة شدَّةُ التَّحريك وهو هنا عبارة عن اضطراب القلوب وتزعزعها [3].

تعقيب على مشهد الأحزاب الذي شبَّهه الله ﷻ بمشهد يوم القيامة:

---

1 ــ ينظر: بيوض، في رحاب القرآن، مصدر سابق، ج12، ص215.

2 ــ الرازي، مفاتيح الغيب، مصدر سابق، ج25، ص160.

3 ــ ينظر: الصابوني، صفوة التفاسير، مصدر سابق، ج2، ص472.

لقد اعترى هؤلاء المؤمنين الخُلَّص ما يعتري البشر في حال الأزمة، والشِّدَّة، والكرب من زوغان الأبصار، وكرب الأنفاس، والتَّزلزل...لكن كان إلى جانب هذا كلِّه الصِّلة التي لا تنقطع بالله، والإدراك الذي لا يضلُّ عن سنن الله، والثِّقة التي لا تتزعزع بثبات هذه السُّنن وتحقُّق أواخرها متى تحققت أوائلها. ومن ثمَّ اتَّخذ المؤمنون من شعورهم بالزَّلزلة سببًا في انتظار النَّصر [1]، يقول تعالى: ﴿ وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾ ﴾ [الأحزاب: 22].

2. ــ الخوف والارتباك الشَّديد: لقد اقترن الخوف بأزمة الأحزاب ولازمه فيها، حتَّى إنَّ القرآن الكريم عبَّر بالخوف بدل الأحزاب، وذلك في قوله تعالى: ﴿ أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ ۖ فَإِذَا جَآءَ ٱلْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَٱلَّذِى يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ ۖ فَإِذَا ذَهَبَ ٱلْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى ٱلْخَيْرِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا۟ فَأَحْبَطَ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٩﴾ ﴾ [الأحزاب: 19]، فهذه الآية تنصُّ على أنَّ الله أقام الخوف مقام الأحزاب، فالمنافقون إذا جاءهم الخوف وهم الأحزاب ينظرون إلى النَّبي ﷺ نظر المغشيِّ عليه من الموت، فإذا ذهب الخوف، وذهابه مقرون بذهاب الأحزاب سلقوا النَّبي ﷺ ومن معه بألسنتهم المسعورة.

ومما يؤكِّد أنَّ الخوف ملأ قلوب المنافقين أيَّام الأحزاب ما رواه الإمام الطبري عند تأويل قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢﴾ ﴾ [الأحزاب: 12]، حيث قال: "حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، قال: قال رجل يوم الأحزاب لرجل من صحابة النَّبي ﷺ: يا فلان أرأيت إذ يقول رسول الله ﷺ: "إذا هلك قيصر فلا قيصر بعده، وإذا هلك كسرى فلا كسرى بعده، والذي نفسي بيده لتنفقنَّ كنوزهما في سبيل الله" فأين هذا من هذا، وأحدنا لا يستطيع أن يخرج يَبُول من الخوف" [2].

---

1 ــ ينظر: سيد قطب، في ظلال القرآن، مصدر سابق، ج5، ص2843.

2 ــ الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، مصدر سابق، ج20، ص223.

3. ــ الجوع: لقد قاسى المؤمنون شدَّة الجوع يوم الأحزاب، حتَّى قال أبو طلحة ﷺ: «شَكَوْنَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الجُوعَ وَرَفَعْنَا عَنْ بُطُونِنَا عَنْ حَجَرٍ حَجَرٍ، فَرَفَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ حَجَرَيْنِ»[1].

وبهذه المناسبة وقع في حفر الخندق آيات من أعلام النُّبوَّة، حيث رأى جابر بن عبد الله في النَّبي ﷺ خمصًا شديدًا، فذبح بهيمة وطحنت امرأته صاعًا من شعير ثم التمس من رسول الله ﷺ سرًّا أن يأتي في نفر من أصحابه، لكنَّ النَّبي ﷺ نادى في جميع أهل الخندق، وهم ألف فأكلوا من ذلك الطَّعام وشبعوا، وبقيت بُرمَة اللَّحم تغطُّ به كما هي، وبقي العجين يخبز كما هو [2].

4. ــ البرد الشَّديد: لقد تزامن وقوع أزمة الأحزاب مع موجة برد شديدة، حتَّى إنَّ حذيفة بن اليمان في القصَّة المشهورة يوم الأحزاب أنَّه أتاه النَّبي ﷺ وهو جاثٍ من البرد فقال له عليه السلام: «يَا ابْنَ الْيَمَانِ، قُمْ فَانْطَلِقْ إِلَى عَسْكَرِ الْأَحْزَابِ فَانْظُرْ إِلَى حَالِهِمْ» قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ، مَا قُمْتُ إِلَيْكَ إِلَّا حَيَاءً مِنْكَ مِنَ الْبَرْدِ»، فلما نفّذ حذيفة ما أمره به رسول الله ﷺ في معسكر الأحزاب، رجع إليه وقال: يا رسول الله، تفرَّق النَّاس عن أبي سفيان، فلم يبق إلا عصبة توقد النَّار قد صَبَّ الله عليه من البرد مثل الذي صبَّ علينا [3].

---

1 ــ الترمذي، سنن الترمذي، مصدر سابق، أبواب الزهد، بَابُ مَا جَاءَ فِي مَعِيشَةِ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ، ج4، ص585، رقم الحديث: 2371. قال أبو عِيسَى التِّرْمِذِي: هذا حديثٌ غريبٌ، لا نعرفُه إلا من هذا الوجه. قال الألباني: ضعيف. [الترمذي محمد بن عيسى، مختصر الشمائل المحمدية، تح: الألباني محمد ناصر الدين، المكتبة الإسلانية، عمّان، بَابُ مَا جَاءَ فِي عَيْشِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، ص78، رقم الحديث: 112].

2 ــ والحادثة متفق على صحتها وقد ذكرت في البخاري ومسلم. [ينظر: البخاري، الجامع الصحيح، مصدر سابق، كتاب المغازي، باب غزوة الخندق وهي الأحزاب، ج5، ص108، رقم الحديث: 4102. وينظر: مسلم، صحيح مسلم، مصدر سابق، كتاب الأشربة، باب...اسْتِحْبَاب الِاجْتِمَاع عَلَى الطَّعَام، ج3، ص1610، رقم الحديث: 141].

3 ــ ينظر تفاصيل القصة في المستدرك. [ينظر: الحاكم النيسابوري محمد بن عبد الله، المستدرك على الصحيحين، تح: مصطفى عبد القادر عطا، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1990م، كتاب المغازي والسرايا، ج3، ص33، رقم الحديث: 4325]. قال ابن الملقن: هذا الحديث صححه الحاكم، وأقره الذهبي وابن الملقن أيضاً على تصحيحه، كما أن مسلماً روى الحديث بمعناه. [ابن الملقن عمر بن علي، مختصرُ استدرَاك الحافِظ الذّهبي على مُستدرَك أبي عبد اللهِ الحَاكم، تح: عبد الله بن حمد اللحيدان، ط1، دار العاصمة، الرياض، 1411هـ، ج2، ص 1114].

ويلخِّص هذه الخصائص الثلاثة الأخيرة لأزمة الأحزاب أنَّ حذيفة بن اليمان ﷺ قال: "لقد رأيتنا في الخندق مع رسول الله ﷺ في ليلةٍ شديدة البرد، قد اجتمع علينا البرد، والجوع، والخوف" [1].

5. ــ حصول التَّعب والإرهاق: إنَّ إنجاز مشروع حفر الخندق بطول يزيد عن 5500م، ولمدَّة زمنيَّة قياسيَّة قدرها 6 أيَّام، ومع الظُّروف النَّفسية العصيبة التي ألـــمَّت بالمؤمنين سواء من العدوِّ الدَّاخلي أو الخارجي، زيادة على ذلك الظُّروف البيئية والمناخية الصَّعبة التي تعرفها المدينة المنوَّرة من ارتفاع في درجة الحرارة، والطبيعة القاسية، والتُّربة الحجرية الصَّلبة التي يتمُّ فيها الحفر، والنَّقص في العدد والعدَّة والعتاد....كلُّ ذلك شكَّل تعبًا جسديًّا ونفسيًّا في نفوس المؤمنين رضوان الله عليهم [2].

حتَّى إنَّ النَّبي ﷺ ناله ذلك التَّعب والإرهاق جرَّاء ما تكبَّده من عناء في حفر الخندق مع أصحابه، ولقد كان ﷺ الأسوة في العمل، والتَّضحية، والحرص، والمتابعة... حتَّى إنَّه لم يتمايز عن أصحابه أثناء نشاطه في حفر الخندق، يقول الصَّحابي أبو واقد اللَّيثي: "لقد كنت أرى رسول الله ﷺ وإنَّه ليضرب مرَّة بالمعول، ومرَّة يغرف بالمسحاة التُّراب، ومرَّة يحمل التُّراب في المكتل، ولقد رأيته يوما بلغ منه، فجلس رسول الله ﷺ ثمَّ اتَّكأ على حجر على شقِّه الأيسر، فذهب به النَّوم.

فرأيت أبا بكر وعمر واقفين على رأسه يُنَحِّيان النَّاس أن يمرُّوا به فينبِّهوه، وأنا قربت منه، ففزع ووثب، فقال: ألا أفزعتموني! فأخذ الكرزن [3] يضرب به" [4].

---

1 ــ الواقدي، المغازي، مصدر سابق، ج2، ص488.

2 ــ ينظر: محمود أحمد عبد اللطيف، وعبد الله بن حسين القاضي. خصائص النجاح في إنجاز المشروعات الكبرى: رؤية هندسية لحفر الخندق في غزوة الأحزاب، قسم التخطيط الحضري والإقليمي، كلية العمارة والتخطيط، جامعة الملك فيصل، بحث منشور في الأنترنت على شكل pdf، ص2 و ص17.

3 ــ الكَرْزَنُ والكِرْزَنُ والكِرْزِينُ الفأس لها رأسٌ واحد. [ابن منظور، لسان العرب، مصدر سابق، ج13، ص358].

4 ــ الواقدي، المغازي، مصدر سابق، ج2، ص453.

ولأجل الإنهماك في العمل دون انقطاع أو تماطل، ومع التَّعب الذي نزل بهم...فإنَّ الرَّسول ﷺ وصحابته فاتَتْهم بعض الصَّلوات المكتوبة، ففي صحيح مسلم بسنده عن علي رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَوْمَ الْأَحْزَابِ: «شَغَلُونَا عَنِ الصَّلَاةِ الْوُسْطَى، صَلَاةِ الْعَصْرِ، مَلَأَ اللهُ بُيُوتَهُمْ وَقُبُورَهُمْ نَارًا»، ثُمَّ صَلَّاهَا بَيْنَ الْعِشَاءَيْنِ [1].

6. ــ حرب أعصاب: إنّ معركة الأحزاب لم تكن معركة خسائر في الأموال والأرواح بقدر ما كانت معركة أعصاب، وذلك أنَّ الجميع كان ضدَّ النَّبي ﷺ وأتباعه، فالمنافقون ظهروا على حقيقتهم وغادروا ميدان المعركة معتذرين بأنَّ بيوتهم غير محميَّة مثيرين بذلك بلبلة في صفوف المؤمنين، زيادة على ذلك تصرُّفاتهم الدَّنيئة التي آذوا بها رسول الله ﷺ في نفسه وأصحابه، وذلك من خلال نظراتهم الثَّاقبة، ولسانهم الحادّ، وشحِّهم وبخلهم عن فعل الخير... كما أنَّ يهود بني قريظة نقضوا العهد مع الرَّسول ﷺ، وأنَّ الأحزاب المجتمعة وراء الخندق من قريش وأحابيشها، وغطفان وحلفائها، واليهود وطوائفهم... تترقَّب الهجوم على المدينة من أيِّ حلقة ضعيفة، فكلُّ هذه الأزمات والشَّدائد شكَّلت ضائقة نفسيَّة عصيبة لدى المؤمنين إذ لم يتصوَّروا أزمة بهذا الحجم، وصدق الله العظيم حين وصفهم بقوله: ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴿٢١٤﴾ ﴾ [البقرة: 214].

يقول القرطبي: "قال قتادة والسِّدي وأكثر المفسِّرين: نزلت هذه الآية في غزوة الخندق حين أصاب المسلمين ما أصابهم من الجهد والشِّدة، والحرِّ والبرد، وسوء العيش، وأنواع الشَّدائد" [2].

---

1 ــ مسلم، صحيح مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، بَابُ الدَّلِيلِ لِمَنْ قَالَ الصَّلَاةُ الْوُسْطَى هِيَ صَلَاةُ الْعَصْرِ، ج1، ص437، رقم الحديث: 205.

2 ــ القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، مصدر سابق، ج3، ص33.

المطلب الثاني: مراحل الأزمة.

تحدَّث القرآن الكريم عن أزمة غزوة الأحزاب فسلَّط الضوء على بعض مراحل الأزمة وبالأخصِّ مرحلة بلوغ الأزمة ذروتها، ومرحلة معافاتها، أمَّا بقيَّة المراحل كمرحلة الإنذار، ومرحلة ميلاد الأزمة فلم يشر القرآن إليهما في سورة الأحزاب، وذلك اكتفاء منه بالإشارة إليهما فيما مضى من الأزمات كأزمة بدر وأحد.

ومن هنا فإنَّ القرآن الكريم يَعتبر الأزمات العسكريَّة المذكورة فيه هي بمثابة سلسلة، وحلقات متواصلة لأحداث وأزمات واقعة بين معسكر الإيمان، ومعسكر الشِّرك.

فالقرآن الكريم منذ فجر دعوته إلى الإيمان بالله وبوحدانيته كان ينذر بميلاد أزمات جديدة نابعة من أعداء هذه الدعوة؛ لأنَّه لا يهنأ لهم عيش إلا بمحاربتها، خذ مثلا قوله تعالى: ﴿ وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟ ﴾ [البقرة: 217]، وقوله: ﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ ﴾ [المائدة: 82]. وما جموع الأحزاب التي تألَّبت على المؤمنين إلا من عدوَّين: اليهود، والمشركون.

وفيما يأتي بيان مراحل أزمة الأحزاب:

1- المرحلة الأولى: مرحلة الإنذار:

لقد أنذر القرآن الكريم الجماعة المؤمنة في أكثر من مرَّة سواء في العهد المكِّي أو المدني من وجوب أخذ الحيطة والحذر من أعدائهم، ومن سوء مغبَّة وضع الثِّقة في أعدائهم.

ففي أعقاب أزمة أحد التي ذكرت قصَّتها في سورة آل عمران والتي سبقت أزمة الأحزاب حذّر القرآن الكريم المؤمنين بوجود بوادر، وبظهور إنذارات مفادها أنَّ النَّاس قد جمعوا الجموع والأحزاب لقتالهم، فأرشدهم الله ﷻ إلى ما فيه خيرهم ونجاتهم بأن يؤمنوا بالله سبحانه ويلوذوا به لينصرهم على من تحزَّب عليهم، فلا ينالوهم بسوء مهما بلغت كثرة جموعهم، ومهما اشتدَّ الخطب، يقول تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُوا۟ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾ ﴾ [آل عمران: 173 – 174].

وفي مقابل ذلك نرى أنَّ المؤمنين حقيقة قد أخذوا بهذا الإنذار الرَّبَّاني، وعملوا بمقتضاه، وأيقنوا بنفاذ وعده سبحانه، إذ حينما رأوا جموع الأحزاب لم يُرهبوهم ولم يخشوهم؛ بل زادهم ذلك إيمانًا وتصديقًا بوعد الله، يقول تعالى: ﴿ وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾ ﴾ [الأحزاب: 22]، ونتيجة هذا الإيمان والتَّسليم، هو ما جاء في قوله تعالى: ﴿ وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا۟ خَيْرًا ۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴿٢٥﴾ ﴾ [الأحزاب: 25].

وفيما يأتي بيان التَّطابق بين الإنذار الذي حُذِّر به المؤمنون في سورة آل عمران، وبين استجابتهم لهذا التَّحذير في سورة الأحزاب:

- ــ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ قابله: وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ
- ــ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا ، قابله: وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا إِلَّا
- ــ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ ، قابله: وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا۟ خَيْرًا .

وبالرُّجوع إلى كتب السِّيرة نجد أنَّ قبيلة خزاعة حليفة المسلمين قد أبلغت خبر تحالف الأحزاب من يهود وقريش وغطفان وكنانة... إلى النَّبي ﷺ قبل خروجهم إليه؛ وأنَّهم قاصدون المدينة لأجل محاربته ﷺ وأتباعه، ولاستباحة دمائهم وأموالهم وأعراضهم[1].

وتعتبر المعلومات التي وصلته ﷺ بشأن تآلب الأحزاب عليهم بمثابة إنذار، وتحذير يستوجب على المجتمع المدني ككل، وعلى القيادة النَّبوية بوجه أخص اتِّخاذ قرارات عاجلة سليمة، وإجراءات ميدانية مدروسة، من أجل تفادي خطر عظيم محدق بهم يفنيهم ــ لا سامح الله ــ ويفني دعوة الإيمان إلى الأبد.

يقول المباركفوري: "ولو بلغت هذه الأحزاب المحزَّبة والجنود المجنَّدة إلى أسوار المدينة بغتة لكانت أعظم خطر على كيان المسلمين مما يقاس، ربما تبلغ إلى استئصال الشَّأفة، وإبادة الخضراء، ولكن قيادة المدينة كانت قيادة متيقِّظة، لم تزل واضعة أناملها على العروق

1 ــ ينظر: المقريزي، إمتاع الأسماع، مصدر سابق، ص203.

النَّابضة، تتجسَّس الظُّروف، وتقدِّر ما يتمخَّض عن مجراها، فلم تكد تتحرَّك هذه الجيوش عن مواضعها حتَّى نقلت استخبارات المدينة إلى قيادتها فيها بهذا الزَّحف الخطير"[1].

2- المرحلة الثانية: مرحلة ميلاد الأزمة:

تتشكل مرحلة ميلاد الأزمة من نقطتين أساسيَّتين:

أ- المباشرة في اتِّخاذ قرار حاسم ومصيري:

لـــمَّا علم أهل المدينة بخبر قدوم الأحزاب، سارع النَّبي ﷺ إلى استشارة أصحابه في الأزمة المستجدَّة، ليهتدوا إلى إيجاد خطَّة دفاعية يحمون بها أنفسهم من كيد الأحزاب، فأشار عليهم سلمان الفارسي ﷺ بخطَّة دفاعية جديدة لم تعرفها العرب من قبل، وهي حفر الخندق، فقال سلمان: "يا رسول الله، إنَّا إذ كنَّا بأرض فارس وتخوَّفنا الخيل خندقنا علينا، فهل لَّك يا رسول الله أن تُخندق؟" [2]، فأُعجب النَّبي ﷺ ومن معه برأي سلمان، وهبّ الجميع إلى تنفيذ ذلك.

ب- رؤية المؤمنين لجموع الأحزاب على مشارف المدينة:

لما شاهد المؤمنون الأحزاب وعاينوا جموعهم المحتشدة، وكان هذا المشهد المروِّع إيذانًا ببداية أزمة لا يُعلم مداها ولا عواقبها، ولكنَّ المؤمنين لم تفزعهم كثرة الأحزاب ولا عدَّتهم؛ بل زادهم ذلك المشهد إيمانًا وتصديقًا بوعد الله ﷻ، يقول تعالى: ﴿وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾﴾ [الأحزاب: 22].

يقول الزحيلي: "ولما شاهد المؤمنون المصدِّقون بموعود الله لهم، المخلصون في القول والعمل الأحزاب المتجمِّعة حول المدينة قالوا: هذا ما وعدنا الله ورسوله من الابتلاء والاختبار بمجابهة الأعداء ثمَّ النَّصر القريب، وصدق الله ورسوله الوعد بالنَّصر، وما زادهم تجمُّع الأعداء وتلك الحال من الشِّدَّة والضَّيق إلا إيمانًا بالله، وتصديقًا لرسوله ﷺ، وتسليمًا

1 ــ المباركفوري، الرحيق المختوم، مرجع سابق، ص277.

2 ــ الواقدي، المغازي، مصدر سابق، ج2، ص245.

لقضائه وقدَره وانقيادًا لأوامره وطاعة رسوله ﷺ، واعتقادًا جازمًا أنَّ النَّصر من عند الله تعالى بعد أن يتَّخذ العباد الأسباب، ويستعدُّوا للحرب" [1].

3- المرحلة الثالثة: مرحلة نموُّ الأزمة واتِّساعها:

بعد الانتهاء من حفر الخندق، وصلت الأحزاب إلى مشارف المدينة فحينها فوجئوا بالخندق أمامهم، ولم يستطيعوا اختراقه، وحاولوا ذلك عدَّة مرَّات ولكنَّهم باؤوا بالفشل، فالتجؤوا إلى فرض الحصار على المسلمين، بينما لم يكونوا مستعدِّين له حين خرجوا من ديارهم، إذ كانت هذه الخطَّة- كما قالوا- مكيدة ما عرفتها العرب، فلم يكونوا أدخلوها في حسابهم رأسًا.

وأخذ المشركون يدورون حول الخندق غيَّاظًا يتحسَّسون نقطة ضعيفة لينحدروا منها، وأخذ المسلمون يتطلَّعون إلى جولات المشركين، يرشقونهم بالنّبل، حتى لا يتجرَّؤوا على الاقتراب منه، ولا يستطيعوا أن يقتحموه، أو يهيلوا عليه التُّراب، ليبنوا به طريقا يمكنُّهم من العبور [2].

ويا ليت أنَّ الأزمة بقيت عند هذا الحدِّ الذي قد عُمل لها ألف حساب، وخُطِّط لها مسبقًا، ولكنَّ الأمر تجاوز ذلك بكثير، فقد تعاظمت الأزمة وتفاقمت بسبب ظهور تصدُّعات وخروقات في الجبهة الدَّاخلية، والتي لم تخطر ببال المؤمنين أصلًا، وقد كانت من جانبين رئيسيين:

✓ ــ الجانب الأول: دور المنافقين في تصعيد الأزمة:

جريًا على سنن الله تعالى في عباده أن يبيِّن الصَّادق من الكاذب، ويميِّز الخبيث من الطيِّب في أوقات الأزمات والشَّدائد، وما أزمة الأحزاب إلا عربونًا ونموذجًا لهذه السُّنن؛ لأنَّها قد كشفت عن فئة كبيرة من النَّاس لعبت دورًا خطيرًا في التَّصعيد من حدَّة الأزمة في داخل صفوف المؤمنين أيَّام الأحزاب وهم المنافقون الذين لا يظهرون على صورتهم الحقيقيَّة إلّا في هذه المواطن.

---

1 ــ الزحيلي، التفسير المنير، مصدر سابق، ج21، ص274.

2 ــ ينظر: المباركفوري، الرحيق المختوم، مرجع سابق، ص246.

والقرآن الكريم إزاء عرضه لأزمة الأحزاب أوقفنا كثيرًا عند هذه الفئة من النَّاس، فكشف عن خباياهم، وخفاياهم، وأبان عن مكرهم وخداعهم في أكثر من صورة، وسنقف عند هذه المواقف المخزية الجبانيَّة موقفًا موقفًا كما عرضتها لنا السُّورة الكريمة:

أ- التَّكذيب بوعد الله ورسوله، مع نعت وعدهما بالغرور، يقول تعالى: ﴿ وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢﴾ ﴾ [الأحزاب: 12].

يقول عبد الكريم الخطيب: فهذه حال من تلك الأحوال التي عرضت للمسلمين في الأحزاب، وهي أنَّ المنافقين، ومن في قلوبهم مرض قد كانوا من الذين ظنُّوا بالله ظنَّ السَّوء.. فكان قولهم في مواجهة هذا الابتلاء، هو الكفر الصَّريح: «ما وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُوراً» أي: أكاذيب وأباطيل، وأماني من الخداع، والتَّغرير.. وهكذا تكشف الشَّدائد والمحن عن معادن النَّاس، وعن مطويَّات الضَّمائر، وما تخفى الصُّدور.. [1].

وفي الحقيقة فإنَّ المنافقين ومرضى القلوب دائمًا في الأزمات يشكِّكون في وعود الله ﷻ ولا يثقون فيها، والدَّليل على ذلك مواقفهم الدَّنيئة في جميع الغزوات المذكورة في القرآن الكريم بدءًا بغزوة بدر حيث سفَّهوا وعد الله وغرَّروا به، وهو الموقف نفسه الذي تكرَّر في الأحزاب، فلم يتَّعظوا، و لم يدَّكروا...ولكنَّ المنافقين لا يعلمون، لا يفقهون!!!. يقول تعالى: ﴿ إِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ غَرَّ هَٰٓؤُلَآءِ دِينُهُمْ ۗ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٩﴾ ﴾[الأنفال: 49].

ب- التَّخلُّف عن مواطن المرابطة والنُّصرة، والاعتذار بأعذار واهية مكذوبة:

فالمنافقون في أزمة الأحزاب كانوا يهربون من صفوف المؤمنين بدعوى أنَّ بيوتهم ليست بحصينة؛ بل أكثر من ذلك فقد كانوا يخذِّلون المؤمنين المرابطين على الثُّغور ويأمرونهم بترك مواقعهم وبالانصراف إلى منازلهم.

---

1 ــ ينظر: الخطيب عبد الكريم، التفسير القرآني للقرآن، مصدر سابق، ج11، ص664.

يقول تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ يَٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَٱرْجِعُواْ وَيَسْتَـْٔذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ ٱلنَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴿١٣﴾ ﴾ [الأحزاب: 13].

يقول كعباش: لم يكتف المنافقون بمجرَّد بثِّ الشُّكوك وزعزعة اليقين بوعد الله في قلوب المؤمنين؛ بأنَّه مجرَّد غرور لا حقيقة له في الواقع؛ بل عمدوا إلى التَّثبيط بزحزحة بعض المقاتلين عن مواقعهم حتَّى يرجعوا إلى أهليهم وذراريهم، فهؤلاء المنافقون هم العلَّة والخطر الوبيل في خلخلة الصُّفوف وتوهين الجماعات...

ثم هم يبادرون بالرُّجوع إلى أهليهم بطلبهم الإذا بإلحاحٍ وبتكرارٍ من رسول الله ﷺ بدعوى انكشاف بيوتهم للعدوِّ، غير أنَّه تعالى كشف أمرهم بقوله: ﴿ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴿١٣﴾ ﴾، فهم يكْذبون على الله ورسوله، إذ أنَّ بيوتهم محصَّنة، والمدينة كلُّها في حراسة المسلمين من وراء الخندق؛ بل كانوا يودُّون النُّصرة للمشركين فيرتدُّون عن إسلامهم، ذلك كان منهم والعدوُّ ما يزال خارج المدينة، ولو أطبق العدوُّ عليهم واقتحم المدينة من جميع أطرافها ثم دُعوا إلى الفتنة في دينهم بالارتداد ونصرة المشركين لأقبلوا على ذلك مسرعين إلَّا قليلًا منهم، فهم لا يَرْعَون في عهد الله إلاًّ ولا ذمَّة [1].

فهذه التَّصرُّفات الذَّميمة من نشر التَّخاذل، وتحطيم المعنويَّات، والتَّولي يوم الزَّحف هو ديدن المنافقين دائمًا في جميع الأزمات العسكرية المذكورة في القرآن الكريم، ففي أزمة عزوة أحد أنزل الله فيهم قرآنا يُعاتب تخاذلهم، وكُرههم للجهاد، وانصرافهم من ميادين المعركة...لكنَّ المشكل فيهم أنَّ لهم آذانًا لا يسمعون بها، ولهم أعين لا يبصرون بها، ولهم قلوب لا يفقهون بها... يقول تعالى: ﴿ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُواْ وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ قَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوِ ٱدْفَعُواْ قَالُواْ لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَّٱتَّبَعْنَٰكُمْ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَٰنِ يَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ ﴿١٦٧﴾ ٱلَّذِينَ قَالُواْ لِإِخْوَٰنِهِمْ وَقَعَدُواْ لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُواْ قُلْ فَٱدْرَءُواْ عَنْ أَنفُسِكُمُ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٦٨﴾ ﴾ [آل عمران: 167 – 168].

---

1 ــ ينظر: كعباش، نفحات الرحمن في رياض القرآن، مصدر سابق، ج11، ص ص: 63 ــ 64.

ومن منهج القرآن الكريم أنَّه يفضح بدون ذكر الأسماء، ويُصحِّح بعدها المفاهيم والتَّصوُّرات والأفعال لعلَّهم يرجعون إلى جادَّة الصَّواب، ومن هنا فقد صحَّح لهم القرآن الكريم تصوُّرهم الفاسد تجاه تعاملهم مع الأزمات والشَّدائد قائلًا لهم لمّا ولَّوا الأدبار يوم الأحزاب: ﴿ قُل لَّن يَنفَعَكُمُ ٱلْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ ٱلْمَوْتِ أَوِ ٱلْقَتْلِ وَإِذًا لَّا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٦﴾ قُلْ مَن ذَا ٱلَّذِى يَعْصِمُكُم مِّنَ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوٓءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً ۚ وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٧﴾ ﴾ [الأحزاب: 16 – 17].

يقول سيد قطب: "يقرِّر القرآن إحدى القيم الباقية التي يقرِّرها في أوانها، ويصحِّح التَّصوُّر الذي يدعوهم إلى نقض العهد والفرار...

إنَّ قدر الله هو المسيطر على الأحداث والمصائر، يدفعها في الطَّريق المرسوم، وينتهي بها إلى النِّهاية المحتومة.

والموت أو القتل قدَرٌ لا مفرَّ من لقائه، في موعده، لا يستقدم لحظة ولا يستأخر. ولن ينفع الفرار في دفع القدر المحتوم عن فارّ. فإذا فرُّوا فإنَّهم ملاقون حتفهم المكتوب، في موعده القريب. وكلُّ موعد في الدُّنيا قريب، وكل متاع فيها قليل ولا عاصم من الله ولا من يحول دون نفاذ مشيئته. سواء أراد بهم سوءًا أم أراد بهم رحمةً، ولا مولى لهم ولا نصير، من دون الله، يحميهم ويمنعهم من قدر الله" [1].

ت- التَّعويق وتثبيط المقاتلين مع النَّبي ﷺ: وكانت هذه عادتهم في كلِّ غزوة خرجوا فيها مع المؤمنين، وبالموازاة نجد القرآن الكريم يستمر في فضحهم ففي:

- ــ غزوة أحد: يقول تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَقَالُوا۟ لِإِخْوَٰنِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ أَوْ كَانُوا۟ غُزًّى لَّوْ كَانُوا۟ عِندَنَا مَا مَاتُوا۟ وَمَا قُتِلُوا۟ لِيَجْعَلَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ حَسْرَةً فِى قُلُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١٥٦﴾ ﴾ [آل عمران: 156].

---

1 ــ سيد قطب، في ظلال القرآن، مصدر سابق، ج5، ص2839.

- ــ غزوة الأحزاب: يقول تعالى: ﴿ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَٱلْقَآئِلِينَ لِإِخْوَٰنِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا ۖ وَلَا يَأْتُونَ ٱلْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٨﴾ ﴾ [الأحزاب: 18].
- ــ غزوة تبوك: ﴿ وَقَالُوا۟ لَا تَنفِرُوا۟ فِى ٱلْحَرِّ ۗ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا ۚ لَّوْ كَانُوا۟ يَفْقَهُونَ ﴿٨١﴾ ﴾ [التوبة: 81].

يقول السَّعدي: "وهذه عادة المنافق عند الشِّدَّة والمحنة، لا يثْبُت إيمانه، وينظر بعقله القاصر، إلى الحالة القاصرة، ويُصدِّق ظنَّه" [1].

ث- الكشف عن أخلاقياتهم الذَّميمة أثناء الأزمة:

صدرت عن المنافقين أثناء أزمة الأحزاب سلوكيات، وأخلاقيات عدوانية ضدَّ المؤمنين، وهي تعكس الصُّورة الحقيقة التي امتلأت بها قلوبهم غيظًا، وحقدًا، وكرهًا للإسلام والمسلمين: ﴿ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ۚ ﴾ [آل عمران: 118].

فتصرُّفات المنافقين الخسيسة زادت من حدَّة الأزمة، ومن تعفين الأجواء الإيمانية التي كان يتمتَّع بها المجتمع الإيماني في ظروف المحنة من تضحية وإيثار ومحبة وتفانٍ...

ومن جملة التَّصرُّفات الاستفزازية الحقيرة التي صدرت عن المنافقين في حقِّ المؤمنين في ظلِّ الأزمة ما يأتي:

- ــ إيذاء المؤمنين بلسانهم السَّليط:

لم يسلم المؤمنون من كيد الأحزاب، حتى سلّط عليهم المنافقون ألسنتهم وأيديهم بالسُّوء، وآذوهم في أنفسهم، وسعوا في تحطيم معنوياتهم، وفي ذلك يخبرنا تعالى قائلا: ﴿ فَإِذَا ذَهَبَ ٱلْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ ﴾ [الأحزاب: 19].

يقول الرازي: "سلقوكم أي غلبوكم بالألسنة، وآذوكم بكلامهم يقولون نحن الذين قاتلنا وبنا انتصرتم، وكسرتم العدو، وقهرتم. ويطالبونكم بالقِسْم الأوفر من الغنيمة وكانوا من قبل راضين من الغنيمة بالإياب"[2].

---

1 ــ السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، مصدر سابق، ج1، ص660.
2 ــ الرازي، مفاتيح الغيب، مصدر سابق، ج25، ص162.

- ــ شدَّة بخلهم وعدم مواساة المؤمنين في أزمتهم:

إنَّ من صفات المنافقين الملازمة لهم وبالأخصِّ في الأزمات: الجبن والبخل. فهم بخلاء بأنفسهم وأموالهم، فلم يعاونوا المؤمنين في حفر الخندق، ولا في مجابهة الأحزاب، ولا في الدِّفاع عن الحقِّ، والعِرض، والشَّرف، ولا في أي شيء فيه منفعة لهم ولغيرهم.

ففي الأزمات يتسابق المؤمنون إلى النَّفقة، والبذل، والعطاء، والإيثار،...ولكنَّ المنافقين بعكس من ذلك تمامًا فهم أحْوج إلى البخل، والشُّحِّ، والتَّقتير، والمسألة،...والقرآن الكريم يؤكِّد تلازم هذه الصِّفات الذميمة عند المنافقين أثناء الأزمة، وذلك في قوله:

- ــ ﴿ أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ ﴾ [الأحزاب: 19] "أي: بخلاء عليكم بالنَّفقة والنُّصرة، فهم لا يودُّون مساعدتكم لا بنفس ولا بمال" [1].
- ــ وقوله أيضا: ﴿ أَشِحَّةً عَلَى ٱلْخَيْرِ ﴾ [الأحزاب: 19].

يقول سيد قطب: "فلا يبذلون للخير شيئًا من طاقتهم وجهدهم وأموالهم وأنفسهم مع كل ذلك الادِّعاء العريض وكلِّ ذلك التبجُّح وطول اللِّسان! وهذا النموذج من النَّاس لا ينقطع في جيل ولا في قبيل. فهو موجود دائمًا. وهو شجاع فَصِيحٌ بارِزٌ حيثما كان هناك أمن ورخاء. وهو جبان صامت مُنْــزَوٍ حيثما كان هناك شدَّة وخوف. وهو شحيح بخيل على الخير وأهل الخير، لا ينالهم منهم إلا سلاطة اللِّسان! ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ لَمْ يُؤْمِنُواْ فَأَحْبَطَ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٩﴾ ﴾ [الأحزاب: 19]" [2].

✓ ــ الجانب الثاني: دور اليهود في تفاقم الأزمة:

لقد نقضت يهود بني قريظة عهدهم مع النَّبي ﷺ في أحلك الظُّروف وأصعبها، وحاولوا ضرب المؤمنين من داخلهم، وذلك بعد أن تحالفوا مع الأحزاب لسحق النَّبي ﷺ وأتباعه، وفيهم نزل قوله تعالى: ﴿ وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن صَيَاصِيهِمْ ﴾ [الأحزاب: 26].

---

1 ــ المراغي، تفسير المراغي، مصدر سابق، ج21، ص144.

2 ــ سيد قطب، في ظلال القرآن، مصدر سابق، ج5، ص2840 ــ 2841.

يقول الشوكاني: "وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب أي: عاضدوهم وعاونوهم على رسول الله ﷺ وهم بنو قريظة، فإنَّهم عاونوا الأحزاب ونقضوا العهد الذي كان بينهم وبين رسول الله ﷺ وصاروا يدًا واحدة مع الأحزاب. والصَّياصي جمع صِيصِيَّة: وهي الحصون، وكل شيء يُتحصَّن به: يقال له صيصية" [1].

ويُعدُّ هذا الغدر، والنَّقض للعهد من بني قريظة السَّبب الرَّئيسي في تصعيد الأزمة لتبلغ ذروتها وقمّتها، وفيما يأتي بيان الحادثة بإيجاز:

خرج حيي بن أخطب النّضري حتى أتى كعب بن أسد القرظي فأغراه بنقض العهد مع رسول الله ﷺ، وقال له: " وَيْحَكَ يَا كَعْبُ! جِئْتُكَ بِعِزِّ الدَّهْرِ وَبِبَحْرٍ طَامٍ، جِئْتُكَ بِقُرَيْشٍ عَلَى قَادَتِهَا وَسَادَتِهَا، حَتَّى أَنْزَلْتُهُمْ بِمُجْتَمَعِ الأسيال من رومه، وَبِغَطَفَانَ عَلَى قَادَتِهَا وَسَادَتِهَا حَتَّى أَنْزَلْتُهُمْ بِذَنَبِ نُقْمَى إِلَى جَانِبِ أُحُدٍ، قَدْ عَاهَدُونِي وَعَاقَدُونِي أَلا يَبْرَحُوا حَتَّى يَسْتَأْصِلُوا مُحَمَّدًا وَمَنْ مَعَهُ فَقَالَ لَهُ كَعْبُ بْنُ أَسَدٍ: جِئْتَنِي وَاللَّهِ بِذُلِّ الدَّهْرِ! بِجَهَامٍ قَدْ هَرَاقَ مَاءَهُ يُرْعِدُ وَيُبْرِقُ، لَيْسَ فِيهِ شَيْءٌ! وَيْحَكَ فَدَعْنِي وَمُحَمَّدًا وَمَا أَنَا عَلَيْهِ، فَلَمْ أَرَ مِنْ مُحَمَّدٍ إِلا صِدْقًا وَوَفَاءً! فَلَمْ يَزَلْ حُيَيٌّ بِكَعْبٍ يَفْتِلُهُ فِي الذُّرْوَةِ وَالْغَارِبِ، حَتَّى سَمَحَ لَهُ، عَلَى أَنْ أَعْطَاهُ عَهْدًا مِنَ اللَّهِ وَمِيثَاقًا: لَئِنْ رَجَعَتْ قُرَيْشٌ وَغَطَفَانُ وَلَمْ يُصِيبُوا مُحَمَّدًا أَنْ أَدْخُلَ مَعَكَ فِي حِصْنِكَ حَتَّى يُصِيبَنِي مَا أَصَابَكَ فَنَقَضَ كَعْبُ بْنُ أَسَدٍ عَهْدَهُ، وبريء مِمَّا كَانَ عَلَيْهِ فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ رَسُولِ اللهِ ﷺ " [2].

وانتهى الخبر إلى رسول الله ﷺ فأرسل سعد بن معاذ ليتحقَّق من الخبر وأوصاه أن يلحن له بإشارة يفهمها إذا كان الخبر حقًّا، وأن لا يفت في أعضاد النَّاس، وإن كان كذبًا فليجهر به في النَّاس. فلمَّا استطلع سعد الخبر ورآه حقًّا عاد إلى رسول الله ﷺ وأخبره الخبر بأسلوب من الكلام لا يفهمه غير الرَّسول ﷺ نفسه، فقال له: «عضل والقارة»، أي كغدر عضل والقارة، فقد أخبره بالرمز دون الإفصاح حتى لا يؤثر هذا الخبر في معنويات المسلمين.

---

1 ــ الشوكاني، فتح القدير، مصدر سابق، ج4، ص315.

2 ــ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، مصدر سابق، ج2، ص 571.

لقد عرف المسلمون أثر الإشاعة في المعنويات قبل أربعة عشر قرنا [1].

فصار المؤمنون يومئذ بين ناريْن، بين جموع الأحزاب الهائلة أمامهم، وبين يهود بنو قريظة الذين نقضوا العهد من ورائهم في جنوب المدينة، وهكذا بلغت الأزمة ذروتها، وأوْجَها.

4-المرحلة الرابعة: مرحلة بلوغ الأزمة ذروتها:

لـــمَّا أحدق معسكر العدوِّ جميع أرجاء المدينة، وأحاط بهم سرادقها من كل جانب، فعظُم البلاء، وادلهمَّ الخطب، وبلغت قلوب المؤمنين الحناجرَ، وتَقَسَّمَتْ ظنونهم، وداخَلَتْهُم كوامِنُ الارتياب، وبدا في سويدائهم جَوَلانُ الشَّكِّ [2]،فاشتدَّ الكربُ، وعظُم البلاءُ، ووقعوا في خوف شديد نتيجة أمرين:

أ- الأمر الأول: خافوا على أنفسهم من الأحزاب لأنَّ الأحزاب كانوا أضعافهم.

ب- الأمر الثاني خافوا على ذراريهم في المدينة بسبب نقض بني قريظة للعهد[3].

وعند هذا الحدِّ اشتدَّت الأزمة، واستحكمت حلقاتها، وندع القرآن الكريم وهو يصوِّر لنا مشهد المؤمنين وقد وصل بهم الأمر إلى مرحلة الذِّروة، يقول تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ جَآءَتۡكُمۡ جُنُودٞ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحٗا وَجُنُودٗا لَّمۡ تَرَوۡهَاۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرًا ٩ إِذۡ جَآءُوكُم مِّن فَوۡقِكُمۡ وَمِنۡ أَسۡفَلَ مِنكُمۡ وَإِذۡ زَاغَتِ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلۡقُلُوبُ ٱلۡحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا ١٠ هُنَالِكَ ٱبۡتُلِيَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَزُلۡزِلُواْ زِلۡزَالٗا شَدِيدٗا ١١ ﴾ [الأحزاب: 9 – 11].

يقول صاحب الظلال: "إنَّها صورة الهول الذي روَّع المدينة، والكرب الذي شملها، والذي لم ينج منه أحد من أهلها، وقد أطبق عليها المشركون من قريش وغطفان واليهود من بني قريظة من كلِّ جانب، من أعلاها ومن أسفلها، فلم يختلف الشُّعور بالكرب والهول في

---

1 ــ ينظر: البوطي، فقه السيرة النبوية مع موجز لتاريخ الخلافة الراشدة، مرجع سابق، ص215. وينظر: خطاب محمود شيت، الرسول القائد، ط7، دار الفكر، بيروت، 1422هـــ، ص238.

2 ــ ينظر: القشيري، لطائف الإشارات، مصدر سابق، ج3، ص154.

3 ــ حقي، روح البيان، مصدر سابق، ج7، ص148.

قلب عن قلب وإنَّما الذي اختلف هو استجابة تلك القلوب، وظنِّها بالله، وسلوكها في الشِّدَّة، وتصوُّراتها للقيم والأسباب والنَّتائج، ومن ثم كان الابتلاء كاملًا والامتحان دقيقًا، والتَّمييز بين المؤمنين والمنافقين حاسمًا لا تردد فيه"[1].

ويمكن لنا أن نَحكم على هذه المرحلة بأنَّها أعلى درجة في القوَّة، والمنتهى في الذِّروة من خلال استخدام القرآن الكريم لبعض المفردات وهي:

- ــ جنود: يقال للعسكر الجُنْد اعتبارًا بالغلظة، من الجند، وجمع الجند: أَجْنَاد وجُنُود [2]، وقد وصف الله جموع الأحزاب بالجنود في قوله: ﴿ إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ ﴾ [الأحزاب: 9]، "وذكر جنود هنا بلفظ الجمع مع أن مفرده مؤذن بالجماعة مثل قوله تعالى ﴿ جُندٌ مَّا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِّنَ ٱلْأَحْزَابِ ﴿١١﴾ ﴾ [ص: 11]، فجمعه هنا لأنَّهم كانوا متجمِّعين من عدَّة قبائل لكلِّ قبيلة جيش خرجوا متساندين لغزو المسلمين في المدينة" [3].
- ــ زاغت الأبصار: "أي: مالت عن مكانها، كما يعرض للإنسان عند الخوف"[4]، ومنه قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴾ [الأحزاب: 10]" أي: شخصت الأبصار، وفي العربية معنى زاغت: مالت، فكأنَّها مالت شاخصة، فهذا من الرُّعب والخوف" [5].
- ــ وبلغت القلوب الحناجر: والتَّعبير بالبلوغ يعني وصول القلب إلى مكان الحنجرة، يقول تعالى: ﴿ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ ﴾ [الأحزاب: 10]، " أي: منتهى الحلقوم لأنَّ بالفزع تنتفخ الرِّئة فترتفع، وبارتفاعها ترتفع القلوب، وذلك من شدَّة الغمِّ. أو هو مثل في اضطراب القلوب"[6].

---

1 ــ سيد قطب، في ظلال القرآن، مصدر سابق، ج5، ص2837.
2 ــ ينظر: الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، مصدر سابق، ص207.
3 ــ ابن عاشور، التحرير والتنوير، مصدر سابق، ج21، ص ص: 279 ــ 280.
4 ــ الزبيدي، تاج العروس، مصدر سابق، ج22، ص497، مادة: زيغ.
5 ــ السمعاني، تفسير السمعاني، مصدر سابق، ج4، ص263.
6 ــ القاسمي، محاسن التأويل، مصدر سابق، ج8، ص54.

- ــ وتظنُّون بالله الظُّنونَا: يقول تعالى: ﴿ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ﴿١٠﴾ ﴾ [الأحزاب: 10].

أفادت كلمة «الظُّنون» أنَّ فيهم من أخطأ الظَّنَّ، ولو قال: {تظنُّون بالله ظنّاً} ما كان يفيد هذا، والألف واللام في «الظُّنُّون» يمكن أن تكون للاستغراق مبالغة بمعنى تظنُّون كل ظنٍّ، ولأنَّ عند الأمر العظيم كلُّ أحدٍ يظنُّ شيئاً، ويمكن أن تكون الألف واللَّام للعهد أي: ظُنُونهم المعهودة؛ لأنَّ المعهود من المؤمن ظنُّ الخير بالله، ومن الكافر الظَّنُّ السّوء[1].

ويقول طنطاوي: " والظُّنون جمع الظّنّ. وهو مصدر يطلق على القليل والكثير منه. وجاء بصيغة الجمع لتعدُّد أنواعه، واختلافه باختلاف قوَّة الإيمان وضعفه.

أي: وتظنون- أيُّها المؤمنون بالله تعالى الظُّنون المختلفة، فمنكم من ازداد يقينا على يقينه، وازداد ثقة بوعد الله تعالى وبنصره، ومنكم من كان أقلَّ من ذلك في ثباته ويقينه، ومنكم من كان يُظهر أمامكم الإيمان والإسلام، ويُخفي الكفر والعصيان، وهم المنافقون وهؤلاء ظنُّوا الظُّنون السَّيِّئة، بأن اعتقدوا بأنَّ الدائرة ستدور عليكم"[2].

- ــ هنالك ابتلي المؤمنون: ففي يوم الأحزاب امتُحن المؤمنون واختبروا، ليتميَّز المُخلص الصَّادق من المنافق، "فإذا قيل في الله تعالى: بَلاَ كذا وأبْلاه، فليس المراد منه إلا ظهور جودته ورداءته، دون التَّعرف لحاله، والوقوف على ما يجهل من أمره إذ كان الله علّام الغيوب"[3].

يقول تعالى: ﴿ هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ [الأحزاب: 11]. يقول الرازي: "والامتحان من الله ليس لاستبانة الأمر له؛ بل لحكمة أخرى وهي: أنَّ الله تعالى عالم بما هم عليه؛ لكنَّه أراد إظهار الأمر لغيره" [4]، وقد أظهر الله المنافقين بأعيانهم من خلال تصرُّفاتهم

---

1 ــ ينظر: ابن عادل، اللباب في علوم الكتاب، مصدر سابق، ج15، ص513.
2 ــ طنطاوي، التفسير الوسيط، مصدر سابق، ج11، ص183.
3 ــ الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، مصدر سابق، ص146.
4 ــ الرازي، مفاتيح الغيب، مصدر سابق، ج25، ص161.

وأفعالهم أثناء الأزمة، للنَّبي ﷺ وصحابته رضوان الله عليهم، وهذا هو المغزى من الابتلاء: ﴿ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَتَعْلَمَ ٱلْكَـٰذِبِينَ ﴿٤٣﴾ ﴾ [التوبة: 43].

- ــ وزلزلوا زلزالًا شديدًا: يقول تعالى: ﴿ وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴿١١﴾ ﴾ [الأحزاب: 11]، "الزَّلَّة في الأصل استرسال الرِّجل من غير قصد يقال زلَّت رجله تزلُّ والمزلّة المكان الزَّلق،... والتَّزلزل الاضطراب، وكذا الزَّلزلة شدَّة الحركة، وتكرير حروف لفظه تنبيه على تكرر معنى الزَّلل. والمعنى حُرِّكوا تحريكًا شديدًا، وأزعجوا إزعاجًا قويًّا؛ وذلك أنَّ الخائف يكون قلقًا مضطربًا لا يستقرُّ على مكان" [1].

5-المرحلة الخامسة: الأزمة في مرحلة الاختفاء:

وبعد بلوغ الأزمة ذروتها وصلت اللَّحظة الحاسمة التي يتحقَّق فيها وعد الله، وتمضي فيها سنَّته التي لا تتخلَّف ولا تحيد، مصداقًا لقوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا۟ جَآءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّىَ مَن نَّشَآءُ ۖ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١١٠﴾ ﴾ [يوسف: 110]، "في هذه اللَّحظة التي يستحكم فيها الكرب، ويأخذ فيها الضَّيق بمخانق الرُّسل، ولا تبقى ذرة من الطَّاقة المدَّخرة.. في هذه اللَّحظة يجيء النَّصر كاملاً حاسماً فاصلاً" [2]، كما أخبر بذلك المولى ﷻ بقوله: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٩﴾ ﴾ [الأحزاب: 9].

فالآية أمدَّت المؤمنين بنوعين من المدد وهما:

أ- الرِّيح: والريح إذا وردت في القرآن الكريم فإنَّها تعني العذاب، بخلاف الرِّياح فإنها تستعمل في الرَّحمة والبشائر مثل ﴿ وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَـٰحَ لَوَٰقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَسْقَيْنَـٰكُمُوهُ وَمَآ أَنتُمْ لَهُۥ بِخَـٰزِنِينَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [الحجر: 22]. فمن الأول على سبيل المثال قوله تعالى: ﴿ وَفِى عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلرِّيحَ ٱلْعَقِيمَ ﴿٤١﴾ مَا تَذَرُ مِن شَىْءٍ

1 ــ حقي، روح البيان، مصدر سابق، ج7، ص149.

2 ــ سيد قطب، في ظلال القرآن، مصدر سابق، ج4، ص2035.

أَنَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيمِ ﴿٤٢﴾ ﴾ [الذاريات: 41 –42]. وقوله: ﴿ بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُم بِهِۦ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٤﴾ تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍۭ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لَا يُرَىٰٓ إِلَّا مَسَٰكِنُهُمْ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ ﴿٢٥﴾ ﴾ [الأحقاف: 24 – 25].

وقد كانت الرِّيح التي أرسلت على الأحزاب هي ريح الصَّبا، كما ثبت ذلك عن النَّبي ﷺ في قوله: «نُصِرْتُ بِالصَّبَا، وَأُهْلِكَتْ عَادٌ بِالدَّبُورِ»[1]. " الصَّبَا بفتح المهملة وتخفيف الموحَّدة وهي الرِّيح الشَّرقية، والدَّبور هي الرِّيح الغربية" [2].

ب- الملائكة: يقول الشوكاني: "المراد بقوله: "وجنودا لم تروها" الملائكة. قال المفسِّرون: بعث الله عليهم الملائكة فقلَّعت الأوتاد، وقطَّعت أطناب الفساطيط [3]، وأطفأت النِّيران، وأكفأت القدور، وجالت الخيل بعضها في بعض، وأرسل الله عليهم الرُّعْبَ" [4].

وقد أنهى الله ﷻ أزمة الأحزاب بأن ردَّهم خائبين غائظين، لم ينالوا من المؤمنين شيئًا، و لم يحققوا ظفرًا ولا نصرًا رغم كثرة عددهم وقوَّة عتادهم، يقول تعالى: ﴿ وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا ۚ وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ ۚ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴿٢٥﴾ ﴾ [الأحزاب: 25].

يقول: كعباش: "فإنَّ معركة الأحزاب على ضخامتها، وما قد ينجرُّ عنها من تداعيات لو سارت على ما خطَّطه البشر فإنَّها ما كانت لتنتهي تلك النِّهاية المريحة للمسلمين؛ لأنَّ قيادة أحداثها كانت بأمر الله تعالى يصرفها كيف يشاء من بدايتها إلى نهايتها، وقد ردَّ الله الذين كفروا يجرُّون أذيال الخيبة، ويحملون في حناياهم أوزار الغيظ والحنق، لم ينالوا أيَّ خير، إذ خابت آمالهم في فتح المدينة، والإيقاع برسول الله وأصحابه،

---

1 ــ متفق عليه، واللفظ لمسلم. مسلم، صحيح مسلم، مصدر سابق، كتاب صلاة الاستسقاء، بَابٌ فِي رِيحِ الصَّبَا وَالدَّبُورِ، ج2، ص617، رقم الحديث: 904.

2 ــ ابن حجر، فتح الباري، مصدر سابق، ج7، ص402، رقم الحديث، 5104.

3 ــ الفساطيط نوع من الأبنية. [ابن منظور، لسان العرب، مصدر سابق، ج7، ص371].

4 ــ الشوكاني، فتح القدير، مصدر سابق، ج4، ص305.

ويزدادون غيظًا بما لحقهم من نَّكبة الرِّيح العاتية، وتفرُّق جموعهم، ومن غالب الله غُلب، وكان الله قويًّا عزيزًا.

ويلاحظ تكرار لفظ الجلالة في الآية ثلاث مرَّات لتعظيم تدبيره تعالى في هذا الأمر، ولهذا كان رسول الله ﷺ يقول: «لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ، أَعَزَّ جُنْدَهُ، وَنَصَرَ عَبْدَهُ، وَغَلَبَ الأَحْزَابَ وَحْدَهُ، فَلاَ شَيْءَ بَعْدَهُ». [1] " [2].

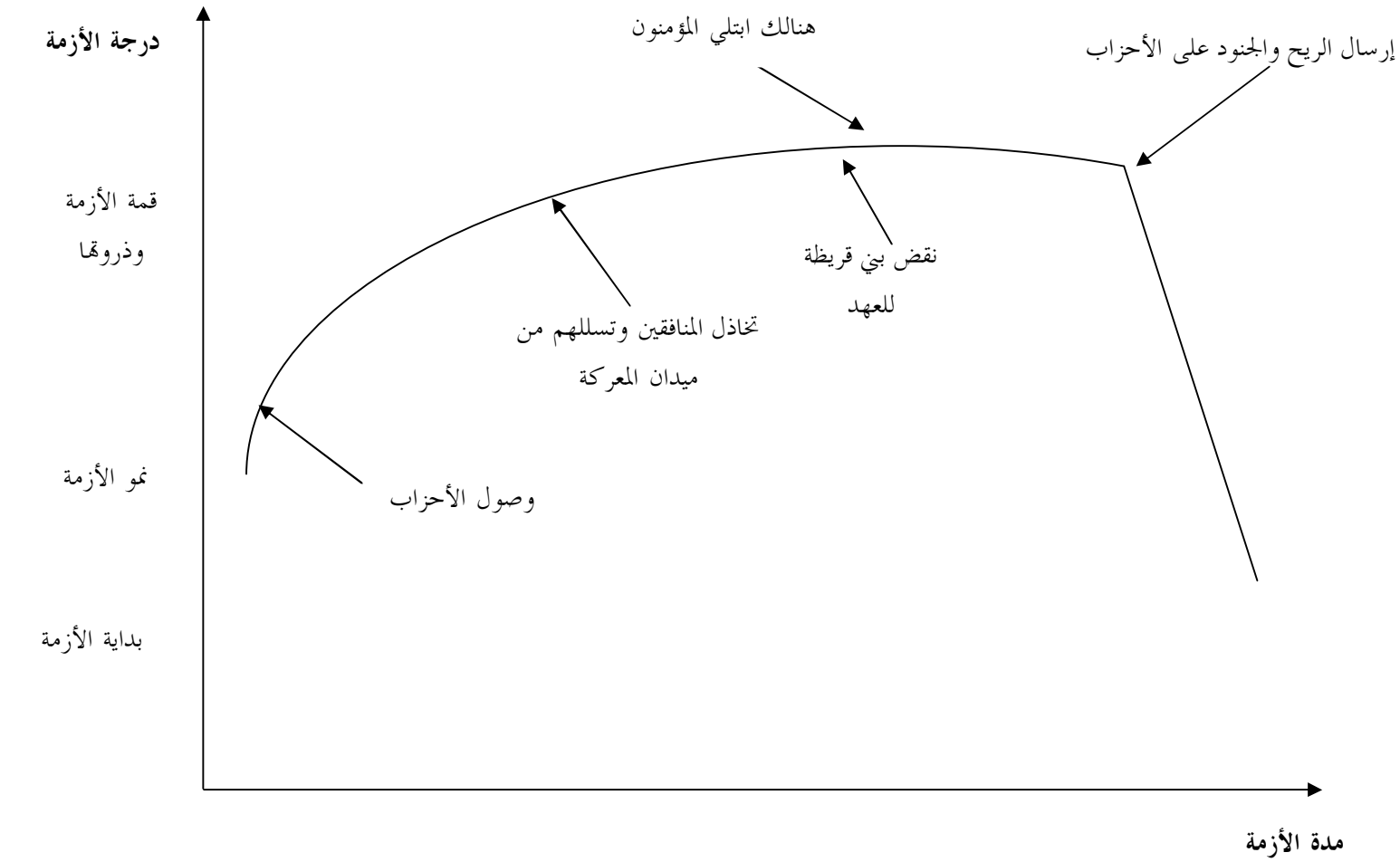

رسم يبين أزمة الأحزاب كما يصوِّرها القرآن الكريم

1 ــ البخاري، الجامع الصحيح، كتاب المغازي، باب غزوة الخندق وهي الأحزاب، ج5، ص111، رقم الحديث 4114.

2 ــ كعباش، نفحات الرحمن في رياض القرآن، مصدر سابق، ج 11، ص ص: 72 ــ 73.

المبحث الثالث: إدارة أزمة الأحزاب، وبيان صفات القائد العسكري.

المطلب الأول: خطوات إدارة الأزمة.

لقد تعاون جميع المؤمنين في إدارة أزمة الأحزاب وذلك تحت إشراف القيادة النَّبوية صاحب الأسوة الحسنة في كلِّ شيء، واستخدموا في ذلك أنواعًا من الطَّاقات والجهود سواء الفكرية، أو البدنية، أو المالية... كما ضربوا أروع الأمثلة في الصَّبر، والتَّحمُّل، والإيثار، والتَّضحية، والجرأة في سبيل إعلاء كلمة الله... فاستحقُّوا بذلك الثَّناء من الله ﷻ إذ مدحهم في كتابه الخالد بقوله: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ لِّيَجْزِىَ ٱللَّهُ ٱلصَّـٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ﴾[الأحزاب: 23 – 24].

وفيما يأتي بيان الخطوات العمليَّة التي قام بها النَّبي ﷺ بصفته قائدًا للأزمة، مع صحابته ــ رضوان الله تعالى عليهم ــ في إدارة أزمة الأحزاب، وهي تتمثَّل في النِّقاط الآتية:

1. ــ استشارة الرَّسول ﷺ أصحابه في أمر الأحزاب:

لـــمَّا سمع النبي ﷺ بخبر قدوم الأحزاب، وتأكَّد منه، عقد مجلسًا استشاريًّا موسَّعًا[1] نوقش فيه موضوع خطَّة الدِّفاع عن المدينة، وكيفيَّة التَّصدِّي لجموع الأحزاب، وبعد مناقشات جرت بين القادة وأهل الشُّورى قرَّر المجلس الخروج بهذه التَّوصية العمليَّة المصيرية الهامَّة وهي: أن يبقوا داخل المدينة المنوَّرة، ويحفروا خندقًا عميقًا يحيط بشمال المدينة.

إنّ القائد العبقري هو الذي يستخدم أسلوبًا جديدًا، أو سلاحًا جديدًا في القتال، والخندق هو الأسلوب الجديد من أساليب القتال يدخل في أساليب العرب الحربيَّة لأوَّل مرَّة في التَّاريخ.

---

1 ــ وقد شمل المجلس الموسع سلمان الفارسي، وكان حديث عهد بالإسلام فلم يشهد غزوة بدر ولا أحد، يقول ابن الأثير: "وأولُ مشاهده مع رَسُول اللَّهِ ﷺ الخندق، ولم يتخلف عن مشهد بعد الخندق". [ابن الأثير علي بن أبي الكرم، أسد الغابة في معرفة الصحابة، تح: علي محمد معوض، عادل أحمد عبد الموجود، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1994م، ج2، ص510].

وقد أخذ الرَّسول ﷺ بفكرة حفر الخندق من سلمان الفارسي ﷺ، لذلك قال فيه كلمته الخالدة: «سَلْمَانُ مِنَّا أَهْلَ الْبَيْتِ»[1]، ليشجّع على التَّفكير المفيد ويشيد بالعاملين للمصلحة العامة ويقطع دابر العصبيّات [2].

2. ــ عمليَّة حفر الخندق:

خلُص المجلس الاستشاري إلى ضرورة حفر الخندق وفق الشُّروط الآتية:

أ- مكان الحفر: لم يكن اختيار مكان حفر الخندق جُزافًا بل كان بطريقة علميَّة مدروسة، حيث تمَّ فيه مسح الطَّابع الجغرافي للمدينة، وعلى أساسه تمَّ اختيار مكان الحفر في الجهة الشماليَّة للمدينة، إذ كانت هي الجهة الوحيدة المكشوفة أمام الأعداء، أمَّا الأجزاء الأخرى فكانت تتمتَّع بحصانة طبيعيَّة، حيث تمتد حرَّة [3] واقم إلى الشَّرق، وحرَّة الوبرة إلى الغرب، وتتكاثف أشجار النَّخيل إلى الجنوب... وكان سائر المدينة فيما عدا جهة الشَّمال مشبَّكا بالبنيان فهي كالحصن.. الأمر الذي جعل فكرة حفر الخندق أمرًا يمكن تنفيذه قبل انقضاض الأحزاب... [4].

ب- مدَّة الحفر: استمر العمل في حفر الخندق ستَّة أيام متتابعة، وكان المؤمنون يعملون طوال النَّهار، فإذا جنّ عليهم الليل آووا إلى بيوتهم [5].

ت- أبعاد الحفر: بلغ طول الخندق حوالي: 5544م.

ــ وعرض الخندق حوالي: 6م.

ــ وعمق الخندق حوالي: 5م [1].

---

1 ــ الطبراني، المعجم الكبير، مصدر سابق، باب السين، ج6، ص212، رقم الحديث: 6040. قال الهيثمي: " رواه الطبراني، وفيه كثير بن عبد الله المزني، وقد ضعفه الجمهور، وحسن الترمذي حديثه، وبقية رجاله ثقات"، [الهيثمي، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، مصدر سابق، ج6، ص130، رقم الحديث: 10137].

2 ــ ينظر: محمود شيت خطاب، الرسول القائد، مرجع سابق، ص ص: 237 ــ 238.

3 ــ الحَرَّة أرض ذاتُ حِجَارَةٍ سُودٍ نَخِرَةٌ كأنما أحرقت بالنَّار [ابن منظور، لسان العرب، مصدر سابق، ج4، ص180]، والحرة لا يمكن أن تجتازها الخيل أو الإبل لوعورة مسلكها.

4 ــ ينظر: خليل عماد الدين، دراسة في السيرة النبوية، ط2، دار النفائس، بيروت، 1425هـ، ص: 176.

5 ــ ينظر: الواقدي، المغازي، مصدر سابق، ج2، ص454. وينظر: النجار محمد الطيب، القول المبين في سيرة سيد المرسلين، د.ط، دار الندوة الجديدة، لبنان، د.ت، ص270.

ث- مهامُّ الحفر: قسَّم الرسول ﷺ أصحابه إلى مجموعات كلٌّ منها تتكوَّن من عشرة أشخاص كلِّفوا بحفر أربعين ذراعًا.

يقول المقريزي: "خطَّ رسول اللَّه الخندق عام الأحزاب من أجم السّمر طرف بني حارثة حين بلغ المداد، ثم قطع أربعين ذراعًا بين كلِّ عشرة" [2].

وقد وزان النَّبي ﷺ بين كلِّ المجموعات في العدد، وجعل في كلِّ مجموعة تتكوَّن من عشرة أشخاص شبابًا وشيوخًا جنبًا إلى جنب، وهذه حنكة تنظيميَّة وعدالة راقية [3].

يقول ابن سعد: وكّل النَّبي ﷺ بكلِّ جانب لحفر الخندق قومًا، فكان المهاجرون يحفرون من ناحية رَاتِجٍ إِلَى ذُبَابٍ، وكانت الأنصار يحفرون من ذُبَابٍ إِلَى جَبَلِ بَنِي عُبَيْدٍ، وكان سائر المدينة مشبَّكًا بالبنيان فهي كالحصن، وخندقت بنو عبد الأشهل عليها مما يأتي راتج إلى خلفها حتَّى جاء الخندق من وراء المسجد، وخندقت بنو دينار من عند جربا إلى موضع دار ابن أبي الجنوب اليوم، وفرغوا من حفره في ستة أيام [4].

وقد كان المؤمنون أثناء مزاولتهم لحفر الخندق إذا أرادوا قضاء حاجة من حوائجهم استإذاوا رسول الله ﷺ في الانصراف، ليقضوا مآربهم ثمَّ يعودوا بعدها إلى النَّشاط والعمل، وفيهم نزل [5] قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِذَا كَانُوا۟ مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا۟ حَتَّىٰ يَسْتَـْٔذِنُوهُ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ فَإِذَا ٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمُ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٢﴾﴾ [النور: 62].

---

1 ــ ينظر: غلوش أحمد، السيرة النبوية والدعوة في العهد المدني، ط1، مؤسسة الرسالة، 2004م، ص431. وينظر: محمود أحمد عبد اللطيف، وعبد الله بن حسين القاضي، خصائص النجاح في إنجاز المشروعات الكبرى: رؤية هندسية لحفر الخندق في غزوة الأحزاب، مرجع سابق، ص2.

2 ــ المقريزي، إمتاع الأسماع، مصدر سابق، ج13، ص291.

3 ــ ينظر:: محمود أحمد عبد اللطيف، وعبد الله بن حسين القاضي، خصائص النجاح في إنجاز المشروعات الكبرى: رؤية هندسية لحفر الخندق في غزوة الأحزاب، مرجع سابق، ص13.

4 ــ ينظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، مصدر سابق، ج2، ص51.

5 ــ ينظر: ابن عطية، المحرر الوجيز، مصدر سابق، ج4، ص197.

3. ــ استخدام عنصر المفاجأة:

لـــمَّا جاءت جموع الأحزاب فاجأها ما لم تكن تتوقعه، فقد وجدت خندقًا على مشارف المدينة حال بينهم وبين ما يشتهون، وهذا شكّل لهم صدمة قوية، وصفعة موجعة، وهزيمة نفسية؛ لأنَّ العرب لم تكن تعرف هذه المكيدة قبل ذلك.

يقول الصلابي: "لقد كانت خطَّة الرَّسول ﷺ في الخندق متطوِّرة، ومتقدِّمة، حيث شرع بالأخذ بالأساليب الجديدة في القتال، و لم يكن حفر الخندق من الأمور المعروفة لدى العرب في حروبهم، بل كان الأخذ بهذا الأسلوب غريبًا عنهم، وبهذا يكون الرَّسول ﷺ هو أوَّل من استعمل الخندق في الحروب في تاريخ العرب والمسلمين، فقد كان هذا الخندق مفاجأة مذهلة لأعداء الإسلام، وأبطل خطَّتهم التي رسموها، وكان من عوامل تحقيق هذه المفاجأة ما قام به المسلمون من إتقان رفيع لسرِّية الخطة، وسرعة إنجازها، وكان هذا الأسلوب الجديد في القتال له أثر في إضعاف معنويات الأحزاب وتشتيت قوَّاتهم"[1].

4. ــ العمل على تقوية الجبهة الدَّاخلية:

إنَّ تأمين الجبهة الداخلية، والسَّعي على الحفاظ عليها طيلة فترة الأزمة، وتقوية أواصرها بالمحبَّة والتَّ عاون، والرَّفع من معنوياتها... أمر ضروري في مواجهة الأزمات العسكرية، ولقد أعطى النَّبي ﷺ الأسوة الحسنة في هذا المجال من خلال ما يأتي:

أ- مشاركة الرَّسول ﷺ أصحابه في الحفر:

أعطى النَّبي ﷺ القدوة الحسنة في مشاركة أصحابه عمليَّة حفر الخندق، فقد كان يحفر بيديه الشّريفتين، فيضرب بالمعول، ويحمل التُّراب بنفسه، وقد كشف عن بطنه حتى لا تعوقه الملابس عن الحركة، والصَّحابة لا يرون بطنه من التُّراب الذي غطَّاه.

---

[1] ــ: الصلابي، السِّيرةُ النّبوية: عرضُ وقائع وَتحليل أحدَاث، مرجع سابق، ص 595.

فقد روى البخاري في صحيحه بسنده عن أبي إسحاق قال: سَمِعْتُ البَرَاءَ بْنَ عَازِبٍ يُحَدِّثُ، قَالَ: لَمَّا كَانَ يَوْمُ الأَحْزَابِ، وَخَنْدَقَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، رَأَيْتُهُ يَنْقُلُ مِنْ تُرَابِ الخَنْدَقِ، حَتَّى وَارَى عَنِّي الغُبَارُ جِلْدَةَ بَطْنِهِ [1].

يقول البوطي: فأنت تجد أنَّ رسول الله ﷺ لم يندب المسلمين إلى حفر الخندق، ثم ذهب يراقبهم في قصر منيف له مستريحًا هادئًا، ولا أقْبل إليهم في احتفال صاخب رنَّان ليمسك معول أحدهم بأطراف أصابعه، فيضرب به ضربةً واحدة في الأرض إيذانًا ببدء العمل، وتخييلاً لهم أنَّه قد شاركهم في ذلك، ثم يلقي المعول ويدير إليهم ظهره، ينفض عن حلَّته ما قد علق بها من ذرَّات غبار..

ولكن رسول الله ﷺ قد انخرط في العمل كأيِّ واحد من أصحابه، حتَّى لبس ثوبًا من الأتربة والغبار على جسمه فما تفرِّقه عن أيِّ عامل آخر من صحبه وإخوانه، يرتجزون لينشط بعضهم بعضًا، فيرتجز معهم، ويتعبون ويجوعون فيكون أوَّلهم تعبًا وجوعًا. وتلك هي حقيقة ما أقامته الشَّريعة الإسلامية من مساواة بين الحاكم والمحكوم، والغنِّي والفقير والصعلوك والأمير، وأنت لا تجد فرعًا من فروع الشَّريعة وأحكامها إلَّا قائمًا على هذا الأساس ضامنًا لهذا الحقِّ"[2].

ب- الرَّسول ﷺ يرفع من معنويات الجنود أثناء أدائهم للمهمَّة:

اقترن حفر الخندق بصعوبات جمَّة، فقد كان الجوُّ باردًا، والرِّيح شديدة، والحالة المعيشية صعبة، بالإضافة إلى الخوف من قدوم العدوِّ الذي يتوقَّعونه في كلِّ لحظة، ويضاف إلى ذلك العمل المضني، حيث كان الصَّحابة يحفرون بأيديهم، وينقلون التُّراب على ظهورهم، ولم يكن لهم خَدَم، ولا شكَّ أنَّ هذه الظروف بطبيعة الحال تحتاج إلى قدر كبير من الحزم، والجدِّ؛ ولكنَّ النَّبي ﷺ لم ينسَ في هذه الظُّروف أنَّ هؤلاء الجند إنَّما هم بشر

1 ــ البخاري، الجامع الصحيح، مصدر سابق، كتاب المغازي، باب غزوة الخندق وهي الأحزاب، ج5، ص110، رقم الحديث: 4610.

2 ــ البوطي، فقه السيرة النبوية مع موجز لتاريخ الخلافة الراشدة، مرجع سابق، ص219.

كغيرهم، لهم نفوس بحاجة إلى الرَّاحة من عناء العمل، كما أنَّها بحاجة إلى من يُدخل السُّرور عليها حتَّى تنسى تلك الآلام التي تعانيها فوق معاناة العمل الرَّئيسي [1].

ولهذا نجد أنَّ النَّبي ﷺ كان يرتجز بكلمات ابن رواحة وهو ينقل التُّراب:

اللَّهُمَّ لَوْلاَ أَنْتَ مَا اهْتَدَيْنَا وَلاَ تَصَدَّقْنَا وَلاَ صَلَّيْنَا

فَأَنْزِلَنْ سَكِينَةً عَلَـــــيْنَا وَثَبِّتِ الأَقْدَامَ إِنْ لاَقَيْنَا

إِنَّ الأُلَى قَدْ بَغَوْا عَلَــيْنَا وَإِنْ أَرَادُوا فِتْــنَةً أَبَيْنَا

قَالَ: ثُمَّ يَمُدُّ صَوْتَهُ بِآخِرِهَا [2].

ومرَّة خرج رسول الله ﷺ والصَّحابة يحفرون الخندق في غداة باردة، فقال لهم ﷺ:

اللَّهم إنَّما الخير خير الآخره فاغفر للأنصار والمهاجرة

فأجابه أصحابه رضوان الله عليهم قائلين:

نَحْنُ الَّذِينَ بَايَعُوا مُحَمَّدَا عَلَى الْجِهَادِ مَا بَقِينَا أَبَدَا [3].

إذا فلقد كان في حفر الخندق الحزم، والجدُّ، مع أجواء تسودها المحبَّة والصَّفاء والتَّسلية عن النَّفس.

ت- الرَّسول ﷺ يبشرِّ جنده بالنَّصر:

لقد غلب على أقوال النَّبي ﷺ وأفعاله أسلوب البِشارة، والرَّحمة، والرَّأفة، والتَّيسير... حتَّى في أحلك الظُّروف وأصعبها، فها هو عليه السلام أثناء أزمة الأحزاب يرفع همَّة أصحابه ويبشِّرهم بالنَّصر على الرُّوم والفرس أقوى دوليتين في ذلك العصر، ومتجاوزًا في ذلك أزمة الأحزاب وكيدهم، وكأنَّ لسان حاله ﷺ يقول: أزمة الأحزاب ستُنصرون عليهم

---

1 ــ ينظر: الصلابي، السِّيرةُ النّبوية: عرضُ وقائع وتحليل أحدَاث، مرجع سابق، ص596.

2 ــ البخاري، الجامع الصحيح، مصدر سابق، كتاب المغازي، باب غزوة الخندق وهي الأحزاب، ج5، ص110، رقم الحديث: 4106.

3 ــ أحمد بن حنبل، مسند الإمام أحمد، مصدر سابق، مسند أنس بن مالك ﷺ، ج20، ص386، رقم الحديث: 13127. والحديث رواه الشيخان أيضا.

بإذا الله وهو أمر مفروغ منه، كما أنَّكم ستُنصرون على الرُّوم والفرس لا محالة، وهذا في بضع سنين. ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤ ﴾ [النجم: 3 – 4].

وسورة الأحزاب أكَّدت لزوم صفة البِشارة في نفسيَّة النَّبي ﷺ في عسره ويسره، حيث جاءت البشارة مضعَّفة، ومؤكَّدة وذلك في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۝٤٥ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ۝٤٦ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ۝٤٧ ﴾ [الأحزاب: 45 – 47].

فالنَّبي ﷺ بشَّر المؤمنين وهو في قلب الخندق بفتح قصور الحيرة ومدائن كسرى، ففي مسند الإمام بن أحمد بسنده عن البراء بن عازب قال: " أَمَرَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ بِحَفْرِ الْخَنْدَقِ، قَالَ: وَعَرَضَ لَنَا صَخْرَةٌ فِي مَكَانٍ مِنَ الخَنْدَقِ، لَا تَأْخُذُ فِيهَا الْمَعَاوِلُ، قَالَ: فَشَكَوْهَا إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَجَاءَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، قَالَ عَوْفٌ:، وَأَحْسِبُهُ قَالَ: وَضَعَ ثَوْبَهُ ثُمَّ هَبَطَ إِلَى الصَّخْرَةِ، فَأَخَذَ الْمِعْوَلَ فَقَالَ: " بِسْمِ اللهِ " فَضَرَبَ ضَرْبَةً فَكَسَرَ ثُلُثَ الْحَجَرِ، وَقَالَ: " اللهُ أَكْبَرُ أُعْطِيتُ مَفَاتِيحَ الشَّامِ، وَاللهِ إِنِّي لَأُبْصِرُ قُصُورَهَا الْحُمْرَ مِنْ مَكَانِي هَذَا ". ثُمَّ قَالَ: " بِسْمِ اللهِ " وَضَرَبَ أُخْرَى فَكَسَرَ ثُلُثَ الْحَجَرِ فَقَالَ: " اللهُ أَكْبَرُ، أُعْطِيتُ مَفَاتِيحَ فَارِسَ، وَاللهِ إِنِّي لَأُبْصِرُ الْمَدَائِنَ، وَأُبْصِرُ قَصْرَهَا الْأَبْيَضَ مِنْ مَكَانِي هَذَا " ثُمَّ قَالَ: " بِسْمِ اللهِ " وَضَرَبَ ضَرْبَةً أُخْرَى فَقَلَعَ بَقِيَّةَ الْحَجَرِ فَقَالَ: " اللهُ أَكْبَرُ أُعْطِيتُ مَفَاتِيحَ الْيَمَنِ، وَاللهِ إِنِّي لَأُبْصِرُ أَبْوَابَ صَنْعَاءَ مِنْ مَكَانِي هَذَا"[1].

5. ــ تأمين المستضعفين في الحصون المنيعة:

لما انتهى الرَّسول ﷺ وصحابته من حفر الخندق قبل وصول الأعداء، ضمّن عليه السلام بعدها النِّساء والأطفال في حصنٍ منيع حفاظاً عليهم من أن ينالهم سوء من كيد الأحزاب.

---

1 ــ أحمد بن حنبل، مسند الإمام أحمد، مصدر سابق، حديث البراء بن عازب، ج30، ص626، رقم الحديث: 18694. قال الهيثمي: "رواه أحمد، وفيه ميمون أبو عبد الله، وثقه ابن حبان، وضعفه جماعة، وبقية رجاله ثقات".[الهيثمي، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، مصدر سابق، باب غزوة الخندق وقريظة، ج6، ص131، رقم الحديث: 10138].

وتذكر بعض الرِّوايات أنَّ المدينة كانت تمتلك عدَّة حصون، ومن ذلك ما رواه البيهقي في دلائل النُّبوَّة أن "عَائِشَةَ كَانَتْ فِي حِصْنِ بَنِي حَارِثَةَ يَوْمَ الْخَنْدَقِ، وَكَانَ مِنْ أَحْرَزِ حُصُونِ الْمَدِينَةِ، وَكَانَتْ أُمُّ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ مَعَهَا فِي الْحِصْنِ... وَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَأَصْحَابُهُ حِينَ خَرَجُوا إِلَى الْخَنْدَقِ رَفَعُوا الذَّرَارِي وَالنِّسَاءَ فِي الْحُصُونِ، مَخَافَةَ الْعَدُوِّ عَلَيْهِمْ" [1].

يقول محمد عبد القادر: لـــمَّا علم النَّبي ﷺ بقدوم جيش الأحزاب، وأراد الخروج إلى الخندق أمر بوضع ذراري المسلمين، ونسائهم، وصبيانهم في حصن بني حارثة، حتَّى يكونوا في مأمن من خطر الأعداء، وقد فعل ذلك ﷺ لأنَّ حماية الذَّراري والنِّساء والصِّبيان لها أثر فعّال على معنويات المقاتلين؛ لأنَّ الجندي إذا اطمأن على زوجه وأبنائه يكون مرتاح الضمير هادئ الأعصاب، فلا يشغل تفكيره أمر من أمور الحياة، فيسخِّر كل إمكاناته وقدراته العقلية والجسدية للإبداع في القتال، أما إذا كان الأمر بعكس ذلك فإنَّ أمر الجندي يضطرب، ومعنوياته تضعف، ويستولي عليه القلق، ولا يكون همّه إلا الدِّفاع عن أهله وحُرمته، مما يكون له أثر في تراجعه عن القتال؛ وبذلك تنـــزل الكارثة بالجميع[2].

6. ــ تقسيم الصَّحابة إلى دوريات للحراسة:

ولتأمين الجبهة الدَّاخلية من كل اعتداء وغدر، فقد قام النَّبي ﷺ بتشكيل دوريتين للحراسة تشمل جانبين أساسين:

أ- الجانب الأول: حراسة الخندق:

أمَّن النَّبي ﷺ الخندق بحراسته من قبل جماعة من أصحابه يتعاقبون عليه ليلًا ونهارًا، فقد قاموا بواجبهم في حراسة الخندق، واستطاعوا أن يردُّوا كلَّ هجوم حاول المشركون شنّه، فقد ثبت أنَّ كتيبة علي بن أبي طالب تصدَّت لهجوم من قبل المشركين، وأن عليًّا رضي الله عنه

1 ــ البيهقي أحمد بن الحسين، دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1405هـــ، ج3، ص440.

2 ــ ينظر: محمد عبد القادر أبو فارس، غزوة الأحزاب، ط1، دار الفرقان، عمّان، 1983م، ص98.

قتل سيدا من أسياد قريش يدعى عمرو بن عبد ود بن أبي قيس، وفرَّ الباقون بخيلهم حتَّى اقتحمت من الخندق هاربة [1].

وتذكر كتب أهل السِّير والمغازي أنَّ النَّبي ﷺ أسهم بنفسه في القيام بواجب الأمن، والحراسة، واليقظة... فكان يبيت منفردًا يحرس ثُلمة كان يخاف أن يتسلَّل منها المشركون.

ففي كتابي المغازي وإمتاع الأسماع: أنَّ رسول اللَّه ﷺ كان يختلف إلى ثلمة في الخندق يحرسها، فإذا آذاه البرد دخل قبته فأدفأته عائشة رضي الله عنها في حضنها، فإذا دفيء خرج إلى تلك الثلمة يحرسها ويقول:"ما أخشى على النَّاس إلا منها"[2].

ب- الجانب الثاني: حراسة الحصون:

يقول أبو بكر رضي الله عنه: "لقد خفنا على الذَّراري بالمدينة من بني قريظة أشدَّ من خوفنا من قريش وغطفان، ولقد كنت أوفي على سلع فأنظر إلى بيوت المدينة، فإذا رأيتهم هادئين حمدت الله عز وجل، فكان مما رد الله به قريظة عما أرادوا أنَّ المدينة كانت تحرس"[3].

وقد اضطرَّ الرَّسول ﷺ بعد أن نقضت قريظة العهد أن يرسل مسلمة بن أسلم في مائتي رجل، وزيد بن حارثة في ثلاثمائة رجل يحرسون المدينة، ويظهرون التَّكبير تخوُّفًا على الذَّراري من بني قريظة لـــمَّا نقضوا العهد [4].

7. ــ وضع كلمة السِّرِّ:

تبث في كتب السُّنن أنَّ النَّبي ﷺ وضع كلمة السِّرِّ أثناء أزمة الأحزاب، حيث قال ﷺ: «إِنِّي لَا أَرَى الْقَوْمَ إِلَّا مُبَيِّتِيكُمُ اللَّيْلَةَ فَإِنَّ شِعَارَكُمْ حم لَا يُنْصَرُونَ»[5].

---

1 ــ ينظر: ابن هشام، السيرة النبوية، مصدر سابق، ج2، ص225.

2 ــ ينظر: المغازي، الواقدي، مصدر سابق، ج2، ص463. وينظر: المقريزي، إمتاع الأسماع، مصدر سابق، ج1، ص234.

3 ــ المغازي، الواقدي، مصدر سابق، ج2، ص460.

4 ــ ينظر: الحلبي علي بن إبراهيم بن أحمد، السيرة الحلبية، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت، 1427هـ، ج2، ص422.

5 ــ النسائي أحمد بن شعيب، سنن النسائي الكبرى، تح: حسن عبد المنعم شلبي، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت، 2001م، كتاب السير، باب الشعار، مصدر سابق، ج8، ص135، رقم الحديث: 8810. قال ابن حجر: وأخرجه الحاكم وقال: صحيح. [العسقلاني أحمد بن علي، التلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير، ط1، دار الكتب العلمية، 1989م،ج4، ص263، رقم الحديث: 1847].

وحم لا ينصرون "مَعْنَاهُ بِفَضْلِ السُّوَرِ الْمُفْتَتَحَةِ بِحم وَمَنْزِلَتِهَا مِنَ اللَّهِ لَا يُنْصَرُونَ. وَقِيلَ: إِنَّ الْحَوَامِيمَ السَّبْعَ سُوَرٌ لَهَا شَأْنٌ. قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ: إِذَا وَقَعْتَ فِي آلِ " حم " وَقَعْتَ فِي رِيَاضَاتِ دَفَعَاتٍ، فَنَبَّهَ ﷺ عَلَى أَنَّ ذِكْرَهَا لِعِظَمِ شَأْنِهَا، وَشَرَفِ مَنْزِلَتِهَا عِنْدَ اللَّهِ مِمَّا يَسْتَظْهِرُ بِهِ الْمُسْلِمُونَ عَلَى اسْتِنْزَالِ النَّصْرِ عَلَيْهِمْ، وَالْخِذْلَانِ عَلَى عَدُوِّهِمْ، فَأَمَرَهُمْ أَنْ يَقُولُوا حم، ثُمَّ اسْتَأْنَفَ. وَقَالَ: لَا يُنْصَرُونَ جَوَابًا لِسَائِلٍ عَسَى أَنْ يَقُولَ: مَاذَا يَكُونُ إِذَا قُلْتُ هَذِهِ الْكَلِمَةَ؟ فَقَالَ: لَا يُنْصَرُونَ" [1].

وفائدة كلمة السِّرِّ في ظروف أزمة الأحزاب هي:

- ــ أنَّها تبعث على التَّفاؤل بعدم انتصار الخصم.
- ــ لمعرفة بعضهم بعضا في ظلمة الليل.
- ــ للاحتراز من دخول جاسوس، أو اختراق عدوٍّ إلى صفوف المسلمين[2].

8. ــ عدم التَّصدِّي للمنافقين:

فرغم ما أحدثه المنافقون في صفوف المؤمنين من التَّخذيل، والتَّثبيط، والتَّعويق، والإرباك، وإطلاق الإشاعات...أثناء أزمة الأحزاب، أقول مع كل هذا؛ فإنَّ منهج القرآن الكريم يوصي النَّبي ﷺ وخاصَّة في الظُّروف العصيبة، أن لَّا يردَّ على المنافقين، أو يفتح جبهة قتالية ضدَّهم فيقول المشركون: محمد يقتل أصحابه، وإنَّما الواجب عليه أن يتحمّل أذاهم، ويصبر، ويُوكل أمرهم إلى الله؛ فإنَّ الله وحده سيكفيه شرَّهم، ويدفع عنه مكرهم، يقول تعالى في خضم سورة الأحزاب: ﴿ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَدَعْ أَذَىٰهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿٤٨﴾ ﴾ [الأحزاب: 48] "أي: لا تحفل بما يأتيك منهم من أذى، بالقول أو الفعل، «وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ» فهو الذي يتولَّى حراستك وحفظك مما يكيدون لك به

---

1 ــ الملا علي القاري، مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ط1، دار الفكر، بيروت، 2002م، ج6، ص 2539.

2 ــ ينظر: الشوكاني محمد بن علي بن محمد، نيل الأوطار، تح: عصام الدين الصبابطي، ط1، دار الحديث، مصر، 1993م، ج7، ص ص: 286 ــ 287.

«وَكَفى بِاللَّهِ وَكِيلًا» فلا وكالة أقوى، ولا أمنع، ولا أحفظ من وكالته.. «وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ»"[1].

حتَّى إنَّ القرآن الكريم إزاء تعامله مع المنافقين بعد الانتهاء من أزمة الأحزاب لم يأمر النَّبي ﷺ بمباشرة قتلهم، أو إجلائهم، أو التَّنكيل بهم رغم ما أحدثوه من قلاقل وإرجاف في صفوف المؤمنين؛ بل تدرَّج معهم، وقدَّم لهم فرصتين:

❖ــ الأولى: منح لهم فرصة إضافية للمنافقين ليتراجعوا عن مواقفهم المخزية، ويتوبوا عن كل ما صدر منهم من إساءة في حقِّ المؤمنين، قال تعالى: ﴿وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٤﴾﴾ [الأحزاب: 24].

يقول ابن كثير: "ويعذِّب المنافقين وهم النَّاقضون لعهد الله المخالفون لأوامره فاستحقوا بذلك عقابه، وعذابه، ولكن هم تحت مشيئته في الدُّنيا إن شاء استمرَّ بهم على ما فعلوا حتى يلقوه فيعذبهم عليه، وإن شاء تاب عليهم بأن أرشدهم إلى النُّـــزوع عن النِّفاق إلى الإيمان والعمل الصالح بعد الفسوق والعصيان" [2].

❖ــ الثانية: وهي الفرصة الأخيرة: فقد توعَّدهم الله بالطَّرد من المدينة، وهدَّدهم بالنَّفي منها وهذا في حال إصرارهم على أفعالهم وإقامتهم عليها، يقول تعالى: ﴿لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْمُرْجِفُونَ فِى ٱلْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٠﴾﴾ [الأحزاب: 60].

يقول سيد قطب: "وفي النِّهاية يأتي تهديد المنافقين، ومرضى القلوب، والمرجفين الذين ينشرون الشائعات المزلزلة في صفوف الجماعة المسلمة.. تهديدهم القويُّ الحاسم، بأنَّهم إذا لم يرتدعوا عمَّا يأتونه من هذا كلِّه، وينتهوا عن إيذاء المؤمنين والمؤمنات، والجماعة

---

1 ــ الخطيب عبد الكريم، التفسير القرآني للقرآن، مصدر سابق، ج11، ص732.

2 ــ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، مصدر سابق، ج6، ص354.

المسلمة كلِّها، أن يسلِّط الله عليهم نبيَّه، كما سلَّطه على اليهود من قبل [1]، فيطهِّر منهم جوَّ المدينة، ويطاردهم من الأرض ويبيح دمهم فحيثما وجدوا أُخذوا وقُتِّلوا، كما جرت سنَّة الله فيمن قبلهم من اليهود على يد النَّبي ﷺ"[2].

9. ــ أسلوب تعامل النَّبي ﷺ مع بني قريظة:

لما سمع النَّبي ﷺ بخبر نقض يهود بني قريظة للعهد الذي كان بينهما، سارع إلى اتِّخاذ جملة من الإجراءات العمليَّة الوقائيَّة للسيَّطرة على الموقف الأزموي، وللمنع من تدهور الأوضاع أكثر، ومن جملة ما قام به ما يأتي:

أ- استجلاء الرَّسول الخبر:

لما انتهى الخبر إلى رسول الله ﷺ وإلى المسلمين، فبادر إلى تحقيقه، حتَّى يستجلي موقف قريظة، فيواجهه بما يجب من خبرته العسكريَّة، فانتدب النَّبي ﷺ الزُّبير بن العوام (رجل المهمَّات الصَّعبة) ليأتيه بأخبارهم فذهب الزُّبير، فنظر ثم رجع فقال: يا رسول الله: رأيتهم يصلحون حصونهم ويدرِّبون طرقهم، وقد جمعوا ماشيتهم. وبعد أن كثرت القرائن الدَّالة على نقض بني قريظة للعهد، أرسل عليه السلام كلًّا من السَّعدين: سعد بن معاذ، وسعد بن عبادة، وأسيد بن حضير، وعبد الله بن رواحة، وخوات بن جبير، وقال: «انطلقوا حتى تنظروا أحق ما بلغنا عن هؤلاء القوم أم لا؟ فإن كان حقًّا فالحنوا لي لحنًا أعرفه، ولا تفتوا في أعضاد النَّاس، وإن كانوا على الوفاء فاجهروا به للنَّاس». فلما دنوا منهم وجدوهم على أخبث ما يكون، فقد جاهروهم بالسَّبِّ والعداوة، ونالوا من رسول الله ﷺ، وقالوا: من رسول الله؟ لا عهد بيننا وبين محمد، ولا عقد. فانصرفوا عنهم، فلمَّا أقبلوا على رسول الله ﷺ لحنوا له، وقالوا: عضل وقارة، أي: أنَّهم على غدر، كغدر عضل وقارة بأصحاب الرَّجيع.

---

1 ــ سبب قول سيد قطب: "من قبل" لأن هذه الآية هي من أواخر سورة الأحزاب، وقد سبق أن نفى النبي ﷺ اليهود من المدينة كيهود بني النضير، وبني قينقاع، وبني قريظة.

2 ــ سيد قطب، في ظلال القرآن، مصدر سابق، ج5، ص2880.

أمَّا رسول الله ﷺ فتقنَّع بثوبه حين أتاه غدر قريظة، فاضطجع ومكث طويلًا، حتَّى اشتدَّ على النَّاس البلاء، ثم غلبته روح الأمل، فنهض يقول: «الله أكبر أبشروا يا معشر المسلمين بفتح الله ونصره» ثم أخذ يخطِّط لمجابهة الظَّرف الرَّاهن [1].

ب- بعث النَّبي ﷺ قوَّة عسكرية لمراقبة تحرُّكات أهل الغدر:

أرسل النَّبي ﷺ قوَّتين عسكريتين: فكانت الأولى بقيادة سلمة بن أسلم في مائتي رجل، أمَّا الثَّانية فبقيادة زيد بن حارثة في ثلاثمائة رجل، يحرسون المدينة، ويظهرون التَّكبير ليرهبوا بني قريظة، وكان من جملة ما حقَّقوه مصادرهم لعشرين بعيرًا كانت محمَّلة تمرًا، وشعيرًا، وتينًا كان قد وجهتها بنو قريظة إلى معسكر الأحزاب مساندة لهم، وتقوية لأجل ضرب المسلمين [2].

10. ــ تفريق كلمة الأحزاب، وتأليبهم على بعضهم البعض:

ساق المولى ﷻ نعيم بن مسعود الغطفاني[3] إلى رسول الله ﷺ ليعلن إسلامه، وقال له: يا رسول الله، إنَّ قومي لم يعلموا بإسلامي، وإنِّي صديقٌ لبني قريظة يأتمنونني، ويثقون بي، فمُرني بما شئت، فقال له رسول الله ﷺ: «إنَّما أنت فينا رجل واحد فخذِّل عنَّا إن استطعت فإنَّ الحرب خدعة »[4].

فخرج نعيم بن مسعود حتَّ أتى بني قريظة، وكان عشيراً لهم في الجاهلية، فقال: يا بني قريظة، قد عرفتم ودِّي إيَّاكم، وخاصَّة ما بيني وبينكم، قالوا: صدقت، لست عندنا بمتَّهم، فقال لهم: إنَّ قريشًا وغطفان ليسوا كأنتم، البلد بلدكم، فيه أموالكم وأبناؤكم ونساؤكم، لا تقدرون على أن تحوِّلوا منه إلى غيره، وإنَّ قريشا وغطفان قد جاءوا لحرب

---

1 ــ ينظر: المباركفوري، الرحيق المختوم، مرجع سابق، ص ص: 284 ــ 285. وينظر: الصلابي: السِّيرةُ النّبوية: عرضُ وقائع وَتحليل أحدَاث، مرجع سابق، ص: 599.

2 ــ ينظر: غلوش أحمد، السيرة النبوية والدعوة في العهد المدني، مرجع سابق، ص438. وينظر: الصلابي: السِّيرةُ النّبوية: عرضُ وقائع وَتحليل أحدَاث، مرجع سابق، ص: 599.

3 ــ نُعَيْم بْن مسعود أَبُو سَلَمة الغَطَفَاني الأشجعي، [الوفاة: 23 - 35 هــ]، أسلم زمن الخندق، وهو الَّذِي خذل بين الأحزاب، وكان يسكن المدينة، وله عقب.[الذهبي، تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام، مصدر سابق، ج2، ص195].

4 ــ ينظر: ابن كثير إسماعيل بن عمر، الفصول في السيرة، تح: محمد العيد الخطراوي، ط3، مؤسسة علوم القرآن، 1403هــ، ص 168.

محمد وأصحابه، وقد ظاهرتموهم عليه، وبلدهم وأموالهم ونساؤهم بغيره، فليسوا كأنتم، فإن رأوا فرصة أصابوها، وإن كان غير ذلك لحقوا ببلادهم وخلّوا بينكم وبين الرّجل ببلدكم، ولا طاقة لكم به إن خلا بكم، فلا تقاتلوا مع القوم حتَّى تأخذوا منهم رهنًا من أشرافهم، يكونون بأيديكم ثقة لكم على أن تقاتلوا معهم محمدا حتى تناجزوه، فقالوا له: لقد أشرت بالرَّأي.

ثم خرج حتَّى أتى قريشًا، فقال لأبي سفيان ومن معه من رجال قريش: تعلمون ودِّي لكم ونصحي لكم؟

قالوا: نعم، قال: قال: إنَّ يهود بني قريظة قد ندموا على ما كان منهم من نقض عهد محمد وأصحابه، وإنَّهم قد راسلوه أنَّهم يأخذون منكم رهائن يدفعونها إليه، ثمَّ يوالونه عليكم، فإن سألوكم رهائن فلا تعطوهم.

ثم خرج حتَّى أتى غطفان، فقال: يا معشر غطفان، إنَّكم أصلي وعشيرتي، وأحبُّ النَّاس إليَّ، ولا أراكم تتَّهموني، قالوا: صدقت، ما أنت عندنا بمتَّهم، قال: فاكتموا عنِّي، قالوا: نفعل، فما أمرك؟ ثم قال لهم مثل ما قال لقريش وحذَّرهم ما حذَّرهم

فلمَّا كانت ليلة السبت من شوال سنة خمس بعثوا إلى يهود: إنَّا لسنا بأرض مقام، وقد هلك الخفّ والحافر، فاغدوا للقتال حتَّى نناجز محمدًا، ونفرغ ممَّا بيننا وبينه، فأرسلوا إليهم: أنّ اليوم يوم السبت، وهو يوم لا نعمل فيه شيئًا، وقد علمتم ما أصاب من قبلنا حين أحدثوا فيه، ومع هذا فإنَّا لا نقاتل معكم حتَّى تبعثوا إلينا رهائن، فلمَّا جاءهم رسلهم بذلك قالت قريش وغطفان: صدقكم والله نعيم، فبعثوا إلى يهود: إنَّا والله لا نرسل إليكم أحدًا، فاخرجوا معنا حتى نناجز محمدًا. فقالت قريظة: صدقكم والله نعيم[1].

وهكذا استعمل نعيم ﷺ دهاءه حتى دبَّت الفرقة بين قريش وحلفائها، وبين بني قريظة، فتبادلوا التُّهم بينهم بالغدر والخيانة، فانكسرت شوكتهم، وانهارت عزائمهم.

---

1 ــ ينظر: ابن هشام، السيرة النبوية، مصدر سابق، ج2، ص229 ــ 230. وينظر: المباركفوري، الرحيق المختوم، مرجع سابق، ص ص: 285 ــ 286. وينظر: الغزالي، فقه السيرة النبوية، مرجع سابق، ص ص: 306 ــ 307.

ويرجع السَّبب الرّئيسي في نجاح الصَّحابي الجليل نعيم بن مسعود ﷺ في تفريق كلمة الأحزاب إلى:

أ- أنَّه كتم إسلامه، فلو عُلم بإسلامه من طرف الأحزاب فلن يكتب له النَّجاح في مهمَّته.

ب- أنَّه كان صاحب علاقات واسعة، وكان داهية ومؤتمنًا لدى جميع الأطراف.

ت- أنَّه ذكَّر بني قريظة بمصير بني قينقاع وبني النضير، وأنَّهم هم الوحيدون الذين يتكبَّدون الخسارة في حال ما إذا رجعت الأحزاب، وخلَّت سبيلهم بينهم وبين محمد.

ث- أنَّه أوصى كل طرف بكتمان الأمر وبالالتزام بالسِّرية التَّامة تجاه الطرف الآخر، ونجح في هذا إلى حدٍّ بعيد، فلو كُشف السِّرُّ لبطلت مكيدته، ولكن ليقضي الله أمرًا كان مفعولًا.

ج- أنَّه اعتمد على بثّ الإشاعات المثيرة لتصديع الصُّفوف وبلبلة الأفكار، والحرب كما أوصاه ﷺ بأنَّها: خدعة [1].

مرحلة نهاية الأزمة:

ما من أزمة تبدأ في الظُّهور حتى تتزايد وتنمو ثم تشتدُّ وتقوى، وبعدها تبدأ في الأفول والنِّهاية، وأزمة الأحزاب ليست بدعًا من الأزمات فقد ظهرت ونمت حتى اشتدَّت وقست وظنَّ المنافقون أنَّها النِّهاية؛ لكن سرعان ما بزغ فجر الفرجة، وطلعت شموس النَّصر والظَّفر.

وقد ميَّز مرحلة النِّهاية جملة من الأمور وهي:

1. ــ **الاجتهاد في الدُّعاء:**

1 ــ ينظر: محمد الرشيد، القيادة العسكرية في عهد الرسول ﷺ، ط1، دار القلم، 1990م، ص: 477. وينظر: خطاب محمود شيت، الرسول القائد، مرجع سابق، ص238.

يأتي الدُّعاء والالتجاء إلى الله في مقدَّم الأسباب المحقِّقة للنَّصر لقوله تعالى: ﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾ [النمل: 62].

ويعتبر الدُّعاء الوسيلة الغيبية الفعَّالة في جلب المدد والعون من الله ﷻ، كما أنَّ له من التَّأثير في عالم الأسباب والمادِّيات ما يقلب الموازين لصالح الذَّاكرين لله ﷻ، ومن هذا المنطلق جاء الحثُّ على التَّضرُّع لله، وذكره ذكرًا كثيرًا عند اشتداد الأزمة كما هو الحال في سورة الأحزاب حيث يقول تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ﴾ [الأحزاب: 9]، وقال أيضًا: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾ [الأحزاب: 21]، وقال: ﴿ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾ ﴾ [الأحزاب: 35]، وقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ ﴾ [الأحزاب: 41 –42].

ولقد كان من منهج النَّبي ﷺ الإكثار من الدُّعاء والتَّضرُّع إلى الله دومًا، وبالأخصِّ في ظروف الأزمات؛ فإنَّه كان إذا حزبه أمر كلقاء عدوٍّ أو السَّير إلى جهادٍ فزع إلى الله ﷻ بالدُّعاء، وقد جاء في الصَّحيحين من حديث عبد الله بن أبي أوفى قال: دعا رسول الله ﷺ على الأحزاب فقال: «اللَّهُمَّ مُنْزِلَ الكِتَابِ، سَرِيعَ الحِسَابِ، اللَّهُمَّ اهْزِمِ الأَحْزَابَ، اللَّهُمَّ اهْزِمْهُمْ وَزَلْزِلْهُمْ» [1]، فاستجاب الله ﷻ دعاء نبيِّه ﷺ، فأقبلت بشائر الفرج والنَّصر، وصرف الله جموع الأحزاب بحوله وقوَّته.

يقول الصَّلاَّبي: كان رسول الله ﷺ كثير التَّضرُّع والدُّعاء والاستعانة بالله، وخصوصًا في مغازيه، وعندما اشتدَّ الكرب على المسلمين أكثر مما سبق حتَّى بلغت القلوب الحناجر وزلزلوا زلزالاً شديدًا، فما كان من المسلمين إلَّا أن توجَّهوا إلى الرَّسول ﷺ وقالوا:

---

1 ــ متفق عليه: البخاري، الجامع الصحيح، مصدر سابق، كتاب الجهاد والسير، بَابُ الدُّعَاءِ عَلَى المُشْرِكِينَ بِالهَزِيمَةِ وَالزَّلْزَلَةِ، ج4، ص44، رقم الحديث: 2933. مسلم، صحيح مسلم، مصدر سابق، كتاب الجهاد والسير، بَابُ اسْتِحْبَابِ الدُّعَاءِ بِالنَّصْرِ عِنْدَ لِقَاءِ العَدُوِّ، ج3، ص1363، رقم الحديث: 1742.

يا رسول الله هل من شيء نقوله؟ فقد بلغت القلوب الحناجر، فقال: «نَعَمْ، اللهُمَّ اسْتُرْ عَوْرَاتِنَا، وَآمِنْ رَوْعَاتِنَا»، فَضَرَبَ اللهُ ﷻ وُجُوهَ أَعْدَائِهِ بِالرِّيحِ، فَهَزَمَهُمُ[1]»[2].

فدعاء رسول الله ﷺ ربَّه، واعتماده عليه وحده، لا يتناقض أبدًا مع التماس الأسباب البشرية للنَّصر، فقد تعامل ﷺ في هذه الغزوة مع سُـــنَّة الأخذ بالأسباب، فقد حفر الخندق مع أصحابه، وكان يحرس ثلمة في الخندق، وكان يبذل جهده في رفع معنويات المؤمنين وبالمقابل إضعاف معنويات الأحزاب وتفريق كلمتهم... وغير ذلك من الأمور التي ذكرناها.

2. ــ إرسال الرِّيح على الأحزاب:

وصف الله ﷻ الآلية التي نصر بها عباده المؤمنين، وهزم بها أعداءهم أيَّام الأحزاب في قوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ جَآءَتۡكُمۡ جُنُودٞ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحٗا ﴾ [الأحزاب: 9].

يقول الصابوني: "بعث الله عليهم ريحاً عاصفاً وهي ريح الصَّبا في ليلة شديدة البرد والظُّلمة، فقلعت بيوتهم، وكفأت قدروهم، وصارت تلقي الرَّجل على الأرض" [3].

ويقول القرطبي: "وكانت هذه الرِّيح معجزة للنَّبي ﷺ، لأنَّ النَّبي ﷺ والمسلمين كانوا قريبًا منها، لم يكن بينهم وبينها إلَّا عرض الخندق، وكانوا في عافية منها، ولا خبر عندهم بها"[4].

3. ــ إرسال الملائكة على الأحزاب:

يقول تعالى: ﴿ وَجُنُودٗا لَّمۡ تَرَوۡهَاۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرًا ٩ ﴾ [الأحزاب: 9].

---

1 ــ أحمد بن حنبل، مسند الإمام أحمد، مصدر سابق، مسند أبي سعيد الخدري ﷺ، ج17، ص27، رقم الحديث: 10996. قال الهيثمي: "رواه أحمد، والبزار، وإسناد البزار متصل، ورجاله ثقات، وكذلك رجال أحمد" [الهيثمي، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، مصدر سابق، كتاب الأذكار، باب ما يقول إذا حضر العدو، ج10، ص136، رقم الحديث: 17128].

2 ــ ينظر: الصلابي: السِّيرةُ النّبوية: عرضُ وقائع وَتحليل أحدَاث، مرجع سابق، ص: 605.

3 ــ الصابوني، صفوة التفاسير، مصدر سابق، ج2، ص472.

4 ــ القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، مصدر سابق، ج14، ص144.

يقول الخطيب: " وهناك جنود أخرى لم يرها أحد، كانت تعمل في تلك المعركة، حتَّى أوقعت الهزيمة بالمشركين، فانقلبوا بشرّ منقلب..

وهذه الجنود غير المرئية كثيرة لا حصر لها.. «وَما يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ» وقد يكون منها هذه المشاعر التي تسلَّطت على المشركين من الخوف والقلق، ومن سوء ظنِّ بعضهم ببعض، وقد تكون وساوس وخواطر، تمشّى بها بعض العقلاء بين الجماعات المتحالفة، فأفسد ما بينهم.. وقد تكون ملائكة من ملائكة الرَّحمن جاءت مع الرِّيح، فضاعفت من أفاعيلها، وبالغت في آثارها.."[1].

4. ــ تحرِّي انصراف الأحزاب:

كان النَّبي ﷺ متتبِّعًا لأخبار الأحزاب عن كثب، ولـــمَّا علم بتفرُّق جمعهم، واختلاف كلمتهم، أراد أن يبعث أحد أصحابه ليستطلع خبرهم.

وأترك القصَّة الكاملة يرويها لنا الإمام مسلم في صحيحه بسنده عن إِبْرَاهِيمَ التَّيْمِيِّ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: كُنَّا عِنْدَ حُذَيْفَةَ، فَقَالَ رَجُلٌ: لَوْ أَدْرَكْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَاتَلْتُ مَعَهُ وَأَبْلَيْتُ، فَقَالَ حُذَيْفَةُ: أَنْتَ كُنْتَ تَفْعَلُ ذَلِكَ؟ لَقَدْ رَأَيْتُنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ لَيْلَةَ الْأَحْزَابِ، وَأَخَذَتْنَا رِيحٌ شَدِيدَةٌ وَقُرٌّ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَلَا رَجُلٌ يَأْتِينِي بِخَبَرِ الْقَوْمِ جَعَلَهُ اللهُ مَعِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟» فَسَكَتْنَا فَلَمْ يُجِبْهُ مِنَّا أَحَدٌ، ثُمَّ قَالَ: «أَلَا رَجُلٌ يَأْتِينَا بِخَبَرِ الْقَوْمِ جَعَلَهُ اللهُ مَعِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟» فَسَكَتْنَا فَلَمْ يُجِبْهُ مِنَّا أَحَدٌ، ثُمَّ قَالَ: «أَلَا رَجُلٌ يَأْتِينَا بِخَبَرِ الْقَوْمِ جَعَلَهُ اللهُ مَعِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟»، فَسَكَتْنَا فَلَمْ يُجِبْهُ مِنَّا أَحَدٌ، فَقَالَ: «قُمْ يَا حُذَيْفَةُ، فَأْتِنَا بِخَبَرِ الْقَوْمِ»، فَلَمْ أَجِدْ بُدًّا إِذْ دَعَانِي بِاسْمِي أَنْ أَقُومَ، قَالَ: «اذْهَبْ فَأْتِنِي بِخَبَرِ الْقَوْمِ، وَلَا تَذْعَرْهُمْ عَلَيَّ»، فَلَمَّا وَلَّيْتُ مِنْ عِنْدِهِ جَعَلْتُ كَأَنَّمَا أَمْشِي فِي حَمَّامٍ حَتَّى أَتَيْتُهُمْ، فَرَأَيْتُ أَبَا سُفْيَانَ يَصْلِي ظَهْرَهُ بِالنَّارِ، فَوَضَعْتُ سَهْمًا فِي كَبِدِ الْقَوْسِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَرْمِيَهُ، فَذَكَرْتُ قَوْلَ رَسُولِ اللهِ ﷺ: «وَلَا تَذْعَرْهُمْ عَلَيَّ»، وَلَوْ رَمَيْتُهُ لَأَصَبْتُهُ فَرَجَعْتُ وَأَنَا أَمْشِي فِي مِثْلِ الْحَمَّامِ، فَلَمَّا أَتَيْتُهُ فَأَخْبَرْتُهُ

1 ــ الخطيب عبد الكريم، التفسير القرآني للقرآن، مصدر سابق، ج11، ص661.

بِخَبَرِ الْقَوْمِ، وَفَرَغْتُ قُرِرْتُ، فَأَلْبَسَنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنْ فَضْلِ عَبَاءَةٍ كَانَتْ عَلَيْهِ يُصَلِّي فِيهَا، فَلَمْ أَزَلْ نَائِمًا حَتَّى أَصْبَحْتُ، فَلَمَّا أَصْبَحْتُ قَالَ: «قُمْ يَا نَوْمَانُ»" [1].

فلم يطلع الصُّبح إلَّا والمدينة خالية من الأحزاب، قد ارتحلوا، والحصار قد انفك، ورجع المؤمنون إلى ديارهم وأهاليهم واضعين السِّلاح، هاتفين مرددين: لا إله إلا الله وحده، صدق وعده، ونصر عبده، وأعزَّ جنده، وهزم الأحزاب وحده.

ويؤخذ من هذه القصَّة دروس وعبر منها [2]:

1 – معرفة رسول الله ﷺ بمعادن الرِّجال، حيث اختار حذيفة ليقوم بمهمَّة التَّجسس على الأحزاب، وأنَّ معدن حذيفة معدن ثمين فهو شجاع، ولا يقوم بهذه الأعمال إلَّا من كان ذا شجاعة نادرة، وهو بالإضافة إلى ذلك لَبِقٌ ذكيٌّ خفيف الحركة، سريع التَّخلص من المآزق الحرجة.

2 – الانضباط العسكري وطاعة أمر القائد: لقد مرَّت فرصة سانحة ليقتل فيها حذيفة قائد الأحزاب أبا سفيان وهمَّ بذلك؛ ولكنَّه ذكر وصيَّة الرَّسول ﷺ له: ألا يذعرهم، وأنَّ مهمَّته تنحصر في الإتيان بخبرهم، فنـــزع سهمه من قوسه.

3 – كرامات الأولياء: إن ما حدث لحذيفة بن اليمان عندما سار لمعرفة خبر الأحزاب في جوٍّ بارد ماطر شديد الرِّيح، وإذا به لا يشعر بهذا الجوِّ البارد، ويمشي وكأنَّما يمشي في حمَّام، وتلازمه هذه الحالة مدة بقائه بين الأحزاب وحتَّى عاد إلى معسكر المسلمين؛ لا شكَّ أنَّ هذه كرامة يمنُّ الله بها على عباده المؤمنين.

4 – لطف النَّبي ﷺ مع حذيفة عند رجوعه، فقد كان ﷺ يترفَّق بأصحابه، و لم تمنعه صلاة الليل وحلاوة المناجاة من التَّلطف بحذيفة الذي جاء بأحسن الأنباء وأصدق الأخبار وأهمِّها، فشمله بكسائه الذي يصلِّي فيه عليه السلام، ليدفئه، وتركه ملفوفًا به حتى أتمَّ صلاته، فلمَّا وجبت المكتوبة أيقظه بلطف وخفة ودُعابة قائلا: «قم يا نومان»، دعابة تقطر

---

1 ــ مسلم، صحيح مسلم، مصدر سابق، كتاب الجهاد والسير، باب غزوة الأحزاب، ج3، ص1414، رقم الحديث: 1788.

2 ــ ينظر: الصلابي: السِّيرةُ النّبوية: عرضُ وقائع وَتحليل أحدَاث، مرجع سابق، ص ص: 607 ــ 608.

حلاوة، وتفيض بالحنان، وتسيل رقَّة، إنَّها صورة نموذجية للرَّأفة والرَّحمة اللَّتين تحلَّى بهما فؤاد الرَّسول ﷺ، وتطبيق فريدٌ رفيع لهما في أصحابه الكرام، وصدق الله العظيم في قوله: ﴿بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ [التوبة: 128].

5 – وتستوقفنا سرعة البديهة لدى الصَّحابي الكريم، وقد دخل في القوم، كما في رواية الزرقاني، وقال أبو سفيان: ليأخذ كل رجل منكم بيد جليسه، قال حذيفة: فضربت بيدي على يد الذي على يميني فقلت: من أنت؟ قال: معاوية بن أبي سفيان، ثم ضربت بيدي على يد الذي عن شمالي، فقلت: من أنت؟ قال: عمرو بن العاص [1]. وهكذا بادرهم بالمسألة حتَّى لا يتيح لهم فرصة ليسألوه، وبهذا تخلَّص من هذا المأزق الحرج الذي ربما كان أودى بحياته.

ـــ مرحلة استعادة النَّشاط:

ما إن رجع المؤمنون إلى ديارهم وأهليهم وقد صرف الله عنهم جموع الأحزاب وبدأوا في استرجاع توازنهم، وعودة نشاطهم، حتَّى نزل جبريل عليه السلام على الرَّسول ﷺ وكان يغتسل وقال له: " قَدْ وَضَعْتَ السِّلاَحَ، وَاللَّهِ مَا وَضَعْتُهُ، اخْرُجْ إِلَيْهِمْ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: فَأَيْنَ فَأَشَارَ إِلَى بَنِي قُرَيْظَةَ "[2].

فحينها اتَّخذ الرسول ﷺ إجراءً عسكريًّا حاسمًا ورادعًا، حيث نادى في النَّاس: «لاَ يُصَلِّيَنَّ أَحَدٌ العَصْرَ إِلَّا فِي بَنِي قُرَيْظَةَ»[3]. فتوجَّه المؤمنون من فورهم قِبَل بني قريظة فمنهم من أدرك العصر فيها بعد الغروب، ومنهم من صلَّاها في طريقه إليها، وبلغ ذلك رسول الله ﷺ فلم يعنِّف أحدًا منهم.

وضرب المسلمون الحصار على بني قريظة خمسًا وعشرين ليلة ، واشتدَّ عليهم الحصار وقذف الله في قلوبهم الرُّعب، فأرادوا الاستسلام والنُّـــزول على أن يحكِّم الرَّسول

---

1 ــ ينظر: الزرقاني محمد بن عبد الباقي، شرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية، ط1، دار الكتب العلمية، 1996م، ج3، ص52.

2 ــ البخاري، الجامع الصحيح، مصدر سابق، كتاب المغازي، بَابُ مَرْجِعِ النَّبِيِّ ﷺ مِنَ الأَحْزَابِ، وَمَخْرَجِهِ إِلَى بَنِي قُرَيْظَةَ وَمُحَاصَرَتِهِ إِيَّاهُمْ، ج5، ص111، رقم الحديث: 4117.

3 ــ المصدر ذاته، ج5، ص112، رقم الحديث: 4119.

ﷺ فيهم سعد بن معاذ رضي الله عنه ونزلوا على حكمه، واختاروه بسبب الحِلف الذي كان بينهم وبين قبيلته الأوس [1]، فجيء بسعد محمولاً؛ لأنَّه كان قد أصابه سهم في ذراعه يوم الخندق، فقال ﷺ: «قُومُوا إِلَى سَيِّدِكُمْ، أَوْ خَيْرِكُمْ». فَقَالَ: «هَؤُلاَءِ نَزَلُوا عَلَى حُكْمِكَ». فَقَالَ: تَقْتُلُ مُقَاتِلَتَهُمْ، وَتَسْبِي ذَرَارِيَّهُمْ، قَالَ: «قَضَيْتَ بِحُكْمِ اللَّهِ» [2]. فنفَّذ رسول الله ﷺ في رجالهم حكم الإعدام.

ويوجز القرآن الكريم هذه الحادثة بقوله تعالى: ﴿ وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴿٢٦﴾ ﴾ [الأحزاب: 26] "أي: وألقى في نفوسهم الخوف الشَّديد، لـــمُمَالأتهم المشركين على حرب النَّبي ﷺ، وإخافتهم المسلمين، وقصدهم قتلهم، فانعكس الحال عليهم، وأسلموا أنفسهم للقتل، وأولادهم ونساءهم للسَّبي، فريقًا تقتلون، وهم الرِّجال المقاتِلة، وتأسرون فريقًا، وهم النِّساء والصِّبيان.

﴿ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَٰرَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَـُٔوهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا ﴿٢٧﴾ ﴾ [الأحزاب: 27]، أي: جعل الله لكم أراضيهم المزروعة ومنازلهم المعمورة وأموالهم المدَّخرة، وأرضًا أخرى لم تطأْها أقدامكم بعد وهي التي ستفتح في المستقبل، بعد بني قريظة، مثل خيبر ومكَّة وبلاد فارس والرُّوم. وكان الله صاحب القدرة المطلقة على كلِّ شيء"[3].

مرحلة التَّعلم:

تعتبر هذه المرحلة أنفس مرحلة لأنَّ بها يكتسب المؤمن الخبرات والقدرات التي تؤهِّله لإدارة هذا النَّوع من الأزمات، كما يستخلص الدروس والعبر المستقاة من الأزمة ليضمن مستوى عاليًا من الجاهزيَّة في المستقبل.

ومما يمكن أن تعلَّمه من دروس وعبر من خلال هذه الأزمة ما يأتي:

---

1 ــ ينظر: البوطي، فقه السيرة النبوية مع موجز لتاريخ الخلافة الراشدة، مرجع سابق، ص ص: 224 ــ 225. وينظر: الصلابي: السِّيرةُ النّبوية: عرضُ وقائع وتَحليل أحدَاث، مرجع سابق، ص610.

2 ــ البخاري، الجامع الصحيح، مصدر سابق، كتاب المغازي، بَابُ مَرْجِعِ النَّبِيِّ ﷺ مِنَ الأَحْزَابِ، وَمَخْرَجِهِ إِلَى بَنِي قُرَيْظَةَ وَمُحَاصَرَتِهِ إِيَّاهُمْ، ج5، ص112، رقم الحديث: 4121.

3 ــ الزحيلي، التفسير المنير، مصدر سابق، ج21، ص280.

ـــ إنَّ خروج المؤمن من أيِّ أزمة وكُربة سالمًا معافًى يستوجب شكر المنعم سبحانه وتعالى على ذلك.

ـــ إنَّ التَّخطيط والتَّنظيم وظيفتان أساسيتان من وظائف الإدارة؛ تجلَّتا في هذا الموقف العظيم، فظهر استشراف المستقبل والواقعيَّة في تحديد الأهداف والقدرة على قياسها، ومن ثمَّ التَّنظيم الذي أساسه تقسيم العمل والتَّنسيق بين الأعمال المختلفة في الحفر.

ـــ إنَّ التَّوجيه والرَّقابة وظيفتان لا تنفكَّان عن التَّخطيط والتَّنظيم، لكي تكتمل حلقة وظائف الإدارة، ولقد كان الرسول القائد ﷺ يوجِّه ويتابع ويعزِّز الإيجابيات ويعالج الخلل في العمل أوِّلا بأول.

ـــ من مبادئ التَّنظيم (المركزية) وهو مبدأ طبَّقه الرَّسول القائد ﷺ في هذه الغزوة منعًا للعشوائية والتَّخبُّط، فالوضع غير قابل لزلل أو خطأ، فكان ﷺ يسيطر على الموقف بصورة تامَّة، فحتى الاستئذان من العمل أو الخلود للرَّاحة يتوجَّب موافقة شخصيَّة من الرَّسول ﷺ.

ـــ إنَّ القائد النَّاجح هو الذي يُشرك أصحاب الرَّأي في صنع القرارات، وقد كانت فكرة حفر الخندق أكبر دليل على ذلك.

ـــ مشاركة القائد ﷺ أصحابه في الحفر والحراسة..، ومقاسمته إيَّاهم المعاناة والشَّدائد: كالجوع والبرد والتَّعب... أمر يبعث على التَّلاحم والمحبَّة الصَّادقة بين القائد ومقوديه وهو ما يعرف بـــ: القيادة بالمشاركة.

ـــ إنَّ اكتساب المعلومات الصَّحيحة، في الأوقات العصيبة، والتي تحمل التَّفاصيل الدَّقيقة ركن مهمٌّ من أركان القيادة التي يجب أن يستندوا إليها، لأنَّ على أساسها تصدر القرارات، وتُتَّخذ الإجراءات اللَّازمة، فها هو عليه السلام يكتسب معلومات تحرُّكات الأحزاب نحوه قبل وصولهم إليه بأيَّام، ويتحرى خبر بني قريظة في نقض عهدها..

ـــ إنَّ القائد المحنَّك هو الذي يسعى دومًا لرفع معنويات مقوديه، وبثِّ روح الأمل والتَّفاؤل فيهم رغم ما يحيط بهم من أخطار وأهوال.

ـــ إنَّ القائد النَّاجح هو الذي يحارب الشَّائعات ويمنعها من التَّسرب إلى صفِّه، ولذلك قال للسَّعدين إلحنوا لي لـــحْنًا في حال ثبوت نقض العهد من بني قريظة.

ـــ إنَّ القائد العظيم لا يفتح جبهات عديدة في آن واحد؛ بل يصفِّي خصومه واحدًا تلو الآخر، فحنكة الرَّسول ﷺ جعلته يهوّن من جريمة بني قريظة واكتفى بالتَّكبير وزفِّ البشرى، وابتعد عن التَّهديد والتَّخويف.. فأرجأهم إلى حين نزول حكم الله... وكان له ما أراد، ونفس الشيء يقال عن المنافقين فلم يكترث بهم، و لم يُقِم لهم وزنًا ولا اعتبارًا قل موتوا بغيظكم.

ـــ وجوب استفادة القائد من الخبرات المتوفِّرة لدى مرؤوسيه وتوظيفها في مكانها ووقتها الأليق، فلا يستهين بمكانة ورأي أحدٍ مهما كان، فهذا رسولنا ﷺ استفاد من خبرة سلمان، ومن وَجاهة السَّعدين، ومن حنكة نُعيم، ومن كفاءة حذيفة.

ـــ استعمال القائد الحكيم للعبارات اللّائقة المشجِّعة، وللتَّحفيزات المنهضة للعزائم، أمر يبعث على التَّنافس في العمل، والتَّفاني فيه. ومن جملة العبارات المحفِّزة التي أطلقها الرسول ﷺ هي: سلمان منَّا أهل البيت، فإنَّما أنت رجل منَّا، جعله الله معي يوم القيامة...

ـــ إنَّ مكافأة المنفِّذين لأوامر القائد في ظلِّ الأزمة، والثَّناء عليهم بما يستحقُّون منهج من مناهج القرآن الكريم فلم يكن ليبخس من حق هؤلاء شيئًا؛ يقول تعالى: ﴿ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ لِّيَجْزِىَ ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ ﴾ [الأحزاب: 23 – 24].

ـــ إنَّ إدارة الأزمات العسكرية تحتاج إلى قائد مُلمٍّ وملهم بأبجديات الحرب، فمن ذلك وضع كلمة السِّرِّ، وحجب الشائعات عن معسكره، والاستخبار على العدوِّ، ومفاجأة الخصم... [1].

ـــ الثِّقة في النَّفس، والثَّبات على المبدأ الصَّحيح أهم عامل من عوامل النَّصر، ولقد كان المؤمنون مضْرِب مثل حين رأوا جموع الأحزاب فلم تُخفهم و لم تُربكهم بل وقفوا وقفة

---

1 ـــ ينظر بعضا من هذه البنود بتصرف عند: منيف المطرفي، إدارة الأزمات في الغزوات [الخندق أنموذجا]، بحث منشور في الأنترنت، بتاريخ: 1432/02/18هـ.

تنمُّ عن عمق إيمانهم، وعظيم إقدامهم ﴿ وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾ ﴾ [الأحزاب: 22].

ـــ تحديد الخصم، وتوحيد الصَّفِّ، هما أمران أساسيان لتحقيق الهدف العسكري المنشود، فالنَّبي ﷺ من منهجه في هذه الأزمة أنَّه لم يفتح ملفًا مع المتخاذلين من المنافقين، كما أنَّه لم يفتح جبهة قتالية على يهود بني قريظة رغم غدرهم ونقضهم للعهود إلا بعد انفضاض الأحزاب؛ وذلك حفاظًا منه ﷺ على وحدة الصَّفِّ الدَّاخلي، وتوحيدا للجهود ضدَّ عدوٍّ واحد وهم الأحزاب.

ـــ استشراف المستقبل لاتخاذ التَّدابير الوقائية اللاَّزمة لأجل محاربة أزمة آتية؛ أمر يتوجَّب على القائد الأخذ به بعين الاعتبار، وهو يدخل ضمن الإعداد الذي أمرنا الله به في قوله: ﴿ وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ ﴾ [الأنفال: 60]. ولقد كان النَّبي ﷺ بحقٍّ قد أعدَّ العدَّة اللاَّزمة كالانتهاء من حفر الخندق قبل وصول العدو.

ـــ التَّأكيد على مبدأ الشُّورى، باعتباره مبدءا من مبادئ الشَّريعة، وأصلًا من أصول الإدارة، وصورة من صور التَّعاون على الخير، يحفظ توازن المجتمع، ويجسِّد حقيقة المشاركة في الفكر والرأي بما يخدم مصلحة الجميع، فرسول الله ﷺ المؤيَّد بالوحي استشار أصحابه في أزمة الأحزاب، وخلص إلى رأي سلمان الذي يقضي بحفر الخندق.

ـــ تطبيق المساواة والعدل بين الجندي والقائد، ومشاركته لهم في الظُّروف الحرجة المختلفة، أمر يبعث على التَّحفيز في العمل، ونشر روح المحبة والولاء بين القائد وجنده.

ـــ بيَّنت أزمة الأحزاب أهمِّية المرابطة وحراسة الثُّغور من كلِّ عدوٍّ، كما أوجبت للقيادة الضرب من حديد لكل من سوَّلت له نفسه العبث بأمن البلد كنقض العهد، أو الوقوف في صف العدوِّ.

ـــ وجوب التَّثبت من الأخبار وخاصة في ظل الأزمة، فالنَّبي ﷺ أرسل وفدين مستقلَّين لمرَّتين متتاليتين [1]، وذلك لصعوبة اتِّخاذ إجراءات حاسمة في ظلِّ الأوضاع الصَّعبة.

ـــ وجوب المحافظة دومًا على معنويات المقاتلين، فالنَّبي ﷺ قال للوفد: إن كان خبر نقض العهد من بني قريظة صحيحًا فلا تذيعوه في النَّاس، وانقلوه لي على سبيل الرَّمز والإشارة؛ لئلا يثيروا البلبلة والوهن في صفوف المجاهدين، بخلاف ما إذا كان الخبر غير صحيح فاجهروا به في صفوف المقاتلين للرَّفع من معنوياتهم.

ـــ في عملية التَّفاوض في الأزمات على القائد أن يبعث أهل الحلِّ والعقد، وأهل المكانة والوَجاهة، فقد بعث النَّبي ﷺ إلى بني قريظة: سعد بن معاذ وكان سيِّد الأوس، وسعد بن عبادة وكان سيِّد الخزرج.

ـــ وجوب التَّيقن بوعد الله المتضمِّن نصر عباده المؤمنين ولو على قلَّتهم ﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ [غافر: 51]، ووجوب التَّصديق بهذا الوعد ﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا ﴿٨٧﴾ ﴾ [النساء: 87]، ومن هنا فقد جمع المؤمنون بينهما في قولهم: ﴿ وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُواْ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾ ﴾ [الأحزاب: 22].

فالقوَّة ليست وحدها مفتاح النَّصر، فلو كانت كذلك لكان النَّصر حليف الأحزاب حيث فاق عددهم وعدَّتهم أهل الإيمان؛ فالمؤمنون لما استنفدوا جميع الأسباب معتقدين بعدم نفعها أو ضرِّها، واتَّكلوا على ربِّ الأسباب معتقدين أنَّه النَّافع والضَّار سبحانه؛ فحينها جاءهم النَّصر من قبل الله ﷻ.

ـــ القائد في الأزمات يؤثِّر في جنده سلبًا أو إيجابًا، فإذا كان على مستوى عال من الثَّبات، والشَّجاعة، والثِّقة في النَّفس، والرُّوح المعنوية العالية...؛ فإنَّ لذلك أثرًا على نفسيات الجند بلا شك؛ لأنَّ الجنود أثناء الأزمة تتوجَّه أنظارهم إلى القادة.

---

1 ـــ لا يعني إرسال الوفد الثاني الذي يضم السعدين، أن النبي ﷺ كذَّب خبر الوفد الأول حشاه، وإنما أثر الصدمة، وعدم توقع الحدوث جعل من النبي ﷺ يرسل للمرة الثانية رؤساء القبائل: فسعد بن معاذ كان سيد الأوس، وسعد بن عبادة كان سيد الخزرج، وذلك إقامة للحجة على بني قريظة.

ولقد كان النَّبي ﷺ المثل الأعلى الذي يحتذى به في جميع الصِّفات الإيجابية أثناء الأزمة وبعدها، وقد وصفه القرآن الكريم بقوله: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾ [الأحزاب: 21].

يقول ابن كثير: "هذه الآية الكريمة أصل كبير في التَّأسي برسول الله ﷺ في أقواله، وأفعاله، وأحواله، ولهذا أمر تبارك وتعالى النَّاس بالتأسي بالنَّبي ﷺ يوم الأحزاب في صبره، ومصابرته، ومرابطته، ومجاهدته، وانتظاره الفرج من ربه ﷻ..."[1].

ــ أظهرت لنا غزوة الأحزاب أنَّ الكفر كلّه ملّة واحدة، فاليهود والمشركون دائمًا تجمعهم مصلحة واحدة وهي العداء للإسلام والمسلمين، كما أنَّ اليهود اشتهروا عبر العصور بالغدر والخيانة ونقض العهود والمواثيق.

ــ علَّمتنا أزمة الأحزاب أن تَّكون على مستوى عالٍ من التَّفاؤل والأمل رغم المحن الشديدة، والظُّروف القاسية من: جوع، وخوف، وحصار، وبرد، وتعب... كما علَّمتنا أن لا نفقد الثِّقة بوعد الله وبنصره رغم أنَّ كل مؤشِّرات النَّصر والغلبة تصبُّ في ظاهرها لصالح كفة الأعداء.

ــ إخلاص القائد لجنوده وحسن معاملته لهم وتعاونه معهم تعاونًا كاملًا بعيدًا عن الكبرياء والغرور أمر ضروري تقتضيه ظروف الأزمة.

ــ ومما يمكن تعلُّمه من هذه الأزمة جواز التَّجسس على الأعداء، وإباحة استعمال الخدعة في الحرب [2].

المطلب الثاني: صفات القيادة العسكرية:

إنَّ نجاح أيَّ أزمة مرهون أساسًا بالقيادة التي تتوفَّر على صفات محدَّدة كما سنبيِّنها، ومن هنا فإنَّ العالم الإسلامي بشكل عام، والعربي بشكل خاص لا زالا يتخبَّطان في كثير من الأزمات و لم يتمكَّنا من الخروج منها لا لأنَّهما لا يملكان إمكانات مادية هائلة، أو موقع استراتيجي هام، أو وفرة في الموارد البشرية... وإنَّما المشكلة تكمن أساسًا في عدم

1 ــ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، مصدر سابق، ج6، ص350.

2 ــ ينظر: الزحيلي، التفسير المنير، مصدر سابق، ج21، ص ص: 283 ــ 286.

تواجد قيادة مؤهَّلة؛ إذا فأزمتنا أزمة غياب قيادة يحملون من الصفات ما تؤهلهم لإدارة مختلف الأزمات.

يقول الخضري: "إنَّ شخصيَّة قائد الفريق لها من قوَّة التَّأثير، ومن فاعلية توليد الأثر ما تجعلها ركنًا أساسيًّا في حسن المعالجة الأزموية.

فأسلوب التَّعامل مع الأزمة، وردود الفعل، وطرق التَّعامل، وأساليب التَّدخُّل تتأثَّر تأثُّرًا كبيرًا بالطَّبيعة الفكريَّة، والنَّفسيَّة، والشَّخصيَّة لقائد فريق المهام الأزموية، والذي على عاتقه تقع كامل المسؤولية.

ولهذا يُعدُّ حسن اختيار رئيس فريق المهام الأزموية أحد المقوِّمات الأساسيَّة في نجاح مهمَّة الفريق ومعالجته للأزمة؛ بل إنَّ كثيرًا ما يكون فشل الفريق مردُّه إلى سوء اختيار قائده"[1].

ومن هنا فإنَّ المتمعِّن في سورة الأحزاب سيجد أنَّها ركَّزت كثيرًا على الجانب القيادي المتمثل في شخص النَّبي ﷺ حيث أبرزت مكانته وفضله وأخلاقه في أكثر من جانب، وما ذلك إلا لبيان أهميَّة ودور القيادة في ظل الأزمات.

وسنوقف القارئ على بعض ما ذكرته سورة الأحزاب لوحدها ممَّا له علاقة من جانب القيادة النبوية:

✓ ــ العناية الرَّبَّانية بالقيادة النَّبوية: ويظهر ذلك من خلال النِّداءات الرَّبَّانية لنبيِّه محمد ﷺ، فقد جاءت هذه النِّداءات حافلة وحاملة لكلِّ معاني التَّقدير، والإكبار، والإجلال لهذا النَّبي القائد، فلم ينادَ بـــ: يا محمد، وإنَّما نودي خمس مرات في السُّورة بـــ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ﴾ [الأحزاب: 1، 28، 45، 50، 59]. "ونداء النبي عليه السلام بوصف النبوءة دون اسمه العلم تشريف له بفضل هذا الوصف ليربأ بمقامه عن أن يخاطب بمثل ما يخاطب به غيره، ولذلك لم يناد في القرآن بغير يا أيها النَّبي أو يا أيها الرسول" [2].

---

1 ــ الخضيري، إدارة الأزمات، مرجع سابق، ص 367.

2 ــ ابن عاشور، التحرير والتنوير، مصدر سابق، ج21، ص249.

ويستفاد من هذا أنَّ القائد لا بد أن ينادى بأحبِّ الأوصاف إليه، وأن تحترم منـــزلته، نظرًا للمسؤولية التي تقلَّدها.

✓ ــ الأولوية للقيادة النَّبوية في كلِّ شيء: في الحبِّ، وفي التَّفضيل، وفي الإتِّباع، وفي البذل والعطاء، وفي السَّمع والطَّاعة... يقول تعالى: ﴿ ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡ ﴾ [الأحزاب: 6].

يقول الشوكاني: النَّبي ﷺ هو أحق بهم في كل أمور الدِّين والدُّنيا، وأولى بهم من أنفسهم فضلا عن أن يكون أولى بهم من غيرهم، فيجب عليهم أن يؤثروه بما أراده من أموالهم، وإن كانوا محتاجين إليها، ويجب عليهم أن يحبُّوه زيادة على حبِّهم أنفسهم، ويجب عليهم أن يُقدِّموا حكمه عليهم على حكمهم لأنفسهم. وبالجملة فإذا دعاهم النَّبي ﷺ لشيء، ودعتهم أنفسهم إلى غيره، وجب عليهم أن يقدِّموا ما دعاهم إليه، ويؤخِّروا ما دعتهم أنفسهم إليه، ويجب عليهم أن يطيعوه فوق طاعتهم لأنفسهم، ويقدِّموا طاعته على ما تميل إليه أنفسهم، وتطلبه خواطرهم [1].

وإن كان هذا الحكم خاصًّا بالنَّبي ﷺ في أحقِّيته وأولويَّته على كل أمور الدِّين والدُّنيا؛ ولو كان ذلك على حساب النَّفس، والأهل، والولد، والوالد، والنَّاس أجمعين.

إلَّا أنَّه يمكن أن يستفاد منه أيضًا أنَّ طاعة القائد من طاعة الله ورسوله ما دام يحكُم النَّاس بشرع الله، ويأمرهم وينهاهم بالمعروف، فإذا التزم القائد بذلك فيحرُم على رعيَّته مخالفة أمره، ومقارفة نهيه، وليعلموا أنَّ في عصيانه مفسدة عظيمة، وفي مقابل ذلك لا بدَّ أن يكنُّوا له كامل التَّقدير والمحبَّة، مصداقا لقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ ﴾ [النساء:59].

يقول أبو زهرة: "وطاعة القائد واجبة لأنَّه المُنَظِّم،...وإن طاعة الرسول ﷺ في الحروب هو بكونه قائدا فيكون أمراً بطاعة القائد، فإنَّ طاعته إذا كان دربة مخلصًا من أسباب الانتصار"[2].

---

1 ــ ينظر: الشوكاني، فتح القدير، مصدر سابق، ج4، ص301.

2 ــ أبو زهرة، زهرة التفاسير، مصدر سابق، ج6، ص3149.

✓ ــ وجوب التَّأسي بالقائد ﷺ:

جعل الله تبارك وتعالى من رسوله ﷺ الأسوة والقدوة الحسنة؛ ليحتذي به النَّاس في أقواله وأفعاله وجميع ما جاء به، مصداقًا لقوله تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾ [الأحزاب: 21].

وعن مجيء الآية بالتَّأسي بالنَّبي ﷺ في خضمِّ وسياق غزوة الأحزاب؛ فلأنَّ الغزوة كانت مليئة بالأحداث والوقائع، التي كانت تمثِّل كثيرًا معالم منهج الرِّسالة الخالدة في شدائدها وأزماتها، ومِحنها، والتي قابلها رسول الله ﷺ القائد الأعظم، بأعظم الصَّبر، وقوَّة الاحتمال، فكان لأصحابه المجاهدين تحت لوائه أجلَّ قدوة، وأعظم أسوة فيما تطلبته أحداث الغزوة من مواقف تعتمد على العزائم الصَّادقة، والإيمان الرَّاسخ، واليقين الذي لا تزلزله كوارث البلاء والمحن [1].

ومن هنا فإنَّه يتعيَّن على كل قائد للأزمة أن يكون مضْرب مثل في الاقتداء بالرَّسول ﷺ صاحب الأسوة الحسنة في الأزمات والمسرَّات سواء في أخلاقه، أو معاملاته، ليقود بذلك الأمَّة نحو تحقيق شرع الله وتمكين دينه في الأرض، هذا من جهة ومن جهة أخرى يجب أن يكون القائد أيضًا محلَّ اقتداء وطاعة من طرف جنده ورعيَّته، وحتَّى يكون كذلك يجب أن يكون الأسوة في العمل، والسَّبْق في الميدان، والقرب من الجند، وأن يكون أوَّل الممتثلين للأوامر التي يصدرها، وأوَّل المنتهين عن النَّواهي التي يفرضها.

وفيما يأتي بيان أهمّ سمات قيادة الرّسول ﷺمن خلال أزمة الأحزاب، وهي نبراس للقادة من أجل أن يتحلَّوا بها في إدارة أزماتهم حتى يحقِّقوا النَّجاح والنَّصر مثلما حقَّقه عليه السلام، ومن ذلك:

1- توفُّر قيادة النَّبي ﷺ على بطانة من أهل الإيمان، وبأصحاب القِيم الأخلاقية الفاضلة:

---

1 ــ ينظر: عرجون محمد الصادق إبراهيم، محمد رسول الله ﷺ منهج ورسالة، ط2، دار القلم، دمشق، 1995م، ج4، ص ص: 136 ــ 137.

لقد وصف القرآن الكريم الجماعة التي كانت تحت راية النَّبي ﷺ أيام الأحزاب بأوصاف تعكس درجة إيمانهم، ودماثة أخلاقهم حيث وصفهم بأنَّهم: مؤمنون، ورجال، وصادقون، ومحبُّون للشَّهادة في سبيل الله، وثابتون على العهد والوفاء، وقد أكمل الله الصُّورة البديعة لهذا النَّموذج المثالي بقوله تعالى: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾﴾ [الأحزاب: 23].

يقول بيوض: قرّر الله تعالى في هذه الآية حكما بيِّنا، وهو أنَّه توجد هناك طائفة من المؤمنين الصَّادقين المخلصين إذا أعطوا عهدًا لله؛ فإنَّهم لا ينقضونه، عاهدوا على أن يَثْبتوا فثبتوا، عاهدوه على أن لَّا يسلموا رسول الله ﷺ فوفُّوا بعهدهم...فمن هؤلاء المؤمنين الذين صدقوا في الشَّدائد، وصمدوا في الزَّلازل من قضى نحبه، ومنهم من لَّا يزال على قيد الحياة ينتظر، وما بدَّلوا تبديلا من اليوم الذي عاهدوا فيه الله، وقطعوا ذلك العهد على أنفسهم إلى يوم مماتهم.

فهنيئًا لهؤلاء الذين شهد الله تعالى لهم بهذا، إنَّها أعلى شهادة لهم من المولى العليم الخبير [1].

2- تمتُّع قيادة النَّبي ﷺ بمبدأ الشُّورى:

إنَّ إشراك القائد جنده فيما يستجدُّ عليهم من النَّوازل أمر في غاية الأهمِّية؛ إذ ترجع منفعتها الكبيرة على جميعهم من عدَّة جهات:

ـــ زيادة إكبار القائد في أعين جنده، وذلك من خلال مشاورته لهم، وعدم الاستبداد برأيه.

ـــ تمتين أواصر المحَّبة والأخوة بين القائد وجنده من خلال النُّصح وإبداء الرأي.

ـــ إحساس الجند بإشراكه في عمليَّة التَّخطيط والدِّفاع.

1 ـــ ينظر: بيوض، في رحاب القرآن، مصدر سابق، ج12، ص ص: 244 ـــ 246.

ـــ إحساس الجند بالتَّبعية وبالمسؤولية الملقاة على عاتقه؛ لأنَّه شريك في الرَّأي.

ـــ الرَّفع من الوعي السِّياسي لدى الجندي وذلك من خلال إبداء رأيه بحرِّية لأجل الخروج في النِّهاية برأي وَجيه، وحلٍّ ناجع يخدم مصلحة أمَّته وشعبه الذي يكافح من أجله.

يقول ابن العربي: "الشُّورى ألفة للجماعة، ومسبار [1] للعقول، وسبب إلى الصَّواب، وما تشاور قوم إلا هدوا"[2].

ولأهمية الشُّورى فإنَّ الدول في العصر الحاضر لا تبتّ في مهامِّ الأمور إلَّا إذا عرضت على مجالس الشُّورى: كمجلس الوزراء، أو مجلس الشُّيوخ، أو مجلس النُّوَّاب، أو مجلس الأمَّة.

ومن ثمرات الشُّورى خروج فكرة حفر الخندق، والذي كان سببًا مهمًّا في منع دخول الأحزاب المدينة، فكم من الأفكار الرَّائعة وُجدت لها آذان صاغية، وصدور رحبة، وقلوب واسعة من أهل القيادة الحكيمة فكان لها الأثر الطيِّب في الحفاظ على الأموال والأبدان، وحقَّقوا النَّجاح الباهر في الميدان والأوطان.

3- ارتكاز قيادة النَّبي ﷺ على مبدأ المساواة:

من مظاهر قيادة النَّبي ﷺ المساواة بينه وبين جنده، فقد كان يشعر كل جندي أن النَّبي ﷺ بجواره، ويتساوى معه في الحقوق والواجبات الجندية [3]، وليس أدلَّ على ذلك حفر الخندق مع أصحابه بيده الشَّريفة، والمرابطة في حراسة ثلمة في الخندق، وتقاسم الجوع، والتَّعب، والبرد مع جنده... وبالجملة فإنَّ النبي ﷺ قد ناله ما نال أصحابه من قساوة الموقف، ومرارة الحدث.

4- اشتمال قيادة النَّبي ﷺ على مؤهِّلات عدة:

---

1 ــ السَّبْرُ: هُوَ رَوْزُ الْأَمْرِ وَتَعَرُّفُ قدْرِهِ. يُقَالُ خَبَرْتُ مَا عِنْدَ فُلَانٍ وَسَبَرْتُهُ. [ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، مصدر سابق، ج3، ص127، مادة: سَبَرَ].

2 ــ ابن العربي، أحكام القرآن، مصدر سابق، ج4، ص91.

3 ــ ينظر: أبو زهرة محمد بن أحمد، خاتم النبيين ﷺ، دار الفكر العربي، القاهرة، 1425هـ، ج2، ص558.

أ- الشَّجاعة:

اتَّسمت القيادة النَّبوية بالشَّجاعة والإقدام لمعالجة مخاطر الأزمة، فلم تركن إلى الصلح مع الأحزاب أو عقد هدنة معها.

وشجاعة النَّبي ﷺ وإقدامه بعيدة كل البعد عن التَّهور وردود الفعل العشوائية، فلم يكن عليه السلام ليجرَّ أصحابه يومًا مَّا إلى التَّهلكة أو يكِّبدهم خسائر في الأرواح والممتلكات بدافع الغيرة أو الدِّين.

ويحكي لنا علي رضي الله عنه عن شجاعة الرَّسول ﷺ قائلا: "إِنَّا كُنَّا إِذَا حَمِي الْبَأْسُ وَيُرْوَى اشْتَدَّ الْبَأْسُ وَاحْمَرَّتِ الْحَدَقُ اتَّقَيْنَا بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَمَا يَكُونُ أَحَدٌ أَقْرَبَ إِلى الْعَدُوِّ مِنْهُ وَلَقَدْ رَأَيْتُنِي يَوْمَ بَدْرٍ وَنَحْنُ نَلُوذُ بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ أَقْرَبُنَا إِلى العدو كان مِنْ أَشَدِّ النَّاسِ يَوْمَئِذٍ بَأْسًا، وَقِيلَ كَانَ الشُّجَاعُ..." [1].

ويقول الْبَرَاءُ: «كُنَّا وَاللهِ إِذَا احْمَرَّ الْبَأْسُ نَتَّقِي بِهِ، وَإِنَّ الشُّجَاعَ مِنَّا لَلَّذِي يُحَاذِي بِهِ، يَعْنِي النَّبِيَّ ﷺ»[2].

ب-الثَّبات ورباطة الجأش:

فرغم تدهور الأحداث بتسلُّل المنافقين من المواقع الجهاديَّة، وبثِّهم للأراجيف والإشاعات في صفوف المؤمنين، ومع نقض يهود بني قريظة للعهد، ومع تطويق المدينة من الأحزاب، إلَّا أنَّ النَّبي ﷺ ظلَّ صامدًا في هذه المواقف الصَّعبة، فلم يضعف أو يستكن أو ينْفعل بل كان مستبشرًا متفائلًا، وقلبه مليء بذكر الله عز وجل لينصره ويؤيِّده، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمۡ فِئَةٗ فَٱثۡبُتُواْ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٤٥ ﴾[الأنفال: 45].

ت- القدرة على اتِّخاذ القرار في الوقت المناسب:

---

1 ــ القاضي عياض بن موسى اليحصبي، الشفا بتعريف حقوق المصطفى، د.ط، دار الفكر، 1988م، ج1، ص116.

2 ــ مسلم، صحيح مسلم، مصدر سابق، كتاب الجهاد والسير، باب في غزوة حنين، ج3، ص1401، رقم الحديث: 1776.

لـــمَّا سمع النَّبي ﷺ بخروج الأحزاب إليه اتَّخذ قرارًا بعد مشاورة أصحابه بحفر الخندق، وهذا القرار يحمل ثلاث دلالات هي:

- ـــ السُّرعة في اتخاذ القرار: حيث تمَّ انجاز مشروع حفر الخندق في ظرف قياسي لا يتجاوز ستَّة أيام، وذلك قبل وصول الأحزاب إلى المدينة.
- ـــ الصَّواب: وقد كان قرار حفر الخندق دون غيره من القرارات أمَّرا صائبًا، ولا أدلَّ على ذلك عدم تمكُّن الأحزاب من اقتحامه واختراقه، فكان حفر الخندق قد حقَّق الهدف المرجوّ منه.
- ـــ الحسم: يوصف هذا القرار بأنَّه حاسم لأنَّه كان وليد فترة حرجة، ولذلك يحتاج تنفيذ هذا القرار إلى الحسم في الأمر، ومباشرة القائد بنفسه عمليَّة إنجاز المهمَّة.

ث- قيادة محفِّزة، وباعثة للأمل:

إنَّ زرع الأمل في نفوس الجند، وبثِّ روح التَّفاؤل فيهم يعتبر من أعظم الدَّوافع للنَّجاح في تحقيق الإنجاز المنشود، إذ بدونهما تصبح المهامُّ ثقيلة، ويغدو المراد بعيد المنال، لذا نجد الرسول ﷺ بحكمته الرَّاجحة، وبصيرته الثَّاقبة، ومعرفته الدَّقيقة بطبائع القلوب، وخصائص النُّفوس يساهم بكلِّ ما يستطيع في رفع الرُّوح المعنوية للصَّحابة، وبثِّ روح الأمل والتَّفاؤل بينهم [1].

فقد كان عليه السلام متفائلًا إلى أبعد الحدود، وكانت ثقته بنفسه وبجنده كبيرة، وعزيمته قويَّة نافذة بأنَّه سيتغلَّب على جموع الأحزاب لا محالة؛ بل أكثر من ذلك فقد وعد أصحابه بالتَّفوق على أكبر إمبراطوريتين في ذلك العصر وهما الرُّوم والفرس، والأحزاب لـــمَّا تبرح مكانها بعد.

---

1 ـــ ينظر: محمود أحمد عبد اللطيف، وعبد الله بن حسين القاضي، خصائص النجاح في إنجاز المشروعات الكبرى: رؤية هندسية لحفر الخندق في غزوة الأحزاب، مرجع سابق، ص: 13.

وأعظم أسلوب للتَّحفيز استعمله النَّبي ﷺ هو نزوله إلى الميدان بنفسه، ومباشرة العمل بيديه، وتفقُّد رعيته، ومقاسمة همومهم وآلامهم، وهذا يعطي دفعًا كبيرًا للجند للعمل، والتَّضحية، والبذل أكثر لأجل وقوف القائد بجنبهم.

كما استخدم النَّبي القائد ﷺ أساليب تحفيزية أخرى: كقراءة شعر حماسي على الجند، وتقديم أوسمة فخرية كقوله لسلمان: سلمان منا أهل البيت، وإعطاء وعود يقينية كقوله: من يأتيني بخبر القوم أضْمن له الرُّجوع وأضمن له الجنة فقام حذيفة بن اليمان رضي الله عنه لتلك المهمَّة...

ج- قيادة مبدعة في الوسائل الدِّافعية والقتالية:

لقد كان حفر الخندق فكرة ابتكارية مبدعة، إذ لم تكن العرب تعرف هذا الأسلوب، كما لم تكن تعرف أسلوب القتال المناسب لاجتياز الخندق والتَّغلُّب على المدافعين عنه، فلذلك لما وصلت جيوش الأحزاب إلى مدخل المدينة، ورأوا الخندق حاجزًا بينهم وبين الاجتياز تحيَّروا وتغيَّظوا من ذلك، وقاموا بمحاولات لاجتيازه لكنَّها باءت جميعها بالفشل، وقالوا: هذه المكيدة ما كانت العرب تصنعها ولا تكيدها، وبتحقيق انبهار الخصم بفكرة المشروع، يتحقَّق عنصر ابتكاريتها، حتى ولو كانت الفكرة مستقاة من الفرس، وهناك درسان هامَّان للوصول إلى الإبتكارية: إشراك ذوي الرَّأي، والاستفادة من الرَّصيد البشري في الأفكار أيًّا كان مصدره [1].

وقد كان حفر الخندق فكرة متطوِّرة، ومتقدِّمة في ذلك الوقت، وممَّا زادها نجاحًا: الإتقان في العمل، وسرعة الإنجاز، والسِّرِّيَّة التَّامة [2].

5- قيادة جنودها مدرَّبة: تلقَّى الصَّحابة تدريبات علمية وعملية في ميادين القتال، كما تخرَّج من مدرسته ﷺ قوَّادٌ وربَّانٌ فتحوا دولًا وممالك،

---

1 ــ ينظر: محمود أحمد عبد اللطيف، وعبد الله بن حسين القاضي، خصائص النجاح في إنجاز المشروعات الكبرى: رؤية هندسية لحفر الخندق في غزوة الأحزاب، مرجع سابق، ص: 11.

2 ــ ينظر: الصلابي، السِّيرةُ النّبوية: عرضُ وقائع وَتحليل أحدَاث، مرجع سابق، ص 595.

وأقاموا خلافة وعدلًا بين النَّاس، وكان السِّرُّ في ذلك كله تربية النَّبي ﷺ أصحابه على كثير من الأمور منها:

أ- على السَّمع والطَّاعة: لقد تعلَّم الصَّحابة درسًا قاسيًا من خلال غزوة أحد لما عصوا أمر قائدهم ﷺ وذلك بنـــزول غالبيَّة الرُّماة من الجبل ﴿ وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ ۚ ﴾ [آل عمران: 152]، لكنَّهم سرعان ما استفادوا من هذا الدَّرس في الغزوة التي تليها وهي غزوة الأحزاب، فقد ضربوا مثلًا رائعًا في السَّمع والطَّاعة، والانقياد، والاستسلام، والامتثال لأمر القائد رغم كلِّ المثبِّطات والمعوِّقات والمرجفات، ورغم اختلال موازين القوَّة والغلبة حيث لم تكن في صالحهم بل كانت لصالح العدوِّ في ظاهرها... أقول رغم كلِّ هذا وغيره فقد صَرَخ المؤمنون في وجه الأحزاب قائلين: ﴿ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾ ﴾ [الأحزاب: 22].

ب- على التَّوحُّد ونبذ الفرقة: لقد كانت قيادة المسلمين موحَّدة تتلقى تعليماتها وأوامرها من قائد حازم وراشد هو النَّبي ﷺ، فلم تلق الفرقة والاختلاف مكانا في صفوف المؤمنين رغم مساعي المنافقين واليهود إلى إحداثها فيهم، وقد كانوا رضوان الله تعالى عليهم ممتثلين لقول الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُوا۟ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُوا۟ فَتَفْشَلُوا۟ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ [الأنفال: 45 – 46].

بخلاف جموع الأحزاب فقد كانت لهم قيادات مشتَّتة.

يقول خطاب: "لم تكن للأحزاب قيادة موحّدة تستطيع السَّيطرة على جميع القوَّات المتجمعة وتوجيهها للعمل الحاسم في الوقت الحاسم.

كان لكل قبيلة قائد بل عدّة قوّاد، و لم يستطع هؤلاء القادة تنظيم خطَّة موحَّدة للهجوم على المسلمين.

وقد كان من المستحيل اتِّفاقهم على قائد منهم ليسيطر على الجميع، لأنَّ هذا القائد سينال شرفًا عظيمًا يتميّز به على الآخرين، ولا يمكن للآخرين أن يرضوا بهذا الامتياز.

لقد كانت النَّعرة الجاهلية لا الهدف المشترك هي التي تسيطر على القيادة، ولا يمكن أن تنجح مثل هذه القيادة في أي موقف بأيِّ معركة حتَّى ولو كانت لها كلُّ الظُّروف المواتية لها كما كانت الظروف في غزوة الخندق بالنِّسبة للأحزاب ويهود"[1].

ت- على الصَّبر والمصابرة والمرابطة:

لقد ضرب المؤمنون من المهاجرين والأنصار أيَّام الأحزاب أروع الأمثلة في الصَّبر على الجوع والتَّعب، والمصابرة على لقاء العدوِّ، والمرابطة في حماية وحراسة الثُّغور، ولقد كانت مقولة سعد ﷺ مضْرِب مثل في هذا، وذلك حين تحدَّث بلسان الأنصار قائلًا للرَّسول ﷺ: "إنَّك عسى أن تكون خرجت عن أمر قد أوحي إليك في غيره، وإنَّا قد آمنَّا بك وصدَّقناك، وشهدنا أنَّ كلَّ ما جئت به حقٌّ، وأعطيناك مواثيقنا وعهودنا على السَّمع والطَّاعة، فامض يا نبيَّ الله، فو الذي بعثك بالحقِّ لو استعرضت هذا البحر فخضته لخضناه معك، ما بقي منَّا رجل، وصل من شئت، واقطع من شئت، وخذ من أموالنا ما شئت، وما أخذت من أموالنا أحبَّ إلينا مما تركت. والذي نفسي بيده، ما سلكت هذا الطريقَّ قط، وما لي بها من علم، وما نكره أن يلقانا عدوَّنا غدًا، إنَّا لصبرٌ عند الحرب، صدقٌ عند اللِّقاء، لعلَّ الله يريك منَّا ما تقرُّ به عينك"[2].

ث- على تحمُّل الشَّدائد والصِّعاب:

لقد ربَّى النَّبي ﷺ أصحابه على تحمُّل الصِّعاب والمشقَّات وعوّدهم على الجلَد والاصطبار، فتكوَّنت لديهم عزائم قويَّة، وصمودًا كصمود الجبال، فلم تُضعفهم أيَّام الأحزاب من خوف وبرد وجوع وتعب...بل تحَدَّوا كلَّ هذه الصِّعاب واستسهلوها في

1 ــ خطاب محمود شيت، الرسول القائد، مرجع سابق، ص ص: 233 ــ 234.

2 ــ الواقدي، المغازي، مصدر سابق، ج1، ص49.

سبيل إعلاء كلمة الله، وصدق فيهم قوله تعالى: ﴿ فَمَا وَهَنُوا۟ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا۟ وَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٦﴾ ﴾ [آل عمران: 146].

ج- على علوِّ الهمَّة:

لقد أعلى النَّبي ﷺ من همَّة أصحابه فكانوا يترفَّعون عن سفاسف الأمور، ويبتغون معاليَها، كما أنَّهم لا ينوون بجهادهم مع رسول الله ﷺ إلا لإعلاء كلمة الله، ولا يريدون من ذلك علوًّا في الأرض، أو إصابةَ عَرَضٍ من أعراض الدُّنيا، فهمَّتهم في الجهاد عالية فلا يقاتلون للمغنم، أو لحميَّة وقوميَّة، أو لرياء وسمعة وكسب شهرة، أو لعرض من أعراض الدنيا ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱلطَّٰغُوتِ ﴾ [النساء: 76]، " أي: المؤمنون يقاتلون لهدف سامٍ، وغاية نبيلة وهي نصرة دين الله، وإعلاء كلمته ابتغاء مرضاته فهو تعالى وليُّهم وناصرهم" [1].

6- تمكُّن القيادة من الوسائل الحربية المختلفة:

وقد استعمل النبي ﷺ جملة من التَّدابير الحربية منها:

- ــ الاستخبارات: اعتمد النَّبي ﷺ على عملية الاستخبارات في غزوة الأحزاب كثيرًا، فقد نقلت استخباراته عليه السلام بخبر تحرُّك الأحزاب نحو المدينة فبادر بحفر الخندق قبل وصولهم المدينة، كما استعملها مرَّة أخرى للتَّثبت من انصراف الأحزاب وذلك حين بعث إليهم حذيفة خِفية.
- ــ الخداع في الحرب: وذلك لما استعمل النَّبي ﷺ نعيم بن مسعود في تفريق كلمة الأحزاب بالإشاعات الكاذبة، وقال له ﷺ: «إنَّما أنت فينا رجل واحد، فخذّل عنَّا إن استطعت، فإنّ الحرب خدعة»، ونجح في مهمَّته في تفريق كلمتهم، وتشقيق صفِّهم.
- ــ المباغتة: وهي إحداث موقف لا يكون العدوُّ مستعدًّا له، وتعتبر أهمَّ مبدأ من مبادئ الحرب، وهي على أنواع: المباغتة بالمكان: وهي أن تضرب

1 ــ الصابوني، صفوة التفاسير، مصدر سابق، ج1، ص266.

العدو من مكان لا يتوقَّعه، والمباغتة بالزَّمان: أن تقوم بحركة في وقت لا يتوقَّعه العدوُّ. والمباغتة بالأسلوب يكون بضرب العدوِّ بأسلوب حربي لا يتوقَّعه العدوُّ سواء أكان ذلك بخطَّة جديدة أو سلاح جديد.

والقائد العبقري هو الذي يحاول أن يباغت خصمه حتَّى يقضي عليه مادِّيًا ومعنويًا؛ لأنَّ المباغتة النَّاجحة تشلّ حركة العدوِّ وتقضي عليه كليًّا.

ولقد طبّق الرَّسول ﷺ كلَّ أساليب المباغتة؛ فقد باغت الأحزاب بأسلوب جديد في القتال هو حفر الخندق، وفي غزوة بني قريظة باغت اليهود بالزمان في حركته بسرعة ما كانوا ليتوقَّعوها «لاَ يُصَلِّيَنَّ أَحَدٌ العَصْرَ إِلَّا فِي بَنِي قُرَيْظَةَ» [1]، فشلّ معنوياتهم واحتفظ بالمبادأة بيده حتَّى نهاية المعركة [2].

فقيادة تحمل هذه الصِّفات يستحيل أن تُغلب أو تُهزم.

---

1 ــ الحديث سبق تخريجه ينظر: ص 404.

2 ــ ينظر: خطاب محمود شيت، الرسول القائد، مرجع سابق، ص: 94، و ص ص:258 ــ 259.

وفيما يأتي شكل يبيِّن صفات القيادة النَّبوية في الجانب العسكري:

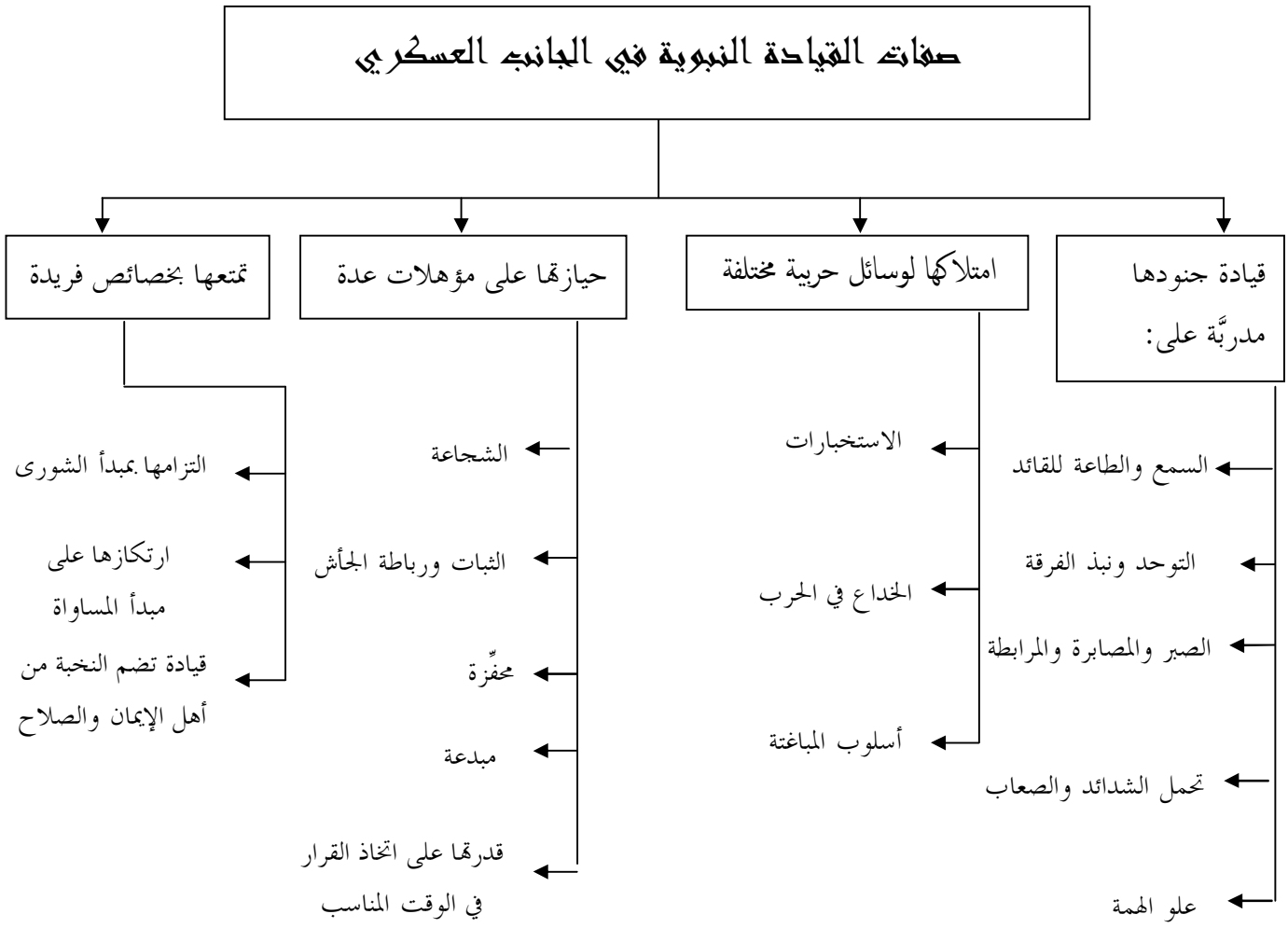

شكل يبيِّن صفات القيادة النَّبوية في الجانب العسكري

الخاتمة:

الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، الحمد لله الذي بنعمته تتمُّ الصالحات، فبعد أن عشت مع القرآن الكريم أقضي فيه أمتع أوقاتي، أنهل من معينه، وأجني من ثماره...تأتي خاتمة البحث التي لا تعني النِّهاية في دراسة هذا الموضوع؛ بل هي بداية البداية، وفتح للشَّهية؛ وإلَّا فإنَّ الباب مفتوح أمام الباحثين ليغوصوا في هذا البحر الذي لا تفنى عجائبه، ولا تنقضي معارفه، ولن يستطيع أحد أن يحيط بأسراره إلا منـــزِّله سبحانه، وقد ارتأيت أن أضع للقارئ أهمَّ النَّتائج التي توصَّلت إليها الدِّراسة، وهي كالآتي:

أوَّلا: تبيَّن للباحث أنَّ القرآن الكريم بحقٍّ معجزة خالدة، فقد أعجز أهل هذا العصر وتحدَّاهم بما اشتهروا به من علم إدارة الأزمات، فنال شرف السَّبق والكمال في إرساء مبادئ علم إدارة الأزمات، وفي تقديم الحلول النَّاجعة لها.

ثانيا: أوضح القرآن الكريم لنا أهمِّية القيادة الحكيمة واعتبرها الأداة والآلة الفعَّالة لإنجاح عملية تغيير الأوضاع من محنة إلى منحة، ومن أزمة إلى فرجة، كما أوقفنا على مبادئهم الرَّصينة، وقيمهم الحميدة، وأخلاقهم الفضيلة، علاوة على ذلك كلِّه فإنَّه لم يغفل عن تقديم نماذج حيَّة لبعض القادة الرَّبَّانيين الذين حقَّقوا نجاحات باهرة في إدارة مختلف الأزمات.

ثالثا: تميَّز منهج القرآن الكريم إزاء علاجه لمختلف الأزمات بالمزج بين الجانب المادِّي والرُّوحي؛ كما ميّز كلَّ أزمة بعلاج خاصٍّ لها، مشخّصا لمراحلها، ومبيِّنا لأسبابها...

رابعا: أرشد القرآن الكريم الجهات المسؤولة بتبني مخطَّطات مستقبليَّة واضحة المعالم والأبعاد تحمل في طيَّاتها كل الاحتمالات (السيناريوهات) الإيجابيَّة والسِّلبيَّة حتَّى لا تتفاجأ في مستقبل أيَّامها بواقع صعب، كما أرشدها إلى إيجاد فريق مختصٍّ ودائم يكون على جاهزيَّة تامَّة لأيِّ طارئ ومستجدٍّ.

خامسا: أوجب القرآن الكريم ولاة أمور المسلمين أن يُوَلُّوا أمور إدارة الأزمات خيارهم، وأنْ ينشروا في الأوساط الاجتماعية سلوكيات التَّرشيد في النَّفقة، وانتهاج سياسة الادِّخار، والسَّعي على تثقيفهم إيجابًا بعلم الأزمات والكوارث، وتدريبهم على كيفيَّة تقبُّلها حال حدوثها حتى لا يتصادموا مع الواقع الجديد الـــمُرِّ؛ لأنَّ دوام الحال من المحال ﴿وَتِلْكَ

﴿ ٱلۡأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيۡنَ ٱلنَّاسِ ﴾ [آل عمران: 140]، وفي المقابل ينصح الأفراد والمجتمعات بتحمُّل الجميع مسؤولية البناء، وعدم الإخلال بالأمن، ومضاعفة الإنتاج والدَّأب عليه، كما يتوجّب عليهم تنفيذ مخطَّطات القيادة الإدارية للأزمة.

سادسا: أوضحت الدِّراسة أنَّ التَّخطيط المحكم المبني على قواعد علمية رصينة، مع توفُّر قيادة رشيدة هما أساس كلِّ نجاح نحو تخطٍّ أمثل وسريع وآمن لكلِّ أزمة ومحنة، كما أظهرت أنَّ متابعة قائد الأزمة للأمور بنفسه، واعتماده على المعلومات الصَّحيحة والدَّقيقة مع ضوح الهدف وتسخير كامل الجهود يعتبر من أهمِّ مقوِّمات النَّجاح في إدارة الأزمة.

سابعا: ركَّز القرآن الكريم في علاج الأزمات الاجتماعية على مبدإ الشُّورى، وأهمِّية العمل الجماعي الموجَّه، وتأمين الجبهة الداخلية، ومحاربة الشَّائعات.

ثامنا: أوضح القرآن الكريم أنَّ: التَّخطيط، والتَّنظيم، وفرض الرَّقابة، والتَّوزيع العادل للموارد الطَّبيعية، والاستعداد المسبق للأزمة لهو السَّبيل الأضمن للتَّجاوز الأمثل للأزمات الاقتصادية.

تاسعا: بيَّن القرآن الكريم أنَّ أهم علاج للأزمات السِّياسية بالطُّرق السِّلمية هو تحدِّي الخصم في المجال العلمي والتَّقدُّم الحضاري، كما أوجب على القائد في ظلِّ الأزمة أن يتحلَّى بروح الحكمة والتَّعقل، والتَّدرج في الأمور، والابتعاد عن استعمال القوَّة لأجل الوصول إلى حلٍّ سِلمي، وأن الأزمة السياسية القائمة بين دولتين مهما بلغت ذروتها، ووصلت إلى حدِّ التَّعقيد[1] فإنَّه يمكن حلُّها بطرقٍ سلمية، بشرط توفُّر عنصرين أساسين هما: قيادة رشيدة، ومنهج إداري قويم.

عاشرا: أظهر القرآن الكريم أن إدارة الأزمات العسكرية تحتاج إلى قائد مُلمٍّ وملهم بأبجديات الحرب فمن ذلك: وضع كلمة السِّرِّ، وحجب الشائعات عن معسكره، والاستخبار على العدوِّ، ومفاجأة الخصم، والامتناع عن فتح جبهات عدَّة في آن واحد.

---

1 ــ مثل أزمة الصواريخ الكوبية 1962م، وأزمة الملف النووي الإيراني 2015 م.

وفي الختام فإن الباحث قد بذل الجهد ورام الكمال؛ إلا أن اعتراء النَّقص والضَّعف وعدم الإحاطة من طبائع البشر، ومن هنا فإنِّي أشيد بكلِّ من يقدِّم لي نصحا أو استداركا أو تصويبا في الرِّسالة ورحم الله من أهدى إلي عيوبي.

ولا يسعني قبل أن أضع قلمي إلَّا أن أتقدَّم بالشُّكر والعرفان للأستاذ المشرف **الأستاذ الدكتور: خير الدين سيب** على ما قدَّمه خلال إشرافه على رسالتي هذه من العناية البالغة، والجهود العظيمة من علمٍ، ونصحٍ، وإرشادٍ، وتوجيهٍ... فجزاه الله خيرًا، وأجزل له العطاء في الدنيا والآخرة.

وأتوجَّه بالشُّكر الجزيل إلى كلِّ أساتذتي ومن مدَّ لي يد المساعدة، كما أقدِّم عظيم الشُّكر والامتنان لمن سيقرأ هذا البحث ويناقشه، ويقوِّمه ليصل إلى الغاية المنشودة.

وأسأل الله التوفيق والسَّداد، وهو يهدي إلى سواء السبيل، وصلَّى الله على سيِّدنا محمد وآله وأصحابه أجمعين.

فهرس الآيات القرآنية.

سورة البقرة	الآية	رقم الصفحة
﴿ وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ ... ﴾	35 / 37	62
﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا ... ﴾	109	361
﴿ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ﴾	120	50
﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ .. ﴾	155 157/	89/67/30
﴿ وَٱلْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلْقَتْلِ ﴾	191	30
﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم .. ﴾	214	55/35 367/109
﴿ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾	216	88
﴿ وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟ ... ﴾	217	368 /361
﴿ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ ... ﴾	247	252
﴿ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ ... ﴾	251	273
﴿ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ ... ﴾	282	23
سورة آل عمران	الآية	رقم الصفحة
﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ﴾	110	9/24
﴿ إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٠﴾ ﴾	140	88/82/2 351/245 425
﴿ وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ... ﴾	141	32
﴿ وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ ٱلْمَوْتَ مِن قَبْلِ أَن تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴾	143	81
﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ... ﴾	144	55
﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم ... ﴾	152	81/72/29 418/
﴿ ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَآئِفَةً مِّنكُمْ ... ﴾	154	82/33
﴿ أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا ۖ قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ ... ﴾	165	8/72/29
﴿ وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ... ﴾	140/ 139	88/82/ب 245

سورة النساء	الآية	رقم الصفحة
﴿ ٱلَّتِى جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَـٰمًا ﴾	5	67
﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَٱبْعَثُوا۟ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ ... ﴾	35	58
﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ﴾	59	24
﴿ وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُوا۟ بِهِۦ ﴾	83	169/83/47
﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُوا۟ ﴾	94	44
﴿ وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ ... ﴾	102	45
﴿ إِن تَكُونُوا۟ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ ﴾	104	82
سورة المائدة	الآية	رقم الصفحة
﴿ وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ﴾	2	101
﴿ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَـٰمِ ... ﴾	16	1
﴿ يَـٰقَوْمِ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ﴾	21	289
﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾	48	1/17
﴿ كُلَّمَآ أَوْقَدُوا۟ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُ ۚ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا ۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٦٤﴾ ﴾	64	108
﴿ مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ ۖ ﴾	66	188
﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ ... ﴾	82	368
سورة الأنعام	الآية	رقم الصفحة
﴿ مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَـٰبِ مِن شَىْءٍ ﴾	38	55/16
﴿ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ... ﴾	84	273
سورة الأعراف	الآية	رقم الصفحة
﴿ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾	23	62
﴿ إِنَّ هَـٰذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِى ٱلْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا۟ مِنْهَآ أَهْلَهَا ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿١٢٣﴾ ﴾	123	116
﴿ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُۥ لِيُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ ... ﴾	127	112
﴿ قَالُوٓا۟ أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِيَنَا وَمِنۢ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا ۚ ... ﴾	129	88
﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ بِٱلسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣٠﴾ ﴾	130	75 /36
﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلْجَرَادَ وَٱلْقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ ءَايَـٰتٍ مُّفَصَّلَـٰتٍ ... ﴾	133	39
﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُوا۟ ... ﴾	137	95

﴿ قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ... ﴾	110/ 109	111
﴿ فَوَقَعَ ٱلْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١١٨﴾ فَغُلِبُوا۟ هُنَالِكَ وَٱنقَلَبُوا۟ صَٰغِرِينَ ﴿١١٩﴾ ﴾	119/ 118	115
سورة الأنفال	الآية	رقم الصفحة
﴿ إِن تَسْتَفْتِحُوا۟ فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ ۖ وَإِن تَنتَهُوا۟ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ .. ﴾	19	334
﴿ وَٱتَّقُوا۟ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنكُمْ خَآصَّةً ۖ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾	25	31
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُوا۟ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾	45	419/416
﴿ وَلَا تَنَٰزَعُوا۟ فَتَفْشَلُوا۟ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾	46	419/50
﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِم بَطَرًا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ ﴾	47	45
﴿ وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ ﴾	60	334/155 /44 430/408/346
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ حَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى ٱلْقِتَالِ ۚ ... ﴾	65	46
سورة التوبة	الآية	رقم الصفحة
﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ۚ ... ﴾	6	121
﴿ يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ ... ﴾	32	360
﴿ لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَّٱتَّبَعُوكَ وَلَٰكِنۢ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ ٱلشُّقَّةُ ۚ ﴾	42	187
﴿ عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَتَعْلَمَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴾	43	381/144/97
﴿ يَبْغُونَكُمُ ٱلْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّٰعُونَ لَهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾	47	144/125
﴿ لَقَدِ ٱبْتَغَوُا۟ ٱلْفِتْنَةَ مِن قَبْلُ وَقَلَّبُوا۟ لَكَ ٱلْأُمُورَ ... ﴾	48	144
﴿ لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِى مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ ۙ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ ۙ .. وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٦﴾ ﴾	26 /25	63/46
﴿ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾	51	86
﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ ... ﴾	71	50
﴿ ٱلَّذِينَ يَلْمِزُونَ ٱلْمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فِى ٱلصَّدَقَٰتِ ... ﴾	79	103
﴿ وَقَالُوا۟ لَا تَنفِرُوا۟ فِى ٱلْحَرِّ ۚ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا ۚ لَّوْ كَانُوا۟ يَفْقَهُونَ ﴿٨١﴾ ﴾	81	375

﴿ مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ .. ﴾	120	36
﴿ أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ... ﴾	126	101
﴿ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ ﴾	128	403
سورة يونس	الآية	رقم الصفحة
﴿ وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ٱلضُّرُّ دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ أَوْ قَاعِدًا ... ﴾	12	93
﴿ بَلْ كَذَّبُوا۟ بِمَا لَمْ يُحِيطُوا۟ بِعِلْمِهِۦ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥ ﴾	39	42
﴿ فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنْ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ ﴾	92	120
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ .. ﴾	57 – 58	21
سورة هود	الآية	رقم الصفحة
﴿ فَٱتَّبَعُوٓا۟ أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَمَآ أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ ﴿٩٧﴾ ﴾	97	119
﴿ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ .. ﴾	120	182
سورة يوسف	الآية	رقم الصفحة
﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا .. ﴾	3	193
﴿ لَّقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِۦٓ ءَايَٰتٌ لِّلسَّآئِلِينَ ﴿٧﴾ ﴾	7	181
﴿ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾ ﴾	18	133
﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٢٢﴾ ﴾	22	265/252
﴿ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَآ ﴾	26	136
﴿ وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي ٱلْمَدِينَةِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا عَن نَّفْسِهِۦ .. إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿٣١﴾ ﴾	31 /30	77/76
﴿ ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا رَأَوُا۟ ٱلْءَايَٰتِ لَيَسْجُنُنَّهُۥ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٣٥﴾ ﴾	35	139
﴿ قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ ﴿٤٧﴾ ﴾	47	188/60/52 214/203/197 220/219/218 257/226/224
﴿ ثُمَّ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾	48	191/188/34 218/205/195 229/224
﴿ ثُمَّ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾	49	207/191/60 242

﴿ وَقَالَ ٱلۡمَلِكُ ٱئۡتُونِي بِهِۦٓ أَسۡتَخۡلِصۡهُ لِنَفۡسِيۖ فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ قَالَ إِنَّكَ ٱلۡيَوۡمَ لَدَيۡنَا مَكِينٌ أَمِينٞ ٥٤ ﴾	54	183/102
﴿ قَالَ ٱجۡعَلۡنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلۡأَرۡضِۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٞ ٥٥ ﴾	55	196/191/99 232/227/197 254/252/235 266
﴿ وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمۡ قَالَ ٱئۡتُونِي بِأَخٖ لَّكُم مِّنۡ أَبِيكُمۡۚ .. ﴾	59	232/231/186 267/260/238
﴿ قَالُواْ نَفۡقِدُ صُوَاعَ ٱلۡمَلِكِ وَلِمَن جَآءَ بِهِۦ حِمۡلُ بَعِيرٖ وَأَنَا۠ بِهِۦ زَعِيمٞ ٧٢ ﴾	72	263/238
﴿ فَبَدَأَ بِأَوۡعِيَتِهِمۡ قَبۡلَ وِعَآءِ أَخِيهِ ... ﴾	76	257/233/268
﴿ قَالَ إِنَّمَآ أَشۡكُواْ بَثِّي وَحُزۡنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ ... ﴾	86	87/48
﴿ يَٰبَنِيَّ ٱذۡهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَاْيۡـَٔسُواْ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِۖ .. ﴾	87	48
﴿ فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَيۡهِ قَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهۡلَنَا ٱلضُّرُّ وَجِئۡنَا بِبِضَٰعَةٖ مُّزۡجَىٰةٖ فَأَوۡفِ لَنَا ٱلۡكَيۡلَ وَتَصَدَّقۡ عَلَيۡنَآۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَجۡزِي ٱلۡمُتَصَدِّقِينَ ٨٨ ﴾	88	80/68/60/35 238/233/193 239
﴿ وَأۡتُونِي بِأَهۡلِكُمۡ أَجۡمَعِينَ ٩٣ ﴾	93	260/239/186
﴿ رَبِّ قَدۡ ءَاتَيۡتَنِي مِنَ ٱلۡمُلۡكِ وَعَلَّمۡتَنِي مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِ .. ﴾	101	266/265
﴿ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٤ ﴾	104	22
﴿ لَقَدۡ كَانَ فِي قَصَصِهِمۡ عِبۡرَةٞ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِۗ ... ﴾	111	199/179/79 243
سورة إبراهيم	الآية	رقم الصفحة
﴿ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ دَآئِبَيۡنِۖ ﴾	33	226
سورة الحجر	الآية	رقم الصفحة
﴿ إِنَّا كَفَيۡنَٰكَ ٱلۡمُسۡتَهۡزِءِينَ ٩٥ ﴾	95	166/136
﴿ وَلَقَدۡ نَعۡلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدۡرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ٩٧ ﴾	97	149
سورة النحل	الآية	رقم الصفحة
﴿ وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ تِبۡيَٰنٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُسۡلِمِينَ ٨٩ ﴾	89	3
﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا قَرۡيَةٗ كَانَتۡ ءَامِنَةٗ مُّطۡمَئِنَّةٗ ... ﴾	112/ 114	105
﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ .. ﴾	125	338
سورة الإسراء	الآية	رقم الصفحة

﴿ وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾ ﴾	26	189
﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿٢٩﴾ ﴾	29	189
﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾ ﴾	36	43
﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۙ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾ ﴾	82	3
﴿ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّى هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٣﴾ ﴾	93	149
سورة الكهف	الآية	رقم الصفحة
﴿ وَتِلْكَ ٱلْقُرَىٰٓ أَهْلَكْنَٰهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا۟ وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا ﴿٥٩﴾ ﴾	59	51
﴿ أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَٰكِينَ يَعْمَلُونَ فِى ٱلْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا . . . ﴾	79	42
﴿ فَأَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٥﴾ ﴾	85	41
﴿ قَالُوا۟ يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ . . . ﴾	95/ 94	60
﴿ ءَاتُونِى زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ ﴿٨٥﴾ . . وَمَا ٱسْطَٰعُوا۟ لَهُۥ نَقْبًا ﴿٩٧﴾ ﴾	97 / 96	60
سورة مريم	الآية	رقم الصفحة
﴿ فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ أَلَّا تَحْزَنِى قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴿٢٤﴾ ﴾	24	83
﴿ فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا . . . وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴾	33/26	68
﴿ قَالَ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ﴾	30	136
سورة طه	الآية	رقم الصفحة
﴿ ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ ﴾	43	119
﴿ ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾ ﴾	44/43	338
﴿ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ ۖ ﴿٤٧﴾ ﴾	47	50
﴿ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥٠﴾ ﴾	50	110
﴿ قَالَ فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ ﴿٥١﴾ ﴾	51	110
﴿ قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى فِى كِتَٰبٍ ۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّى وَلَا يَنسَى ﴿٥٢﴾ ﴾	52	110
﴿ قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٥٧﴾ ﴾	57	111
﴿ قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ ٱلزِّينَةِ وَأَن يُحْشَرَ ٱلنَّاسُ ضُحًى ﴿٥٩﴾ ﴾	59	113
﴿ فَأَجْمِعُوا۟ كَيْدَكُمْ ثُمَّ ٱئْتُوا۟ صَفًّا ۚ وَقَدْ أَفْلَحَ ٱلْيَوْمَ مَنِ ٱسْتَعْلَىٰ ﴿٦٤﴾ ﴾	64	113

﴿ قَالَ ءَامَنتُمۡ لَهُۥ قَبۡلَ أَنۡ ءَاذَنَ لَكُمۡۖ ... ﴾	71	117/116
﴿ قَالُواْ لَن نُّؤۡثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِي فَطَرَنَاۖ ... ﴾	72 / 73	117
﴿ وَقُل رَّبِّ زِدۡنِي عِلۡمٗا ١١٤ ﴾	111	42
﴿ وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ ١٢٤ ﴾	124	20/1
سورة الأنبياء	الآية	رقم الصفحة
﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ٢٥ ﴾	25	295
﴿ وَنَبۡلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلۡخَيۡرِ فِتۡنَةٗۖ وَإِلَيۡنَا تُرۡجَعُونَ ٣٥ ﴾	35	32
﴿ فَفَهَّمۡنَٰهَا سُلَيۡمَٰنَۚ وَكُلًّا ءَاتَيۡنَا حُكۡمٗا وَعِلۡمٗاۚ ﴾	79	324
﴿ وَعَلَّمۡنَٰهُ صَنۡعَةَ لَبُوسٖ لَّكُمۡ لِتُحۡصِنَكُم مِّنۢ بَأۡسِكُمۡۖ فَهَلۡ أَنتُمۡ شَٰكِرُونَ ٨٠ ﴾	80	325
﴿ وَلِسُلَيۡمَٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةٗ تَجۡرِي بِأَمۡرِهِۦٓ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ٱلَّتِي بَٰرَكۡنَا فِيهَاۚ وَكُنَّا بِكُلِّ شَيۡءٍ عَٰلِمِينَ ٨١ ﴾	81	276
﴿ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبٗا . . وَكَذَٰلِكَ نُنجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٨٨ ﴾	88/87	94
سورة الحج	الآية	رقم الصفحة
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡۚ إِنَّ زَلۡزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيۡءٌ عَظِيمٞ ١ ﴾	1	363
﴿ فَكَأَيِّن مِّن قَرۡيَةٍ أَهۡلَكۡنَٰهَا وَهِيَ ظَالِمَةٞ ... ﴾	45	51
﴿ أَفَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَتَكُونَ لَهُمۡ قُلُوبٞ يَعۡقِلُونَ بِهَآ أَوۡ ءَاذَانٞ يَسۡمَعُونَ بِهَاۖ ... ﴾	46	41
سورة المؤمنون	الآية	رقم الصفحة
﴿ فَأَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡهِ أَنِ ٱصۡنَعِ ٱلۡفُلۡكَ بِأَعۡيُنِنَا وَوَحۡيِنَا فَإِذَا جَآءَ أَمۡرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ ... ﴾	27	59
سورة النور	الآية	رقم الصفحة
﴿ وَٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ ثُمَّ لَمۡ يَأۡتُواْ بِأَرۡبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجۡلِدُوهُمۡ ثَمَٰنِينَ جَلۡدَةٗ ... ﴾	4	173/84
﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلۡإِفۡكِ عُصۡبَةٞ مِّنكُمۡۚ لَا تَحۡسَبُوهُ شَرّٗا لَّكُمۖ بَلۡ هُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۚ لِكُلِّ ٱمۡرِيٕٖ مِّنۡهُم مَّا ٱكۡتَسَبَ مِنَ ٱلۡإِثۡمِۚ وَٱلَّذِي تَوَلَّىٰ كِبۡرَهُۥ مِنۡهُمۡ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٞ ١١ ﴾	11	125/91/72 146/137/127 165/162
﴿ لَّوۡلَآ إِذۡ سَمِعۡتُمُوهُ ظَنَّ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمۡ خَيۡرٗا وَقَالُواْ هَٰذَآ إِفۡكٞ مُّبِينٞ ١٢ ﴾	12	170/168/137 176
﴿ فَإِذۡ لَمۡ يَأۡتُواْ بِٱلشُّهَدَآءِ فَأُوْلَٰٓئِكَ عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡكَٰذِبُونَ ١٣ ﴾	13	176/168/162
﴿ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ لَمَسَّكُمۡ فِي مَآ أَفَضۡتُمۡ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ١٤ ﴾	14	172/148/138
﴿ إِذۡ تَلَقَّوۡنَهُۥ بِأَلۡسِنَتِكُمۡ وَتَقُولُونَ بِأَفۡوَٰهِكُم مَّا لَيۡسَ لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞ وَتَحۡسَبُونَهُۥ هَيِّنٗا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٞ ﴾	15	138/137/47 172/171/148

﴿ وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾ ﴾	16	138/137/47 176/170/169
﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ... ﴾	19	173/171/140
﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُو۟لُوا۟ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓا۟ أُو۟لِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَلْيَعْفُوا۟ وَلْيَصْفَحُوٓا۟ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾ ﴾	22	164/134/83 175/174/172 177
﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْغَٰفِلَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ .. وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ ﴾	23	161/151/138 173
﴿ ٱلْخَبِيثَٰتُ لِلْخَبِيثِينَ وَٱلْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَٰتِ ۖ وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِ ۚ .. ﴾	26	160/159/97 174/161
﴿ ظُلُمَٰتٌۢ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ ﴾	40	53
سورة الفرقان	الآية	رقم الصفحة
﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟ لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾ ﴾	67	189
سورة الشعراء	الآية	رقم الصفحة
﴿ قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُۥٓ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ... لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ ٱلسَّحَرَةَ إِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿٤٠﴾ ﴾	34 /40	112
﴿ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ ﴿٣٧﴾ ﴾	37	113
﴿ وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنتُم مُّجْتَمِعُونَ ﴿٣٩﴾ لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ ٱلسَّحَرَةَ إِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿٤٠﴾ ﴾	40/39	113
﴿ فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالُوا۟ لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ .. لِّمَنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴾	42/41	113
﴿ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلْقُوا۟ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ ﴿٤٣﴾ ... رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾	48/ 43	114
﴿ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ ﴾	49	117
﴿ فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿٥٣﴾ .. وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَٰذِرُونَ ﴿٥٦﴾ ﴾	56/53	111
﴿ فَيَأْتِيَهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٠٢﴾ ﴾	202	52
سورة النمل	الآية	رقم الصفحة
﴿ وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ ۖ وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍ ۖ ... ﴾	16	276/275/273 326/280
﴿ وَحُشِرَ لِسُلَيْمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٧﴾ ﴾	17	348/325/276
﴿ وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِىَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ ... وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾	44/ 20	271
﴿ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾ ﴾	22	296/54/43

		324/323/322
﴿ إِنِّي وَجَدتُّ ٱمۡرَأَةٗ تَمۡلِكُهُمۡ وَأُوتِيَتۡ مِن كُلِّ شَيۡءٖ وَلَهَا عَرۡشٌ عَظِيمٞ ﴿٢٣﴾ ﴾	23	283/282/281 322/290/288 324
﴿ وَجَدتُّهَا وَقَوۡمَهَا يَسۡجُدُونَ لِلشَّمۡسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ... ﴾	24	339/295/283
﴿ قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقۡتَ أَمۡ كُنتَ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾	27	323/298/54 324
﴿ ٱذۡهَب بِّكِتَٰبِي هَٰذَا فَأَلۡقِهۡ إِلَيۡهِمۡ ثُمَّ تَوَلَّ عَنۡهُمۡ فَٱنظُرۡ مَاذَا يَرۡجِعُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾	28	312/297/293 343/335/324
﴿ قَالَتۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَؤُاْ أَفۡتُونِي فِيٓ أَمۡرِي مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمۡرًا حَتَّىٰ تَشۡهَدُونِ ﴿٣٢﴾ ﴾	32	301/285/96 343
﴿ قَالُواْ نَحۡنُ أُوْلُواْ قُوَّةٖ وَأُوْلُواْ بَأۡسٖ شَدِيدٖ وَٱلۡأَمۡرُ إِلَيۡكِ فَٱنظُرِي مَاذَا تَأۡمُرِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾	33	290/286/71 344/318/299
﴿ قَالَتۡ إِنَّ ٱلۡمُلُوكَ إِذَا دَخَلُواْ قَرۡيَةً أَفۡسَدُوهَا وَجَعَلُوٓاْ أَعِزَّةَ أَهۡلِهَآ أَذِلَّةٗۖ وَكَذَٰلِكَ يَفۡعَلُونَ ﴿٣٤﴾ ﴾	34	304/286/76
﴿ ٱرۡجِعۡ إِلَيۡهِمۡ فَلَنَأۡتِيَنَّهُمۡ بِجُنُودٖ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخۡرِجَنَّهُم مِّنۡهَآ أَذِلَّةٗ وَهُمۡ صَٰغِرُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾	37	280/71/65 304/299/297 321/318
﴿ قَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَؤُاْ أَيُّكُمۡ يَأۡتِينِي بِعَرۡشِهَا قَبۡلَ أَن يَأۡتُونِي مُسۡلِمِينَ ﴿٣٨﴾ ﴾	38	318/305/297 341/327/324
﴿ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبۡلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَۖ وَإِنِّي عَلَيۡهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٞ ﴿٣٩﴾ ﴾	39	297
﴿ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبۡلَ أَن يَرۡتَدَّ إِلَيۡكَ طَرۡفُكَۚ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسۡتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا مِن فَضۡلِ رَبِّي لِيَبۡلُوَنِي ... ﴾	40	337/297
﴿ فَلَمَّا جَآءَتۡ قِيلَ أَهَٰكَذَا عَرۡشُكِۖ قَالَتۡ كَأَنَّهُۥ هُوَۚ وَأُوتِينَا ٱلۡعِلۡمَ مِن قَبۡلِهَا وَكُنَّا مُسۡلِمِينَ ﴿٤٢﴾ ﴾	42	330/319/287 345/335
﴿ قَالَتۡ رَبِّ إِنِّي ظَلَمۡتُ نَفۡسِي وَأَسۡلَمۡتُ مَعَ سُلَيۡمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٤٤﴾ ﴾	44	306/288/71 340/327/326
﴿ فَتِلۡكَ بُيُوتُهُمۡ خَاوِيَةَۢ بِمَا ظَلَمُوٓاْۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾	52	51
﴿ إِنَّهُۥ مِن سُلَيۡمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَّا تَعۡلُواْ عَلَيَّ وَأۡتُونِي مُسۡلِمِينَ ﴿٣١﴾ ﴾	30 /31	309/295
﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلۡمُضۡطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكۡشِفُ ٱلسُّوٓءَ ﴾	62	35
سورة القصص	الآية	رقم الصفحة
﴿ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنۡ أَرۡضِعِيهِۖ فَإِذَا خِفۡتِ عَلَيۡهِ فَأَلۡقِيهِ فِي ٱلۡيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحۡزَنِيٓۖ ﴾	7	83/58
﴿ وَدَخَلَ ٱلۡمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفۡلَةٖ مِّنۡ أَهۡلِهَا ... ﴾	15	69
﴿ فَأَصۡبَحَ فِي ٱلۡمَدِينَةِ خَآئِفٗا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا ٱلَّذِي ٱسۡتَنصَرَهُۥ بِٱلۡأَمۡسِ يَسۡتَصۡرِخُهُۥۖ ... ﴾	18	69

﴿ فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ ۖ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢١﴾ ﴾	21	69
﴿ فَلَمَّا جَآءَهُۥ وَقَصَّ عَلَيْهِ ٱلْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ ۖ نَجَوْتَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥﴾ ﴾	25	69
سورة الروم	الآية	رقم الصفحة
﴿ ثُمَّ كَانَ عَٰقِبَةَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔوا۟ ٱلسُّوٓأَىٰٓ ﴾	10	115
﴿ وَإِذَا مَسَّ ٱلنَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا۟ رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيْهِ ... ﴾	33	93
﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾	47	344
﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ... ﴾	54	56
سورة لقمان	الآية	رقم الصفحة
﴿ وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ ﴾	19	187
سورة السجدة	الآية	رقم الصفحة
﴿ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢١﴾ ﴾	21	22
﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟ ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾	24	258/100
سورة الأحزاب	الآية	رقم الصفحة
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٩﴾ ﴾	9	354/83/70 378/356/355 401/381/379
﴿ إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ .. ﴾	10	362/353/53 380/379
﴿ هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴿١١﴾ ﴾	11	/353/53/36 381
﴿ وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢﴾ ﴾	12	372/364
﴿ وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ يَٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَٱرْجِعُوا۟ ۚ وَيَسْتَـْٔذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ ٱلنَّبِىَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِىَ بِعَوْرَةٍ ۖ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴿١٣﴾ ﴾	13	373/355/146
﴿ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَٱلْقَآئِلِينَ لِإِخْوَٰنِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا ۖ وَلَا يَأْتُونَ ٱلْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٨﴾ ﴾	18	375
﴿ أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ ۖ فَإِذَا جَآءَ ٱلْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ ... ﴾	19	364
﴿ فَإِذَا ذَهَبَ ٱلْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ ﴾	19	376/375/364
﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾	21	409/400/167 412
﴿ وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ	22	364/101/81 407/370/369

﴿ إِيمَٰنًا وَتَسۡلِيمًا ﴿٢٢﴾ ﴾		419/409
﴿ مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ رِجَالٞ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيۡهِۖ فَمِنۡهُم مَّن قَضَىٰ نَحۡبَهُۥ وَمِنۡهُم مَّن يَنتَظِرُۖ وَمَا بَدَّلُواْ تَبۡدِيلٗا ﴾	23	407/357/100 430/413
﴿ وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِغَيۡظِهِمۡ لَمۡ يَنَالُواْ خَيۡرٗاۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱلۡقِتَالَۚ ... ﴾	25	382/369/359
﴿ وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ مِن صَيَاصِيهِمۡ ... ﴾	26	405/376/357
﴿ وَلَا تُطِعِ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَدَعۡ أَذَىٰهُمۡ وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا ﴿٤٨﴾ ﴾	48	394/154
﴿ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِي ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلُۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗا ﴿٦٢﴾ ﴾	62	47/42
﴿ لَّئِن لَّمۡ يَنتَهِ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ ... ﴾	62 / 60	395/140/47
سورة سبأ	الآية	رقم الصفحة
﴿ وَمِنَ ٱلۡجِنِّ مَن يَعۡمَلُ بَيۡنَ يَدَيۡهِ بِإِذۡنِ رَبِّهِۦ ... ﴾	13/12	278
﴿ لَقَدۡ كَانَ لِسَبَإٖ فِي مَسۡكَنِهِمۡ ءَايَةٞۖ ... إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّكُلِّ صَبَّارٖ شَكُورٖ ﴿١٩﴾ ﴾	15 – 19	40
﴿ وَجَعَلۡنَا بَيۡنَهُمۡ وَبَيۡنَ ٱلۡقُرَى ٱلَّتِي بَٰرَكۡنَا فِيهَا قُرٗى ظَٰهِرَةٗ وَقَدَّرۡنَا فِيهَا ٱلسَّيۡرَۖ ... ﴾	18	289
﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّكُلِّ صَبَّارٖ شَكُورٖ ﴿١٩﴾ ﴾	19	79
سورة فاطر	الآية	رقم الصفحة
﴿ فَهَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلۡأَوَّلِينَۚ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗاۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحۡوِيلًا ﴿٤٣﴾ ﴾	43	22
﴿ وَلَا يَحِيقُ ٱلۡمَكۡرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهۡلِهِۦۚ ﴾	43	115
سورة الصافات	الآية	رقم الصفحة
﴿ وَنَجَّيۡنَٰهُ وَأَهۡلَهُۥ مِنَ ٱلۡكَرۡبِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ ﴾	76	34
﴿ وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿١٣٩﴾ ... لَلَبِثَ فِي بَطۡنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ﴿١٤٤﴾ ﴾	144/139	94
سورة ص	الآية	رقم الصفحة
﴿ جُندٞ مَّا هُنَالِكَ مَهۡزُومٞ مِّنَ ٱلۡأَحۡزَابِ ﴿١١﴾ ﴾	11	379
﴿ وَوَهَبۡنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيۡمَٰنَۚ نِعۡمَ ٱلۡعَبۡدُۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٞ ﴿٣٠﴾ ﴾	30	336/272
﴿ قَالَ رَبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَهَبۡ لِي مُلۡكٗا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِيٓۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡوَهَّابُ ﴾	35	330/275
﴿ فَسَخَّرۡنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجۡرِي بِأَمۡرِهِۦ رُخَآءً حَيۡثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾ ﴾	36	277
﴿ هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمۡنُنۡ أَوۡ أَمۡسِكۡ بِغَيۡرِ حِسَابٖ ﴿٣٩﴾ ﴾	39	328

﴿ إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِٱلْعَشِيِّ ٱلصَّٰفِنَٰتُ ٱلْجِيَادُ ﴿٣١﴾ ... فَطَفِقَ مَسْحًۢا بِٱلسُّوقِ وَٱلْأَعْنَاقِ ﴿٣٣﴾ ﴾	33/31	279
سورة الزمر	الآية	رقم الصفحة
﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ ﴾	36	136
سورة غافر	الآية	رقم الصفحة
﴿ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْآزِفَةِ إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ ﴾	18	363
﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِىٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ ... ﴾	26	448/111
﴿ وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَصُدَّ عَنِ ٱلسَّبِيلِ ... ﴾	37	119
﴿ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ ... ﴾	46	120
﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴿٥١﴾ ﴾	51	431/409/345
سورة فصلت	الآية	رقم الصفحة
﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ ... ﴾	53	21
﴿ مَّا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ ﴾	43	155
سورة الشورى	الآية	رقم الصفحة
﴿ وَٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾	38	343
﴿ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ ﴾	49	272
سورة الأحقاف	الآية	رقم الصفحة
﴿ قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا لِتَأْفِكَنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا ﴾	22	127
﴿ بَلْ هُوَ مَا ٱسْتَعْجَلْتُم بِهِۦ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ... ﴾	25/24	382
سورة محمد	الآية	رقم الصفحة
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴿٧﴾ ... ﴾	8 /7	344
سورة الفتح	الآية	رقم الصفحة
﴿ لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ ... ﴾	20-18	66
سورة الحجرات	الآية	رقم الصفحة
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓا۟ ... ﴾	6	156/140/44
﴿ وَلَا تَلْمِزُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ﴾	11	168
سورة الذاريات	الآية	رقم الصفحة
﴿ وَفِى مُوسَىٰٓ إِذْ أَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾ فَتَوَلَّىٰ بِرُكْنِهِۦ وَقَالَ سَٰحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٣٩﴾ ﴾	39/38	111

﴿ فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾ ﴾	40	120
﴿ وَفِى عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلرِّيحَ ٱلْعَقِيمَ ﴿٤١﴾ مَا تَذَرُ مِن شَىْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَٱلرَّمِيمِ ﴿٤٢﴾ ﴾	42/41	382
سورة النجم	الآية	رقم الصفحة
﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ ﴾	4 /3	449
سورة القمر	الآية	رقم الصفحة
﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِى يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ ﴿١٩﴾ تَنزِعُ ٱلنَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ ﴿٢٠﴾ ﴾	20/19	277
سورة الرحمن	الآية	رقم الصفحة
﴿ وَٱلْحَبُّ ذُو ٱلْعَصْفِ وَٱلرَّيْحَانُ ﴿١٢﴾ ﴾	12	224
سورة الواقعة	الآية	رقم الصفحة
﴿ فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ﴿٨٣﴾ ﴾	83	364
سورة الحديد	الآية	رقم الصفحة
﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ ﴾	24/23	86
سورة الممتحنة	الآية	رقم الصفحة
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٍ فَٱمْتَحِنُوهُنَّ ۖ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِهِنَّ ﴾	10	33
﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ ﴾	8	121
سورة المنافقون	الآية	رقم السورة
﴿ هُمُ ٱلْعَدُوُّ فَٱحْذَرْهُمْ ۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۖ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٤﴾ ﴾	4	155/154/144
﴿ هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُوا۟ عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا۟ ۗ ﴾	7	142
﴿ يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ ۚ ﴾	8	146/142
سورة الطلاق	الآية	رقم الصفحة
﴿ سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴿٧﴾ ﴾	7	89/34
سورة الملك	الآية	رقم الصفحة
﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾ ﴾	14	22
﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ﴿١٥﴾ ﴾	15	226
سورة القلم	الآية	رقم الصفحة
﴿ فَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَٰٓئِمُونَ ﴿١٩﴾ . . . فَأَصْبَحَتْ كَٱلصَّرِيمِ ﴿٢٠﴾ ﴾	20/19	39
سورة الحاقة	الآية	رقم الصفحة

﴿ وَٱلْمُؤْتَفِكَتُ بِٱلْخَاطِئَةِ ۝٩ ﴾	9	127
﴿ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ۝٤٤ . . . فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَٰجِزِينَ ۝٤٧ ﴾	47/44	167
سورة الجن	الآية	رقم الصفحة
﴿ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ۝٢٦ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ . . . ﴾	27/26	203/192
سورة القيامة	الآية	رقم الصفحة
﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ۝١٦ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ۝١٧ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ۝١٨ ﴾	18 – 16	20
سورة النازعات	الآية	رقم الصفحة
﴿ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ۝٢٤ ﴾	24	119
سورة البروج	الآية	رقم الصفحة
﴿ وَمَا نَقَمُوا۟ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ۝٨ ﴾	8	121
سورة الشرح	الآية	رقم الصفحة
﴿ فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٦ ﴾	6/ 5	89/34

فهرس الأحاديث النَّبوية:

طرف الحديث	الصفحة
ــ أَنَهْلِكُ وَفِينَا الصَّالِحُونَ قال نعم إذا كَثُرَ الْخَبَثُ	31
ــ أَلَا رَجُلٌ يَأْتِينِي بِخَبَرِ الْقَوْمِ جَعَلَهُ اللهُ مَعِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟»	402
ــ الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ، خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ.	87
ــ إِنَّكَ أَنْ تَذَرَ وَرَثَتَكَ أَغْنِيَاءَ، خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَذَرَهُمْ عَالَةً يَتَكَفَّفُونَ النَّاسَ	220
ــ إنها كفارة لمن أقيمت عليه	162
ــ إِنِّي لَا أَرَى الْقَوْمَ إِلَّا مُبَيِّتِيكُمُ اللَّيْلَةَ فَإِنَّ شِعَارَكُمْ حم لَا يُنْصَرُونَ	393
ــ بارك الله لك فيما أعطيت وبارك لك فيما أمسكت	103
ــ تَدْمَعُ الْعَيْنُ وَيَحْزَنُ الْقَلْبُ، وَلَا نَقُولُ إِلَّا مَا يُرْضِي رَبَّنَا،...	85
ــ تَهَادَوْا، فَإِنَّ الْهَدِيَّةَ تُذْهِبُ وَغَرَ الصَّدْرِ.	316
ــ رأى جابر بن عبد الله في النبي ﷺ خمصا شديدا، فذبح بهيمة...	365
ــ سَلْمَانُ مِنَّا أَهْلَ الْبَيْتِ	386
ــ شَغَلُونَا عَنِ الصَّلَاةِ الْوُسْطَى، صَلَاةِ الْعَصْرِ، مَلَأَ اللهُ بُيُوتَهُمْ وَقُبُورَهُمْ نَارًا	367
ــ شَكَوْنَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الجُوعَ وَرَفَعْنَا عَنْ بُطُونِنَا عَنْ حَجَرٍ حَجَرٍ،...	365
ــ عَائِشَةَ كَانَتْ فِي حِصْنِ بَنِي حَارِثَةَ يَوْمَ الْخَنْدَقِ	391
ــ عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ،...	79
ــ فَأَنْزَلَ اللهُ فِيهَا خَمْسَةَ عَشَرَ آيَةً مِنْ سُورَةِ النُّور.	134
ــ فَثَارَ الْحَيَّانِ الْأَوْسُ وَالْخَزْرَجُ حَتَّى هَمُّوا أَنْ يَقْتَتِلُوا وَرَسُولُ اللهِ ﷺ، قَائِمٌ..	123
ــ فَحَلَفَ أَبُو بَكْرٍ أَنْ لاَ يَنْفَعَ مِسْطَحًا بِنَافِعَةٍ أَبَدًا...	83
ــ فَخَرَّتْ مَغْشِيًّا عَلَيْهَا فَمَا أَفَاقَتْ إِلَّا وَعَلَيْهَا حُمَّى نَافِضٌ	148/126
ــ فَمَا الإِحْسَانُ؟ قَالَ: «أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ،...	250
ــ الاقتصاد في النفقة نصف المعيشة	187
ــ الآنَ نَغْزُوهُمْ وَلاَ يَغْزُونَنَا، نَحْنُ نَسِيرُ إِلَيْهِمْ	102
ــ الكَرِيمُ، ابْنُ الكَرِيمِ، ابْنِ الكَرِيمِ، ابْنِ الكَرِيمِ يُوسُفُ بْنُ يَعْقُوبَ...	260/183
ــ اللهُمَّ اسْتُرْ عَوْرَاتِنَا، وَآمِنْ رَوْعَاتِنَا	400
ــ اللَّهُمَّ لَوْلاَ أَنْتَ مَا اهْتَدَيْنَا... وَلاَ تَصَدَّقْنَا وَلاَ صَلَّيْنَا	390

ـــ اللَّهُمَّ مُنْزِلَ الكِتَابِ، سَرِيعَ الحِسَابِ، اللَّهُمَّ اهْزِمِ الأَحْزَابَ،...	400
ـــ أَمَرَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ بِحَفْرِ الْخَنْدَقِ، قَالَ:...	391
ـــ إِنْ رَأَيْتُمُ الْعَدُوَّ وَرَأَيْتُمُ الطَّيْرَ تَخْطَفُنَا، فَلَا تَبْرَحُوا، فَلَمَّا رَأَوْا الْغَنَائِمَ قَالُوا...	72
ـــ قَدْ وَضَعْتَ السِّلَاحَ، وَاللَّهِ مَا وَضَعْتُهُ، اخْرُجْ إِلَيْهِمْ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ:...	404
ـــ قُومُوا إِلَى سَيِّدِكُمْ، أَوْ خَيْرِكُمْ	404
ـــ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَخْرُجَ أَقْرَعَ بَيْنَ أَزْوَاجِهِ،...	129
ـــ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ، أَعَزَّ جُنْدَهُ، وَنَصَرَ عَبْدَهُ، وَغَلَبَ الأَحْزَابَ وَحْدَهُ...	383
ـــ لا ضرر ولا ضرار	65
ـــ لاَ يُصَلِّيَنَّ أَحَدٌ العَصْرَ إِلَّا فِي بَنِي قُرَيْظَةَ	404
ـــ لاَ يُلْدَغُ الْمُؤْمِنُ مِنْ جُحْرٍ وَاحِدٍ مَرَّتَيْنِ	63
ـــ لَقَدْ أُعْطِيتُ تِسْعًا مَا أُعْطِيَتْهُنَّ امْرَأَةٌ إِلَّا مَرْيَمَ بِنْتَ عِمْرَانَ:...	160
ـــ لَمَّا كَانَ يَوْمُ الأَحْزَابِ، وَخَنْدَقَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ،...	389
ـــ مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَرَاحُمِهِمْ وَتَوَادِّهِمْ وَتَعَطُّفِهِمْ كَمَثَلِ الْجَسَدِ؛...	101
ـــ مَلَأَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ بُيُوتَهُمْ وَقُبُورَهُمْ نَارًا، كَمَا شَغَلُونَا عَنْ صَلاَةِ الوُسْطَى...	70
ـــ مَنْ أَحْيَا أَرْضًا مَيْتَةً فَهِيَ لَهُ	216
ـــ مَنْ جَهَّزَ جَيْشَ الْعُسْرَةِ فَلَهُ الْجَنَّةُ	103
ـــ نُصِرْتُ بِالصَّبَا، وَأُهْلِكَتْ عَادٌ بِالدَّبُورِ	382
ـــ وَاللَّهِ لَوْلَا اللَّهُ مَا اهْتَدَيْنَا وَلَا تَصَدَّقْنَا وَلَا صَلَّيْنَا فَأَنْزِلَنْ سَكِينَةً عَلَيْنَا...	101
ـــ وَاللَّهِ مَا رَأَيْتُ مَلِكًا قَطُّ، يُعَظِّمُهُ أَصْحَابُهُ، مَا يُعَظِّمُ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ مُحَمَّدً	158
ـــ وَكَانَتِ الأَنْصَارُ حِينَ قَدِمَ النَّبِيُّ ﷺ أَكْثَرَ، ثُمَّ كَثُرَ الْمُهَاجِرُونَ بَعْدُ	155
ـــ وَلَا عَالَ مَنِ اقْتَصَدَ	187
ـــ وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ إِلَّا رَفَعَهُ اللَّهُ	338
ـــ يَا ابْنَ الْيَمَانِ، قُمْ فَانْطَلِقْ إِلَى عَسْكَرِ الْأَحْزَابِ فَانْظُرْ إِلَى حَالِهِمْ..	365
ـــ يحبس لأهله قوت سنتهم.	220
ـــ وَإِنَّهُ لَنْ يَغْلِبَ عُسْرٌ يُسْرَيْنِ	89

فهرس المصادر والمراجع.

ـ القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم.

ـــ أولا: كتب التفسير وعلوم القرآن.

1- أبو السعود محمد بن محمد العمادي (ت:951هـ)	إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
2- أبو حيان محمد بن يوسف الأندلسي (ت: 745هـ)	البحر المحيط في التفسير، تح: صدقي محمد جميل، د. ط، دار الفكر، لبنان، 1420هـ.
3- أبو زهرة محمد بن أحمد بن مصطفى(ت:1394هـ)	زهرة التفاسير، دار الفكر العربي. د.ط، د.ت.
4- أحمد علي الإمام	مفاتيح فهم القرآن، دار المنى للطباعة، دمشق، 2003م.
5- الألوسي أبو الفضل شهاب الدين محمود(ت: 1270هـ)	6- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1415هـ.
7- ابن باديس عبد الحميد محمد (ت: 1359هـ)	في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1995م.
8- البغوي الحسين بن مسعود (ت: 510هـ)	معالم التنزيل في تفسير القرآن، تح: عبد الرزاق المهدي، ط1، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1420هـ.
9- البقاعي ابراهيم بن عمر (ت: 885هـ)	نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، د.ط، د.ت.
10- البيضاوي عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي (ت: 685هـ)	أنوار التنزيل وأسرار التأويل، تح: محمد المرعشلي، ط1، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1418 هـ.
11- ابن الجزري محمد بن محمد بن يوسف (ت: 833 هـ)	النشر في القراءات العشر، تح: علي محمد الضباع، الناشر: المطبعة التجارية الكبرى. د.ط، د.ت.
12- الجوزي عبد الرحمن بن علي (ت: 597هـ)	زاد المسير في علم التفسير، تح: عبد الرزاق المهدي، ط1، دار الكتاب العربي، بيروت، 1422هـ.
13- ابن أبي حاتم الرازي عبد الرحمن بن محمد بن إدريس (ت: 327هـ)	تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم، تح: أسعد الطيب، ط3، مكتبة نزار مصطفى الباز، السعودية، 1419هـ.
14- الخازن علي بن محمد (ت: 741هـ)	لباب التأويل في معاني التنزيل، تح: محمد علي شاهين، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1415هـ.

15- الخالدي صلاح عبد الفتاح	القصص القرآني، عرض وقائع وتحليل أحداث، ط، دار القلم، دمشق، 1998م.
16- الخطيب عبد الكريم يونس (ت: بعد 1390هـ)	التفسير القرآني للقرآن، دار الفكر العربي، القاهرة، د.ت.
17- الرازي محمد بن عمر (ت: 604 هـ)	مفاتيح الغيب، ط1،دار الكتب العلمية بيروت، 1421هـ.
18- الزحيلي وهبة بن مصطفى (ت: 1436هـ)	التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، ط2، دار الفكر المعاصر، دمشق، 1418 هـ.
19- الزرقاني محمد عبد العظيم (ت: 1367هـ)	مناهل العرفان في علوم القرآن، ط3، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه.
20- الزمخشري أبو القاسم محمود بن عمر (ت: 538هـ)	الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، ط3، دار الكتاب العربي، بيروت، 1407هـ.
21- ابن أبي زَمَنِين محمد بن عبد الله (ت: 399هـ)	تفسير القرآن العزيز،ط1، تح: أبو عبد الله حسين بن عكاشة ومحمد بن مصطفى الكنز، الناشر: الفاروق الحديثة، مصر، 2002م.
22- الزين محمد بسام رشدي	مدرسة الأنبياء عبر وأضواء، ط1، دار الفكر المعاصر، بيروت، 2001م.
23- السعدي عبد الرحمن بن الناصر (ت: 1376هـ)	تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تح: عبد الرحمن اللويحق، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت، 2000م.
24- السعدي عبد الرحمن بن الناصر (ت: 1376هـ)	فوائد مستنبطة من قصة يوسف عليه السلام، ط1، مكتبة أضواء السلف، الرياض، 2000م.
25- السمعاني منصور بن محمد بن عبد الجبار(ت: 489هـ)	تفسير القرآن، تح: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، ط1، دار الوطن، الرياض، 1997م.
26- السيوطي عبد الرحمن (ت: 911هـ)	الدر المنثور، دار الفكر بيروت، 1993م.
27- السيوطي عبد الرحمن (ت: 911هـ)	الإتقان في علوم القرآن، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1974م.
28- الشربيني الخطيب محمد بن أحمد (ت: 977هـ)	السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير، دار: مطبعة البولاق، القاهرة. د.ت.
29- الشعراوي محمد متولي (ت: 1418هـ)	الخواطر، مطابع أخبار اليوم، القاهرة، 1997م.

30- الشوكاني محمد بن علي (ت: 1250هـ)	فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، ط1، دار ابن كثير، دمشق، 1414هـ.
31- الصابوني محمد علي	صفوة التفاسير، ط1، الناشر: دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 1997 م.
32- الصَّلاَّبي عَلي محمد محمد	فقه النصر والتمكين في القرآن الكريم (أنواعه – شروطه وأسبابه – مراحله وأهدافه)، ط1، مكتبة الصحابة، الشارقة، 2001 م.
33- الطبري محمد بن جرير (ت: 310هـ)	جامع البيان عن تأويل آي القرآن، دار الفكر، بيروت، 1405هـ.
34- ابن عادل عمر بن علي (ت: 775هـ)	اللباب في علوم الكتاب، تح: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1998م.
35- ابن عاشور محمد الطاهر (ت: 1393م)	التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، 1984م.
36- ابن عجيبة أحمد بن محمد بن المهدي (ت: 1224هـ)	البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، تح: أحمد عبد الله القرشي رسلان، الناشر: الدكتور حسن عباس زكي، القاهرة، 1419 هـ.
37- ابن عطية أبو محمد عبد الحق بن غالب (ت: 546هـ)	المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تح عبد السلام عبد الشافي محمد، ط1، دار الكتب العلمية، لبنان، 1422هـ.
38- ابن العربي محمد بن عبد الله أبو بكر (ت: 543هـ)	أحكام القرآن، تح: محمد عبد القادر عطا، ط3، دار الكتب العلمية، بيروت، 2003 م.
39- القاسمي محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم (ت: 1332هـ)	محاسن التأويل، تح: محمد باسل عيون السود، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1418 هـ.
40- القرطبي أبو عبد الله محمد بن أحمد (ت: 671هـ)	الجامع لأحكام القرآن، تح: أحمد البردوني وإبراهيم اطفيش، ط2، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1964م.
41- القمي الحسن بن محمد بن حسين النيسابوري (ت: 850هـ)	غرائب القرآن ورغائب الفرقان، ط1، تح: زكريا عميرات، دار الكتب العلمية، بيروت، 1416 هـ.
42- القنوجي محمد صديق خان بن حسن (ت:	فتحُ البيان في مقاصد القرآن، المكتبة العصرية، بيروت،

1307هـ)	1992م.
43- ابن كثير إسماعيل بن عمر أبو الفداء (ت: 774هـ)	تفسير القرآن العظيم، تح: محمد حسين شمس الدين، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1419هـ.
44- ابن كثير إسماعيل بن عمر أبو الفداء (ت: 774هـ)	قصص الأنبياء، تح: مصطفى عبد الواحد، ط1، دار التأليف، القاهرة، 1968م.
45- الماوردي علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري (ت: 450هـ)،	النكت والعيون، د ط، تح: ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية، بيروت، د ت.
46- المجالي محمد خازر	الوجيز في علوم الكتاب العزيز، ط5، جمعية المحافظة على القرآن الكريم، 2010م.
47- المراغي أحمد بن مصطفى	تفسير المراغي، ط1، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، 1946م.
48- المودودي أبو الأعلى	تفسير سورة النور، دار الفكر، بيروت. د.ط، د.ت.
49- الناصري محمد المكي (ت: 1414هـ)	التيسير في أحاديث التفسير، ط1، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1995م.
50- النحاس أحمد بن محمد (ت: المتوفى: 338هـ)	إعراب القرآن، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1421هـ.
51- الواحدي علي بن أحمد بن محمد (ت: 468هـ)	أسباب النزول، تح: الحميدان عصام بن عبد المحسن، ط2، دار الإصلاح، الدمام، 1992م.
52- بيوض إبراهيم بن عمر (ت: 1981م)	في رحاب القرآن، المطبعة العربية، غرداية، الجزائر، 2000م.
53- حوى سعيد	الأساس في التفسير، ط1، دار السلام، القاهرة، 1985م.
54- دراز محمد بن عبد الله (ت: 1377هـ)	النبأ العظيم، اعتنى به: أحمد مصطفى فضلية، دار القلم للنشر والتوزيع، 2005م.
55- سيد قطب إبراهيم الشاربي (ت: 1385هـ)	في ظلال القرآن، ط17، دار الشروق، القاهرة، 1412هـ.
56- سيد قطب إبراهيم الشاربي (ت: 1385هـ)	التصوير الفني في القرآن، ط11، دار المعارف، القاهرة، 1994م.
57- صبحي الصالح	مباحث في علوم القرآن، ط4، دار العلم للملايين،

	2000م.
58- طنطاوي محمد سيد (ت: 1431هـ)	التفسير الوسيط للقرآن الكريم، ط1، دار نهضة مصر، القاهرة، 1998م.
59- طهماز عبد الحميد محمود	الوحي والنبوة والعلم في سورة يوسف، ط1، دار القلم، دمشق، 1990م.
60- فضل حسن عباس	قصص القرآن الكريم، ط3، دار النفائس، الأردن، 2010م.
61- كعباش محمد بن إبراهيم	نفحات الرحمن في رياض القرآن، د ط، المطبعة العربية، غرداية، الجزائر، 2010م.
62- الماتريدي محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور (ت: 333هـ)	تأويلات أهل السنة، تح: مجدي باسلوم، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2005 م.
63- مجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر	التفسير الوسيط للقرآن الكريم، ط1، الناشر: الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، 1993م.
64- محمد رشيد رضا (ت: 1354هـ)	تفسير القرآن الحكيم [تفسير المنار]، دار الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1990م.
65- محمد فؤاد عبد الباقي	المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، ط1، دار الفكر، د.م، 1986م.
66- مكي بن أبي طالب حَمّوش بن محمد (ت: 437هـ)	الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه، ط1، تح: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي – جامعة الشارقة، بإشراف أ. د: الشاهد البوشيخي، الناشر: مجموعة بحوث الكتاب والسنة – كلية الشريعة والدراسات الإسلامية – جامعة الشارقة، 2008م.
67- نوفل أحمد	سورة يوسف دراسة تحليلية، ط1، دار الفرقان، الأردن، 1989م.

ـــ ثانيا: كتب الحديث النبوي وعلومه.

68- الأثير أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري	النهاية في غريب الحديث الأثر، تح طاهر محمد الزاوي

(ت: 606 هـ)	ومحمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت، 1399هـ.
69- ابن الأثير علي بن أبي الكرم (ت: 630هـ)	أسد الغابة في معرفة الصحابة، تح: علي محمد معوض، عادل أحمد عبد الموجود، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1994م.
70- أحمد بن حنبل (ت: 241هـ)	مسند الإمام أحمد، تح: شعيب الأرناؤوط وآخرون، ط1، مؤسسة الرسالة، 2001 م.
71- الأصبهاني أحمد بن عبد الله (ت: 430هـ)	الطب النبوي، تح: مصطفى خضر دونمز التركي، ط1، دار ابن حزم، د م، 2006م.
72- الألباني محمد ناصر الدين (ت: 1420هـ)	سلسلة الأحاديث الصحيحة، ط1، مكتبة المعارف، الرياض، 1995م.
73- الألباني محمد ناصر الدين (ت: 1420هـ)	صحيح أبي داود، ط1، مؤسسة غراس، الكويت، 2002م.
74- الألباني محمد ناصر الدين (ت: 1420هـ)	سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة، ط1، دار المعارف، الرياض، 1992م.
75- الألباني محمد ناصر الدين (ت: 1420هـ)	التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان، ط1، دار با وزير، جدَّة، 2003م.
76- الألباني محمد ناصر الدين (ت: 1420هـ)	إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، ط2، المكتب الإسلامي، بيروت، 1989م.
77- البخاري محمد بن اسماعيل الجعفي (ت: 256 هـ)	الجامع الصحيح المختصر المسند من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه، تح: محمد زهير بن ناصر الناصر، ط1، دار طوق النجاة، 1422هـ.
78- البزار أحمد بن عمرو (ت: 292هـ)	مسند البزار، تح: محفوظ الرحمن زين الله وآخرون، ط1، الناشر: مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، 2009م.
79- البوصيري أحمد بن أبي بكر بن إسماعيل (ت: 840هـ)	إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة، تح: دار المشكاة للبحث العلمي بإشراف أبو تميم ياسر بن إبراهيم، ط1، دار الوطن، الرياض، 1999م.
80- البيهقي أحمد بن الحسين (ت: 458هـ)	دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1405هـ.

81- البيهقي أحمد بن الحسين بن علي بن موسى (ت: 458هـ)	شعب الإيمان، تح: الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد، ط1، مكتبة الرشد، الرياض، 2003 م.
82- الترمذي محمد بن عيسى(ت: 279هـ)	سنن الترمذي، تح: أحمد محمد شاكر وآخرون، د.ط، دار إحياء التراث، بيروت، د.ت.
83- الترمذي محمد بن عيسى(ت: 279هـ)	مختصر الشمائل المحمدية، تح: الألباني محمد ناصر الدين، المكتبة الإسلانية، عمّان.
84- الحاكم النيسابوري محمد بن عبد الله (ت: 405هـ)	المستدرك على الصحيحين، تح: مصطفى عبد القادر عطا، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1990م.
85- الخطابي حمد بن محمد بن إبراهيم (ت: 388هـ)	غريب الحديث، تح: عبد الكريم إبراهيم الغرباوي، د.ط، دار الفكر، بيروت، 1982م.
86- ابن حبان محمد بن أحمد (ت: 354هـ)	الثقات، تح: شرف الدين أحمد، ط1، دار الفكر، 1975م.
87- ابن حبان محمد بن أحمد (ت: المتوفى: 354هـ)	صحيح ابن حبان، تح شعيب الأرنؤوط، ط2، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1993م.
88- ابن حجر أحمد بن علي العسقلاني(ت: 852هـ)	فتح الباري شرح صحيح البخاري، تح: محمد فؤاد عبد الباقي،، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، دار المعرفة، بيروت، 1379م.
89- ابن حجر العسقلاني (ت: 852هـ)	الإصابة في تمييز الصحابة، تح: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1415 هـ.
90- ابن حجر العسقلاني (ت: 852هـ)	التلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير، ط1، دار الكتب العلمية، 1989م.
91- أبو داود سليمان بن الأشعث السّجِسْتاني (ت: 275هـ)	سنن أبي داود، تح، محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت.
92- الذهبي محمد بن أحمد بن عثمان(ت: 748هـ)	سير أعلام النبلاء،، تح: مجموعة من المحققين بإشراف شعيب الأرناؤوط، ط3، مؤسسة الرسالة، 1985 م.
93- الذهبي محمد بن أحمد(ت: 748هـ)	تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام، تح: بشار عواد معروف، ط1، دار الغرب الإسلامي، 2003م.

94- الزيلعي عبد الله بن يوسف (ت: 762هـ)	نصب الراية لأحاديث الهداية، تح: محمد عوامة، ط1، مؤسسة الريان، بيروت، 1997م.
95- السخاوي محمد بن عبد الرحمن (ت: 902هـ)	المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة، تح: محمد عثمان الخشت، ط1، دار الكتاب العربي، بيروت، 1985م.
96- الشوكاني محمد بن علي بن محمد (ت: 1250هـ)	نيل الأوطار، تح: عصام الدين الصبابطي، ط1، دار الحديث، مصر، 1993م.
97- الصنعاني عبد الرزاق بن همام (ت: 211هـ)	مصنف الصنعاني، تح: حبيب الرحمن الأعظمي، ط2، المكتب الإسلامي – بيروت، 1403 هـ.
98- الطبراني سليمان بن أحمد (ت: 360هـ)	المعجم الأوسط، تح: طارق بن عوض الله بن محمد ، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين، القاهرة.
99- الطبراني سليمان بن أحمد(ت: 360هـ)	المعجم الكبير، ط1، تح: فريق من الباحثين بإشراف وعناية: د/ سعد بن عبد الله الحميد و د/ خالد بن عبد الرحمن الجريسي، 2006 م.
100- الطيالسي أبو داود سليمان بن داود (ت: 204هـ)	مسند الطيالسي، تح: محمد بن عبد المحسن التركي، ط1، دار هجر، مصر، 1999 م.
101- العجلوني اسماعيل بن محمد(ت: 1162هـ)	كشف الخفاء ومزيل الإلباس، تح: عبد الحميد هنداوي، ط1، المكتبة العصرية، 2000م.
102- ابن ماجه محمد بن يزيد القزويني (ت: 273هـ)	سنن ابن ماجه، تح: شعيب الأرنؤوط، ط1، دار الرسالة العالمية، 2009 م.
103- الملا علي القاري (ت: 1014هـ)	مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ط1، دار الفكر، بيروت، 2002م.
104- ابن الملقن عمر بن علي (ت: 804هـ)	مختصرُ استدرَاك الحافِظ الذّهبي على مُستدرَك أبي عبد اللهِ الحَاكم، تح: عبد الله بن حمد اللحيدان، ط1، دار العاصمة، الرياض، 1411هـ.
105- النسائي أحمد بن شعيب (ت: 303هـ)	سنن النسائي الكبرى، تح: حسن عبد المنعم شلبي، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت، 2001م.

106- الهيثمي نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان(ت: 807هـ)	مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، تح: حسام الدين القدسي، مكتبة القدسي، القاهرة، 1994 م.
107- مالك بن أنس الأصبحي (ت: 179هـ)	موطأ الإمام مالك، رواية أبي مصعب الزهري، تح: بشار عواد معروف ومحمود خليل، مؤسسة الرسالة، 1412هـ.
108- محمد بن سلامة بن جعفر القضاعي (ت: 454هـ)	مسند الشهاب، تح حمدي عبد المجيد السلفي، ط2، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1986م.
109- مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت: 261 هـ)	صحيح مسلم، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث، بيروت. د.ت.

ـ ثالثا: كتب السيرة النبوية، والتاريخ الإسلامي.

110- أبو زهرة محمد بن أحمد (ت: 1394هـ).	خاتم النبيين ﷺ، دار الفكر العربي، القاهرة، 1425هـ.
111- البوطي محّمد سَعيد رَمضان	فقه السيرة النبوية مع موجز لتاريخ الخلافة الراشدة، ط25، دار الفكر، دمشق، 1426 هـ.
112- ابن حزم علي بن أحمد بن سعيد الأندلسي القرطبي(ت: 456هـ)	جوامع السيرة النبوية، ط1، تح: إحسان عباس، دار المعارف، مصر، 1900 م.
113- الحلبي علي بن إبراهيم بن أحمد (ت: 1044هـ)	السيرة الحلبية، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت، 1427هـ.
114- الخطيب البغدادي (ت: 463هـ)	تاريخ بغداد، تح: بشار عواد معروف، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت،2002 م.
115- الزرقاني محمد بن عبد الباقي (ت: 1122هـ)	شرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية، ط1، دار الكتب العلمية، 1996م.
116- السرجاني راغب الحنفي راغب	السيرة النبوية، دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية، رقم الدرس: 29.
117- ابن سعد أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع (ت: 230هـ)	الطبقات الكبرى، تح: محمد عبد القادر عطا، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1990 م.
118- الصَّلابي عَلي محمد محمد	السِّيرةُ النّبوية: عرضُ وقائع وَتحليل أحدَاث، ط7، دار المعرفة، بيروت، 2008 م.

119- الطبري محمد بن جرير (ت: 310هـ)	تاريخ الرسل والملوك، ط2، دار التراث، بيروت، 1387 هـ.
120- الغزالي محمد (ت: 1416هـ)	فقه السيرة، ط1، دار القلم، دمشق، 1427 هـ.
121- القاضي عياض بن موسى اليحصبي(ت: 544هـ)	الشفا بتعريف حقوق المصطفى، د.ط، دار الفكر، 1988م.
122- ابن القيم الجوزية محمد بن أبي بكر بن أيوب(ت: 751هـ)	زاد المعاد في هدي خير العباد، ط27، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1994م.
123- ابن كثير إسماعيل بن عمر (ت: 774هـ)	الفصول في السيرة، تح: محمد العيد الخطراوي، ط3، مؤسسة علوم القرآن، 1403هـ.
124- ابن كثير إسماعيل بن عمر (ت: 774هـ)	البداية والنهاية، تح: علي شيري، ط1، دار إحياء التراث العربي، 1988م.
125- المباركفوري صفي الرحمن	الرحيق المختوم، ط1، دار الهلال، بيروت.
126- المقدسي عبد الغني بن عبد الواحد	حديث الإفك، تح: إبراهيم صالح، دار البشائر، 1994م.
127- المقريزي أحمد بن علي بن عبد القادر (ت: 845هـ)	إمتاع الأسماع بما للنَّبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع، تح: محمد عبد الحميد النميسي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت،1999 م.
128- ابن منظور محمد بن مكرم بن علي (ت: 711هـ)	مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر، تح: روحية النحاس وآخرون، ط1، دار الفكر، دمشق، 1984م.
129- النجار محمد الطيب	القول المبين في سيرة سيد المرسلين، د.ط، دار الندوة الجديدة، لبنان، د.ت.
130- الندوي علي أبو الحسن بن عبد الحي	السيرة النبوية، ط12، دار ابن كثير، دمشق، 1425 هـ.
131- الواقدي محمد بن عمر بن واقد السهمي (ت: 207هـ)	المغازي، تح: مارسدن جونس، ط3، دار الأعلمي، بيروت، 1989م.
132- خطاب محمود شيت	الرسول القائد، ط7، دار الفكر، بيروت، 1422هـ.
133- خليل عماد الدين	دراسة في السيرة النبوية، ط2، دار النفائس، بيروت، 1425هـ.
134- عرجون محمد الصادق إبراهيم	محمد رسول الله ﷺ منهج ورسالة، ط2، دار القلم،

	دمشق، 1995م.
135- غلوش أحمد	السيرة النبوية والدعوة في العهد المدني، ط1، مؤسسة الرسالة، 2004م.
136- محمد عبد القادر أبو فارس	غزوة الأحزاب، ط1، دار الفرقان، عمّان، 1983م.
137- ابن هشام عبد الملك بن أيوب الحميري المعافري (ت: 213هـ)	السيرة النبوية لابن هشام، تح: مصطفى السقا وآخرون، ط2، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، 1955 م.

ـ رابعا: الكتب اللغوية.

138- الأصفهاني الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني(ت: 502هـ)	المفردات في غريب القرآن، تح صفوان عدنان الداودي، ط1، دار القلم، دمشق، 1412 هـ.
139- ابن دريد الأزدي محمد بن الحسن (ت: 321هـ)	جمهرة اللغة، تح: رمزي منير بعلبكي، ط1، دار العلم للملايين، بيروت، 1987م.
140- الرازي أبو عبد الله محمد بن أبي بكر (ت: 666هـ)	مختار الصحاح، تح: يوسف الشيخ محمد، ط 5، المكتبة العصرية، بيروت، 1999م.
141- الزبيدي محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني (ت: 1205هـ)	تاج العروس من جواهر القاموس، تح: مجموعة من المحققين، دار الهداية.
142- الفيروزآبادي أبو طاهر محمد (ت: 817هـ)	القاموس المحيط، ط8، مؤسسة الرسالة، لبنان، 2005م.
143- ابن فارس أحمد بن زكرياء القزويني الرازي (ت: 395هـ)	معجم مقاييس اللغة، تح، عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، 1979م.
144- الفيومي أحمد بن محمد (ت: 770هـ)	المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، المكتبة العربية، بيروت.
145- ابن منظور محمد بن مكرم (ت: 711هـ)	لسان العرب، ط3، دار صادر، بيروت، 1414 هـ.

ـ خامسا: الكتب الإدارية.

146- أحمد جلال عز الدين	إدارة الأزمة في الحدث الإرهابي، المركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب، الرياض، 1990م.

147- البزاز حسن	إدارة الأزمة بين نقطتي الغليان والتحول، ط1، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، 2001م.
148- التميمي حسين عبد الله	إدارة الإنتاج والعمليات، ط1، دار الفكر، عمّان.
149- الحريري محمد سرور	إدارة الأزمات الاقتصادية وطرق حل المشكلات الإدارية، ط1، دار الوراق، عمّان، 2012م.
150- الحريري محمد سرور	إدارة الأزمات السياسية واستراتيجيات القضاء على الأزمات السياسية الدولية، ط1، دار حامد للنشر والتوزيع، عمّان، 2012م.
151- الحليسي نواف بن صالح	المنهج الاقتصادي في التخطيط لنبي الله يوسف عليه السلام، ط4، د م، 1994م.
152- الحملاوي محمد رشاد	إدارة الأزمات تجارب محلية وعالمية، ط2، مكتبة عين شمس، القاهرة، 1995م.
153- الخضيري محسن أحمد	إدارة الأزمات علم امتلاك كامل القوة في أشد لحظات الضعف، ط1، مجموعة النيل العربية، القاهرة، 2003م.
154- الخضيري محسن أحمد	إدارة الأزمات: منهج اقتصادي إداري لحل الأزمات على مستوى الاقتصاد القومي والوحدة الاقتصادية، مكتبة مدبولي القاهرة، 1990م.
155- الدليمي عبد الرزاق محمد	الإعلام وإدارة الأزمات، ط1، دار المسيرة، عمّان، 2012م.
156- السكارنة بلال خلف	التخطيط الاستراتيجي، ط1، دار المسيرة، عمّان، 2010م.
157- السكارنة بلال خلف	القيادة الإدارية الفعالة، ط1، دار المسيرة، عمّان، 2010م.
158- الشافعي محمد	إدارة الأزمات، ط1، مركز المحروسة للبحوث والتعريب والنشر،1999م.
159- الشعلان فهد أحمد	إدارة الأزمات (الأسس ـــ المراحل ـــ الآليات)، مطابع أكاديمية نايف للعلوم الأمنية، 1999م.
160- الصيرفي محمد	إدارة الأزمات، مؤسسة حورس الدولية، الإسكندرية.
161- الضحيان عبد الرحمن إبراهيم	إدارة الأزمات والمفاوضات، ط1، دار المآثر، المدينة

	المنورة، 2001م.
162- الطراونة محمد إبراهيم	إدارة الأزمات، ط1، دار اليراع، عمّان، 2011م.
163- العجمي محمد حسنين	الإتجاهات الحديثة في القيادة الإدارية، ط1، دار المسيرة، عمّان، 2008م.
164- العماري عباس	إدارة الأزمات في عالم متغير، ط1، مركز الأهرام، القاهرة، 1414هـ.
165- أبو العينين جميل جودت	أصول الإدارة في القرآن والسنة، ط1، دار ومكتبة الهلال، 2002م.
166- الفهداوي فهمي خليفة	الإدارة في الإسلام ـــ المنهجية والتطبيق والقواعد، ط1، دار المسيرة، عمّان، 2001م.
167- القريوتي محمد قاسم	السلوك التنظيمي: دراسة السلوك الإنساني الفردي والجماعي في المنظمات الإدارية، د ط، دار الصفاء، عمّان، 2000م.
168- الكيالي عبد الوهاب وآخرون	موسوعة السياسة، دار الهدى للنشر، بيروت.
169- الهدمي ماجد سلامة	مبادئ إدارة الأزمات، دار زهران، القاهرة، د.ت.
170- جاد الله محمود	إدارة الأزمات، دار أسامة، عمّان، 2007م.
171- جمال عبده	دور المنهج الإسلامي في تنمية الموارد البشرية، دار الفرقان، عمّان، 1984م.
172- جودت سعيد	العمل قدرة وإرادة، ط1، دار الثقافة، دمشق، 1980م.
173- حريز سامي محمد	المهارة في إدارة الأزمات وحل المشكلات (ت: الأسس النظرية والتطبيقية)، دار البداية، عمّان، 2006م.
174- سليم بطرس جلده	الاستراتيجيات الحديثة لإدارة الأزمات، دار الراية، عمّان، 2011م.
175- سميسم حميدة	الحرب النفسية، ط1، الدار الثقافية، القاهرة، 2005م.
176- شريف منى صلاح الدين	إدارة الأزمات الوسيلة للبقاء، ط1، دار البيان للطباعة والنشر، القاهرة، 1998م.
177- شكارة نادية	اتخاذ القرار في الأزمة الدولية، جامعة بغداد، كلية العلوم

	السياسية، 1996م.
178- عبوي زيد منير	إدارة الأزمات، ط1، دار كنوز المعرفة، عمّان، 2007م.
179- عثمان محمد مختار	مبادئ علم إدارة العامة، بنغازي، جامعة قار، 1991م.
180- علاء أبو عامر	العلاقات الدولية، ط1، دار الشروق، د.م، 2004م.
181- عليوة السيد	إدارة الأزمات في المستشفيات، القاهرة، دار إيتراك للطباعة والنشر والتوزيع، 2001م.
182- فاروق السيد عثمان	التفاوض وإدارة الأزمات، ط1، دار الأمين، الجيزة، القاهرة، 2004م.
183- قطيش نواف أحمد	إدارة الأزمات، دار الراية للنشر، عمّان، 2009م.
184- كامل عبد الوهاب محمد	سيكولوجية إدارة الأزمات، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، عمّان، 1424هـ.
185- كلالدة ظاهر محمود	الاتجاهات الحديثة في القيادة الإدارية، ط1، دار زهران، عمّان، 2013م.
186- ماجد المساعدة وآخرون	مبادئ علم الإدارة، ط1، دار المسيرة، عمّان، 2013م.
187- ماجد راغب الحلو	علم الإدارة العامة ومبادئ الشريعة الإسلامية، دار الجامعة الجديدة، الإسكندرية، 2007م.
188- ماهر أحمد	إدارة الأزمات، الدار الجامعية، الإسكندرية، 2006م.
189- محمد الرشيد	القيادة العسكرية في عهد الرسول ﷺ، ط1، دار القلم، 1990م.
190- محمد السيد سليم	تحليل السياسة الخارجية، د ط، دار الجيل، بيروت، 2001م.
191- المطيري حزام	الإدارة الإسلامية المنهج والممارسة، دار الفرزدق، الرياض، 1997م.
192- معهد بميك	إدارة الأزمات لما قد لا يحدث، سلسلة إصدارات بميك، تعريب علا أحمد صلاح، مركز الخبرات المهنية، 2004م.
193- مناصرة عبد الله علي السلامة	الاستخبارات العسكرية في الإسلام، ط2، مؤسسة الرسالة، لبنان، 1991م.

194- نواف كنعان	القيادة الإدارية، ط1، دار الثقافة، عمّان، 2009م.
195- هوشيار معروف	التخطيط الاستراتيجي، ط1، دار وائل للنشر، عمّان، 2009م.
196- يسري محمد أبو العلا	علم الاقتصاد، دار النهضة العربية، القاهرة.

سادسا: كتب متنوعة.

197- جريشة علي والزيبق محمد شريف	أساليب الغزو الفكري للعالم الإسلامي، دار الاعتصام، مصر.
198- الشافعي محمد بن إدريس (ت: 204هـ)	الأم، ط2، دار المعرفة، بيروت، 1393هـ.
199- عبد اللطيف بري	الإنماء الروحي والإصلاح الاجتماعي، ط1، دار التعارف، بيروت، 1979م.
200- المؤلف	الخطر اليهودي بروتوكولات حكماء صهيون، ترجمة: محمد خليفة التونسي، دار الكتاب العربي، بيروت.
201- محمد قطب	منهج التربية الإسلامية، ط 16، دار الشروق، القاهرة، 1414هـ.
202- موسى جلال محمد عبد الحميد	منهج البحث العلمي عند العرب، دار الكتاب المصري، د. ت.

سابعا: الرسائل العلمية والأبحاث.

203- التميمي عبد الله كرامة	تحديد موطن مملكة سبأ في القرآن الكريم والمصادر الأخرى، مجلة جامعة الشارقة للعلوم الشرعية والقانونية، المجلد 5، العدد1، فبراير 2008م.
204- الخضر زكريا علي محمود	القيم الحضارية في قصة سيدنا سليمان عليه السلام مع ملكة سبأ، المجلة الأردنية للدراسات الإسلامية، المجلد 6، العدد 1، سنة: 2010م.
205- الخطيب فايز وضاح	الإعجاز القرآني البياني في آيات قصة سليمان عليه السلام مع ملكة سبأ، مجلة جامعة دمشق، المجلد 17، العدد 2،

	2001م.
206- بولقصاع محمد	النَّبي ﷺ في ضوء سورة الأحزاب، رسالة ماجستير، المشرف: محمد علي زغول، جامعة آل البيت، الأردن، 2010م.
207- جواد حسين	القوة التنظيمية للقادة الإداريين، مجلة الإدارة والاقتصاد، معهد الإدارة بالرصافة، العدد: 75، سنة: 2009م.
208- دره محمد	إدارة الأزمات، مجلة الفكر الشرطي، الإمارات العربية المتحدة، مجلد 6، 1997م، ص17.
209- الرفاعي حسن محمد	دور الفكر الاقتصادي الإسلامي في إدارة الأزمة الاقتصادية الراهنة، بحث مقدم إلى مؤتمر الأزمة المالية العالمية المنعقد بجامعة الجنان، طرابلس، بيروت، 2009 م.
210- رمزي حبيب السيد	مراكز إدارة الأزمات، مجلة الحرس الوطني، العدد 171، 1996م.
211- رمضان يوسف الصيفي	رسالة ماجستير بعنوان: منهج القرآن الكريم في التعامل مع جرائم اليهود، جامعة غزة، فلسطين، 2009م.
212- عرفات محمد	من معالم القيادة والجندية الصالحة في القرآن الكريم قصة سليمان وقصة ذي القرنين، بحث مصور منشور على الأنترنت، واكتفى الباحث بذكر مهنته دون باقي المعلومات، وهو أستاذ مساعد في قسم الدراسات القرآنية بكلية المعلمين بالمدينة المنورة.
213- شقرة محمد عاصم	نحو أنموذج إسلامي لإدارة الأزمات، رسالة ماجستير، عمّان، 1995م.
214- قرموط نايف شعبان عبد الله	الإدارة في سورة يوسف عليه السلام ـــ دراسة موضوعية ـــ، رسالة ماجستير، إشراف: عصام العبد محمد زهد، الجامعة الإسلامية، غزة، 2009م.
215- الكيلاني عبد الله	إدارة الأزمة مقاربة التراث..والآخر، كتاب الأمة، العدد 131، عام 1430 هـ.

216- محمد الحسن علي الأمين	واقعية غزوة الأحزاب في القرآن الكريم قراءة في أسلوبها ودلالاته، جامعة أم درمان الإسلامية، بحث منشور في الأنترنت بصيغة pdf.
217- محمود أحمد عبد اللطيف، وعبد الله بن حسين القاضي	خصائص النجاح في إنجاز المشروعات الكبرى: رؤية هندسية لحفر الخندق في غزوة الأحزاب، قسم التخطيط الحضري والإقليمي، كلية العمارة والتخطيط، جامعة الملك فيصل، بحث منشور في الأنترنت على شكل pdf.
218- منيف المطرفي	إدارة الأزمات في الغزوات [الخندق أنموذجا]، بحث منشور في الأنترنت، بتاريخ: 1432/02/18هـ.
219- همام حسن يوسف سلوم	سليمان عليه السلام في القرآن الكريم، رسالة ماجستير، إشراف: خالد علوان، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين، 2006م.
220- اليازجي صبحي رشيد	إدارة الأزمات من وحي القرآن الكريم ـــ دراسة موضوعية ـــ، مجلة الجامعة الإسلامية، المجلد 19، العدد 2، يونيو 2011م.

فهرس المحتويات.

الموضوع	رقم الصفحة
الإهداء	
شكر وتقدير	
المقدِّمة	أ
أسباب اختيار الموضوع	ب
إشكالية الدِّراسة	ج
أهمِّية الموضوع	د
أهداف الدِّراسة	د
الدِّراسات السَّابقة	هـ
أهمُّ المصادر	ز
صعوبات الدِّراسة	ز
منهجية الدِّراسة	ز
حدود الدِّراسة	ح
خطَّة الدِّراسة	ح
الفصل الأول: إدارة الأزمات: مفهومها، أسبابها، خصائصها، مراحلها، أهدافها، أنواعها، آثارها.	1
المبحث الأول: التَّعريف بمفردات عنوان الأطروحة، وبيان نظائر الأزمة في القرآن الكريم.	2
المطلب الأول: التَّعريف بمفردات عنوان الأطروحة	2
الفرع الأول: مفهوم "منهج القرآن الكريم".	2
أولا: مفهوم المنهج لغة واصطلاحا.	3
ثانيا: مفهوم القرآن لغة واصطلاحا.	5
ثالثا: مفهوم "منهج القرآن الكريم" كمركب إضافي.	6
رابعا: سمات تطبيق منهج القرآن الكريم في إدارة مختلف الأزمات.	7
الفرع الثاني: تعريف الإدارة في اللغة والاصطلاح.	9

الفرع الثالث: تعريف الأزمة في اللغة والاصطلاح.	11
الفرع الرابع: تعريف "إدارة الأزمات" كمركب إضافي.	14
المطلب الثاني: من نظائر الأزمة في القرآن الكريم.	15
المبحث الثاني: الأزمات: "أسباب نشوئها، وخصائصها، ومراحلها"من منظور القرآن الكريم.	27
المطلب الأول: أسباب نشوء الأزمات.	27
المطلب الثاني: من خصائص الأزمات في القرآن الكريم.	38
المطلب الثالث: مراحل إدارة الأزمة من خلال القرآن الكريم.	41
1 ــ مرحلة ما قبل الأزمة.	43
2 ــ مرحلة أثناء الأزمة.	45
3 ــ مرحلة ما بعد الأزمة.	47
المبحث الثالث: الأزمات: "أنواعها، وآثارها، والهدف من إدارتها" من خلال القرآن الكريم.	50
المطلب الأول: أنواع الأزمات في القرآن الكريم.	50
المطلب الثاني: آثار الأزمات من خلال القرآن الكريم.	62
الفرع الأول: الآثار السِّلبية للأزمات، وبيان منهج القرآن الكريم في التَّعامل معها.	63
أولا: الآثار السِّلبية للأزمات من خلال القرآن الكريم.	63
ثانيا: بيان منهج القرآن الكريم في تعامله مع الآثار السِّلبية التي تخلفها الأزمات.	68
الفرع الثاني: الآثار الإيجابية للأزمات من خلال القرآن الكريم.	73
المطلب الثالث: أهداف إدارة الأزمات من خلال القرآن الكريم.	89
الفصل الثاني: منهج القرآن الكريم في إدارة الأزمة الاجتماعية ــ حادثة الإفك نموذجا ــ.	93
المبحث الأول: أزمة حادثة الإفك: سبب اختيارها، ومفهومها، وقصَّتها الكاملة.	94
المطلب الأول: سبب اختيار حادثة الإفك كنموذج لإدارة الأزمات الاجتماعية	94

في القرآن الكريم.	
المطلب الثاني: التَّعريف بحادثة الإفك، وبيان زمن وقوعها.	97
الفرع الأول: تعريف الإفك لغة واصطلاحا.	97
الفرع الثاني: زمن وقوع حادثة الإفك.	98
المطلب الثالث: إيراد القصَّة الكاملة لحادثة الإفك، وتحليل ما نزل بشأنها إجمالا.	101
الفرع الأول:إيراد القصَّة الكاملة لحادثة الإفك.	101
الفرع الثاني: التَّحليل المجمل لما نزل من آيات بشأن أزمة حادثة الإفك.	105
المبحث الثاني: أزمة حادثة الإفك: أسبابها، أهدافها، مراحلها.	110
المطلب الأول: أسباب افتعال أزمة حادثة الإفك.	110
المطلب الثاني: أهداف افتعال أزمة حادثة الإفك.	115
المطلب الثالث: مراحل أزمة حادثة الإفك وتطورها.	116
أولا: مرحلة الإنذارات ـــ التحذيرات ـــ.	116
ثانيا: مرحلة ميلاد أزمة حادثة الإفك.	117
ثالثا: مرحلة النُّمو والاتِّساع.	118
رابعا: مرحلة بلوغ الأزمة ذروتها.	120
خامسا: مرحلة الانكماش والاختفاء.	122
المبحث الثالث: مراحل إدارة أزمة حادثة الإفك، وبيان منهج القرآن الكريم في التعامل مع أمثال هذا النوع من الأزمات.	124
المطلب الأول: مراحل إدارة أزمة حادثة الإفك.	124
المرحلة الأولى: مرحلة اكتشاف إشارات الإنذار.	124
المرحلة الثانية: مرحلة الاستعداد والوقاية.	126
المرحلة الثالثة: مرحلة أثناء الأزمة.	127
المرحلة الرابعة:مرحلة استعادة النَّشاط ومعالجة الآثار.	130
المرحلة الخامسة: مرحلة التَّعلم.	136
المطلب الثاني: بيان منهج القرآن الكريم في التَّعامل مع أمثال هذه الأزمات.	139
أولا: محاربة الشائعات.	139
ثانيا: وجوب التَّحلي بأخلاقيات مهمَّة أثناء الأزمة.	141

ثالثا: وجوب استشعار فضائل الله على عباده خصوصا أثناء الأزمات.	143
رابعا: اجتثاث الأزمة من أصولها، والسَّعي إلى محو آثارها.	144
خامسا: التعامل مع مفتعلي الأزمة بمقتضى منهج القرآن الكريم.	146
الفصل الثالث: منهج القرآن الكريم في إدارة الأزمة الاقتصادية. ــ سورة يوسف نموذجا ــ	148
المبحث الأول: سورة يوسف عليه السلام، والأزمة الاقتصادية.	150
المطلب الأول: مدخل تعريفي بسورة يوسف عليه السلام، وبيان الوضع الاقتصادي في زمنه عليه السلام.	150
الفرع الأول: مدخل تعريفي بسورة يوسف عليه السلام.	150
الفرع الثاني: بيان الوضع الاقتصادي زمن يوسف.	154
المطلب الثاني: تعريف الأزمة الاقتصادية، وبيان سبب اختيار قصَّة يوسف عليه السلام كنموذج لإدارة هذه الأزمة.	156
الفرع الأول: تعريف الأزمة الاقتصادية.	156
الفرع الثاني: بيان سبب اختيار قصَّة يوسف عليه السلام كنموذج لإدارة الأزمة الاقتصادية.	163
المبحث الثاني: الأزمة الاقتصادية زمن يوسف عليه السلام: مراحلها، وإدارتها.	169
المطلب الأول: مراحل الأزمة الاقتصادية زمن يوسف عليه السلام.	169
المرحلة الأولى: مرحلة الإنذارات والتحذيرات.	170
المرحلة الثانية: مرحلة ميلاد الأزمة.	172
المرحلة الثالثة: مرحلة نمو الأزمة واتساعها.	174
المرحلة الرابعة: مرحلة النضج.	175
المرحلة الخامسة: مرحلة الانكماش والانحسار.	177
المطلب الثاني: مراحل إدارة الأزمة الاقتصادية من قِبَل يوسف عليه السلام.	178
المرحلة الأولى: مرحلة اكتشاف الإشارات والإنذارات.	178
المرحلة الثانية: مرحلة الإعداد للأزمة.	183
المرحلة الثالثة: مرحلة مواجهة الأزمة.	199

المرحلة الرابعة: مرحلة استعادة النَّشاط.	211
المرحلة الخامسة: مرحلة التَّعلم.	211
المبحث الثالث: السِّمات الشَّخصية اللَّازمة لقائد الأزمة، ومقوِّمات نجاح إدارة الأزمة.	215
المطلب الأول: السِّمات الشَّخصية لقائد الأزمة.	215
الفرع الأول: المهارات الرُّوحية.	215
الفرع الثاني: المهارات الذَّاتية والشَّخصية.	220
الفرع الثالث: المهارات الأخلاقية والإنسانية.	226
الفرع الرابع: المهارات الفنِّية.	230
المطلب الثاني: مقوِّمات نجاح يوسف عليه السلام في إدارته للأزمة الاقتصادية.	233
الفصل الرابع: منهج القرآن الكريم في إدارة الأزمة السياسية ــ قصَّة سليمان عليه السلام مع ملكة سبأ نموذجا ــ	237
المبحث الأول: قصَّة سليمان عليه السلام وملكة سبأ نموذج لمنهج القرآن الكريم في إدارته للأزمة السِّياسية.	240
المطلب الأول: التَّعريف بالمملكتين، وبيان سبب اختيار القصة كنموذج لإدارة الأزمة السياسية.	240
الفرع الأول: التعريف بمملكة سليمان عليه السلام.	240
الفرع الثاني: التعريف بمملكة ملكة سبأ.	249
الفرع الثالث: بيان سبب اختيار القصَّة كنموذج لإدارة الأزمة السِّياسية في القرآن الكريم.	259
المطلب الثاني: أسباب نشوء الأزمة السِّياسية بين المملكتين، وخصائصها.	262
الفرع الأول: أسباب نشوء الأزمة السِّياسية بين المملكتين.	262
الفرع الثاني: خصائص هذه الأزمة.	263
المبحث الثاني: مراحل الأزمة السِّياسية بين المملكتين، وبيان خطوات إدارتها.	268
المطلب الأول: مراحل الأزمة السِّياسية بين المملكتين.	268
المرحلة الأولى: مرحلة اكتشاف الأزمة.	268

المرحلة الثانية: مرحلة تنامي الأزمة وتصاعدها.	269
المرحلة الثالثة: مرحلة بلوغ الأزمة ذروتها.	270
المرحلة الرابعة: مرحلة انحسار الأزمة ونهايتها.	272
المطلب الثاني: خطوات إدارة الأزمة.	275
1 ــ التوظيف الإعلامي في إدارة الأزمة.	275
2 ــ انتهاج عملية الاختراق لغرض السيطرة على الخصم.	278
3 ــ استخدام الحرب النفسية.	281
4 ــ التهديد باستعمال القوة العسكرية.	287
5 ــ توظيف أنواع من المهارات لأجل إخضاع الخصم.	288
مرحلة التعلم.	296
المبحث الثالث: معالم القيادة الرَّاشدة في إدارتها للأزمة السِّياسية، وأسس نجاحها.	300
المطلب الأول: معالم القيادة الرَّاشدة في إدارتها للأزمة السِّياسية.	300
الفرع الأول: الجانب الرُّوحي.	300
الفرع الثاني: الجانب الأخلاقي.	304
الفرع الثالث: الجانب العلمي.	307
الفرع الرابع: الجانب الإداري.	308
المطلب الثاني: أسس نجاح إدارة الأزمة.	311
1 ــ القوة الإيمانية.	311
2 ــ القوة العلمية.	312
3 ــ القوة العسكرية.	313
4 ــ القوة التنظيمية.	314
الفصل الخامس: منهج القرآن الكريم في إدارة الأزمة العسكرية ــ غزوة الأحزاب نموذجا ــ	317
المبحث الأول: أزمة غزوة الأحزاب: تعريفها، أسبابها.	320
المطلب الأول: التَّعريف بأزمة غزوة الأحزاب.	320
المطلب الثاني: سبب أزمة الأحزاب.	326

المبحث الثاني: أزمة الأحزاب: خصائصها، مراحلها.	329
المطلب الأول: خصائص الأزمة.	329
المطلب الثاني: مراحل الأزمة.	355
المرحلة الأولى: مرحلة الإنذار.	355
المرحلة الثانية: مرحلة ميلاد الأزمة.	337
المرحلة الثالثة: مرحلة نمو الأزمة واتِّساعها.	338
الجانب الأول: دور المنافقين في تصعيد الأزمة.	338
الجانب الثاني: دور اليهود في تفاقم الأزمة.	343
المرحلة الرابعة: مرحلة بلوغ الأزمة ذروتها.	345
المرحلة الخامسة: الأزمة في مرحلة الاختفاء.	348
المبحث الثالث: إدارة أزمة الأحزاب، وبيان صفات القيادة العسكرية.	351
المطلب الأول: خطوات إدارة الأزمة.	351
1 ــ استشار الرسول ﷺ أصحابه في أمر الأحزاب.	351
2 ــ عملية حفر الخندق.	352
3 ــ استخدام عنصر المفاجأة.	354
4 ــ العمل على تقوية الجبهة الداخلية.	354
5 ــ تأمين المستضعفين في الحصون المنيعة.	357
6 ــ تقسيم الصحابة إلى دوريات للحراسة.	358
7 ــ وضع كلمة السِّر	359
8 ــ عدم التصدي للمنافقين.	360
9 ــ أسلوب تعامل النبي ﷺ مع بني قريظة.	362
10 ــ تفريق كلمة الأحزاب، وتأليبهم على بعضهم البعض.	363
مرحلة نهاية الأزمة.	365
1 ــ الاجتهاد في الدعاء.	366

2 ــ إرسال الرِّيح على الأحزاب.	367
3 ــ إرسال الملائكة على الأحزاب.	368
4ــ تحري انصراف الأحزاب.	368
مرحلة استعادة النشاط.	370
مرحلة التعلم.	371
المطلب الثاني: صفات القيادة العسكرية.	376
الخاتمة.	390
فهرس الآيات القرآنية.	393
فهرس الأحاديث النبوية.	407
فهرس المصادر والمراجع.	409
فهرس المحتويات.	426

الملخص بالعربية: منطلق هذا البحث جاء ليعالج مشكلة واقعية مريرة يعيشها العالم اليوم؛ وبالأخصِّ العالم العربي، وهي قضية تفاقم الأزمات وانتشارها على كافَّة الأصعدة مما صار يهدِّد أمن الدُّول والمجتمعات، فجاءت هذه الدِّراسة الموسومة بـ: منهج القرآن الكريم في إدارة مختلف الأزمات لتساهم في تقديم حلول ربَّانية للإنسانية لأجل التَّخفيف من حدّة انتشار الأزمات، واعتمدت على المنهج الوصفي، كما اقتضت طبيعة الدِّراسة أن تشتمل على مقدِّمة وخمسة فصول وخاتمة.

ومن جملة ما خلُص إليه الباحث أنَّ القرآن الكريم قد نال شرف السَّبق والكمال في إرساء مبادئ علم إدارة الأزمات، وأنَّه كان يمزج في علاجه لها بين الجانب الرُّوحي والمادِّي.

كلمات مفتاحية: المنهج/ القرآن/ الإدارة/ الأزمات/ الاجتماعية/ الاقتصادية/ السياسية/ العسكرية.

Résumé en français: Le principe de cette recherche consiste à résoudre un problème réel et amer, expérimenté par le monde d'aujourd'hui, surtout le monde arabe. C'est la question de l'aggravation des crises et leur propagation à tous les niveaux, ce qui est devenu une véritable menace pour la sécurité des Etats et des communautés.

Cette étude intitulée : «la méthode du Saint Coran dans la gestion des crises », contribue à trouver des solutions divines à l'humanité, afin d'atténuer la prolifération des crises. Elle s'appuie sur une approche descriptive, et comprend une introduction, cinq chapitres, et une conclusion.

Parmi les résultats de cette étude, le chercheur a conclu que le Saint Coran a remporté l'honneur de la précession et de l'exhaustivité d'établir les principes de la gestion des crises, tout en maintenant, dans son traitement, un équilibre minutieux entre l'aspect spirituel et matériel.

Mot-clé: Curriculum/ Coran/ Management/ Crise/ sociale/ économique/ politique/ militaire.

Abstract in English: out of this research was to address the real problem of bitter world experienced today; and especially the Arab world, an issue exacerbated the crisis and spread at all levels, which became a threat to the security of nations and communities, came this tagged: curriculum Koran study in various crisis management to contribute to the provision of divine solutions to humanity in order to mitigate the spread of crises, and relied on the descriptive method, as required by the nature of the study to include an introduction and five chapters and a conclusion.

Among the conclusions of the researcher that the Koran has won the honor and the perfect head start in establishing the principles of crisis management, and that he was mixing in her treatment between the spiritual and the physical aspect.

Keyword: Curriculum / Koran / Management / Crisis / social / economic / political / military.